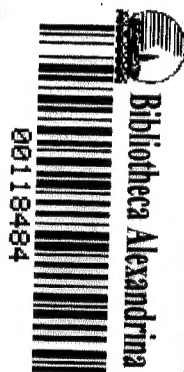


مكتبة مدبولي  
القاهرة

أحمد حسن رؤف  
قصة ثورة  
٢٣ يوليو



خريف عبد الناصر



خريف عبد الناصر

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية : ١٩٨٤



أحمد حمروش

قصة ثورة ٢٣ يوليو

غريف عبد الناصر

الجزء الخامس

مكتبة مدبولي - القاهرة

## الاهداء

الى كل من أيد جمال عبد الناصر أو  
عارضه .. حيا  
وكل من بكاه أو هاجمه .. ميتا  
والى الاجيال الجديدة التي لم تعيش  
فترة عبد الناصر ..  
ولكنها سوف تملك في المستقبل ..  
الكلمة في حكم مصر

## مقدمة

اكاد اشعر اليوم انى قد ادبت بعض الواجب نحو ثورة يوليو ، عندما أنتهيت من كتابة الجزء الخامس ( خريف عبد الناصر ) . . . . . وبه تكتمل قصة عبد الناصر مع الثورة . . . . . ولكن قصة الثورة نفسها لم تكتمل بعد .

والمحاولة فى هذا الكتاب تتعرض أساسا للقضية الوطنية التى تعرضت لعدد من الهجمات منذ وثبتت الحركة العسكرية الى السلطة ، واتخذت تحت قيادة جمال عبد الناصر مسارا وطنيا وقوميا تقدما .

وربما الهجمات كانت اسرائيل الدولة التى زرعت فى الأرض العربية عام ١٩٤٨ ثم تحولت مع الوقت ومع مساعدات الدول الامبريالية انجلترا وفرنسا ثم الولايات المتحدة الى مجتمع عسكرى متوثب لاداء دور رجل الشرطة فى المنطقة .

واصبحت المشكلة الفلسطينية من هموم أى نظام عربى فرضت نفسها على قادة ثورة يوليو الذين حرصوا منذ البداية على عدم التورط فى معركة مع اسرائيل قبل ان تتوطد اقدامهم فى مصر ، ويتم جلاء قوات الاحتلال البريطانية عن منطقة قناة السويس .

وارتفع فى هذه المرحلة شعار ( السلام والصلح ) بين مصر واسرائيل . . . . . وتمت اتصالات سرية بين قادة ثورة يوليو وبين حكومات اسرائيل فى محاولة لاستقرار الاوضاع فى المنطقة والتفرغ لبناء المجتمعات على اسس عصرية .  
ولكن حكومات اسرائيل اثبتت خلال هذه الاتصالات التى يكشف هذا الكتاب كثيرا من اسرارها ، انها لا تريد

السلام ٠٠٠ ولعبت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية دورا بارزا في تحطيم اتصالات السلام وايضا في تحطيم الشخصيات السياسية الاسرائيلية التي لجأت الى هذا السبيل .

وتأكدت هذه الحقيقة عندما اشتركت اسرائيل في غزو مصر مع الدولتين الكبيرتين فرنسا وانجلترا عام ١٩٥٦ قبل أن تمضى خمسة أشهر على جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض مصر .

وبدأت منذ هذه اللحظة صفحة توتر جديدة في حياة ثورة يوليو ٠٠٠ تفرض نفسها على كافة الأحداث ٠٠٠ لانها اثبتت أن في اسرائيل قوة معادية تتحرك في تناسق تام مع الامبريالية لضرب النظام الوطنى التقدمى فى مصر الذى لم يقبل الركوع واصر على تثبيت الاستقلال الوطنى واشعال روح القومية والعمل من أجل الوحدة العربية وبناء المجتمع الاشتراكي .

وكان عدوان يونيو ١٩٦٧ الذى انزلت ثورة يوليو الى مصيده التي اعدتها فى اتقان أجهزة الصهيونية التوسعية والمخابرات الامريكية .

ويسلط هذا الكتاب الضوء على هذه الفترة الهامة من تاريخ شعبنا التي اعقبت الهزيمة القاسية والتي اصر فيها الشعب على تثبيت جمال عبد الناصر فى موقعه قائدا وزعيما رغم فداحة الهزيمة وما كشفته من أخطاء وانحرافات لبعض رجال الثورة وقادتها .

ويظهر الكتاب الدور الخطير الذى لعبه جمال عبد الناصر منذ ١١ يونيو ١٩٦٧ عندما عاد بعد التنحي تحت ضغط الارادة الشعبية وليست هناك قوات مسلحة يمكن أن تحول بين الجيش الاسرائيلى وبين الوصول الى القاهرة .

مسئولية خطيرة لا يتحملها الا زعيم وطنى قادر على الاستفادة من أخطائه وتجاريه ، متمرس على المقاومة ، مخلص لشعبه ، مدرك لحقائق اللعبة السياسية مستفيد الى اقصى حد من علاقاته الدولية ، مؤمن بدور القوة العسكرية واثق من أن المستقبل مع حرية الشعوب .

نهض جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة بما يعجز عنه  
الانسان الفرد ... وحقق بعض ما يعتبر من الاحلام ...  
ووصل بالقوات المسلحة الى حرب الاستنزاف التي يضيء  
هذا الكتاب جوانبها الرائعة التي تستحق تمجيد التاريخ  
وفخر الشعب .

وبينما كان جمال عبد الناصر على قيد خطوة من  
النصر ... وعلى بعد أسابيع من تنفيذ خطة الدفاع ٢٠٠  
لتحرير كافة الأرض المحتلة .. وعقب أيام من قبول مبادرة  
روجرز التي قبلها لدفع الصواريخ الى ضفة القنال الغربية  
استعدادا للهجوم الشامل ... شاء القدر أن يختطفه من  
تسعب مصر ومن الأمة العربية ، وأن ينهى دوره التاريخي ،  
وأن تكتب الكلمة الأخيرة لزعامته الحية في قصة ثورة  
٢٣ يوليو .

مات جمال عبد الناصر في الخريف - ٢٨ سبتمبر  
١٩٧٠ - وفي خريف العمر أيضا - ٥٢ عاما .  
مات ... وهو في قمة الأداء وروعة العطاء .  
مات ... قبل أن تكتحل عيناه بالأرض المحررة ...  
وقبل أن يقلده الشعب الكايل النصر .  
مات ... ولكن دوره لم يمت ... ولن يموت .

أحمد حمروش



# الباب الأول

## مصر واسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧

( اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش باحد ، شريطة الا  
تسمى اسرائيل للخروج من حدودها )

صاغ صلاح سالم وزير الارشاد  
القومي في حديث مع الصحفي  
الفرنسي بيير دي بيتمان عام ١٩٥٣





## الفصل الأول

### ثورة يوليو واسرائيل

( ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب  
النكاح التي اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس  
صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة  
التي راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك  
عن الصحة ان يقال ان السبب كان في أزمة  
انتخابات نادي الضباط ٠٠ ان الامر في رأيي كان  
أبعد من هذا وأعمق اغوارا ) ٠٠  
جمال عبد الناصر - فلسفة الثورة

كانت حرب فلسطين سببا من الاسباب الرئيسية التي دفعت الى  
تنظيم الضباط الاحرار الذي قاده جمال عبد الناصر بعد انتهاء القتال ،  
وتوقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وظهور اسرائيل قسرا كدولة جديدة غير معترف  
بها فوق ارض الوطن العربي .

تم اندفاع الجيش المصرى الى حرب فلسطين بغير حسابات دقيقة ،  
ريتغيير مفاجئ فى موقف رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى ، بعد أن  
صدر قرار الملك فاروق للجيش بالتحرك .

عندما عرض النقراشى الموضوع فى مجلس الشيوخ سألته فؤاد  
سراج الدين سكرتير الوفد - كما قال لى - ( هل قدرت موقف الانجليز ووعد  
بلفور ؟ ) .

وكان جواب النقراشى غريبا ومعبرا فى نفس الوقت اذ قال :  
- أنا أحب أطمئنك على أن الانجليز أيضا .. هم الذين يشجعوننى  
على ذلك !!

وهكذا رال تردد النقراشى الذى عبر عنه فى البداية .. بتشجيع  
الانجليز وأوامر الملك .

وانتقل الجيش من حالة الجمود والسكون التى فرضها الاستعمار  
البريطانى بعد توقيع اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ واستمرت نصف قرن ،  
الى حالة الحركة والحرب .

قال الفريق عثمان المهدي رئيس اركان حرب الجيش للضباط وهو  
يودعهم :  
- انكم تدخلون نزهة فى فلسطين !

وكان الجيش بعيدا تماما عن تشكيلات الحرب .. كل سلاح منفصل  
بذاته ، وليست هناك مجاميع للمقاتل ، والاسلحة متخلفة ، ولا توجد مناورات  
والتقدم النسبى الوحيد كان قاصرا على اسلحة الدفاع الجوى  
والمهندسين التى شاركت الى حد ما فى خطة الدفاع عن مصر اثناء الحرب  
العالمية الثانية .

كانت طوابير الجيش لا تخرج الا لتوديع المحمل وهو فى طريقه الى  
مكة ، او لتشييع الجنازات العسكرية .. وفيما عدا ذلك كانت اسسوار  
الثكنات مغلقة على الجنود فى حياة رتيبة قاسية .. مدة التجنيد خمس  
سنوات ، ومرتب الجندي ٥٤ قرشا فى الشهر فقط ، يتناول وجبات العدس  
مرتين كل يوم ، وثلاث مرات فى الايام الثلاثة التى لا يباع فيها اللحم !

تغير واجب الجيش فجأة .. فاصبح للمقاتل ، بعد ان كان يستخدم  
احيانا كاداة للقمع والارهاب ضد الحركات الوطنية ، مثلما حدث فى تزييف  
أحزاب الاقلية للانتخابات لحرمان الوفد من التعبير عن ارادة الشعب ، وفى  
استخدام اسماعيل صدقى له كقوة طوارئ احتياطية لقمع مظاهرات الطلبة  
والعمال عام ١٩٤٦ ، وفى القيام بأعمال البوليس عندما قام ضباط البوليس  
باضرابهم الشهير عام ١٩٤٧ الذى اعتصموا فيه بجديفة الازبكية بالقاهرة .

كان التغيير مفاجئا وغير مدروس .  
اطلق الجنود فى العريش يوم ٦ مايو ١٩٤٨ طلقات رصاص بلغت  
١٠٠٠ رطل مطلق دون أى انضباط او سيطرة ، تحت وهم هجوم للصهيونيين  
على المدينة لانهم لم يدربوا على القتال من قبل .

قال لى ذلك أحد ضباط الكتيبة الاولى مشاة محمد احمد البلتاجى  
عضو مجلس الشعب ، ومحافظ الحرة الاسبق ، وهو روى لى صورته  
دخول كتيبته الى فلسطين يوم ١٥ مايو باعتبارها مقدمة للجيش .  
( دخلت الكسبه فى غرباب اريوبس احصرها معاول انصار اسمه  
( بامية ) ، وعبرت الحدود فى الخامسة فجرا ثم توقفت حوالى العاشرة  
صباحا وهم فى الطريق الى غزة امام بعض طلاقات من جيب صهيونى فى  
كفار دروم . ولم يدخل عزه الا فى السابعة مساء بعد الغروب ) .

لم تكن هناك خرائط عسكرية . وكل المعلومات هى ما توافرت من  
دراسة تاريخ المعارك فى الحرب العالمية الاولى . والاعتماد فى الحركة  
والتوجيه كان على سؤال الفلسطينيين .

وفى استجواب قدمه فؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ الذى كان  
يضم ٢٠ وفديا ، ١٣٨ من انصار الحكومة ، ونظر فى جلسة سرية ، اناء  
الهدنة الاولى ، قال سراج الدين للنقراشى انه تبين منذ الايام الاولى ان  
الجيش لا نوافر عنده الحملة الكافية ، وان الحكومة نسئلى على وسائل  
النقل المدنية لحساب الجيش .

وتبين من رد النقراشى انه رفض اقتراحا لنورى السعيد بتشكيل قيادة  
مشتركة تتولى مصر قيادتها بدعوى ( انه لا يتحمل متاعبهم ، ولا يضع رقبته  
فى ايديهم ) !!

لم يقرر المجلس عدم الثقة بالحكومة . واطال حبال الصبر .  
وقد اجبرت الظروف محمود فهمى النقراشى على مصارحة الملك  
عبد الله ملك شرقى الاردن اثناء اجتماع زعماء العرب فى شتورا بلبنان بأن  
الجيش العربى قد تخلى عن واجبه .

ومن علامات الارتجال ايضا ان حيدر باشا قائد الجيش قد طلب اثناء  
حضوره اجتماع مجلس الوزراء قبل ١٥ مايو ضرب تل اببيب بالقنابل  
لوجود الزعماء الصهيونيين هناك !

ولكن هذه الصورة لا تشمل كل ضباط الجيش المصرى ، ولا تعبر  
تعبرا كاملا عن روح النضال التى كانت كائنة فى صدور بعضهم .

نطوع بعض الضباط فى حرب فلسطين ، مدفوعين اساسا بروح وطنية  
وصلات خاصة مع الاخوان المسلمين الذين كانوا من اكثر التنظيمات نشاطا  
فى الدعوة للحرب تحت شعار التعاون الاسلامى .

وكانت هذه الظاهرة ردا حاسما على بعض الذين تصوروا ان الجيش  
هو هؤلاء الضباط الكبار الخاضعون خضوعا مطلقا للسراى ، مترهلو  
الكروش ، جامدو العقيلة ، البعيدون نهائيا عن اية روح ثورية .

ومنذ اللحظة الاولى فى القتال ، اثبت الجنود والضباط انهم ورغم  
نقص الاسلحة والتدريب والوعى بطبيعة الحرب - لم تكن تنقصهم روح  
البذل والتضحية . واستشهد الكثيرون من الجنود والضباط وهم يحاربون  
ببسالة نادرة .

وخلال القتال توهج الوعي ، واكتشف البعض ان خلا ما فى القاهرة

هو الذى وضعهم فى هذه المأساة .. وكانت هذه هى بداية نسج خيوط تنظيم الضباط الاحرار .

وكانت بريطانيا ترقب المعارك وقواتها تحتل مصر .. وهى فى رضا نام عن كل ما يدور فوى ارض فلسطين .

مصر تستهلك ارصدها الاسترلينية التى كانت تدين بها بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية والتى بلغت حوالى ٤٠٠ مليون جنيه .. معسكرات الاعتقال فتحت فى صحابة ( هاكستيب ) اسم المعسكر السابق للجيش الامريكى - وضمت الوطنيين والشيوعيين الذين قادوا حركة الجماهير منذ عام ١٩٤٦ ، حيث تزايدت المظاهرات واضرابات الطوائف ، واشتعل الصراع الطبقي ، وتجسست العداءة للاستعمار البريطانى .. والجيش المصرى يتعرض لضربات وهزائم ، تحولها الصحافة الى انتصارات ، ولكنها تكسر افئدة الجنود وصغار الضباط .. والاحكام العرفية تؤدى دورها فى خدمة الاستعمار والسراى واحزاب الاقلية .

ليس هذا فقط ، بل ان بريطانيا كانت تحرك اتباعها فى الدول العربية لتنفيذ مخطط يستهدف الحاق العار بجيش مصر .

خلال حصار القوات المصرية فى الفالوجا ، تقدمت شرقى الاردن بمشروع اعدده جلوب لفك حصار القوات .. ويقضى بأن تقوم القوات العراقية والاردنية بهجوم يشغل الاسرائيليين بينما تدمر القوات المصرية اسلحتها الثقيلة ، وتتسلل هاربة على الاقدام خلال طريق سرى فى الصحراء يعرفه ضابط بريطانى من ضباط جلوب .

رفضت القيادة المصرية اقتراح جلوب لما يحيط بصاحبه من شكوك .. وطلبت الى الضابط والجنود المصريين ان يدافعوا حتى آخر طلقة .  
وكان جمال عبد الناصر واحدا من ضباط هذه القوة المحاصرة .. الذين رفضوا الانسحاب .

وقال جمال عبد الناصر لزملائه ان الانسحاب من الفالوجا يضعف المفاوضات المصرية فى مفاوضات رودس التى اسفرت عن اتفاقية الهدنة .  
بقيت القوات المصرية محاصرة ، تقاوم فى صمود وشجاعة .. وفشلت خطة ايقاعها فى كمين مشروع جلوب - الذى جاء فى كتاب صهيونى صدر بعد الحرب - ان اسرائيل كانت على علم بالخطة وانها كانت تنتظر القوات المصرية لبادتها .

ولم تدمر الاسلحة المصرية الثقيلة ، لتكسب بريطانيا من وراء ذلك ، ضعفا لقوات الجيش ، وشراء لاسلحة جديدة باعتبارها المصدر الرئيسى لتسليح الجيش .

كانت المرارة التى استولت على قلوب رجال الجيش من هزيمة قواتهم راجعة الى نظام الحكم فى مصر ، حيث كانت للاستعمار اليد العليا فى تحريك الامور .. واكتشف الانكباء منهم الدور الذى لعبته السياسة البريطانية فى دفع الجيش للقتال ، واكتشفوا ايضا ان الذين اثاروا قضية فلسطين على اساس روح التعصب الدينى قد قدموها للجماهير بشكل خاطىء وضار .

## اسرائيل وحركة الجيش :

ونضجت الظروف لقياس تنظيم موحد بين رجال الجيش ، وظهرت المنشورات الاولى للضباط الاحرار ، تأكيداً لقيام جبهة من الضباط المنتمين لتنظيمات مختلفة .. الاخوان المسلمين والشيعيين ومصر الفتاة والمستقلين .

ركزت منشورات الضباط الاحرار على القضية الوطنية ، والفساد الذى استشرى فى الجيش والمجتمع .. ولم تتعرض كثيراً لمشكلة زرع اسرائيل كدولة عنصريه فى أرض الوطن العربى .

والاهداف الستة للضباط الاحرار انطوت اساساً على مشاكل مصرية محلية تستهدف القضاء على ثلاثة .. الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين ثم الاقطاع واخيراً الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .. وتستهدف اقامة ثلاثة .. عدالة اجتماعية وجيش وطنى قوى وحياة ديموقراطية سليمة .. ولم تذكر شيئاً عن اخطار الصهيونية التوسعية ، ولم تتحدث عن موقف معين تجاه اسرائيل .

وعندما انتصرت حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو انشغلت بتحقيق اهدافها ( المصرية ) وواجهت من القضايا والمشاكل ما استنفد طاقته قادتها الشباب ، ولم يكن هناك وقت او تطلع الى ما يدور خلف الحدود .

عبر جمال عبد الناصر عن ذلك فى كتابه الذى سجل فيه خواطره واصدره باسم ( فلسفة الثورة ) .. اذ قال .

( ليس صحيحاً ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحاً كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وابتعد من ذلك عن الصحة ما يقال ان السبب كان أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش .  
انها الامر فى رأى كان اسعد من هذا واعمق اغواراً ) ..

ويجسد جمال عبد الناصر افكاره المعبرة عن هذا الاتجاه قائلاً :  
( كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن احلامنا كلها كانت فى مصر ..  
وكان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض امامنا فى خنادقه ، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه ) ..  
ويستطرد جمال عبد الناصر قائلاً : انه وجد من خبرته وتجربته فى فلسطين ان مصر ( فالوجا اخرى على نطاق كبير ) .

ويروى ما كتبه ضابط اسرائيلى اسمه ( يردهان كوهين ) فى جريدة ( جويش اوبزرفر ) كبرهان على صحة ما يقول ، فقد كتب الضابط الاسرائيلى الذى ذكر انه التقى بجمال عبد الناصر اثناء مباحثات واتصالات الهدنة قائلاً :

( لقد كان الموضوع الذى يطرقه جمال عبد الناصر معى دائماً هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة مقاومة سرية لهم فى فلسطين ، وكيف استطعنا ان نجنّد الرأى العام فى العالم وراءنا فى كفاحنا ضدهم ) .

ولم يكن جمال عبد الناصر هو الوحيد من قادة الضباط الاحرار الذي شارك واستبسل في حرب فلسطين ٥٥ زكريا محيي الدين كان معه في المفالوجا ، وكمال الدين حسين كان من اول المتطوعين ، وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر كانا في قيادة القوات ، وقد قتل القائمقام احمد عبد العزيز الذي كان من ارائل المتطوعين ايضا وهو يركب بجوار صلاح سالم في عربة جيب ٥٥ واستترك ضباط الطيران ، عبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم في القتال ، وتعاونوا مع فوزى الفاوقجي ٥٥ واغلبية الضباط الاحرار كان لهم دور في حرب فلسطين وكثر منهم حصلوا على اوسمة للبطولة والشجاعة .

اما محمد نجيب الذي عين بعد الحركة رئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للجمهورية ، فقد كان من أبطال حرب فلسطين ٥٥ جرح ثلاث مرات وامضى ٣٩ يوما في مستشفى القتال ثم العجوزة ، وتولى في عهد قيادة اللواء احمد مؤاد صادق قياده المجموعة الضاربة من اللوامين العاشر والرابع مشاه . وكان عبد الحكم عامر قد عين اركان حرب هذا اللواء ، وبوسف صديني الذي كان في احدى كتائب المقدمة ولم يعد للقاهرة الا بعد ان اصابه نزيف الرئة .

كان رأى محمد نجيب في هذه الحرب الا تكون صداما بين جيوش نظامية ، وانما نكون قتالا شبيها بحرب العصابات الى يقوم بها المتطوعون في مواجهة العصابات الصهيونية .

ولم تصدر تصريحات عدوانية ضد اسرائيل في سنوات الثورة الاولى .

عندما زار محمد نجيب غزة في ٢٣ اغسطس ١٩٥٢ اكتفى بتمني ( الاستقلال لفلسطين ) .

وقال صلاح سالم في حديث مع الصحفي الفرنسي بير دي بثمان ( اسرائيل ؟ نحن لا نتعرض بأحد ، شريطة الا تسعى اسرائيل للخروج من حدودها ) .

واذاغت اذاعة قبرص التي كان يشرف عليها البريطانيون ان المباحثات مع جون فوستر دالاس التي تمت في مايو ١٩٥٣ لم تتناول قضية فلسطين .

وفي الاحتفال بالعيد الاول للحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ قال صلاح سالم في مؤتمر صحفي حضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر الذي بقي صامما حيث كانت قد اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية ٥٥ قال صلاح سالم ( ان مصر ترفض الشرط الذي تضعه بريطانيا للانضمام الى حلف دفاعي لان ذلك يشمل بريطانيا التي يجب ان تسوى خلافاتنا معها حول السويس ، واسرائيل التي لا تزال في حالة حرب معها من الوجهة الفنية بسبب ارض محتلة ومتنازع عليها ) .

المشكلة مع اسرائيل لم تصبح بعد ملفا في ادراج المحفوظات ٥٥ ولكنها ايضا ليست قضية ملتهبة ، ولا تسجل احاديث وتصريحات قادة الثورة هجوما على اسرائيل ولا رغبة في نديها .

ولعل الضباط الاحرار كانوا يعملون - كما يقول جان لاكوثير في كتابه عبد الناصر - بشـمار غامبيتا حول الالزاس واللورين ( لنفكر في ذلك باستمرار ، ونمتنع عن الكلام فيه ) .

وفي الجانب المقابل وجه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل تحية لحركة الجيش في اليوم التالي لانتصارها متمنيا النجاح للواء محمد نجيب . وفي ١٨ اغسطس ١٩٥٢ جاهر رئيس حكومة اسرائيل بسياسة الانفتاح على مصر ( الجديدة ) ، وراحت صحافة نل اييب تتحدث عن امكانية تحقيق السلام .

وكانت جريدة المصري قد نشرت يوم ١٤ مارس ١٩٥٢ تقول ان موسى شاريت وزير خارجية اسرائيل يبذل مساعي لدى انطوني ايدن لتحقيق امنيته في الوصول الى صلح بين اسرائيل والدول العربية ، لاعتقاده ان هذا يخلق صلة رسمية بين بلاده ودول الشرق الاوسط .

كان هذا امتدادا لما سبق ان اعلنه وزير الخارجية الوندى محمد صلاح الدين في هيئة الامم بنيويورك عام ١٩٥٠ عندما قال ( ان مستر اتشيسون يعرب عن رأي جميع الوفود العربية الاخرى حين يقول ان الحكومات العربية تود ان توقف الولايات المتحدة مساعيها لدى هذه الحكومات لعقد الصلح مع دولة معقدية ضربت عرض الحائط بجميع قرارات الامم المتحدة ) .

ولكن احمد الشقيري يقترح ان تجرى محادثات بين اسرائيل والدول العربية تحت اشراف الامم المتحدة .

### فرصة سلام :

انتصار حركة الجيش المصري يفتح صفحة جديدة في العلاقات العربية - الاسرائيلية . . وتصريحات المسؤولين من الجانبين تتسم بالهدوء والحرص على عدم التورط في موقف عدواني . وفي هذا الجو الهادئ تجسـاوت الامور حدود التصريحات الى الاتصالات السرية او شبه العلنية .

يقول جان لاكوثير في كتابه ( عبد الناصر ) ان الصحافة الاسرائيلية وبصفة خاصة جريدة ( هآرنس ) كانت تتحدث عن امكانيات الحل السلمي ( مستندة الى مواقف لعمود فوزى سفير مصر في لندن في ذلك الوقت والى محمد نجيب نفسه الذي قيل انه اعترف في مجالسه الخاصة بوجود اتصالات سرية ) .

ويقول جان لاكوثير الذي عمل هو وزوجته سيمون مندوبين للصحافة الفرنسية في مصر خلال سنوات الثورة الاولى ( من المؤكد انه في نهاية عام ١٩٥٢ دارت اتصالات بين ممثلين شبه رسميين عن كلا البلدين لكنها لم تقدم طويلا ) .

ويشير لاكوثير الى حديث تم مع بن جوريون غداة وفاة جمال عبد الناصر صرح فيه بن جوريون بقوله : ( نجيب كان شخصا معتازا وكان ذكيا وناعما واعتقد انه كان بإمكاننا ان نعقد صلحا معه ) .

ولكن محمد نجيب قد اكد لى انه لم تجر معه أية اتصالات سرية للصالح مع اسرائيل ٠٠ ومع هذا فانه رغم اصابته ثلاث مرات فى حرب فلسطين لم يكن عنيفا فى موقفه من اسرائيل ، وشـبـلته مثل بقية زبـلانه قضية تحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين ٠

ولم تعرف حركة الجيش موقف العداء من اليهود المصريين مطلقا ، فقد ذهب احمد انور قائد البوليس الحربى - على سبيل المثال - مندوبا عن اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية فى ٢ نوفمبر ١٩٥٢ لحضور افتتاح محلات شيكوريل فى شارع ٢٦ يوليو او - فؤاد سابقا ٠٠٠

ويذكر التاريخ ان عددا من الرأسماليين اليهود المصريين امثال شيكوريل ومزراحى و ٠٠ كانوا ضد الصهيونية لما كانت تمثله احلامها من خطر على مصالحهم الخاصة ٠

يؤكد هذا الاتجاه ما نشرته مجلة دير شـبـلج الالمانية فى عدد ١٩ ديسمبر ١٩٦٦ عندما قالت ( لقد كان انتصار الالمان المعادين للمسامية مصدر فرحة عير عادية للصهاينة ، فقد اعتبروا ذلك هزيمة لليهود الغربيين المتنورين الذين لم يعيروا الصهيونية أى اهتمام وفضلوا ان يتطوروا وسط الامم الاخرى ) ٠

الفترة الاولى للثورة تبدو مناسبة تماما لحل مشكلة اسرائيل بطريقة سلمية ، ولكن مجلس قيادة الثورة لا يستطيع ان يقفز فوق قضية التحرير والجلاء ولا يستطيع ان يهمل مشكلة شعب فلسطين ٠٠ ومع ذلك فهناك اتصالات يتم فى سرية ٠٠ تستهدف توضيح وجهات النظر وصولا الى السلام لشعب فلسطين والمنطقة ٠

ساعد على ذلك وجود موسى شاريت وهو يهودى شرقى فى موقع المسئولية ، وحرصه على وجود علاقة طيبة مع العرب ، ضمانا لامن اسرائيل ٠

كان موسى شاريت وزيرا لخارجية اسرائيل الى ان خلف بن جوريون رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ وكان معارضا لانجاءاته الاستفزازية الراضة للحلول الوسطية مع العرب ، والتي ادت الى هجوم اسرائيلى على معسكر اللاجئين الفلسطينيين فى عزة فى اغسطس ١٩٥٣ ومصرع ٢٠ عربيا وجرح ٦٠ منهم عدد كبير من النساء والاطفال ثم هجوم اسرائيلى اخر فى اكتوبر ١٩٥٣ على قرية ( كيبية ) الاردنية ومصرع ٦٢ شخصا من غير المقاتلين ٠

ولذا كان فى تعيين موسى شاريت رئيسا للوزراء بادرة اهل فى الوصول الى حل سلمى معقول ٠

قال لى ثروت عكاشة انه كان يلتقى ببعض الاسرائيليين اثناء عمله ملحقا عسكريا فى باريس - ضمن اتصالاته العديدة التى يفرضها عليه منصبه - وانه فهم منهم ان الفرصة متاحة لوجود حل سلمى وخاصة بعد وصول شاريت لمنصب رئيس الوزراء ٠٠ وقد استمرت هذه الاتصالات خلال ثروت وغيره من الرسميين فى سفارة مصر ، وخاصة عبد الرحمن صادق ثول عن المكتب الصحفى ٠



ولم تكن اتصالات ثروت عكاشة بالاسرائيليين وحسدهم ، ولكنه كان يتصل ايضا ببعض الشيوعيين المصريين من اليهود الذين اخرجوا من مصر ، وعلى رأسهم هنري كوربيل .

لعبت هذه المجموعة دورا بارزا في امداد ثروت عكاشة بالمعلومات ، والسعى لتقريب وجهات النظر والوصول الى حل سلمى لمشكلة الشرق الاوسط . . وقد استمرت علاقة ثروت عكاشة بهذه المجموعة سنوات طويلة ، حتى بعد ان عين سفيراً لمصر في ايطاليا ، ثم وزيرا للثقافة . وفي مجال الوصول الى سلام عادل وحقيقى تحرك ايضا المناضل المصرى البارز يوسف حلمى المحامى عضو اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد ثم عضو الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) الذى غادر مصر بعد الافراج عنه عقب اعتقاله عام ١٩٥٣ وكان سكرتيراً عاما للمجلس المصرى للسلام .

وفي باريس تشكلت لجنة عربية اسرائيلية عام ١٩٥٤ ضمت يوسف حلمى ودكتور مراد خلاف ، والكاتب الاسرائيلى آموس كينان ، وابل لايل عضو تنظيم ( ماتسبين ) فيها بعد . . واتصل يوسف حلمى بوزير الصحة الاسرائيلى مازربلاى العضو فى مجلس وزراء موسى شاريت . ورغم اختيار يوسف حلمى البقاء فى باريس فى ظروف معيشية قاسية الا انه كان على صلة ايضا بثروت عكاشة ، يناقش معه القضية المصرية الاسرائيلية ، ويكتب له وجهة نظره الهادفة الى تحقيق السلام لرفعها الى المسئولين .

وتجاوب يوسف حلمى فى ذلك مع رأى مجلس السلام العالمى الذى صرح احد قادته البارزين انطوان ثابت رئيس مجلس السلم اللبناني عقب اجتماعه فى بودابست خلال يونيو ١٩٥٣ بقوله .  
( لقد عاش العرب واليهود بسلام حينما لم يثر المستعمرون النزاع بينهم وسيعيشون بسلام اذا منع تدخل الاجنبى ) .

كما صرح المندوب السوفينى فى مجلس الامن اندربه فيشنسكى بقوله فى ابريل ١٩٥٤ : ( لقد تجاهلت الدول الغربية القضايا الرئيسية . . وهذا يدل على ضرورة ايجاد حل سريع لقضية فلسطين فهذه قضية تؤدى الى نزاعات وعدم تفاهم مما يعكر العلاقات ويعقد الوضع فى المنطقة . . ان هذا التعقيد لا يتفق مع مصالح المواطنين الاسرائيليين والعرب المحبين للسلام ) . وكانت الحكومة السوفينية تد اسانفت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرايل فى يوليو ١٩٥٣ بعد ان كانت قد قطعتها نتيجة لنسب بعض الارهابيين للسفارة السوفينية فى تل ابيب ، وذلك بعد اعتذار الحكومة الاسرائيلية وتعهدا بعدم تأييد أى حلف معاد للاتحاد السوفيتى . وكان جرجى مالكوف رئيس الوزراء السوفيتى فى ذلك الوقت قد صرح امام مجلس السوفيت الاعلى عندها حاولت بعض الصحف الاستعمارية تفسير استئناف العلاقات بين البلدين بأنه موجه ضد الدول العربية بقوله :



## قواعد الامن فى المجتمع .

ولكن المؤامرة لم تنجح وضبطت خلية العملاء التى اعترفت ، وكان ماعرف باسم ( فضيحة لأمون ) وزير الدفاع الذى دبر العملية واعترف بدوره على بن جوريون باعتباره العقل المفكر والمدير للمؤامرة . . ومع ذلك ظل موسى شاريت فى موقعه ، واستمرت الاتصالات به بعد ان ثبت عدم صلته بهذا الحادث بل وادانته له .

ولم يبدأ بن جوريون ، بل واصل تنفيذ خطته ، فأرسل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ بوساطة أتباعه فى الحكومة ووزارة الدفاع مركبا اسرايلى ( بات حالييم ) يرفع العلم الاسرائيلى فى محاولة لعبور القتال ، ولكن السلطات المصرية احتجزت الباخرة واعتقلت بحارتهما للتحقيق بدعوى اطلاقهم النار على مراكب صيد مصرية فى خليج السويس . . وقد استندت السلطة المصرية فى موقفها الى اتفاقية القسطنطينية التى تعطيها الحق فى ذلك ، ومع ذلك وافقت على تشكيل لجنة تحقيق دولية اثباتا لحسن نيتها .

ولم تغلح هذه المحاولة ايضا فى خلع شاريت من موقعه ، كما لم تغلح فى تخريب فرص البحث عن طريق السلام .

فى هذه الفترة مر بالقاهرة نايبان بريطانيان من حزب العمال . . ريتشارد كروسمان المعروف بميوله الصهيونية والذى ألف كتابا فيما بعد باسم ( مصر وعبد الناصر ) ، وموريس اورباخ الذى حضر ليدافع عن الجواسيس الاسرائيليين المعتقلين .

## \* \* \*

وقد استغل اورباخ فرصة وجوده فى القاهرة فجعل من نفسه وسيطا بين جمال عبد الناصر وموشى شاريت ، الذى وصل به الامر الى اقتراح اعادة ١٠٠.٠٠٠ الف لاجيء فلسطينى الى ديارهم ، مما اعتبر على حد قول جان لاكوتير ( اشجع بادرة قام بها مسئول اسرايلى كبير ) .

كانت الحادثات والاتصالات السرية تدور كما يقول انطونى ناتنج فى كتابه ( ناصر ) حول موضوع اللاجئين الذين قبل شاريت تعويضهم وعودة عدد منهم دون السماح بعودتهم جميعا حتى لا يكتسحوا الاسرائيليين على حد تعبيره . . كما ان شاريت لم يستطع ان يلتقى مع رغبة جمال عبد الناصر فى ايجاد حدود ملاصقة او مشتركة بين مصر والاردن ، حيث قال شاريت : ان صحراء النقب قد ضمت لاسرائيل بنساء على قرار التقسيم الذى وافقت عليه هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وقد رد جمال عبد الناصر برفض ذلك حيث ان هذا يضاف الى ماكانت اسرائيل نخله وقت الهدنة عام ١٩٤٩ ، وكانت القوات الاسرائيلية لم تحتل جنوب النقب بعد . . وقال عبد الناصر ان المباحثات يجب ان تكون على طريقة ( خذ وهات ) وليس على طريقة تبول الامر الواقع حيث تأخذ اسرائيل النقب لانها ضمن حدود التقسيم وتأخذ منطقة الجليل الاعلى لانها غزته بقواتها .

ولكن شاربت ومؤامرات بن جوريون تحيط به وتخرجه لم يكن في وضع يسمح له بأى تنازلات عن أراض قامت عليها دولة اسرائيل .  
ومع ذلك فقد خلقت صلاته جوا من الهدوء بين اسرائيل والدول العربية كان يمكن أن يؤدي مع الوقت الى انعاق سلام مقبول .  
ولكن عاملا خارجيا فرض نفسه على الموقف أيضا ، فبعد أن كان دس اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة قد أعلن بعد حركة الجيش مباشرة أن هناك شرطين أساسيين لبايد ومساعدة الولايات المتحدة للنظام الجديد في مصر وهما : الاتفاق مع بريطانيا والصلح مع اسرائيل .  
بعد ذلك تغير الموقف عندما اكتشف جون فوسنر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بعد ذلك أن مصر ترفض الانضمام للاحلاف العسكرية تحت المظلة الامريكية ، وأن توقيع اتفاقية الجلاء مع البريطانيين لم يحقق كل أحلامهم في المنطقة . . . . وأن الصلح مع اسرائيل مازال سرايا .

تغير موقف دالاس من مصر بعد أن قررت مصر الاشتراك في مؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الأفريقية رغم معارضة الولايات المتحدة لذلك في انصالتها السرية وتصريحاتها العلنية . . . . ورغم عدم ترحيب عدد من المصريين بهذا الاتجاه في وقتها ومنهم محمد حسنين هيكل الذي اعترف في مقالاته بعد ذلك بأنه كان مخطنا في رأيه لما لقيه ثورة يوليو من ترحيب وما لقيه جمال عبد الناصر من احترام وتعدير .

وأراد دالاس أن يلحق مصر درسا ، فأعاد بن جوريون الى منصب وزير الدفاع الاسرائيلي في منتصف فبراير ١٩٥٥ ، وبن جوريون هو السياسي الاسرائيلي الذي بنى ربط سياسة اسرائيل بالولايات المتحدة في مؤتمر بلنيمور ، بعد أن كان حاييم وايزمان هو مهندس ربط علاقة اسرائيل ببريطانيا أمام كان نفوذها في الشرق الاوسط هو الاقوى .

### تخريب فرصة السلام :

أراد دالاس أن يوجه ضربة للجيش المصري نهز هيئته ووحدته ، وتشعره ان الدولة التي تستند لها الولايات المتحدة تتأدره على الحاق ضربات مهينة بمصر ، وأنه لا سبيل الا الخضوع للسياسة الامريكية والابتعاد عن هذه التيارات الوطنية في آسيا وأفريقيا .

وشرع بن جوريون ينفذ خطته في حماس مسرع على غرة التي كان جمال عبد الناصر يروها في أوائل فبراير ١٩٥٥ وأعلن للجند هناك بناء على نفته بالهدوء الذي صاحب وجود شاربت في فعة المسئولية بأن احتمالات الهجوم الاسرائيلي عليهم غير واردة .

ولكن لم يكد يمضي عدة أيام على عودته بن جوريون الى وزارة الدفاع حتى قام الجنود الاسرائيليون في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بغارة وحشية على غزة قبلوا فيها ٢٩ من رجال الجيش حسب الرقم الذي أعلنه جمال عبد الناصر بعد ذلك في حديث مع مراسل حريدة النيويورك تايمز في ٦ أكتوبر ١٩٥٥ ، وقتلوا أيضا عددا من المدنيين الفلسطينيين ، وادان الجنرال بيرنز

كبير مراقبي قوات الهدنة عمليه اسرائيل واعبرها اعداء مدبرا منعهدا .  
خربت هذه الغارة النى دبرها بن جوريون محاولات السلام بين مصر  
واسرائيل ووضعت جمال عبد الناصر فى وضع حرج أمام الجنود وأمام  
الشعب .

ويعول المقربون من جمال عبد الناصر فى هذه الفترة انه ظل عدة ليال  
سأهرا بكاد لا يغفو ، يفكر فى حل يواجه به هذا الموقف الجديد .

وقد حرص على الا ينورط فى معارك بصادميه لم يهيبء نفسه لهسا  
بعد ٠٠٠ فحظر الاسلحة مازال مفروضا على مصر ٠٠٠ ورغم الطلبات  
المكررة من أمريكا فانها لم تمتد مصر بقطعة سلاح واحدة ، سوى المسدس  
المذهب الذى حملة دالاس هدية لمحمد نجيب من ايزنهاور وكان مسدسا  
بلا ذخيرة .

والقاعدة البريطانية فى القنال مازالت تحت سيطرة البريطانيين وجلاء  
الجنود البريطانيين لم يتم بعد ، ومنع الاسلحة كان هو القبضة التى يمكن بها  
خنى مصر .

وأصبح جمال عبد الناصر مثل الاسد المحاصر ٠٠٠ وهو على قيد  
أسابيع من السفر الى باندونج .

سفت هذه العارة محاولات السلام وحاله الهدوء ، وفرضت على جمال  
عبد الناصر اخاذ عدة فرازات .

أولا ٠٠٠ ضرورة شراء الاسلحة من أى دولة لمواجهة التهديد والعدوان  
الاسرائيلي حماية للوطن وكرامة الجيش .

ثانيا ٠٠٠ السماح للفدائيين بالانطلاق من قطاع غزة الى داخل  
اسرائيل ٠٠٠ ولكن تحت القيادة المصرية ونوحيها ٠٠٠ وكان جمال  
عبد الناصر حريصا على مع ذلك حلال فصره الامل فى الوصول الى  
اتفاق سلمي .

ثالثا ٠٠٠ اربطت هذه الغارة فى ذهن عبد الناصر بدخول العراق  
الى حلف بغداد قبلها بأسابيع فاحد فرارا من شعبي أولهما شديد الهجوم  
على نوري السعيد خلال صوب العرب وبانيهما محاوله نفوية ميانى الضمان  
الجماعى لحامعة الدول العربية ليواجه به حلف بغداد .

بعول جمال عبد الناصر ( كان هذا الاعداء هو نافوس الخطر الذى  
جعلنا نبحث وندقق فى تعريف السلام ومعنى السلام وتوازن القوى فى  
المسطقة ) وذلك فى خطبه أمام طلبة الكلية الحربية فى ٢ اكتوبر ١٩٥٥ ،  
والى أشار فيها لأول مرة الى أن المحاربات المصرية قد استطاعت أن تحصل  
على ونبة سبب ان أمريكا وبريطانيا بمدان اسرائيل بالسلاح .

وكانت فرنسا حتى ذلك الوقت هى المصدر الرئيسى لامداد اسرائيل  
بالسلاح .

وفى بعنه عن طريق جديده للامداد بالسلاح بعد العارة ، لم تتردد فى  
مطالبة كل من الدوليين أمريكا وبريطانيا بأسلحة جديدة ، بعد أن كانت

القوات المسلحة المصرية قد وصلت الى حالة متخلفة تماما عن أسلحة العصر ، فلم يكن عندها سوى ست طائرات صالحة للعمل وذخيرة تكفي لمعركة مدتها ساعة واحدة وذلك كما ذكر ناتنج في كتابه ( ناصر ) .  
وكانت صحف الغرب قد نشرت ان اسرائيل تستطيع حشد ٢٥٠.٠٠٠ عسكري خلال ٤٨ ساعة بينما قوات مصر لم تكن تتجاوز ١٠٠.٠٠٠ اذا اضيفت لقوات الدول العربية وصلت الى حوالي ٢٠٠.٠٠٠ . وقد رفض جمال عبد الناصر قائلا ( هذا هو التوازن الذي يموهون به علينا ) .

وعدد جمال عبد الناصر أنواع الأسلحة التي حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا بناء على الوثيقة الفرنسية التي وقعت في يد المخابرات المصرية والملحق العسكري المصري ثروت عكاشة ، كما عدد أيضا الأسلحة الفرنسية والأمريكية ، وذلك في نفس خطبته أمام طلبة الكلية الحربية .

حققت غارة غزة هدفها المنشود في تخريب فرص السلام ، ولكنها لم تحققه فيما يتعلق بأضعاف حركة الجيش أمام الشعب والجنود . ولم ينجح دالاس وبن جوريون في اذلال مصر .  
وكان القرار الذي اتخذه جمال عبد الناصر باطلاق الفدائيين من غزة ، عاملا من العوامل التي ساعدت الصقور المتشددين في اسرائيل ، وأعطتهم فرصة مواصلة غاراتهم العدوانية .

ووقع موسى شاريت في حرج شديد اذ كان مضطرا للصمت على الغارات الاسرائيلية التي تكررت على دير البلح وخان يونس والصبحة والحدود الاردنية والسورية والتي اضطرت همرشولد للقول ( هذه بربرية لا مبرر لها ) وأعلن الجنرال بيرنز انها ( تثير لدى كل القلق والخطر حول المستقبل ) .

وتشكلت من الفلسطينيين فرق ( الفدائيين ردا على بن جوريون ) . . . .  
ولكن حركتهم داخل اسرائيل كانت تقابل بغارات على المدنيين . . . ويتوتر الموقف ويشح أمل السلام ، وتزداد سيطرة بن جوريون والمؤسسة العسكرية .

وأصبح وجود موسى شاريت رئيسا للوزراء نشازا . هذا الجو العاصف . . . واهتمته الصحف بالضعف .

ولم يكن رد مصر على غارة غزة بالفدائيين فقط . . . ولكنه كان أيضا بمقد صفقة الأسلحة التشيكية ، التي أعلن عنها يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ .  
وكانت مصر قد اتخذت قبل اعلان الصفقة قرارا يفضي بنشديد الحصار على ميناء ايلات يوم ١٢ سبتمبر ومنع الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة سواء في البحر أو الجو ، واضطرت شركة الطيران الاسرائيلية ( المال ) الى ايقاف رحلاتها الجوية الى جنوب أفريقيا .

وكانت الامور قد وصلت بذلك الى غايتها في تحديد موقف موسى شاريت الذي علق على صفقة الأسلحة بقوله ( انها خطر لا مثيل له ومن

المحتم أن تؤثر تأثيرا بالغا على أمن اسرائيل. كما انها غيرت ميزان القوى تغييرا حاسما وضع حدا لمعوق اسرائيل الوعى على مصر ٠٠٠ انها خطر داهم لم تشهده اسرائيل منذ حرب الاستقلال ) .

وصفت المؤسسة العسكرية شاريت بالضعف ، واضطرته الى الاستقالة فى نوفمبر ١٩٥٥ والعودة ليكون وزيرا للخارجية فقط فى وزارة يرأسها بن جوريون ٠٠٠ ولكنه لم يبق فى منصبه سوى سبعة شهور خلفته بعدها مسز جولدا مائير .

عاد بن جوريون رئيسا للوزراء مطلقا الصلاحيات ، معلنا ان اسرائيل سوف تستخدم القوة لفتح خليج العمبة أمام الملاحة البحرية والجوية . انتصر الصقور المنشددون فى اسرائيل ، وبدأوا يهاجمون نقاط الحدود

المصرية ويستولون عليها ، ويستفزون مصر للنورط معهم فى معركة . ولكن جمال عبد الناصر كان حريصا على موازنة موقفه فى هذه المرحلة ، وتحاشى الوقوع فى مصيدة القتال ، فى وقت لم تكن الاسلحة التشيكية قد وصلت فيه وأصبحت صالحة للاستخدام ، وعلاقاته مع الدول الغربية تدخل دائرة التوتر ، والدول العظمى تحرص على المحافظة على روح مؤتمر قمة جنيف الذى عقد فى الفترة من ١٨ الى ٢٤ يوليو ١٩٥٥ وحضره ايزنهاور وايدن وبولجانين وخروشوف وادجار فور .

### الجلد من القتال :

كانت صورة معارك ١٩٤٨ مازالت ماثلة فى أذهان القيادة العسكرية الجديدة ، فلم تكن قد مضت خمس سنوات على توقيع الهدنة ، وأسلحة الجيش مازالت كما هى بغير تجديد واضح ، رغم البعثات العسكرية المتعددة التى ذهبت الى انجلترا وأمريكا .

وكان واقع الجيش وطبيعة النظام فيه قد تغيرت بعد ترقية الصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر الى رتبة اللواء وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ، فقد كان هذا التغيير بمثابة قفزة فوق الواقع لم تحدث فى تاريخ الجيش المصرى من قبل .

ولم يعد احترام الاقدمية واردا ، فقد تحطم ذلك مع قيام حركة الجيش واستبعاد كبار الضباط ، وظهور فئة جديدة من صفار الضباط المقربة من القيادات الجديدة ، الذين شكلوا نفوذا أضعف من سلطة وشخصية قادة الوحدات ، وفك ترابط وثبات الانضباط العسكرى ، وانطلق بعض الضباط خارج الحياة العسكرية اما بالعمل السياسى مع هيئة التحرير ، أو الانطلاق فى الحياة المدنية تحت رداء ما سمي فى ذلك الوقت ( مندوب القيادة ) .

وعندما عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما اخبار لادارة مكتبه مجموعة من الضباط أركان الحرب حسنى السمعة يرأسهم حافظ اسماعيل ومعه محمد على عبد الكريم ومحسن ادريس ونور الدين قره وصلاح نصر وتوفيق عبد الفتاح وعباس رضوان ٠٠٠ والثلاثة الاخرون كانوا من الضباط الاحرار الذين أوكلت اليهم مهام سياسية أكثر منها عسكرية .

ومنذ عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما انقطعت صلة أعضاء مجلس قيادة النوره بضباط الجيش - كما قال لى زكريا محيى الدين - وكان هذا هدفا غير مباشر استهدفه جمال عبد الناصر بعد تحركات ضباط المدفعية فى يناير ١٩٥٣ الى جانب ثفته الكبيرة فى عبد الحكيم عامر .  
ورغم أن عبد الحكيم عامر كان انسانا كبيرا ، الا انه لم يكن مؤهلا بحكم طبيعته لقيادة عسكرية كبيرة نحتاج الى الموهبة والطاقة والدأب على الدراسة والتدريب .

وكانت غارة غمرة أول مواجهة عسكرية تستقبله فى مسئوليته الجديدة . . . ولذا حرص عبد الناصر فى ظل هذه الظروف على تفادى الصدام العسكرى ، واقترح على الجبرال بيرنز قائد قوات الطوارئ الدولية أن تنسحب القوات الاسرائيلية والمصرية لمسافة كيلو متر على جانبى خط الهدنة ، وبعد رفض اسرائيل استمر شهورا ، سحب عبد الناصر القوات المصرية وحدها فى محاولة منه لاثبات حسن نيته وتفادى قتال غير مطلوب .

ومع ذلك كان عبد الحكيم عامر يتصرف بطريقة انفعالية غير مسئولة . . . قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى انه أثناء زيارة عبد الحكيم عامر للفسية تسلق جبل الصابحة وشاهد عسكريين اسرائيليين على مدى البصر فقال ( مفيش راجل يجيب الاثنين دول ) . . . وفعل شنت القوات هجوما على الصابحة واستولت عليها ثم تركتها بعد قتل وجرح عدد كبير من السرية الاسرائيلية التى كانت تحتلها .

وفد أعطت هذه العمليات المتعجلة غير المدروسة فرصة لبن جوريون والصقور الاسرائيليين لتنفيذ خططهم المعادية للسلام .  
وفى سبتمبر ١٩٥٥ تعرض جمال عبد الناصر لضربة اسرائيلية جديدة هزت معنوياته عندما احتلت القوات الاسرائيلية منطقة ( العوجا ) المنزوعة السلاح والتى كان يتبادل حراستها قوات مصرية وأخرى اسرائيلية كل منها مدة ١٥ يوما . . . ودفعته الى تأكيد شراء السلاح السوفيتى واعلان ذلك بعد محاولات متعددة لتفادى هذا الموقف الصدامى مع الامبريالية .

وأعقب ذلك هجوم على الكونتلا فى شهر اكتوبر ثم هجوم آخر فى نوفمبر انطلق من العوجا الموقع الاستراتيجى الذى قاموا باحتلاله وقتل فيه ٧٠ جنديا مصرية ، وكان ذلك بعد ساعات فقط من نصريح معلى لبن جوريون أبدي فيه استعداداه لمقابلة جمال عبد الناصر لعقد تسوية معه . . . وكانما كان هذا التصريح هو ( مدفعية تخدير ) تسبق الهجوم .  
ولم يستطع جمال عبد الناصر أن يفعل شيئا فى وجه هذه الاستفزازات سوى الاعلان بأن الجيش المصرى قد قام بهجوم مضاد ناجح أجلى فيه الاسرائيليين عن مواقعهم . . . وهو هجوم وهمى لم يحدث أبدا .  
كانت القيادة العسكرية الجديدة محصورة فى قفص يجبرها اما على الركوع للامبريالية الامريكية وفقدان الاستقلال الوطنى والخضوع لنفوذ



اسرائيل ٠٠٠ وأما السبب بالاسفلال الوطنى مع الصبر وابىلاع العمليات الاسمرارية .

واحتارت القيادة العسكرية الطريق البالى ٠٠٠ وبعد أن صدرت تعليمات للواء السادس حفيف الحركه بهجوم نحدد موعده على الفرقدة فعلا وصرف النظر عن ذلك كما يهول القربى عند المحسن مريجى ٠٠٠ وبعد أن وضع خطة لاسنعادة ( العوجا ) بفرر الغاؤها فى آخر لحظه . واعترض صدقوى محمود فائد القواب الحوبة على طلب عبد الحكيم عامر بأن يقوم الطيران المهرى بطلعات فوق عزه وبئر سبع .

وقال لى زكريا العادلى امام سفيرنا السابق فى الهند والقائد فى القوات المسلحة ، الذى أعد مشروع المناورة ( انصار ) أكبر مناورة عسكريه قامت بها القوات المصرية على طريق مصر — الاسكندريه الصحراوى ، وكانت أول مناورة نشترك فيها القوات على أسس قتالية فعلا ٠٠٠ قال لى انه عندما سألته اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب فى ذلك الوقت ( هل يمكن القيام بأعمال بعرضية للاسرائيليين ؟ فأجابه بتقرير من ١٧ صفحة مضمونه كلمه ( لا ) ، وذلك نقاديا لكارة محتمله ، وكانت النتيجة نقله ملحقا عسكريا فى تركيا .

كانت فترة من فراب القلق الذى انتابت قادة الحركة العسكرية ، الذين شعروا أن محاولات السلام مع اسرائيل على أسس واقعية عادلة لم تكن أكبر من سراب ، وأن تفاعلات السياسة الدولية ، وخطط القوى الامبريالية تفرض على المنطقة توترا مستمرا يحاول حصار هؤلاء القادة الشبان الوطنيين .

واقترح جمال عبد الناصر على بروت عكاشة فى هذه الفترة من عام ١٩٥٥ أن يعود قائدا لسلاح الفرسان بعد أن كان ملحقا عسكريا فى باريس ٠٠٠ ولعله شعر انه بحاجة الى وجود بعض من بقى فيهم من الضباط الاحرار فى مراكز فياديه بالقوات المسلحة .

وفى ورقة أصدرتها ( مجموعة من أنصار السلام المصريين ) فى باريس عام ١٩٥٧ رصد للموقف السلامى الواضح لجمال عبد الناصر .

قال لمراسل الدليل هيرالد فى ٦ نوفمبر ١٩٥٥ ( لا يوجد عند مصر اية نية لمهاجمة اسرائيل ) .

وصرح لمجلة لايف فى ١ نوفمبر ١٩٥٥ ( مصر لن تستخدم الاسلحة التشيكوسلوفاكية للحرب مع اسرائيل ) .

وفى تصريح الى جريدة ( نيويورك وركد تلجرام ) فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥ ( ان مصر مستعدة للبحث عن حل وسط مع اسرائيل ) .

وقال لجريدة فرانسى سوار فى ديسمبر ١٩٥٥ ( ان هدفنا ليس تدمير اسرائيل ، ولكن منافشة نقسود الى تطبيق قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ ) .

وصرح جمال عبد الناصر لاذاعة وليفزيون كولومبيا فى يناير ١٩٥٦ ( لقد صرحت فى باندونج ووافقتنى الدول العربية لأول مرة ، على اننا نريد

تطبيق قرارات الأمم المتحدة التي اتخذت عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وأقرت مشروع التقسيم ) . . . . . وصدر بيان يؤيد هذا الاتجاه الذي أقره مؤتمر باندونج عقب زيارة جمال عبد الناصر لتيتو في بريوني .  
وهكذا كان موقف جمال عبد الناصر ، حتى بعد غارة غزة ، يتجه الى تحقيق السلام . . . . . ولكنه في نفس الوقت كان حريصا على عدم الخضوع أو الركوع ملقيا مسئولية دعم اسرائيل على الاستعمار .  
اتصالات السلام لم تتوقف حتى سع بن جوريون . . . . . ويقول جان لاكوثير في كتابه ( عبد الناصر ) انه قابل بن جوريون في شهر يونيو ١٩٧٠ ( في الفيلا المفلة بالذكريات في تل أبيب ) ويكتب :

حدثنا بن جوريون وهو يهز رأسه الابيض أمام تمثال داود لميكل انجلو عن جمال عبد الناصر فقال ( انه رجل دولة . . . . . نعم . . . . . ولكنه يظهر غير ما يظن ) وراح يراجع في ذاكرته المحاولات لاجراء محادثات من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٧٠ ، وأطرف هذه المحاولات كانت الواقعة بين يناير وأبريل ١٩٥٦ قام وسيط محايد بأربع رحلات بينه وبينى . . . . . لكنني أقسمت الا أبوح بالكثير . . . . . كل ما يمكنني اضافته هو انه بعد رابع زيارة قام بها الوسيط الى القاهرة قال له عبد الناصر ( فلتقف اتصالاتنا عند هذا الحد لاننى غير مقتنع بجدوى الذهاب الى أبعد ) .

ويواصل لاكوثير رواية هذه القصة مشيرا الى لقاء تم بين بن جوريون والمراسل الصحفي ( فيليب غارنيه ريمون ) بعد وفاة عبد الناصر في مستعمرة ( سوى - يوكر ) وسأله الصحفي :  
- ألم يكن وسيط ١٩٥٦ هو روبرت اندرسون وزير الخارجية السابق في الحكومة الامريكية والصدى الشخصى لايزنهاور ؟  
قال بن جوريون :  
- أنت الذى نطقت اسمه ولست أنا .

ويقول لاكوثير ( وكأنما تحرر بن جوريون من عبئه فحكى كيف قام اندرسون بالوساطة دون تكليف من أحد ، وزعم بن جوريون ان الوسيط قد أكد له أن عبد الناصر كان ايجابيا في البداية . . . . . وانه كان يتردد بين القاهرة والقدس . . . . . ينزل في فنادق الدرجة الثانية بالعاصمة المصرية ويقابل جمال عبد الناصر ليلا في أماكن سرية ، لا يتكرر اتيادها ) .  
ثم يقول بن جوريون ان الاتصالات قد توقفت في السابع عشر أو الثامن عشر من أبريل ١٩٥٦ عندما فاتح اندرسون عبد الناصر في عقد معاهدة عدم اعتداء بين البلدين . . . . . وكان جواب عبد الناصر .  
- اذا ما أعطيت الامر بذلك . . . . . فان النار سوف تطلق على .  
ويعلق بن جوريون قائلا :

- لا شك انه كان على حق في ذلك .

ويعلق لاكوثير قائلا بانه اذا صدقنا بعض ما قاله بن جوريون ، فليس اكيدا أن عبد الناصر كان ينتظر اية نتيجة من اتصالاته غير المباشرة مع

دائيسد بن جوربون ، لان ناصر كان يعنبره ( كذوبا وعدوا سسحيل مصالحته ) .

ويقول لاكوتير أيضا ( يجدر بنا الاعتراف بأن السلام لم يكن واردا في ذهن عبد الناصر لا في عهد شاريت ولا في عهد بن جوربون لانه كان مخلصا في العمل على تحرير الأرض المصرية واعادة فلسطين الى أهلها ) .  
ولكى نسنكمل جوانب القصة وأسرار المباحثات أعود الى كتاب بن جوربون ( العرب والفلسطينيون وأنا ) الذي يتحدث في الجزء الأول منه عن هذه الاتصالات التي قام بها روبرت اندرسون في يناير ١٩٥٦ .  
يسجل بن جوربون بعض أحاديثه مع المندوب الأمريكي الذي قابله في حضور موسى شاريت وزير الخارجية وعمدة القدس نيدى كوليك ومدير مكتب رئيس الوزراء في ذلك الوقت باكوف هرتزوج ، وسفير الولايات المتحدة في اسرائيل وأحد ممثلي دوائر الامن الأمريكية . فيقول :

كثيرون من أبناء شعبنا لا يفعلون الحل السلمي لأسباب ثلاثة :  
١ - أن شعبنا عاش خلال قرون في المدن فقط ولا يستطيع أن يعيش في الريف .

٢ - في فلسطين لابد من القبول بخفض مستوى المعيشة .  
٣ - البلد الذي عدنا اليه كان صحراويا وفي الواقع بدت المهمة في بادئ الأمر مستحيلة لكن القوة تغلبت على المصاعب .  
ويقول ( ان رئيسا عربيا واحدا فقط كان يريد السلام ، ولم يكن يخاف من اعلان ذلك جهارا . . هذا الرئيس هو الملك عبد الله ملك الاردن وقد اغتيل .

ويقول أيضا ( ان تغير النظام في مصر ايقظ في قلوبنا السلام ، وقد اتصلنا بمحمد نجيب فطلب الينا الانتظار ، ولما خلفه عبد الناصر جددنا اتصالاتنا معه دون نتيجة ثم تدهور الموقف ) .  
لم يذكر بن جوربون طبعاً انه هو شخصيا المسئول عن تدهور الموقف بغارة غزة .

ويقول المبعوث الأمريكي انه كان يقابل جمال عبد الناصر ليلا ومعه زكريا محيي الدين وعلى صبرى ويذكر أن عبد الناصر قال له عن المباحثات ( ان الموقف هو من الدقة بحيث لو عرف الناس بالمبادرة التي اتخذها للقيام بهذه المباحثات فانه على الا أواجه مازقا سياسيا فحسب بل ربما يضع رصاصات ) ثم قال ان عبد الناصر كان حريصا جدا على سرية المحادثات واقد قال ( لو عرف الناس بمحادثاتنا فسأجد نفسي مضطرا لتكذيبها ) .

ويجذب بن جوربون استمرار الاتصالات ويشير الى الاتصالات السابقة مع شاريت فيقول ( تمت في السابق اتصالات مع شاريت ولم يدع سرها ، أما دون اتصالات فلن نتوصل الى شيء ) .

ويدور الحديث الذي يسجله بن جوربون في كتابه عن محاولة اقرار وقف اطلاق النار ، ويقول شاريت ( يجب أن يكون هناك وقف اطلاق نار ليس عسكريا فحسب بل وسياسيا أيضا ) .

ويؤيد شاريت أيضا استمرار الاتصالات ويطالب بأن تكون على مستوى كمحاولة منه للبرهنة لعبد الناصر على أن النزاع على أية قطعه أرض من إسرائيل تعتبر عملية صعبة أو مستحيلة .  
ويذكر روبرت أندرسون أن كيرميت روزفلت كان حاضرا بم اجتماعه مع جمال عبد الناصر .

ويحاول شاريت تفسير عملية غزة على أنها كانت ردا على احمر الاعدام التي صدرت في مصر ضد مركبي حادته لافون ، ولكن المنذر الأمريكى الذى حاول الدفاع عن بن جوريون أمام عبد الناصر باعتباره لم المنسبب في هذا الحادث ، قال ان عبد الناصر أبلغه ( أن الموقف بدأ ينهر فعلا منذ تلك اللحظة أما في الماضي فلم يكن الشعب المصرى يهمهم بفلسطين .

والعودة الى تفاصيل ما ورد في كتاب بن جوريون عن محاولة الاتصال مع جمال عبد الناصر يجب ان كان حريصا على السلام في المنع حتى يتيح للدول العربية أن تبني مجتمعاتها الجديدة بعيدا عن مأسر الحرب . . . . . وانه من جهته لم يسهم مطلقا في هدم هذه المحاولات ، و المؤسسة العسكرية الاسرائيلية والحطط الامبريالية هي التي سعت الى نحر هذه الجهود وشاعة القلق والتور في المنطقة ، ومحاولة السيطرة على ش اسرائيل عن طريق تخويله من جيرانه العرب .

خطب عبد الناصر في الجبهة الشرقية يوم ١٤ مايو ١٩٥٦ وبعد روى قصة تسليم الغرب لاسرائيل قال ( اننى لا أفول ان فرنسا هي ال أعطت اسرائيل السلاح وحدها . وانما اعتبر أن الغرب كله تأمر في هر مع فرنسا لمصلحة اسرائيل ضد العرب ) . . . . . وأكرر ( نحن لانقبل اسنغه ولا سيطرة ولا تحكمنا ، ادن فهناك حرب بيننا وبين الاستعمار بر ارادتنا ، لاننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كياننا واستقلالنا وحرينا وحرينا وكرامتنا ) .

نعم . . . . . كانت الحرب مفروضة على النظام العسكري العنيد في مه الذى لا يقبل أن تكون يد الاستعمار هي العليا والمسيطرة .  
وعبد الناصر الذى لم يخطب خطبة واحدة ضد اسرائيل قبل حادث غم اكتشف ( ان اسرائيل التي يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقة أية حرية ويعتبرها مزرعة لمصالحه كما هي خطة الاستعمار في القضاء على الاء العربية جميعا ) .

### تحركات الغرب :

كانت صفقة الأسلحة التشيكية ضرورة اجبارية فرضتها الظروف ع النظام الجديد في مصر . . . . . لم يكن هناك مجال لتفاديها .  
وكانت تحركات اسرائيل العدوانية قد وضعت الفادة العسكرية الجدد في موقع الدفاع . . . . . وقد بلعوا كثيرا من الاستفزازات التي ذكرناه والتي تمادت فصرت ضابطين مصريين وصلتها طرود اسرائيلية متفجرة

أولهما اليكباشي صلاح مصطفى أحد الصباط الاحرار في مدينة الاسكندرية والذي كان الأول في دعوة عبد الحكيم عامر ، والذي قبله الطرد للمحرر في عمان وهو يعمل ملحفا عسكريا هناك ، والساي الصاغ مصطفى حافظ ضابط المخابرات العسكرية في قطاع غزة .

ولم يفف العرب مكنوف اليديس أمام محاولة جمال عبد الناصر الخروج من المأزق الذي فرض عليه ٠٠٠ قرر دالاس ارسال كيرميت روزفلت الذي زار مصر بعد حريق القاهرة وحاول أن يصلح من شأن الملك فاروق عينا ٠٠ والذي توطدت صلته بجمال عبد الناصر في الشهور الأولى بعد حركة الجيش بأمل أن يضغط أمريكا على بريطانيا للجلاء ، وبأمل أن يحصل مصر على أسلحة من أمريكا .

وعندما علم جمال عبد الناصر ، بحضور كيرميت روزفلت قرر أن يعلن على العالم نبأ صفقة الأسلحة ، لانه كما قال حسنين هيكل في كتابه ( عبد الناصر والعالم ) لايسطيع الامتناع عن مقابلة كيرميت روزفلت ( ولكنه لا يريد ان يكون موضع اسنجواب ، ولا يرغب في ان يسأل اذا كان النبأ صحيحا او لا ) .

قطع عبد الناصر الطريق على كيرميت روزفلت وأعلن نبأ الصفقة يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ بعد توقيع الاتفاق بأسبوع وقبل وصول اية شحنة من الأسلحة التشيكية وذلك أثناء افتتاحه لمعرض صور فوتوغرافية اقامته ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة .

ويروى حسنين هيكل أن أحمد حسين سفير مصر في واشنطن عندما علم بالنبأ من جمال عبد الناصر أفلتت أعصابه وأخذ يردد في انفعال بالغ ( جواتيمالا ٠٠ يا سيادة الرئيس ٠٠ جواتيمالا ) .

وكان الامريكيون ومخابراتهم المركزية قد فرغوا لتوهم من تنظيم عملية انقلاب ضد حكومة أرفينيز اليسارية في جواتيمالا . وقال عبد الناصر وقد فرغ صبره ( فلتذهب جواتيمالا الى الجحيم ) .

ووصل كيرميت روزفلت حاملا تهديدات دالاس التي تتلخص في ايفاف المساعدات الامريكية والتجارة مع مصر وقطع العلاقات الدبلوماسية ومحاصرة مصر ومنع السفن حاملة السلاح من الوصول اليها .

ولكن السفير الامريكي هنري بايرود استطاع ان يقتنع كيرميت روزفلت بأن يكون دبلوماسيا مع عبد الناصر ، واستمرت المحادثات يومين بين عبد الناصر وروزفلت الذي لم يعلن تهديدات دالاس ، ولكنها كانت محادثات بغير نتيجة فلم يترجع عبد الناصر عن موقفه .

وأطلق دالاس مبعوثا ثانيا هو جورج آلن مساعد وزير الخارجية الامريكية ، الذي سبقته اخبار من وكالات الانباء تشير بأنه يحمل انذارا آخر ، فأسرع عبد الناصر باستدعاء كيرميت روزفلت وأبلغه بأنه لو صح ذلك فإنه سيأمر رئيس التشريفات بطرد الزائر الامريكي وسيبلغ مراسلي الصحف بأنه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا ، لانه لا يقبل أن يعيش أو يحكم تحت ضغط التهديد .

وفى نفس الوقت قرر جمال عبد الناصر أن يستعد لنوع من المقاومة الشعبية ، واتصل بى كل من أحمد فؤاد الذى كان قد أصبح عضوا فى مجلس الانتاج والذى كان مارال مقربا من جمال عبد الناصر والصاغ لطفى واكد الذى كان مديرا لمكتبه فى ذلك الوقت وأبلغنى كل منهما على حده رسالة من جمال عبد الناصر تطلب منى الاتصال بهم اعرفهم من اليساريين استعدادا لحمل السلاح والعمل سرا فى وجه أى محاولة للدخل الأمريكى غير المحسوب .

ولكن جورج الن لم يقدم رساله دالاس بعد أن اقنعه كرميت روزفلت والسفير الأمريكى بايرود بتفادى الكارثة ، وخلال المقابلة بين آلن وعبد الناصر حاول الاول أن يمنع عبد الناصر - كما يقول حسنين هيكل - فى كتابه ( عبد الناصر والعالم ) بأن إلغاء الصفقة يمكن أن يجعل الولايات المتحدة تنظر الى قضية امداد مصر بالسلاح نظرة ايجابية .

ولكن عبد الناصر قال له ( لقد فات الاوان ) .

فات الاوان فعلا ووصلت شحنات الأسلحة الى ميناء الاسكندرية وخطب انطوني ايدن فى نوفمبر ١٩٥٥ فى قاعة البلدية المعروفة باسم ( جيلدهول ) واقترح حلا للنزاع العربى الاسرائيلى ، يستند الى حدود جديدة لاسرائيل تكون بين حدود الهدنة القائمة وحدود قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ .

وقد قوبل هذا الخطاب بارتياح عبر عنه جمال عبد الناصر بقوله فى بيان ( انه يحتوى على عناصر بناءة يمكن أن تكون أساسا للبحث ) .

كان موقف بريطانيا قد تغير نسبيا من اسرائيل بعد تحول بن جوريون الى المظلة الامريكية ، عندما أصبحت الولايات المتحدة أقوى الدول الامبريالية وأكثرها قدرة ونفوذا .

ولكن موقف ايدن لم يكن تعبيرا عن تغير استراتيجى فى موقف بريطانيا ، فقد كانت تواصل سعيها لاقامة حلف بفسداد ووصل الفيلىد مارشال جرالدمبلىر رئيس أركان حرب الامبراطورية الى عمان فى محاولة للضم الاردن الى الحلف .

وكذلك حاول ايدن اقناع خروشوف أثناء زيارته هو وبولجانين الى بريطانيا فى ١٨ أبريل ١٩٥٦ بأن يوقف صفقات السلاح لمصر ، فكان رد خروشوف انه مستعد لتنفيذ ذلك اذا شمل الحظر امداد الأسلحة لكل الدول حتى المرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا .

وأسرع عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشعبية ليتفادى أى محاولة لحظر وصول السلاح تبعا لقرار قد تتخذه الأمم المتحدة التى لم تكن الصين قد أصبحت بعد عضوا فيها .

ولم يوقف الياس خطوات دالاس ، بل انه أرسل روبرت اندرسون الى جمال عبد الناصر حاملا رسالة من الرئيس ايزنهاور تطلب حل المشكلة الفلسطينية وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، وهو الشخصية التى ذكر بن جوريون أنها كانت همزة الوصل بينه وبين عبد الناصر من يناير الى أبريل ١٩٥٦ .

وكان رأى جمال عبد الناصر أن يستند أى حل الى مشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، مما يظهر ويؤكد أن جمال عبد الناصر لم يكن ضد اسرائيل ولم يكن من دعاة ندميرها .

ورغم دخول الامريكيين كما يقول محمد حسنين هيكل فى تفصيلات صغيرة لتنفيذ المشروع ، ورغم مباحثات اندرسون ، فان المشروع كان محكوما عليه بالفشل ، لان الاسرائيليين لم يكونوا ينوون الرجوع الى الحدود المقررة فى مشروع التقسيم .

كان تراجع الاسرائيليين عن الارض التى ثبتوا أفدامهم فيها أمرا غير وارد عندهم .

وتوقفت محاولات الغرب ، وتضاعفت مساعداتهم لاسرائيل التى بقيت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى لا تحكمها حدود قانونية معروفة .

وأصبحت ثورة يوليو مطالبة بمواجهة هذه الدولة التى زرعت فى الأرض العربية .





## الفصل الثاني

### عدوان اسرائيل ١٩٥٦

( ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان  
١٩٥٦ أكثر مما خسرا ٠٠٠ فقد تأكدت وثبتت  
سيطرة مصر على قناة السويس ) •

انطوني ناتنج  
وزير الدولة البريطاني اثناء العدوان

لم تصل محاولات السلام بين الحركة العسكرية في مصر وحكومة  
اسرائيل الى نتيجة ايجابية ، وتعقدت الامور تحت ضغط الامبريالية  
الامريكية والعالمية ومحاولة فرض نفوذها وسيطرتها على المنطقة ، والدور  
الذي لعبته المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المتواطئة مع الحكومة  
الامريكية •

وكان حصول جمال عبد الناصر على السلاح من المعسكر الاشتراكي

نقلة واضحة للقوات المسلحة المصرية خطط بها الى عصر النفقات ووضعت أحد أهداف الثورة الرئيسية ( تكوین جيش وطنی ) موضع تنفيذ عملي من جهة السليح والتدريب ، وفرضت على حكومة اسرائيل أسلوبا جديدا في المواجهه .

وفي العيد الرابع للثورة بالنجديد يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ردا على قرار جون فوسر دالاس بسحب تمويل السيد العالي ، وذلك قبل أن يمضي أربعون يوما على جلاء قوات الاحتلال البريطاني لمنطقته القتال يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

ونحركات أفكار العدوان في صدر بن جوريون الذي لم نؤد غاراته المكرونة على الجيش المصري غرضها بوقوع الحركة العسكرية في مصيدة الاسمزاز والانزلاق الى الحرب في وقت لم يكتمل فيه أسلحة الجيش ٠٠٠ فلم يكن لدى مصر في ذلك الوقت سوى ست طائرات صالحة للعمل ، وبلاشب طائرته معطلة وليس هناك قطع عيار ، والذخيرة كانت محدودة . وبمصر موسى ديان في مذكراته أسباب تحولهم من سياسة الغارات المفاجئة أو الردع المحدود الى التفكير في حرب شاملة فيقول :

( ان السبب الرئيسي كان في استخدامنا المتواصل لاسلوب العمليات الانتقامية ، فان العمليات التي فاجأت المصريين والاردنيين في البداية وهم عبر مسعدين لها ، أصبحت الآن مسألة بعلدية ، لذلك فحينما تخرج وحدنا في عملية ضد مسمى للشرطة أو معسكر للجند فانها نجد جنوده مسعدين للقتال ٠٠٠ اننا لن نستطيع الاسمرار في حالة لاهي ( بالسلام ولا هي بالحرب ) ٠٠٠ ان علينا أن نرغم جيراننا العرب على الاحتيار بين وقف الارهاب ضد اسرائيل وبين الدخول في حرب ضدنا بطريقتين :

١ - أن ننزل الضربات الانتقامية اثناء النهار ونستخدم من اجل ذلك المدرعات والطائرات ، وحينئذ نقل خسائرننا في الارواح فضلا عن أن الدول العربية ( وأولها مصر قبل كل شيء ) لن تستطيع تجاهل أثر هذا على رعاياها .

٢ - أن بجنائز الحدود ونحتل المواقع الرئيسية التي تسيطر على المنطقة و سننزل للجلاء عنها وقف الارهاب .

وهكذا اخنازت اسرائيل طريق الحرب لقطع الطريق على وصول الأسلحة لمصر ، ووقف غارات الفدائيين ، وفتح الملاحة الاسرائيلية في عساق نيران ٠٠٠ كما انه كان هناك موقف داخلي يدفع للحرب ، وهو الحالة العنوية المتوزنة من القتال المفتح ، وفشل فضيحة لافون ومحاكمة الجواسيس لاسرائيليين في مصر ، ولذا وجد بن جوريون أنه في حاجة الى عمل كبير يعيد بعة الشعب في جيش اسرائيل . ويعطى للجيش دفعة معنوية جديدة .

وبن جوريون لا يطبق أن تربط مصر مع الاتحاد السوفيتي بأية رابطة ٠٠٠ وخاصة اذا كانت هذه الرابطة هي السلاح .

قال بن جوريون عام ١٩٤٦ بأنه ( اذا وافقت بريطانيا على انشاء دولة يهودية في فلسطين فنحن على استعداد أن نضمن أن تكون هذه الدولة

قاعدة ضد روسيا ) . . هذا في الوقت الذي أعقب الحرب العالمية الثانية التي ضحى فيها الاتحاد السوفيتي بعشرين مليوناً من أبنائه في حرب ضد النازية التي قتلت ٦ ملايين يهودي .

وجد بن جوريون أمامه فرصة لتحقيق ما نادى به من ضرورة الحرب قبل أن تصل الأسلحة السوفيتية إلى مصر فقد قال صراحة ( لابد أن يسقط النظام في مصر قبل أن تصل الأسلحة الروسية ) .

وكان بن جوريون قد استند على أحسن مريديه ( موسى ديان ) من فرنسا التي كانت تفتح أبوابها للقادة الإسرائيليين ، وبعد إسرائيل بالأسلحة المنظورة ، وذلك للحقد الذي كانت تشعر به تجاه قادة ثورة يوليو الذين كانوا يساعدون نوار الجزائر بكل ما يطلبون منذ أعلنوا ثورتهم في أول نوفمبر ١٩٥٤ وذلك بعد شهر من هزيمة الفرنسيين في معركة ( ديان بيان فو ) التي انتهت وجودهم في فيتنام بعد توقيع اتفاقية جيف . كلف بن جوريون ( دايان ) بأن يعد خطة حربية لغزو مصر بعد أن كان قد استطاع أن يقنع أمريكا بالنصر لفرنسا ببيع طائرات المسير ٤ التي كانت تنجحها خاصة لحلف الأطلسي . . . وذلك في رسالة حملها ( هيربرت همفري ) إلى الحكومة الفرنسية من أيزنهاور ووزير خارجيته دالاس .

ولكن أعداد الخطة وحدها لم يكن كافياً لاشعال الحرب . . . كان لابد من وجود سبب مقنع يكون تبريراً للعدوان . . . وقال دايان في مذكراته ( كان من السهل خلق المبرر ) . . . وصرح بن جوريون لمراسل النيويورك تايمز : ( سوف تكون في اللعبة في العام القادم وسوف نستولى عليها من البر والبحر والجو معا ) .

وفي غمرة هذا التوتر لم يكن معقولاً أن يحبط بن جوريون رئيس الوزراء بموشى شاريت - رجل السلام النسبي - وزيراً للخارجية ، فخلص منه في ١٨ يونيو ١٩٥٦ عندما أرسل له خطاباً يقول فيه ( ان وجودك في وزارة الخارجية ليس في مصلحة الدولة ) وعين جولدا مائير بديلاً له . صرح شاريت بعد ذلك بقوله ( أرغمني بن جوريون على الاستقالة لانه كان يعتقد انني اللعبة في سبيل ما كان قد استمر عليه وهو انه لابد من حرب قريبة جداً مع مصر ، كانت الحرب القادمة ويجب ألا أعارضها ، ولا بد أن أخرج . وأنا لم أكن لأعارض الحرب تحت أي الظروف ، ولكن حكمتي كانت تختلف عن حكمه ) .

ويبدو أن دالاس قد أسهم في إيجاد المبرر لإسرائيل بسحبه تمويل السد العالي ، ووضعه مصر تحت ضغط رد الفعل ، الذي تترتب به إسرائيل .

كتب بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون يقول ( كانت الحرب ضد مصر مقررة لدى بن جوريون فقد عاد إلى وزارة الدفاع في فبراير ١٩٥٥ ) . وكتب أيضاً ( كانت أزمة السويس بعدئذ طارئة وهي لم تغير في شيء

من خطط اسرائيل الى كانت ستهجم على اية حال ، ولكنها سهلت لها  
أصعب الامور وهو السلاح والحلفاء ) .

### التحضير للعدوان :

وجدت حكومة بن جوريون في تأمين القناة فرصها فالى جانب السلاح  
والحلفاء كما كتب بن زوهار . كان هناك المرر أيضا .  
وعندما وقف جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالاسكندرية يوم  
٢٦ يوليو ١٩٥٦ يخاطب الجماهير في خطبه التاريخيه الخالدة اهتزت  
أعصاب كثير من الساسة الغربيين ، وبدأت تدرس الحطط على أساس حسابات  
جديدة ، وظهرت احتمالات الحرب في الافق .

والتمت رغبة الساسة البريطانيين والفرسيين في تحطيم القائد  
المصرى الذى جرؤ على تأمين القناة ، مع رغبة بن جوريون في اسقاط النظام  
قبل وصول الاسلحة للجيش المصرى .

ولم تعد فرنسا تلعب دور مورد السلاح لاسرائيل ، ولكنها بدأت تلعب  
دور المخطط والمنفذ لخطة العدوان بعد أن أصبحت طرفا مباشرا في المشكلة .  
وبدأت خطة العدوان تتسج حيوطها بين انجلترا وفرنسا أولا ، ثم  
افترحت فرنسا أن تشترك اسرائيل في خطة الغزو . . . . . ولكن ايدن نردد  
عندما نصحه الدبلوماسيون البريطانيون بقولهم ان فرنسا واسرائيل هما  
أكبر الدول جاذبية لكراهية العرب ، لدور فرنسا في مفاومة ثورة الجزائر ،  
ولدور اسرائيل المعروف . . . . . وان اشترك اسرائيل سوف يعقد الموقف ،  
ويخرج الحكام المواليين للغرب ، ويعطى لعبد الناصر فرصة اشعال العدواة  
على امتداد الوطن العربى .

وكان ايدن يعلم تماما أن حكومة اسرائيل ستتحرك في توافق تام مع  
جون فوستر دالاس . . . . . وكانت بريطانيا لم تسقط بعد تماما في شرك  
الخضوع والتبعية للسياسة الامريكية .

وفى ( مجتمع جمال عبد الناصر ) الجزء الثانى (قصة ثورة ٢٣ يوليو )  
نصيل ونوضح لكل ما دار من تدبير للعدوان بعد تأمين القناة ، ولذا اكتفى  
هنا بنسليط الضوء على الدور الذى لعبته اسرائيل ، بعد أن وافق ايدن  
أخيرا على اشتراكها في خطة العدوان .

وضع الجنرال شال الفرنسى خطة تقضى بأن تهاجم اسرائيل مصر عبر  
سيناء ، وحينما تعبرها ندخل بريطانيا وفرنسا وتدعو الدولتان الى ايقاف  
الحرب . . . . . وإذا لم نفد بحلان القناة ، حتى لا تتوقف الملاحة فيها .  
ووضعت الخطة على مائدة المناقشة والعديل هي وخطة ( موسكتير )  
البرطانية ، وخطة ( موسى ديان ) الاسرائيلية . . . . . وانتهى الامر بعد  
اجتماع سرى عقد في ضاحية ( سيفر ) بباريس وحضره بن جوريون ودايان  
وسلوين لويد وجى موليه وكربسيان ببنو .

وتحدد دور اسرائيل شريكة مع الدولتين الكبيرين : تبدأ الهجوم اثناء  
تدمير سلاح الطيران البريطانى لسلاح الطيران المصرى على الارض ، ثم تتقدم

بريطانيا وفرنسا بانذار لكل من اسرائيل ومصر بوقف الحرب والانسحاب عشرة كيلو مترات بعيدا عن ضعتى العنساء ، والا نندخل قواتهما لحماية العنساء .

ولم يكن ممكنا لمثل هذه الخطة ان تتم بعيدا عن عيون الحكومة الامريكية او وكالة المخابرات المركزية ، وصله بن جوريون وديان بأمريكا لا تسمح لهما بالقيام بمثل هذه الخطوة دون ابلاغ ، وفرنسا كانت قاعدة المخابرات الامريكية فى أوروبا .

وأخيرا دخلت الخطة دائرة العلاقات الرسمية ، فقد ذهب جاك شابان دالماس الوزير وقتها فى حكومة جى مولىه وأبلغ السفير الامريكى دوجلاس ديلون بالعملية المشتركة ضد مصر ، ولم يعلق السفير الامريكى سوى بقوله ( ألا يمكن تأجيل العملية حتى ما بعد الانتخابات الامريكية ) ٠٠٠ ثم أرسل السفير تفاصيل ما سمعه الى واشنطن .

وقال آلان دلاس رئيس المخابرات المركزية الامريكية وشقيق جون فوستر دالاس وزير الخارجية ( حصلت المخابرات المركزية على المعلومات من عدة مصادر ، وتوافرت لها حقائق وبكثافة عن التواطؤ السلاى ، وخاصة من تقارير جاءت من قبرص ) وقد كان أمرا شائعا ومعروفا للمخابرات الامريكية ان اعلان اسرائيل للتعبة يوم ٢٧ اكتوبر هو علامة الهجوم .

وقال كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا بعد حدوث العدوان ما بأتى :

( أحسنا فى تلك الايام ان الولايات المتحدة لا نريد ان نعرف وانها لا تطلب معلومات عما يحدث ، وكنا مطمئنين الى ان أجهزة المخابرات على اتصال وثيق بعضها ببعض ، وخاصة البريطانية والامريكية ، وعلى أية حال كانت هناك اتصالات معروفة بقيادة الاسطول السادس طلبنا اليهم فيها ان يبعدوا بالاسطول عن تحركات أساطيلنا .

كان أمرا مؤكدا أن الولايات المتحدة تعرف خطة الغزو لانها طلبت من جميع رعاياها مغادرة المنطقة قبل الغزو بيومين . ولم تكن الخطة معروفة عند الولايات المتحدة قط ، ولكنها كانت معروفة عند مصر أيضا .

كانت المعلومات التى نجتمع كافيها لتوضيح خطة العدوان ، وقد جاء ذلك تفصيلى فى الجزء الثانى ( مجتمع جمال عبد الناصر - الباب الاول ) فقد أرسل الملحق العسكرى المصرى سركيا الأميرالاي زكريا العادلى أمام معلومات تفصيلية عن تحركات بريطانيا وفرنسية اسرائيلية للهجوم . وحضر بنفسه الى القاهرة حب أبلغها لعبد الحكيم عامر .

واصلت مجموعة اليهود من السيوعيين المصريين المقيمين فى باريس ، بالملحق العسكرى المصرى فى ذلك الوقت روت عكاشة ، وأبلغته بأنباء الغزو المحمل ٠٠٠ وعندما جمعت له أنباء وافية عن ذلك من هذا المصدر ومصادر أخرى قرر إرسال عبد الرحمن صادق المنششار الصحفى برسالة خاصة الى جمال عبد الناصر .

قال لى عبد الرحمن صادق إنه حفظ الرسالة وما بها من معلومات عن ظهر قلب ، ولم يحمل معه أية أوراق ، وغادر باريس الى بروكسل كما لو كان في نزهة عطلة نهاية الاسبوع ، ومنها اتجه فوراً الى القاهرة ، حيث قابل علي صبرى في مبنى رئاسة مجلس الوزراء ، وسمع منه الرسالة ، ثم قابل جمال عبد الناصر في مكتبه ، وأعاد عليه الرسالة مرة أخرى .

ويقول عبد الرحمن صادق ان جمال عبد الناصر تشكك في صحته المعلومات ، فطلب منه أن يعيد الرسالة مرة أخرى ، وسأله عن مصدرها ، ثم قال ( ان هذا يتناقض مع ما عندنا من معلومات ) .  
لم يكن جمال عبد الناصر يوقع أن يعف إسرائيل مع الدول الكبرى على مستوى واحد في تنفيذ خطه الغزو .  
وتوافرت معلومات أخرى من مصادر مختلفة .

قال لى زكريا محيى الدين انه يوافرت لديهم معلومات كافية عن الحشود ، ولكنهم استبعدوا احتمالات التدخل لعدم وضوحها اذ كانوا يعبرون ذلك نوعاً من الضغط السياسى . . . كما انهم استبعدوا فكرة الربط بين هجوم إسرائيل وملاحقته بهجوم بريطانيا فرنسى مشترك .  
ويؤيد زكريا محيى الدين أيضاً انه لم يكن هناك استبعاد لفكرة العدوان الذى يزمه الفرنسى وانما اتخذ ذلك فى تقديرهم كخطة خداع لصالح الاسرائيليين .

ويؤكد زكريا انه لم يؤثر على الخطه الدفاعية المصرية احتمالات الانزال فى بور سعيد والاسكندريه . . . ولكن الخدعة الحقيقية كانت فى هجوم الاسرائيليين ، لان الجيش كان قد وضع خطته الدفاعية على أساس الانزال الانجليزى الفرنسى ، ولذا فانه لم يتحرك لسيئاء الا يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

كان جمال عبد الناصر قد اعتقد ان نسبة خطر الغزو قد انخفضت الى ١٠٪ بل انه استبعد احتمالات الغزو بعد موافقه وزراء خارجية فرنسا وانجلترا ومصر على المبادئ الستة وهى :

- ١ — أن تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة دون تمييز .
- ٢ — أن تحترم سيادة مصر .
- ٣ — أن تكون ادارة القناة منفصلة عن سياسات القناة .
- ٤ — أن نحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمنتمين بالقناة .
- ٥ — أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة وتطويرها .
- ٦ — فى حالات النزاع يجب تسوية الامر بالتحكيم .

كان جمال عبد الناصر متطلعا الى مرور الازمة وتسويتها سلمياً ، وكان فيما يبدو حسن النية الى حد ما بحطط الامبريالية الشرسة ، فانه عندما ابلغه صلاح سالم بعد عودته من مؤتمر لندن أن الغزو — فى رايه — أصبح مؤكداً ، لم يأخذ جمال عبد الناصر قوله مأخذ الجد الذى يحمل بوادر الخطر .

لم يتصور جمال عبد الناصر أن أيذن يمكن أن يقدم على هذه المغامرة التي قد تطيح باسمه ومستقبله . . ولم يكن ينصـور أيضا أن إسرائيل يمكن أن تدفع قواتها لتصل الى قناة السويس بعد اقل من سبع سنوات على قيامها ، وأقل من سنة ونصف على عودة بن جوريون الى رئاسة الوزراء ، وخاصة أن معدل الاحنكاكات والغارات الاسرائيلية الفجائية على القوات المصرية كانت قد خفت . . بل انه كان قد نقرر سحب قوات من سيناء لتدافع ضد غزو محتمل للقناة ، ويؤكد ذلك الفريق عبد المحسن مرتجى الذى كان يعمل وقتها فى مكتب ( اللواء ) عبد الحكيم عامر قائلا انه لم يكن فى غزة والعريش سوى فرقة مشاة واللواء السادس فقط .

## العنوان :

لم يكن هذه القوة المشكلة من فرقه ولواء كافية . . . ليس للدفاع عن سيناء ، وانما حتى لمراقبة تحركات العدو فى هذه الارض الشاسعة التي تبلغ مساحتها ( ثمن ) مساحة مصر .

ولذا فانه عندما أعلن الاسرائيليون يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ انهم قد ارسلوا طابورا مدرعا الى سيناء ، لم تكن قد وردت بعد أية انباء عن ذلك من القوات المصرية . . . وعلم جمال عبد الناصر بذلك من أجهزة الاستماع فى مكتبه .

وسرعان ما أذاع الاسرائيليون فى العاشرة مساء ان قواتهم قد أصبحت على مقربة من قناة السويس ، وكانوا يقصدون بذلك قوات المظلات التي هبطت فوق مصر مثلا .

ويقول زكريا محبى الدين ان هذه الانباء قد دفعتهم الى وضع خطة لمجابهة غزو إسرائيل فقط ، ذلك أن أحدا فى القيادة العسكرية لم يكن قد تصور أبعاد الخطة كاملة ، وأن هناك تديرا عدوانيا مشتركا بين الدول الثلاث إسرائيل وفرنسا وانجلترا .

هذا بينما يؤكد حافظ اسماعيل مدير مكتب القائد العام فى ذلك الوقت انه كانت هناك خطة عسكرية لمواجهة كل الاحتمالات .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه ( عبد الناصر والعالم ) - ( ومع ان عبد الناصر كان شديد الريبة فى أمر انزال المظليين الاسرائيليين فى منطقة مصر مثلا - نظرا الى بعدها السحيق عن القوات البرية الاسرائيلية - فقد كان لايزال مقتنعا بأن المشاركة فى العمليات الحربية بين إسرائيل وبريطانيا وفرنسا هي من المحرمات غير الواردة ، وكان لايزال مقتنعا بأنه ليس فى وسع أيذن أن يتعاون مع الاسرائيليين بهذه الطريقة ) .

ولكن فجر اليوم التالي بدد كل الشكوك وأظهر حقيقة الخطة عندما تبين أن طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني ( كانبرا ) قد حلقت فى سماء مصر . . . وتم ابلاغ السفير الامريكى الجديد فى القاهرة ( ريموند هير ) بذلك .

وفى الساعة الرابعة استدعى السفير المصرى فى لندن ( سامى أبو الفتوح ) الى وزارة الخارجية البريطانية ، كما استدعى كمال عبد النبى

سفير مصر في باريس الى وزارة الخارجية الفرنسية في نفس الوقت ، حيث سلما الانذار المشترك الصادر عن الحكومتين البريطانية والفرنسية الى مصر واسرائيل .

كان الانذار يطلب من كل من اسرائيل ومصر أن توقف اطلاق النار وتسحب عشرة أميال من كل جانب من طرفي القناة ، ويطلب من مصر القبول باحتلال القوات الانجلو فرنسية للمواقع الرئيسية في بور سعيد والاسماعيلية والسويس .

كانت المهلة المحددة في الانذار ١٢ ساعة فإذا ما انتهت هذه المهلة — على ما جاء في الانذار — دون أن تنصاع أى من الحكومتين أو كلاهما الى المطالب السابقة ، فإن قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل بأية قوة تحتها الضرورة لتأمين الانصياع .

وفي نفس الليلة اجتمعت الحكومة المصرية لتقرر ما يجب عمله ... وكان الرأي هو أن قبول الانذار سوف يعتبر كارثة ولذا تقرر رفض الانذار ، بينما قبلته اسرائيل تبعا للخطة المشتركة . واتجهت القيادة لمواجهة العدوان والغزو الثلاثي .

قال الفريق مرتضى ان جمال عبد الناصر كان هو صاحب القرار بسحب القوات المصرية من سيناء بعد أن تكشفت الخطة المعادية حتى لا تقع بين فكي الكماشة القادمة من اسرائيل عبر سيناء والغازية لمصر من طريق بور سعيد على مجرى القناة .

وحدث أول خلاف في وجهات النظر بين جمال عبد الناصر الذي أخذ هذا القرار ، وبين عبد الحكيم عامر الذي أصدر أوامره للمدركات بالتوجه الى سيناء لمقاومة الغزو الاسرائيلي ... ويقول حسنين هيكل ان النقاش قد استمر بين الرجلين طوال الليل مما أخر سحب الدبابات من سيناء .

وفي اليوم التالي ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ اختلف عبد الناصر مرة أخرى مع القيادة العامة للجيش التي وجدت أن انسحاب الدبابات الى الدلتا يتيح لها فرصة خوض معركة بالدبابات ضد القوات البريطانية والفرنسية الغازية ، ولذا نقلوا مركز الرئاسة الى الزقازيق ... وكان هذا مخالفا لتصور عبد الناصر الذي نظر الى الامر نظرة استراتيجية وسياسية تقضي بضرورة الدفاع عن القناة والتشبث بها حتى لا يحقق لقوات الغزو المعادية غرضها الذي يتركز في العودة لاحتلال منطقة القناة ، وليس الزحف الى القاهرة . كانت هذه هي بداية الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

وكان مجلس قيادة الثورة قد انتهى دوره ، ولم يعد له وجود شرعي بعد مرحلة الانتقال، وحصل أعضاؤه على ثلاثة النيل التي تمنحهم في البروتوكول أسبقية على الوزراء واستقال من أعضائه يوسف صديق وصالح سالم وأبعد كل من عبد المنعم أمين وخالد محيي الدين ، كما رفض جمال سالم الاشتراك في الحكم بعد انتهاء فترة الانتقال .



قال جمال عبد الناصر ان أقرب اثنين اليه خلال فترة العدوان كانا عبد اللطيف البغدادي و زكريا محبى الدين .  
ويقول عبد اللطيف البغدادي انه لازم جمال عبد الناصر ملازمة الظل خلال فترة العدوان ١٩٥٠ . وقد واجه عبد الناصر بنفسه الجماهير فى خطبة الجمعة الشهيرة بمسجد الازهر الشريف معلنا انه سيحارب وسيبقى مع اولاده فى القاهرة لن يغادرها . . . وكان صوته متحشرا لمرضى بالانفلونزا .

ولم يكن خلاف جمال عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر هو الخلاف الوحيد . . . نشأ خلاف ثان بينه وبين صلاح سالم الذى جسم الخطر الذى يمكن أن ينجم عن العدوان والاذار ، وطلب من عبد الناصر أن يسلم نفسه الى السفير البريطانى سير همفري بريبلان طالما هو المستهدف شخصيا ، كما نشطت الاذاعات المعادية فى تصوير الامر بهذه الصورة ، اذ بدأت اذاعة بريطانية من قبرص باسم ( صوت بريطانيا ) كان غاشها اثاره الشعب المصرى ومحاولة التفرقة بينه وبين جمال عبد الناصر .

قال جمال عبد الناصر لصلاح سالم انه لو كان يعتقد أن البريطانيين يريدون شخصه فقط لانسلم لهم راضيا ، ولكنهم يريدون مصر وشعب مصر وتورة مصر ولذا قال له ( ائنى افضل ان اضحى بنفسى وانما اقاتل ، ولكننى لن انسلم ) .

وتراجع صلاح سالم عن موقفه ، وأدرك خطاه ، وأراد أن يثبت حسن نيته فى لقاء له مع عبد الحكيم عامر بالقيادة العامة فلبس ملابس جندى كان مكلفا بحراسه المكتب ، وطلب أن يعود فى خدمة القوات المسلحة ، فكلفه عامر بالدفاع عن السويس ، وكان زميله كمال الدين حسين قد كلف أيضا بالدفاع عن الاسماعيلية . وبذل الاثنان جهدا ابجائيا واضحا فى اعداد المقاومة الشعبية . وتركز الدفاع على القناة من البحر الابيض الى خليج السويس ، واغرقت فيها بعض البواخر لسد الملاحة واعاقه بحركات الاساطيل البريطانية والفرنسية .

وفى الجزء الثانى ( مجتمع جمال عبد الناصر ) تفاصيل قصة المقاومة الشعبية فى بور سعيد وغيرها والتي كان يشرف عليها زكريا محبى الدين وزير الداخلية .

وفى يوم اول نوفمبر وضع للعالم ان مصر لا نفث وحدها فى المعركة ، وان دخول اسرائيل ضمن خطة العدوان ، قد حشد الدول العربية حول القاهرة . . . فاذاعة دمشق وعمان بدأت نذيع فائلة ( هنا القاهرة ) بعد ضرب محطات الارسلال فى ابى زعبل . . . وابلغ الملك حسين عبد الناصر باستعداد الاردن للهجوم على اسرائيل ، ولكن عبد الناصر طلب منه عدم الاقدام على هذه الخطوة حتى يطل الجيش الاردنى سليما .

وكان شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا فى موسكو وقتها وطلب من المسئولين هناك أن يتدخلوا لحماية مصر . . . كما نسب الضباط الوطنيين ومعهم عبد الحميد السراج مدير الشعبة البانية ( المخابرات )

محطات ضخ البترول الموجودة في الاراضى السورية وال تابعة للشركة البريطانية في العراق .

وقطعت سوريا والمملكة السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع كل من انجلترا وفرنسا ، واكتفت الاردن والعراق بقطع العلاقات مع فرنسا حيث كانت تربطها ببريطانيا علاقات صداقة خاصة الى جانب حلف بغداد الذي ارتبطت به العراق .

الامة العربية كلها وقعت الى جانب مصر ٠٠٠ وكل قوى التحرر الوطني ، والدول الاشتراكية جميعها . . وجماهير ملحوظة من الشعب البريطاني والفرنسي تظاهرت ضد العدوان الذي كان يتطور يوما بعد آخر ، فالاثارات البريطانية تقذف القوات المصرية المنسحبة من سيناء ، وتدمر انطارات المصرية وهي جاثمة فوق أرض المطارات خلال يوم واحد . ويقول عبد اللطيف البغدادى ان الرأى كان قد استقر على عزل فاند الطيران صدقي محمود ، ولكن عبد الحكيم عامر تشبث ببعائه ٠٠٠ بينما يقول زكريا محيي الدين انه كان قد تقرر عزل قادة الجيش والبحرية والطيران ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .

الحرب مستمرة وكفة العدوان راجحة ، ويستشعر جمال عبد الناصر الخطر ولا يطيق البقاء في القاهرة ، فيحاول السفر الى بورسعيد وفي مدينته ( أنشاص ) التي عانت من الغارات البريطانية يعلم لحظة وصوله يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ خبر نزول قوات المظلات البريطانية في بورسعيد ، والفرنسية في بور فؤاد ، فاضطر للعودة الى القاهرة ليدبر العمليات من مبنى مجلس قيادة الثورة في الجزيرة . واجهت مصر العدوان الثلاثي والكل يردد ( حنارب ) ، واغنيات ( الله أكبر ) ( والله زمان يا سلاحي ) ترتفع كل مكان .

ومضت المعركة الحربية والسياسية كما ظهرت نصفيلا في الباب الاول من الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) الى ان صدر قرار وقف إطلاق النار عقب نشر الصحف البريطانية والفرنسية لانذار بولجانيين الشهر واجتماع مجلس العموم في صباح نفس اليوم لاتخاذ القرار .

ويقول انطوني ناننج في كتابه ( ناصر ) ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان ١٩٥٦ أكثر مما خسرا ، فقد تأكدت وثبتت سيطرة مصر على قناة السويس .

ومع ذلك فان القوات المسلحة المصرية قد انسحبت من سيناء دون الدخول في معارك تصادية مع القوات الاسرائيلية ، ولم يصمد القادة العسكريون في وجه الغزاة البريطانيين في بورسعيد كما صمدت المقاومة الشعبية ٠٠٠ وضربت الطائرات المصرية وهي جاثمة على الارض في المطارات دون حركة أو مقاومة ٠٠٠ ولم تنبت القيادة العامة للقوات المسلحة ( عبد الحكيم عامر ) حدة حقيقية على التوجيه والقتال .

صادف العدوان فترة حساسة للقوات المصرية المسلحة ، فالتسليح السوفيتي والتدريب عليه لم يكتمل بعد ٠٠٠ والاسلحة البريطانية عاجزة

ومتخلفة ... عفيدة القتال ويدرسته مربطه بالاسلوب البريطاني ...  
وعدد من الضباط حصلوا على بعباب في أمريكا ... وكان هناك خبراء  
من فلول النازي في ألمانيا بحب اشراق الحرائق فون باخر .  
كانت نتيجة العدوان السلافي على مصر بمقاس العمليات العسكرية  
هزيمة لا شك فيها ... فقد فرض القتال فرضا في بوقت غير مناسب لم  
تتخذ او بنواقر فيه الاحتياطات اللازمة للقتال ... ومع ذلك فقد اضعف  
اشتراك ثلاث دول في العدوان مراره الهزيمة .

ولا ينفي هذا ان بعض الوحدات قد قامت بدور باسل ونجاح ..  
ولكن الاغلبية العظمى من الوحدات لم يخبر اختارها جادا في القتال .  
قال لي الفريق مرجي ان اللواء السادس مساء عطل دخول القوات  
الاسرائيلية الى سيناء مدة ثلاثة ايام الى ان صدر له الامر بالانسحاب ...  
ولم يهجم القوات الاسرائيلية مع ذلك الا بعدها بيوم كامل ، ولم يحدث اى  
اخرق الا في رفع حيث ضرب اللواء الذي كان يعود الاميرالي جعفر العبد  
من البحر بالسفن الاسرائيلية .

وقد بلغت خسائر الجيش المصري ألف قتيل ، واستشهد عدة مئات  
في عمليات المقاومة الشعبية في بور سعيد ، وأسر ستة آلاف مصري  
وفلسطيني معظمهم من قطاع غزة ولكن افرج عنهم نديجيا بعد وقف  
القتال ... ولم تبلغ خسائر المعتدي الا ١٧١ قتيل اسرائيليا ، ٢٦ جنديا  
فرنسيا وبريطانيا عند الانزال ثم ارتفع الرقم خلال عمليات المقاومة  
الشعبية .

وأمام هذا الموقف الواضح ، افترح اللواء عبد الحكيم عامر أن يقدم  
استقالته من قيادة القوات المسلحة ، ولكن جمال عبد الناصر لم يوافق على  
ابتعاد صديق عمره ، وأصر على بقائه رغم تعارض ذلك مع فكره عنه وخلافه  
معه أثناء وضع خطة المعركة ... وكان النشيب به سببا في بقاء صديقي  
محمود في مركزه رغم مسؤوليته عن كارثة الطيران حيث وافق جمال  
عبد الناصر على ان يعطيه فرصة أخرى .

ورغم الهزيمة العسكرية ، كان هناك نصر سياسي لا شك فيه .  
اكتسبت ثورة يوليو وزعامة جمال عبد الناصر شعبية هائلة في الأمة  
العربية جعلته يصل الى قمة لم يعرفها زعيم عربي من قبل ، حيث كانت  
صوره ترفع في كل مكان ، وخطبه يحفظها البعض عن ظهر قلب .  
تحركت في الدول العربية روح المقاومة للانظمة الرجعية التي لم  
يسعدها قرار جمال عبد الناصر بتأميم القناة ، ولا تخفيقه للنصر السياسي  
الذي انتهت اليه معركة العدوان ، وبدأ ذلك في العراق المرتبط بحلف  
بغداد .

كان قرار جمال عبد الناصر برفض الانذار والصمود والحرب سببا في  
تقدير دول العالم الثالث والدول الاشتراكية للدور الوافق البارز الذي  
تلعبه مصر في مقاومتها للامبريالية ودعمها للتحرر الوطني .  
انكشف نهائيا الدور الذي تلعبه اسرائيل في المنطقة لخدمة الامبريالية  
والاستعمار ... وفقدت بريطانيا وفرنسا كثيرا من المكتسبات والعلاقات

- التي حصلت عليها خلال تاريخ طويل نتيجة لربط خطتها مع اسرائيل
- وبعد أن توقف اطلاق النار ، بدأت فترة انسحاب القوات المعتدية .

## بعد العدوان :

انسحبت القوات البريطانية والفرنسية قبل أن تنسحب القوات الاسرائيلية ، وكان يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ هو يوم الجلاء الثاني في عام واحد للقوات البريطانية عن مصر ومعها حليفها القوات الفرنسية . كانت فرنسا تحرض اسرائيل على البقاء في سيناء ، ولذا أسرع شيمون بيريز بالنزوح الى باريس في فبراير ١٩٥٧ لبحث مدى المعونات التي يمكن أن تقدمها فرنسا لاسرائيل في حالة فرض عقوبات عليها أو استئناف الأعمال الحربية ، وقد أبدت فرنسا استعدادها للوقوف الى جانب اسرائيل .

ومع ذلك فإن قوات اسرائيل انسحبت تدريجيا بعد محاولة منميتة لشبث بالأرض التي احتلتها ٠٠٠ ولكن الظروف السياسية العالمية وفرارات الأمم المتحدة ، وبريص حكومة الولايات المتحدة بالمنطقة بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية ٠٠٠ كل ذلك دفع اسرائيل للتراجع ٠٠٠ ولكنها لم تتراجع نراجعا كاملا كما فعلت الدولتان الكبيرتان .

كانت الانفاية التي أمكن التوصل اليها تفرض شروطا رأى جمال عبد الناصر انه من المصلحة الا يرفضها رفضا تاما في هذا الوقت تفاديا لتعقيد الامور ، وهو لا يملك قوات مسلحة قادرة على الردع ، ومشاكل المجتمع الجديد تنتظر من يضع لها حولا .

وتحت مظلة الامم المتحدة ، وبحضور وموافقة وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا تقرر الجلاء للجميع مع الشروط الآتية :

أولا ٠٠٠ وضع ستار دفاعي من قوات الامم المتحدة على الحدود بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ثانيا ٠٠٠ فتح مضيق تيران المسيطر على ميناء ايلات للملاحة والتجارة الاسرائيلية .

ثالثا ٠٠٠ اخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية .

رابعا ٠٠٠ الاتفاق على أنواع محددة من الاسلحة لا تتعدى حدودا مرسومة جهة الشرق .

كانت هذه الشروط في واقعها تنازلات اكيدة من الجانب المصري ٠٠٠ ولكنها اذا قورنت بالانتصار السياسي الذي تحقق بعد العدوان ، واجبار قوى ثلاث دول على الانسحاب قبل أن تمضي سنة أشهر على العدوان ، تعتبر ضئيلة ، وخاصة اذا وثقنا أن فكرة العدوان على اسرائيل وتدميرها كانت أبعد ما تكون عن فكر جمال عبد الناصر .

يعتبر جان لاكوتير قبول عبد الناصر ( دليلا على التخلف العسكري

الذى وجد انه قد انتهى اليه ) .

ويقول انطوني ناتنج ( رعم نجاح عبد الناصر فى جذب الرأى العام العالمى الى صفه ، ونجاحه فى الحصول على التأييد المعنوى للدوليين العظميين أمريكا وروسيا الا أنه عرف وقبل بقطعة ضعفه ، ولذا رضى فى مباحثاته مع همرشولد حلولا وسطا ) .

كان جمال عبد الناصر قد بدأ يدرك أن انحصار النفوذ البريطانى الفرنسى عن المنطقة ، لا يعنى انحصارا كاملا لنفوذ الامبريالية العالمية ، ولكنه يفتح شهية الامبريالية الاميركية لورائة نفوذ الدولتين ، وان اسرائيل قد بادرت بوضع نفسها تحت عباءة النفوذ الامريكى . . . . ولذا فان الناطح الكامل ورفض هذه ( التنازلات ) المحدودة ربما كان كفيلا بتغيير انحاء الموقف الامريكى ، وزيادة عناد اسرائيل ورفضها للانسحاب .  
ولذا فانه يصعب القول بأن ذلك كان ( بهائونا وطنيا ) من حمال عبد الناصر . . . . ولكنه كان يعنى ادراكا واعيا بطبيعة الظروف التى كانت قائمة خلال هذه الفترة .

انسحبت اسرائيل تماما فى شهر مارس ١٩٥٧ بعد أن حرب الطرق وبثت الالغام ودمرت آبار البترول وفى نفس هذا الشهر وفى يوم ٩ بالتحديد أصدر الكونجرس الامريكى قراره بشأن مشروع ايزنهاور بحث اسم ( دعم السلام ونوطيد السلام فى الشرق الاوسط ) وهو يحول ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة ، وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشتركة .

أوفد ايزنهاور ممثله الشخصى جيمس ريتشاردز فى جولة استطلاعية بالمنطقة لبحث دولها على قبول ( مبدأ ايزنهاور ) وسارعت اسرائيل باعلان ترحيبها وموافقتها على مساعدة الولايات المتحدة لدول المنطقة فى الاحتفاظ باستقلالها ووحدة اراضيها ، وخاصة بعد أن ضاعت هبة بريطانيا وفرنسا بعد فشلها فى العدوان على مصر ( مما خلق فراغ القوة فى هذه المنطقة الاستراتيجية ) .

ونشطت اسرائيل فى الدعوة لمشروع ايزنهاور وتجسيم الخطر الشيوعى كما صرح بذلك شيمون بيريز مدير وزارة الدفاع فى ذلك الوقت عندما أكد ( ان وجود اسرائيل يشكل حاجزا ضد انتشار الشيوعية لا فى الشرق الاوسط فحسب . بل وفى افريقيا كذلك . . . . وان - تقوية - اسرائيل انما هو ضمان لاستقلال كثير من شعوب المنطقة ) .

ولكن مشروع ايزنهاور لم يجد عند مصر من الترحيب ما وجده عند اسرائيل ، فقد أدرك عبد الناصر أن الامريكين يريدون أن ينشروا مظلتهم على المنطقة ، وأن يروا المصالح البريطانية والفرنسية فيها . . . . ولكنه لم يكن مستعدا لقبول ذلك ، وخاصة بعد أن انسحبت القوات المعتدية فعلا ، وأصبحت قوات الأمم المتحدة تشكل ستارا دفاعيا وحاجزا سليا بينه وبين اسرائيل .

ولم تجرؤ دولة عربية فى هذه المد القومى على قبول ( مشروع

ابن زهاور ) فقد كانت مصر قد أكدت دورها الطليعي المميز ، وكان جمال عبد الناصر قد أصبح الاسم والشخصية التي تخفق لها قلوب الجماهير على امتداد الوطن العربي ، والتي لا يجرؤ حاكم على اتخاذ موقف مضاد له ، وهو الذي خرج منصرماً من معركة العُدوان ، مسنهما في تأييد ثورة الجزائر ، قاسياً في مهاجمته لحلف بغداد ومشاريع الامبريالية المشبوهة . فشل مشروع ابن زهاور فعلاً . . . وبدأت حكومه الولايات المتحدة تدرس استراتيجيتها وسياساتها الجديدة في المنطقة . والفشل في مواجهة الخصم لا يعني عدم محاوله السرب الى صفوفه وتمزيق وحدته ، وهكذا فعلت حكومة الولايات المتحدة عندما قررت تفتيت الجبهة العربية التي خرجت من حرب ١٩٥٦ شديدة البهه والماسك . أخذت الحكومة الامريكية في الشهر التالي مباشرة لرفض مشروع ابن زهاور - أبريل ١٩٥٧ ، تركز أنظارها على الاردن وعلى فلسطين من امداد السيطرة الشيوعية على البلاد . . . ونجحت الدوائر الامريكية في فتح بكرة قلبت فيها الحكومة الوطنية وعزلت قيادة الجيش ، واضمنت الاردن الى قائمة الدول التي تحصل على مساعدات عسكرية ( انظر الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٢ يوليو « عبد الناصر والعرب » الباب السابع ) .

وما أن نجحت الخطة الامريكية في الاردن حتى حولت أنظارها الى سوريا ، ولكن الخطة التي تقرر لها أن تنفذ في أكتوبر ١٩٥٧ بتدخل تركي واسرائيلي لم تنجح لوعي الشعب السوري ووطنية قيادته واسراع جمال عبد الناصر بإرسال قوات الى اللاذقية .

وأمام هذه المؤامرات لم يكن جمال عبد الناصر قد توارى في الظل أو ارتضى لنفسه وحكومته الهدوء والسكون . . بل انه بدأ هو الآخر في تنفيذ استراتيجيته التي تحقق لمصر الاستقلال الوطني ، وتحقيق للعرب تضامناً قومياً مؤثراً .

المشكلة الاولى كانت توحيد تسليح الجيش وتدريبه وتحويله الى جيش معانل يمكن أن يكون سنداً عند وضع اية خطة وطنية .

أول ضباط مصريين سافروا الى الاتحاد السوفيتي في مارس ١٩٥٧ بأسماء مستعارة نحاشيا لنشاط المخابرات الامريكية ، وكانت الاسلحة السوفيتية قد بدأت تدفق منذ أكثر من سنة . . ووصل الخبراء السوفيت كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى في اواخر عام ١٩٥٨ بأعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط ، حيث اشتركوا في اعادة تنظيم القوات على أساس المدرسة والعقيدة الشرقية .

اسرائيل تجد ان وسيلتها الوحيدة للحياة والبقاء هي الارتباط بالدولة الامبريالية - الولايات المتحدة - ونعرض عليها دور المنفذ لسياساتها في المنطقة .

ومصر تجد ان وسيلتها الوحيدة أيضاً للمحافظة على استقلالها الوطني وبناء مجتمعا بارادة الشعب ، هو أن توطد علاقاتها مع الدول الاشتراكية التي أبدت استعداداً لتزويدها بالاسلح ثم المصانع فيما بعد .

## مواقف سياسية جديدة :

فرض العدوان الثلاثى على المنطقة واقعا جديدا ٠٠٠ وبدأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يلعبان دورا مزايدا فى المنطقة ٠٠٠ ويحدد موقف الدول العربية من اسرائيل باعتبارها دولة معتدية ٠٠٠ تحتل جانبا من ارض فلسطين ، ولاكتفى بذلك فنهجم على مصر وتحتل جانبا من ارضها . ومع ذلك فانه عندما سألت المسز دوروثى طومسون جمال عبد الناصر فى يناير ١٩٥٧ خلال حديث نشره ( مجموعة أنصار السلام المصريين ) منقولاً عن مجلة ( البوليس المصرية ) قائلة :

( سألت الرئيس صراحة هذا السؤال : هل تنوى تدمير اسرائيل ؟ انهم يقولون ان هذا هو هدفك ) .

أجاب ( اننى اتحدى مسيو موليه ومسر سلوين لوبد ان يجدا فى كافة خطبى وتصريحاتى كلمة تشير الى اننى أنوى تدمير اسرائيل ) . ونشرت وثيقة أنصار السلام أيضا فقرة أذيعت من اذاعة القاهرة يوم ٢٧ مارس ١٩٥٧ نوضح المواقف السلامى لمصر ونقول :

( ان الجلاء عن غرة وشرم الشيخ يضع نهاية لعملية غزو مصر ، ومصر الآن مستعدة لحل أى مشكلة معلقة بوسائل سلمية ٠٠٠ وللحقيقة فان موقف مصر كان سلاميا قبل واثنا وبعد العدوان ) .

واذا كان بن جوريون قد افلح فى تخريب محاولات السلام الاولى مع موسى شاريت ، فان الوقت والظروف لا تعتبر منأخرة .

عندما وقع العدوان على مصر حلت ( اللجنة العربية الاسرائيلية ) التى شكلت فى باريس من يوسف حلمى وآخرين كما اوضحنا فى الفصل الاول ، وارسل يوسف حلمى برقية تأييد لجمال عبد الناصر فى حربه العادلة ضد المعتدين كما ارسل نداء للشعب الاسرائيل يفسر فيه تورط الحكومة الاسرائيلية فى العدوان ، ويوسف حلمى كان يفرق كثيرا بين شعب اسرائيل وبين سياسة حكومته ٠٠٠ كما ارسل خطابا حادا مفتوحا للحكومة الاسرائيلية يدين تصرفاتها العدوانية نشرته الصحف الفرنسية .

وقد عاد يوسف حلمى اول سكرتير للمجلس المصرى للسلام الى القاهرة عقب العدوان عام ١٩٥٧ بعد ان كان قد غادر القاهرة خلال ازمة مارس ١٩٥٤ ، عاد يوسف حلمى ليواجه موقفا جديدا فى مصر .

كان يوسف حلمى أحد المؤسسين الرئيسيين لحركة السلام فى مصر وانتخب سكرتيرا لها بارادة أعضاء المجلس المصرى للسلام الذى كان يرأسه محمد كامل البندارى سفير مصر فى موسكو .

وكانت حركة السلام تصدر منذ انشائها قبل النورة مجلة ( الكاتب ) الاسبوعية التى نافست فى التوزيع المحلى معظم المجلات التقليدية ، وسبقت غيرها فى السودان ٠٠ كما كانت حركة ستمد وجودها وقوتها من الجماهير التى تناضل ضد الحرب الباردة واطار السياسه الامريكية التى تبناها جون فوستر دالاس وزير الخارجية وعرفت بسياسه حافه الهاوية .

ورغم تعطيل الحكومة لمجلة ( الكاتب ) ضمن عدد من المحلات والجرائد أثناء سنوات الصدام بين حركة الجيش والقوى السياسيه المختلفه كما ذكرت تفصيلا فى الجزء الاول ( قصة نورة ٢٣ يوليو ) ٠٠ فقد ظلت حركة السلام

قائمة تناضل من أجل أهدافها الانسانية .. ولم تتوقف رغم خروج يوسف حلمي من مصر بعد ملاحقة السلطة له ، ودحول سعد كامل الى السجن . وكان عبد الرحمن النرغاوي قد بولى أعمال السكرتير بالنيابة خلال نواجذ يوسف حلمي في الخارج .

ويقول عبد الرحمن النرغاوي انه قد أسلم العمل ليوسف حلمي فور عودته ليكون سكرتيرا عاما للسلام كما كان وكما عرفه الناس . ولكن بيارات حديده بدأت تتحرك ضد يوسف حلمي باصابع السلطة التي لم تكن لتسمح بوجود هذه الحركة التي ولوانها ليست حزبا سياسيا الا أنها تجمع الناس حول قضايا سياسية تأبى السلام في مقدمها .

وكان محمد كامل البنداري قد أسلم رئاسة المجلس للدكتور ابراهيم رشاد أبو التعاون في مصر ووكيل وزارة الشؤون الاجتماعية السابق .

أرادت الحكومة أن تفرض العسكريين أيضا على هذه الحركة الشعبية واخنا رب خالد محبي الدين ، وهو الذي كان قد عاد من الخارج واعطيت له رئاسة تحرير جريدة المساء .. ولكنه لم يستطع ان يصل الى منصب السكرتير العام عن طريق الاسخاب .. لانه لم يكن في الاصل عضوا في المجلس المصري للسلام . كما ان أعضاء المجلس كانوا يريدون نحاشي فرض السلطة لشخص معين عليهم رغم أن خالد محبي الدين كان ذا وحه نفدى .

ولم بعد باقيا سوى التدخل السافر من جانب الحكومة بصورة فرار بتشكيل المجلس المصري للسلام ، ظل الدكتور ابراهيم رشاد رئيسا له واصبح خالد محبي الدين سكرتيرا عاما .. وابتعد عن المجلس عدد من رواده ومؤسسيه الاوائل مثل يوسف حلمي وسعد الدين كامل وعبد الرحمن النرغاوي والشاعر كمال عبد الحليم والفنان حسن فؤاد .

وهكذا لم بعد في مصر أى نشاط يمكن ان يقرب من السياسة ، وهي تسبطر عليه أو تخضعه لارادتها عن طريق فرض أعضاء مجلس الإدارة عليه . وابتعد يوسف حلمي عن المجلس المصري للسلام ، بعد ان ابتعد عنه ، وعاش برقب في صمت سلوك بعض الذين وضعوا أبتهم في يده خلال نضال مشترك .. ولم يشأ القدر له أن يعاني مريدا من العذاب النفسى ، فافتحم عليه حياته مرض خطير انتهى به الى الموت وهو اكمل ما يكون شابا وأعلى ما يكون همة ، وأصفى ما يكون نفسية .

مات يوسف حلمي .. بعد ان أثرت مواقفه الشجاعة في تغيير رؤية الكثيرين من اعداء السلام داخل اسرائيل .. وبعد ان وقف في حزم ووضوح الى جانب جمال عبد الناصر بعد ان نجحت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في تخريب محاولات السلام .

وتوضيحا لروح السلام اجاب جمال عبد الناصر على سؤال محدد للكاتب الاريكى وليام اتورد نشر في الديلى اكسبريس يوم ١١ يونيو ١٩٥٧ : سواء دمرت اسرائيل أو طلبت السلام ، ماهو الحل الذي تختار ؟ وتحت أى شروط توافق لوضع نهاية لحالة الحرب مع اسرائيل ؟ وقال جمال عبد الناصر :

— أننى لم أتحدث مطلقا عن تدمير اسرائيل .. واى تسوية شاملة يجب ان تأخذ في الحسبان حقوق العرب اللاجئين ومشاكل الحدود ...



ومن الجانب الاسرائيلي فانها يجب ان تأخذ في الاعتبار حقوقها في استخدام القناة وخليج العقبة. اننى لا أعرف متى تكون هذه التسوية الشاملة ممكنة. وعبد الناصر في ذلك يؤكد فناعته في الاعتراف باسرائيل كدولة فرضتها الظروف وزرعها في المنطقة .

وفي احدى جلسات جمال عبد الناصر مع اعضاء امانة الاتحاد الاشتراكي في تاريخ لاحق (٢٣ فبراير ١٩٦٥) أثار أحد الاعضاء قضية متعلقة بتداول كتاب يدرس الاوضاع النقيابية في اسرائيل وينتقد ذلك ، وعبد الناصر يلح على ضرورة دراسة الاوضاع في اسرائيل على اساس علمي دقيق . واستنكف العضو ايراد اسم اسرائيل مسبقا بكلمة دولة ، وكنا قد اعتدنا بعد عام ١٩٤٨ أن نقول اسم اسرائيل في الكتابة والاذاعة بلقب (المزعومة) ورد عليه جمال عبد الناصر باسئفاضة ووضوح :

اننا لانستطيع في الواقع القول بأن اسرائيل ليست دولة . . ان اسرائيل دولة معترف بها الدول ، واما اذا كنا نحن لا نعترف بها فان ذلك لا يمنعنا من التعرف على كل انظمتها ، وحين نتكلم عن اسرائيل فاننا يجب أن نعتبرها دولة . . وأرد ان أشير الى اننى دائما لأقول اسرائيل المزعومة أو دولة العصابات لاننا في هذا نكون كمن يضحك على نفسه)

• واستشعرت اسرائيل التي أجبرت على الانسحاب ان مزاجها خلق استراتيجية جديدة تزداد فيها التصاقا بالولايات المتحدة بعد فشل (مشروع ايزنهاور) وفشل خطة الاعنداء على سوريا في اكتوبر ١٩٥٧ كما ذكرنا ، والتي انتهت برد فعل عكسي اثر الوحدة بين مصر وسوريا في ( الجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٥٨ ) .

وكانت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق ، وتدخل الاسطول السادس الامريكى في لبنان ، ووصول قوات بريطانية الى الاردن ، فرصة لاسرائيل للضغط من اجل زيادة ارتباطها بحكومة الولايات المتحدة والحصول على الاسلحة منها ، حيث لعبت على التناقض بين السياسة الامريكى والعربية . أسرع شيمون بيريز في أغسطس ١٩٥٨ الى الولايات المتحدة يحمل قائمة بالاسلحة والمعدات المطلوبة لاسرائيل ، غير ان الولايات المتحدة طلبت مهلة للدراسة .

وفي مارس ١٩٦٠ عقب الازمة التى نشأت بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة حول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية ، سافر بن جوريون الى الولايات المتحدة طالبا من ايزنهاور صواريخ هوك ( لتحمل اسرائيل من الوحدة العربية التي حاصرتها من الشمال والجنوب ، وجعلت سماءها مطوفة بدولة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة) . ولكن ايزنهاور لم يبت ايضا في هذا الطلب حيث كانت مدة رئاسته على وشك الانتهاء . وأشار الكتاب السنوى لحكومة اسرائيل عام ١٩٦٠/٦١ الى مدى الدعم الامريكى لاسرائيل في فقرة جاء فيها :

( ان الولايات المتحدة تؤكد في بيانها من جديد موقفها من اسرائيل وتنوه بأن وجود اسرائيل وازدهارها جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الامريكى كما تقدر حكومة الولايات المتحدة محاولة اسرائيل تدعيم سياستها

وضمن مستقبلها السياسى . وهى مستعدة لزيادة مساعدتها الفعالة من أجل تحقيق هذين الهدفين)

هذا التوجه الاسرائيلى نحو امريكا كان محسوبا بعد تغيير نظام الحكم فى فرنسا خلال مايو ١٩٥٧ ووصول ديجول الى الحكم بعد ثورة الجنرالات، واختفاء معظم اصدقاء اسرائيل العداوى من العسكريين والسياسيين الذين شاركوا فى مؤامره العدوان الثلاثى .

أنهى ديجول وجود ممثل اسرائيل خاص فى وزارة الدفاع الفرنسية قاتلا : (ان فرنسا دولة مستقلة ولن تسمح لبعثات خاصة بان ترابط فى وزارة الدفاع الفرنسية) ، وطلب فى رسالة الى عبد الناصر اقامه علاقات جديدة مع العالم العربى .

ومع ذلك فان بن جوريون زار فرنسا فى يونيو ١٩٦٠ لاتهام صفقة شراء طائرات ميراج جديدة بدا التفاوض من اجلها عام ١٩٥٩ .

واعتمدت اسرائيل أيضا على التسليح من ألمانيا الغربية بنصريح خاص من الولايات المتحدة عقب زيارة بن جوريون لواشنطن فى مارس ١٩٦٠ .

وكانت أول صفقة أمريكية تقرر ارسالها الى اسرائيل ، صفقة من صواريخ ( هوك ) المضادة للطائرات عقب زيارة بن جوريون الى أمريكا واتفاقه مع الرئيس جون كيندى على ذلك صيف عام ١٩٦١ .

وبدأت سلسلة من الخطابات المتبادلة بين كيندى وعبد الناصر . يمكن الاطلاع عليها فى كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) . ولكن تبادل هذه الخطابات التى تعرضت من جهة عبد الناصر لحقوق اللاجئين الفلسطينيين كما ورد فى خطابه بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٦١ الذى جاء فيه : ( كان هدفى أن أشرح لكم أن حق اللاجئين الفلسطينيين مرتبط بحق الوطن الفلسطيني وأن بقية الأركان العربية لا يمكن أن تعزل نفسها عن العدوان الذى انقض على واحد منها بسبب واضح هو أن هذا العدوان - فضلا عن كل مايعنيه الضامن العربى - يهدد الاقطار العربية الباقية بالخطر نفسه والمصير نفسه ) .

وقد حاول بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل خلال هذه الفترة أن يعيد من جديد محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر عن طريق المارشال تيتو ، فأرسل اليه خطابا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ كما ورد فى كتابه ( العرب والفلسطينيون وأنا ) يدعو فيه الى الوساطة لبدء مفاوضات بين مصر واسرائيل تستهدف عقد اتفاق سلام . . . ولكن تيتو رد عليه بعد أربعة اشهر بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٣ يقول ( اننى اذا أخذت بعين الاعتبار الظروف الحالية فى هذا الجزء من العالم ، والثوتر الذى يسود فيه ، أجد أن التدخل الخارجى لا يمكن حسب رأى أن يتوصل الى النتائج المرغوب فيها ) .

اعتذر تيتو واستقال بن جوريون فى ١٦ يونيو ١٩٦٣ . وفى تبادل الخطابات بين كيندى وعبد الناصر اتضحت سياسة الأخير غير العدوانية، ولكنها لم تمنع كيندى من الموافقة على امداد اسرائيل فى نفس الصيف - كما ورد فى كتاب العسكرية الصهيونية، المجلد الاول - الذى وصله فيه هذا الخطاب بصواريخ هوك ، وفتح باب عرض لامداد اسرائيل بالأسلحة ، وكان ذلك بداية موقف سياسى جديد فى المنطقة .

## الفصل الثالث

### ضغوط على النظام

(تالم عبد الناصر أشد الالم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولي عن حلمه بالوحدة العربية ، ولم يكتب لها أن تبعث في حياته ، ومن هنا فانه عندما سسمع بتورط وكالة المخابرات المركزية في المؤامرة ، أحس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كيندي يتقرب منه فما الذي يدفع وكالة المخابرات المركزية للعمل ضده ؟ ) .

محمد حسنين هيكل  
عبد الناصر - والعالم

لم تعرف ثورة يوليو فترة ازدهار واستقرار ، مثلما عرفت بعد العدوان الثلاثي ، وانسحاب القوات المعنوية . . ولم يحظ جمال عبد الناصر بنييد شعبي جارف كما حظى عام ١٩٥٧ وما بعد ذلك . كانت سنوات صعود خارقة . . رغم الهزيمة العسكرية التي تحولت الى نصر سياسي باهر . لم يقف الناس كثيرا عند التنازلات التي قدمت ثمنا لجلاء القوات الاسرائيلية . . ولم تسلط الدعاية أية أضواء عليها ، اذ اعتبرت أمرا ثانويا لا يفسد روعة النتيجة النهائية .

وانفرد جمال عبد الناصر فى قمة السلطة يشكل مجتمعه الجديد ، ومن حوله اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين .. وقد بعد الفارق بينه وبينهم ، بعد أن اصبح شخصية عالمية يفخر بها العرب ، وتتطلع اليها حركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث ، وتتوطد الصداقة بينه وبين قادة الدول . ولم تمض عدة شهور على محاولة الامريكيين اخضاع النظام فى سوريا - أكتوبر ١٩٥٦ - حتى أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، وظهرت الجمهورية العربية المتحدة الى الوجود فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ .

ولم تكد تكتمل خمسة أشهر على قيام الجمهورية العربية المتحدة حتى قامت ثورة ١٤ يوليو - ١٩٥٨ فى العراق ، وبادر جمال عبد الناصر بزيارة موسكو لضمان تأييد الاتحاد السوفيتى للقوى الوطنية فى المنطقة . وبدا الاستقطاب فى المنطقة يأخذ شكلا واضحا .

ونحركات قوى الامبريالية لمساندة الانظمة الرجعية خوفا من امتداد آثار ثورة العراق .. فنزلت قوات الاسطول السادس الامريكى فى لبنان ، ونحركات القوات البريطانية من قبرص الى الاردن .. وكانت هذه هى بداية ( الضغوط المباشرة ) التى تتعرض لها المنطقة .

ولكن القوات الامريكية لم تبق طويلا ، فقد انسحبت من لبنان عقب انتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية بعد شمعون . ولم يكن قد مضى عليها اكثر من اربعة شهور .

وجلت بعد ذلك القوات البريطانية عن الاردن . وعندما سأل الصحفى الهندى ( كارانجيا ) جمال عبد الناصر فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ قائلا .

— يبدو أن الاردن التى احتلتها القوات البريطانية هى فى الحقيقة الضحية الكبرى للغرب .. فما هو حل هذه المشكلة ؟ اجاب عبد الناصر :

من الصعب العثور على اجابة محددة لهذا السؤال ، ولكن المؤكد أن الشعب الاردنى هو الذى يستطيع بوطنيته وحكمه أن يرسم الطريق ، ولكن الامر الذى اتضح ويزداد كل يوم وضوحا هو أن الحديث عن عملاء عبد الناصر أو هيئات أو منظمات تعمل لحساب عبد الناصر .. أو الحديث عن عدوان مباشر أو غير مباشر من جانب الجمهورية العربية المتحدة قد أصبح اكذوبة لا يكاد يصدقها حتى الذين اخرعوها أنفسهم بل لعل العالم كله يرى الآن من الذى يستخدم العملاء ومن الذى يدير الاموال فى الاردن .. ان ملك الاردن تسلم من الولايات المتحدة سبعين مليوناً من الدولارات منذ قام بانقلابه المشهور على الحكم الوطنى ، منذ اكثر من عام ، هذا الملك الآن فى حاجة الى رجال المظلات البريطانيين لكى يحموه من شعبه ) .

ولكن عملية الاستقطاب لم تمض فى المنطقة الى غايتها ، فسرعان ما تغيرت الظروف عقب الخلافات التى نشأت بين ثورة يوليو المصرية وثورة يوليو العراقية .. والتى امتدت آثارها الى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٩ ، وهو العام الذى تميز بظهور

الخلاف بين عبد الناصر والشيوعيين العرب تم اعتقال الشيوعيين المصريين ، وتبادل الاتهامات بين جمال عبد الناصر وخروشوف . وتلقت حكومة الولايات المتحدة هذه الخلافات محاولة توسيعها والاستفادة منها في محاولة للنفوذ الى مصر من جديد ، بعد ان ارتكب بالاس خطاه الكبير بسحب تمويل السد العالي ، ومحاولة أمريكا فرض مشروع ايزنهاور .

ووصل الخلاف مع الاتحاد السوفيتي من جهة ، والنقارب بين مصر وأمريكا من جهة أخرى الى حد تحويل ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون في الاتحاد السوفيتي الى الولايات المتحدة .

واستصدر الامريكيون القانون رقم ٤٨٠ الذي أتاح لهم فرصة امداد مصر بالقمح وغيره من المساعدات الأخرى . واستمر الأمر كذلك بعيدا عن صخب الدعاية مدة عامين كاملين ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ نسلم بعدها جون كنيدي رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدأت بينه وبين جمال عبد الناصر سلسلة من الخطابات المتبادلة تناقش المشاكل المحلية والعالمية .

وكانت مشكلة اسرائيل محورا من محاور النقاش كما ينضج في الخطاب الذي كتبه جمال عبد الناصر يوم ١٨ أغسطس ١٩٦١ والمنشور في كتاب محمد حسنين هيكل ( عبد الناصر والعالم ) ، ردا على خطاب كنيدي في مايو ١٩٦١ الذي قال فيه :

( اننا لعل استعداد للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين المساوية على اساس مبدأ اعادة التوطين أو النعويض عن الممتلكات ، وعلى المساعدة في ايجاد حل منصف لمشكلة تنمية مصادر مياه نهر الاردن ، وان نقدم عوننا لحرار التقدم في الجوانب الأخرى من هذه المشكلة المعقدة ) .

ويبدو ان حكومة مصر قد نصورت ان هناك بابا قد فُتح لحل مشكلة فلسطين ، فبادرت وزارة الخارجية بارسال النشرة رقم ٢٧ / ت لسنة ١٩٦١ بتاريخ ١٠ أغسطس الى بعثات النمثيل الدبلوماسي والقنصلي للجمهورية العربية المتحدة بالخارج الحاقا للنشرة سابقة صدرت في أول أغسطس . تقول النشرة :

نود الاحاطة بما يلي :

١ - لم يطرأ أي تغيير فيما سبق وجاء في النشرة المذكورة أعلاه ، وتود الوزارة ان تركز مرة أخرى ضرورة مراعاة عدم الخوض في موضوع اللاجئين الفلسطينيين قدر الامكان ، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية والدول المرتبطة بها . وتدون النشرة في نهايتها ملاحظة تقول :

ان وزارة الخارجية تتشرف باغادتكم انها اذ ترسل اليكم هذه التعليمات انما تهدف من وراء ذلك الى التسهيل على سير المفاوضات التي تدور الآن في جو هادئ وبالطرق الدبلوماسية مع حكومتنا وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين .

ان هذه المفاوضات تتقدم بصورة مرضية وقد اظهرت  
الامريكية نيتها الحسنة نحونا وذلك بتوقيعها على اتفاقية تبادل  
السلع التموينية معنا ، وعدم اثارة موضوع اللاجئين ساعد كثير  
سير المفاوضات فى الطريق المرغوب .  
التوقيع : وكيل الخارجية - محمد حافظ اسماعيل .

كان هذا التقارب يتم بعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، واثناء  
الميثاق ، ووضوح اتجاه التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية ، وهم  
لا ترضى فى مضمونها الامبريالية الامريكية ، ولا الرجعية العربية .

وسرعان ما انتهت فترة الهدوء التى نعم بها جمال عبد الناصر و  
بعد انسحاب القوات المعتدية عام ١٩٥٦ ، وتمصير الممتلكات  
والفرنسية ، ورفض الدول العربية جميعا لمشروع ايزنهاور ، وعلان  
ظهور الجمهورية العربية المتحدة ، وعدم تردى الامور مع  
السوفييتى الى الحضيض رغم خلافات ١٩٥٩ فقد عبرت الدولتان  
بالاتفاق على اتمام المرحلة الثانية للسد العالى ، ومواصلة التعاون  
والاقتصادى ، وكذلك عودة العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية  
طبيعتها بعيدا عن التوتر ، واستقرار الهدوء على الحدود المصرية الاسر  
سرعان ما انقضت هذه الفترة من الهدوء والانصراف  
الجمهورية العربية المتحدة ونظامها التقدمى تحت ضغوط شديدة مختل

#### الانفصال :

كان انفصال سوريا عن مصر ، وفشل أول تجربة للوحدة ، أول  
سياسية تلحق بجمال عبد الناصر ، بعد سنوات صعود خارقة .

وقع الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ بعد شهرين تقريبا من  
قوانين يوليو الاشتراكية ، وكان ذلك تأكيدا بأن الرجعيين الذين عام  
هذه القرارات ، قد قرروا رفض الاستكانة للنظام الذى حقق للبرجوا  
سوريا نموا واستقرارا لم نشهده فى سنوات الانقلاب المتعددة  
انقلابات فى خمس سنوات من ١٩٤٩ الى ١٩٥٤ ) .

نجحت أول محاولة انقلابية تمت فى عهد الوحدة . فلم تكرر  
محاولات جادة سابقة ، ولم يحاكم ضابط سورى بتهمة تدبير انقلاب  
كان السبب الرئيسى فى ذلك هو تفريغ الجيش من الضباط  
توافرت لهم ميول او ارتباطات سياسية سيواء من البعثيين او الش  
أو أصحاب الميول الاخرى ، بعد أن قطعت ثورة يوليو خيوط الاتصال  
وبين الاحزاب السياسية التى لعبت دورا وطنيا فى حياة الشعب الس  
وقد اعترف جمال عبد الناصر بهذا الخطأ اثناء محادثات الى  
الثلاثية عام ١٩٦٣ عندما قال ( ان حل الاحزاب السورية على ا  
مشاربها سار بسرعة شديدة ( وماكانش صح ) على حد تعبيره .  
وقال ايضا فى نفس المحادثات ( احنا فى سنة ١٩٥٨ كان لازم  
اسلوب آخر وهو حل الاحزاب التى لا تتفق فى الهدف ، ثم تجميع ا

الآخري التي تجمعها وحدة الهدف ٠٠ الاحزاب القومية تكون هي الطلائع الثورية فى جبهة قومية تسير على هدف واحد ) ٠

لم يبق فى الجيش السوري الا الضباط الذين لم تكن لهم ارتباطات سياسية نشطة فى الماضى ٠٠ وكانت تجربة تفريغ الجيش المصرى من العناصر المهتمة بالسياسة بما فيهم معظم الضباط الاحرار ، قد طبقت فى الجيش السوري ايضا ٠

وكانت الرجعية السورية قد استكانت لنظام الوحدة لما وفره لها من استقرار وارباح ٠٠ ولايعاده شبح حدوث تغيرات اجتماعية حادة يتعاون فى قيادتها البعثيون والشيوعيون والديمقراطيون التقدميون ٠٠

ولكن صدور قوانين يوليو فجر كل التناقضات التي كانت نائمة تحت السطح ، ودفع العناصر الرجعية فى الجيش وخارجه الى التحرك والمغامرة ، فى وقت كان أسلوب الحكم فيه قد خلق مقاومة ضد تصرفات القيادات المسؤولة فى القوات المسلحة ، ووزارة الداخلية التي اتسمت رفاتها بالبعد عن الانسانية فيما اشتهر عنها من اعتقالات وتصفيات بدنية للمعارضين ، كما حدث مع الشهيد فرج الله الحلو سكرتير الحزب الشيوعى اللبنانى الذى اعتقل وقتل وأذيب جسده فى الاحماض لضياح معالم الجريمة ٠

وانتهزت العناصر الرجعية وقوع خلاف بين المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعبد الحميد السراج وعجز جمال عبد الناصر عن التوفيق بينهما ، ثم استقالة السراج من منصبه وهو الذى كان قد وفر أجهزة أمن تسربت الى معظم قطاعات المجتمع ، وفجأة لم تعد لها قيادة ٠٠ وتحركت هذه العناصر لتوجيه ضربتها لأول تجربة للوحدة فى تاريخ العرب الحديث ٠

كان عبد الحكيم عامر موجودا فى دمشق وقت وقوع الانقلاب ٠٠ وبعض الذين شاركوا فيه كانوا اعضاء فى هيئة مكتبه ( عبد الكريم النحلاوى ) ، وكان هذا دليلا على قصر نظره ، وعدم ادراكه بالاضطراب المحيطة به ، وانتهاجه اسلوبا بعيدا عن الثورية والقدرة على توجيه الامور ٠

عد الضباط الذين شاركوا فى الانقلاب كانوا ٣٧ ضابطا فقط ٠٠ وهى قلة ضئيلة جدا ما كان يمكن لها ان تنجح لو كان فى الجيش ضباط ثوريون من ذوى المبادئ الوحديية والتقدمية ٠

وثبت ان احد زعماء الانقلاب ( حيدر الكزبرى ) كان على صلة وثيقة بالنظام الاردنى والملك حسين الذى امدّه بالمال والتأييد ٠٠

وكان الملك حسين والملك سعود قد اتفقا على ضرب الوحدة ٠٠ وثبت فيما بعد أن الملك سعود قد مول الانقلاب بمبلغ ١٢ مليون جنيه كما صرح الملك نفسه بعد عزله من عرشه ولجؤه الى مصر ، وثبت ايضا بعد سقوط حكومة الانقلاب الاولى وتقديم بعض اعضائها للمحاكمة فيما عرف باسم

( قضية الدندشي ) ان عملاء المخابرات المركزية الامريكية قد لعبوا دورا في مؤامرة الانفصال .

كانت قمة الاتحاد القومي قد اسهمت في المؤامرة أيضا ، فقد عين مأمون الكزبري سكرتير الاتحاد القومي في دمشق رئيسا لوزراء حكومة الانفصال ، وله سابقة معروفة في تاريخه فقد عين رئيسا للجمهورية السورية لمدة ٢٤ ساعة بعد انقلاب الشيشكلي في محاولة لاستمرار خطه واسلوبه ، ولكنه ابعد امام ضغط الاحزاب الوطنية التي استولت على الحكم بعد ابعاد الشيشكلي .

والغريب ان مأمون الكزبري كان صديقا شخصيا لعبد الحميد السراج . وعندما عرف بعض الضباط الوطنيين الذين شاركوا في عملية الانفصال الدور الذي قام به حيدر الكزبري متعاوننا مع النظام الملكي في الاردن قاموا باعتقاله في سجن المزة .

اثبتت عملية الانفصال التي تمت بسرعة خارقة خلال ٢٤ ساعة ان هناك تدبيرا عريضا شمل المخابرات المركزية الامريكية ، والنظاميين الملكيين في السعودية والاردن ، والعناصر الرجعية داخل اجهزة الحكم وقواته المسلحة .

وفقد جمال عبد الناصر سوريا في غمضة عين ، وهو الذي كان يعشقها عشقا خاصا ، ولا تضيق من ذاكرته استقبالات الشعب السوري له وحمل عربته فوق الاكتاف في حلب . . . وحاول في اللحظات الاخيرة ان يتدخل عسكريا لمنع اتمام الانقلاب ولكنه تراجع عن ذلك امام وضوح الموقف له بعد انتقاله الى مكتب مدير الاذاعة لأول مرة في حياته .

كانت صدمة شديدة لعبد الناصر . .

ويعبر محمد حسنين هيكل في كتابه ( عبد الناصر والعالم ) عن حالة جمال عبد الناصر في هذه الفترة بقوله :

( تالم عبد الناصر اشد الالم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولي عن حلمه بالوحدة العربية ولم يكتب لها ان تبعث في حياته ، ومن هنا فانه عندما سمع بتورط وكالة المخابرات المركزية الامريكية في المؤامرة ، احس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كنيدي يتقرب منه فما الذي يدفع وكالة المخابرات المركزية الى العمل ضده ؟ ) .

الضغوط على النظام كانت تنبعث أساسا من المخابرات المركزية الامريكية رغم العلاقات الحسنة ظاهريا بين جمال عبد الناصر وكنيدي .

ولا شك ان أول هزيمة سياسية يتعرض لها جمال عبد الناصر قد أفقدته الكثير من شعبيته المدعمة بانتصارات متتالية ، وأوضحت له ان طبيعة نظامه ليست مستقرة على أسس راسخة . .

وفي هذه الفترة الحرجة التي اعقبت الانفصال تلقى عبد الناصر في نوفمبر رسالة شؤوية من كنيدي عن طريق السفير جون بادو يشير فيها الى ما اسماه ( سباق التسلح ) في المنطقة ، والى ان بعض



اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى يدعون ان امريكا تساعد عبد الناصر على شراء الاسلحة ، وحجتهم فى ذلك ان اعطاء الفصح لمصر بناء على القانون الامريكى ٤٨٠ يمكن عبد الناصر من توفير عملة صعبة لشراء الاسلحة .

وكانت مدة الاتفاق على القانون قد أوشكت على نهايتها ( ثلاث سنوات بدأت عام ١٩٥٩ ) .

بدأ عبد الناصر يرتاب فى صدق نوابا كنيدي ، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه ( عبد الناصر والعالم ) حيث مرت لحظات ( كان يعتقد خلالها ان الفوضى مقصودة لتتيح لذرار من ذراعى حكومة الولايات المتحدة ان تتبع سياسة ودية بقصد منها ان يكون سنارا ، بينما نعمل الذراع الاخرى ضد مصر ) .

ولم يكن الانفصال هزيمة لحلم الوحدة العربية فقط ، ولكنه كان ضربة شديدة للموقف العربى تجاه اسرائيل .

قبل ايام من الانفصال كان جمال عبد الناصر يخطب فى شباب وعمال سوريا يوم ١٧ اغسطس ١٩٦١ ويقول لهم انه يقرأ ما تذييه محطة اسرائيل ويجد كل توجيهها وهدفها هو اثاره الاقليمية ( لان اسرائيل تعتبر الوحدة خطرا عليها ، وان معنى الوحدة العربية فناؤها ، وان بقاءها قد يطول اذا اسنمر الخلاف فى داخل الامة العربية ) .

ولكن الخلاف وصل الى الانفصال فعلا ، وتحطمت الكماشة العربية الشى كانت تحيط باسرائيل ، وتستطيع ان تطبق عليها عسكريا .  
وظهرت الى السطح الخلافات المصرية السورية حول الموقف من اسرائيل خلال اجتماع الجامعة العربية فى شتورا صباح ٢٢ اغسطس ١٩٦٢ والذى حضرته وفود ١٢ دولة ، وتخلفت العراق ولم ترسل وفدا .

انضم امين النافورى الضابط ووزير الوحدة السابق الى الوفد السورى فى الجلسة السادسة لىواجه زملاءه اكرم دبرى وجادو عز الدين اعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة ، وبدأ حديثه باتهام مصر بالتخاذل لقبولها قوات الطوارئ الدولية ، مسفها قول المشير عامر بان هذا يوفر على مصر تكاليف المواجهة الى ان تستعد مصر تماما لمناطحة اسرائيل .

ويتمادى امين النافورى فى هجومه فيتهم مصر بانها تساعد اسرائيل بطريق غير مباشر عندما تتقاعس فى الهجوم عليها ، وتدخل فى ذلك حساسات عبر عنها انها - غير صحيحة - ودلل على ذلك بقوله ( القذف الجوى بأحسن الشروط وعلى الارتفاعات المتوسطة لا يحدث نخريبا اكر من ه فى المائة فى المطارات وفى الاجهزة ، واذا ما بدخلت الطائرات المقاتلة انعدمت فعالية القذف الجوى لاعتبارات نفسية وانسانية تتعلق بالسلامة الشخصية لافراد القاذفات ) . ويؤكد امين النافورى رايه بالقول ( وعلى كل حال حسب معلوماتى ان قوات الجمهورية العربية المتحدة تستطيع سحق اسرائيل حتى ولو دعمت بالمساعدة الفرنسية التى كانت عام ١٩٥٦ ، وهى

فرقة مدرعة خفيفة ولواء جوى ) ،  
وانطلاقاً من هذا المنطق الذى نشرته كاملاً فى الجزء الثالث من قصة  
ثورة ٢٣ يوليو ( عبد الناصر والعرب ) ٠٠ هاجم أسعد محاسن عضو الوفد  
السورى مصر وقال ( ان حياد القاهرة الابجائى هو بين اسرائيل والعرب  
فقط ) ٠٠ وتناقض ذلك مع حملة الدعاية السورية المضادة لحكم القاهرة  
والتي وصلت قممتها باتهام اكرم الحوراني لجمال عبد الناصر ( بالتخاذل  
وتنفيذ المخططات الامريكية فى المنطقة ومساعدة اسرائيل بطريق غير  
مباشر ) ٠

كانت قضية الخلاف هي محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الاردن ،  
وقد نقلت فى ( عبد الناصر ٠٠ والعرب ) بعض ما دار فى جلسة المناقشة  
كما وردت على لسان امين النافورى فى البيان الذى أدلى به فى مؤتمر  
شتورا ٠

وأعيد نشر بعض ما سبق ذكره لأدلك على انه كان هناك خلاف عميق  
فى اسلوب التعامل مع اسرائيل بين حكام مصر والمسؤولين فى سوريا ٠  
قال المشير عامر ( ان الذى يخشاه ليس اسرائيل ، بل القوات الغربية  
التي تدعم اسرائيل ) ونوه بالعدد المتزايد لقوات اسرائيل ٠

فأجبت - اى امين النافورى - ( اننا نعرف قوات اسرائيل معرفة  
دقيقة ، ونعرف جيداً العدد الصحيح الذى تستطيع تجنيده من النساء  
والرجال ، ولدينا سجلات عن امكانيات اسرائيل العددية ، ولا يتجاوز الخطأ  
فيها نسبة ٥ فى المائة ، وليس هناك ما يقلق ابداً من جهة اسرائيل ، سواء  
كان من حيث عدد القطعات او من حيث التجهيز والمعدات ) ٠  
وهكذا يتبين ان التبسيط كان طابع المناقشة ، وان الرغبة فى التجريح  
كانت الدافع الحقيقى لاثارة هذه القضية الشديدة الحساسية والبالغة  
السرية فى اجتماعات علنية عامة ، لا ينجم عنها سوى الاساءة لنظام مصر ،  
ورضعه تحت ضغط المزايدة والمبالغة ٠

ولكن العقلاء فى سوريا لم يتركوا الامور تتردى الى الحضيض ، ولم  
تدفعهم شهوة الاساءة لعبد الناصر الى اشاعة البلبلة لدى النفوس ، فقد نشر  
صلاح البيطار فى جريدة البعث يوم ١٨ اغسطس ١٩٦٢ مقالا عن تحويل  
مجرى نهر الاردن قال فيه :

( من حق الناس ان يسألوني . هل تكون عندك خلال هذه المناقشات  
ومن خلال الحوادث التي تعاقبت فيما بعد شهور ان عبد الناصر او المشير  
او الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة يخطط لتصفية القضية الفلسطينية ؟

وجوابى : لا ، وهو ذات الجواب بالنفى الذى كنت اعلنه فى عهد  
الوحدة والذى اعلنته فى عهد الانفصال ) ٠

وانتهى تناطح شتورا بانقلاب مارس ١٩٦٣ الذى قاده البعث وتولى  
فيه صلاح البيطار رئاسة الوزارة السورية والذى بادر بإرسال كتاب الى  
امين الجامعة العربية يطلب فيه باسم حكومة الجمهورية العربية السورية  
اعتبار شكواها السابقة ضد مصر كأنها لم تكن وعرجو حذفها من جدول

أعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية .  
طويت صفحة الذين دبوا الانفصال ، وتحسنت علاقات القاهرة مع دمشق ، ولكنها أبدا لم تعد الى ما كانت عليه قبل الوحدة من حيث تزواج القوات المسلحة ، ونوحيد الخط ، ووحدة القيادة في المعركة ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية .  
واستمر الانفصال ندبا غائرا في جبهة الجمهورية العربية المتحدة التي احتفظت بالاسم تعبيرا عن سمو الهدف ، ولكنها في الحقيقة كانت مصر فقط .

وعندما سقط عبد الكريم قاسم في العراق ( فبراير ١٩٦٣ ) وسقط حكم الانفصال في سوريا بعد شهر واحد ، بدأت محادثات الوحدة الثلاثية التي لم تصل الى نتيجة ايجابية ، لما تركته تجربة التعامل بين ثورة يوليو وحزب البعث من اثار نفسية وسياسية في كلا الطرفين .  
ولم يؤد الانتصار في الجبهة الشرفية الى تلاحم حقيقى مع مصر . .  
وظل الانفصال شبحا يهدد أى خطوة وحدوية جديدة . . وقيدا يعرقل حركة ثورة يوليو في هذا الاتجاه . . وضغطا سياسيا يعانى منه النظام .  
ثورة اليمن . .

قبل ان يكتمل العام بيومين على انفصال سوريا من الجمهورية العربية المتحدة ، اذاع راديو صنعاء في الخامسة مساء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ بيانا اول تعلن فيه قيادة الجيش سقوط الملكية في اليمن وفيام الجمهورية العربية اليمنية .  
ولم يكن الامر مفاجئا لجمال عبد الناصر وعدد من ضباط المخابرات ، فقد كانت هناك صلات بين بعض الثوار اليمنيين وبعض المسئولين في القاهرة .

وارسل قادة الثورة اليمنية وفدا الى مصر لطلب المساعدة من جمال عبد الناصر في الايام الاولى للثورة . . ويقول حسن ابراهيم ان جميع اعضاء مجلس قيادة الثورة لم يعترضوا على فكرة مساعدة الثورة اليمنية عندما عرض جمال عبد الناصر الامر عليهم بصفتهم الشخصية .

كانت قيادة الثورة بعد مرارة النكسة تبحث عن انتصار سياسى يعيد لها التالى ، والكلمة المؤثرة في الوطن العربى . . ولذا كان التردد أمام مساعدة ، لثورة اليمنية امرا غير مفهوم ولا مقبول ، وخاصة انه لم يكن امام الحركة الانتقالية في صنعاء من سبيل لدعم موقفها سوى ثورة يوليو ، فقد كان البريطانيون في الجنوب والسعوديون في الشمال .

وصل انور السادات الى اليمن في الاسبوع الثانى من اكتوبر حيث وقع معاهدة نفاع مشترك بين مصر واليمن ، وكانت قد وصلت قبله ٣ طائرات حربية وقوات من الصاعقة تحركت من السويس يوم ٥ اكتوبر وافرادها يلبسون قمصانا بيضاء وبطولونات رمادية . . ( وفى الباب الرابع من الجزء الثالث لقصة ثورة ٢٣ يوليو ) تفصيل للحركة السياسية بين القاهرة وصنعاء .

كان نجاح الحركة الانقلابية في اليمن ، ومبادرة مصر لمساعدتها ، نقطة تحول في المنطقة ، بعد ان انشقت الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا ، فقد ظهرت فرصة لوقف المد الرجعي في المنطقة ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربي ، وتخطيم نظام رجعي متهالك ، وحماية ظهر النوار في جنوب اليمن ضد الاحتلال البريطاني .

ويقول زكريا محيي الدين انه لم تكن هناك مناقشة مطلقا حول مبدأ مساعدة الثورة اليمنية بارسال قوات مصرية ، وانما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط في الحرب . ولم يكن جمال عبد الناصر بالتأكيد راغبا في تورط القوات المسلحة المصرية فوق جبال اليمن وفي اعماق الوديان ، ولكنه دفع الى ذلك دفعا ، واتخذت القوى المعادية من اليمن جرحا تستهدف به طاقات ثورة يوليو ، وتضع النظام في القاهرة تحت ضغط شديد .

ولم تكن علاقة مصر مع الولايات المتحدة سيئة عندما قامت ثورة اليمن . فالخطابات كانت مازالت متبادلة بين كنيدي وعبد الناصر رغم شكوك الأخير في اشتراك المخابرات المركزية الأمريكية في انفصال سوريا بالتعاون مع النظم الملكية والرجعية العربية ، قبل ان تظهر قضية الدندشي صدق هذه الحقيقة بعد انهيار انقلاب الانفصال .

كتب انطوني ناتج في كتابه ( ناصر ) يقول ان جمال عبد الناصر قد طلب من السفير الأمريكي جون بادو أية ملفات عن اليمن ، ولم يجد السفير الا ملفا قديما من السفارة الأمريكية في صنعاء . وكانت أول رسالة يتعرض فيها كنيدي للموقف في اليمن مؤرخة في ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ ويقترح فيها الابي كما وردت في كتاب محمد حسنين هيكل ( عبد الناصر .. والعالم ) .

١ — الاجلاء المرحلي والسريع للقوات الاجنبية من اليمن .  
٢ — انتهاء العون الخارجي للملكيين .  
٣ — الاجلاء المرحلي والسريع للقوات التي ادخلت — بعد الثورة في اليمن — الى منطقة الحدود السعودية اليمنية .

واقترح كذلك ان تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا تعلن فيه استعدادها للقيام بفك اشتباكها على اساس المواجهة بالمثل ولسحب قواتها بسرعة وعلى مراحل اذا انسحبت القوات السعودية والاردنية من الحدود وأوقف العون السعودي والاردني عن الملكيين اليمنيين .

وقد رد عليه جمال عبد الناصر في نفس اليوم حرصا منه فيما يبدو على تأكيد اهمية الوصول الى حل لهذه المشكلة التي كانت قد بدأت تقرض نفسها على الوطن العربي .

وقال جمال عبد الناصر انه يخرج بالخلافات العربية عن نطاقها المحلي لأول مرة ، ويستجيب لرسائله نظرا لما يعرفه واكده له السفير الأمريكي جون بادو من ارتباطات كنيدي الوثيقة بالملكة العربية السعودية .

وأشار فى خطابه الى البيان الذى أذيع من القاهرة فى الساعات الاولى من يوم ٢٧ سبتمبر ( بصروره عدم التدخل الخارجى فى شئون اليمن ، وترك الشعب العربى اليمنى حرا فى اعمال ارادته وصياغتها نهائيا على النحو الذى يريده ) .

وفتح جمال عبد الناصر صفحة التدخل السعودى الاردنى المشترك لمساندة الملكيين ضد النظام الجمهورى فى اليمن قائلا انها قد اندمجا بهذا - التصور غير الصحيح - وخاصة الملك سعود فى محاولة لغزو اليمن . . . وأشار عبد الناصر الى الطيارين السعوديين الاحرار الذين كلفوا بأعمال عدوانية ضد ثورة اليمى فعادوا طائرا بهم الامريكية الى القاهرة وحملوها من الاسلحة والذخيرة معبأة فى صناديق المعونة الامريكية .

كما صارع جمال عبد الناصر كندى بان الجمهورية العربية المتحدة تملك وثائق تثبت ان بعض الطيارين الامريكيين قد اشتركوا فى عمليات نقل العتاد ما بين الاردن والسعودية الى حدود اليمن ، ومع ذلك فقد التمس عبد الناصر العذر لهم لعلهم ( تحت عقود ملزمة ، وفى اطار ظروف فرضت عليهم ، وربما لم نكن ابعاد المسئولية فيه واضحه امامهم ) .

ويحرص جمال عبد الناصر على توضيح رغبته فى السلام ، ومحاولته بالوسائل الدبلوماسية تحقيق ابتعاد خارجى عن اليمن ، وانه اضطر الى ارسال قوات عسكرية بناء على طلب حكومة اليمن .

ويقول فى خطابه ( ان الجمهورية العربية المتحدة لم تكن تريد حربا مع السعودية على حدود اليمن ، فان الخلاف التاريخى بين حكومة المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، ليس خلافا من نوع يحسمه الصدام المسلح ، انما الخلاف أعمق من ذلك ، فان جذوره ضاربة فى أعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة فى العالم العربى ) .

لم تصل الخطابات المتبادلة الى نتيجة عملية ، ولم توفر السلام للمنطقة . . . ومع ذلك اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ بينما رفضت بريطانيا الاعتراف لان ثورة اليمن كانت تشكل تهديدا للاحلال البريطانى فى عدن ، فى وف كانت الولايات المتحدة فيه تحاول تثبيت اقدامها فى المنطقة .

واستمر القتال دائرا لم يتوقف بين قوات الجمهورية اليمنية تساندها القوات المصرية ، وبين قوات الامام المدعومة بالقوات السعودية والاردنية والمرتزقة ورجال المخابرات الامريكية .

فشلت محاولات جمال عبد الناصر المتكررة لوقف القتال وسحب القوات من اليمن ، أمام الخطه المشتركة الى تنفيذها السعودية فى عهد الملك سعود ثم فى عهد فيصل من بعده .

وكان مؤتمر القمة الاول الذى عقد فى القاهرة فى ٢٣ يناير ١٩٦٤ قد اخذ توصية بتصفية الجو بين مصر والسعودية ، بعد أن كانت العلاقات

قد تحسنت بين القاهرة وعمان ، ولكن مضت الشهور دون أخذ خطوات  
إيجابية في هذا السبيل .

كان فيصل أميراً أو ملكاً شديداً التشبث بموقفه ٠٠٠ عندما قررت  
الجامعة العربية إرسال بعثة خاصة في أكتوبر ١٩٦٢ لمقابلة أنصار الإمام ،  
أقام فيصل العراقيين في طريقهم . وعجزت البعثة عن مقابلتهم .  
واستضافت السعودية الأخوان المسلمين المعارضين للنظام  
في مصر ٠٠ وبعض المصريين الهاربين والمعانين مع وكالات المخابرات  
الغربية ٠٠٠ واستضافت مصر لفترة الأمير طلال بن عبد العزيز الذي كان  
يطالب بحد أدنى من الديمقراطية في السعودية ، وذلك بعد لجوء بعض  
الطيارين السعوديين والأردنيين إلى القاهرة .

وخلال عام ١٩٦٣ أعلنت السعودية رفضها قبول المحمل وكسوة  
الكعبة وهو تقليد مصري قديم ٠٠٠ محاولة بذلك إثارة المشاعر الدينية  
ضد جمال عبد الناصر .

وكان موقف مصر من السياسة العربية قد تحسن قليلاً ، بعد سقوط  
عبد الكريم قاسم في العراق ، وأنهيار حكم الانفصال في دمشق ، وبدء  
محادثات الوحدة الثلاثية والتحضير لمؤتمرات القمة العربية في  
القاهرة .

وقام جمال عبد الناصر بزيارته الأولى لليمن بعد ثلاثة شهور من  
مؤتمر القمة الأول فسافر في ٢٣ أبريل ١٩٦٤ ومعه عبد الحكيم عامر  
وزكريا محيي الدين وأثور السادات .

قال لي زكريا محيي الدين انه لاحظ أهمية الدور الذي تلعبه القوات  
المسلحة المصرية في تأمين الثورة اليمنية ، بما ترك انطباعاً عنده بأن  
انسحاب القوات دفعة واحدة قد يؤدي إلى انهيار الجمهورية .

وكان من نتائج مؤتمر القمة أن قام عبد الحكيم عامر بزيارة عمان  
في شهر يوليو ١٩٦٤ وخلالها أعلن الملك حسين أنه سوف يسحب  
مساعداته للملكيين . وكان ذلك عقب تصريح أصدرته الحكومة البريطانية  
في نفس الشهر تعلن فيه أن اليمن الجنوبية سوف تحصل على استقلالها  
ليس متأخراً عن عام ١٩٦٨ .

وقام الملك حسين بزيارة مصر في شهر أغسطس :

وهنا قدر الأمير فيصل حرج موقف السعودية بعد انسحاب الأردن  
من قضية اليمن ، وعجز الملكيين عن تحقيق انتصار كامل على الجمهوريين  
فاستجاب لروح وتوصية مؤتمر القمة التي كانت تتعارض مع إرادة الملك  
سعود ، فأرسل رسالة إلى عبد الناصر في سبتمبر يبدى فيها استعداد  
لناقشة وقف إطلاق النيران .

وفي مؤتمر القمة الثاني رأس الأمير فيصل الوفد السعودي بعد أن  
كان الملك سعود قد رأسه في المؤتمر الأول ٠٠٠ والتقى فيصل والسلال ٠٠٠  
وأبلغ فيصل عبد الناصر قرب عزل الملك سعود ، الأمر الذي نفذ فعلاً في  
٣ نوفمبر ١٩٦٤ وأصبح فيصل ملكاً للسعودية ، وسافر زكريا محيي الدين

لتهنئته بمنصبه وكانت خطوة في سبيل تهدئة الموقف ... أسفرت عن صدور قرار أعلن فيه الطرفان يوم ٥ نوفمبر قبول وقف إطلاق النار ، عقب اجتماعات كانت قد تمت بين الملكيين والجمهوريين في أركويت بالسودان خلال شهر أكتوبر .

ولكن الاتفاق لم ينفذ ... خرج عليه أنصار الإمام وأطلقوا النار من الجبال على الجيش المصري ... وما كان ذلك ممكنا لولا مباركة السعوديين له ... وحدثت وساطات للتهدة قامت بها الاردن والكويت والجزائر .

ويادر جمال عبد الناصر - رغم كل شيء - بالذهاب يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى جدة لمقابلة الملك فيصل ومعه زكريا محيي الدين .

قال لي زكريا محيي الدين أن جمال عبد الناصر كان حريصا على عودة السلام الى اليمن ، وأنه لم يتردد مطلقا في الذهاب الى السعودية عندما وجد أن ذلك يحقق هدفه الكبير .

وقال لي أيضا أن جمال عبد الناصر كان يود أن يذهب الى مؤتمر الفعة الثالث في الدار البيضاء الذي كان مقررا عقده بعد ثلاثة أسابيع من الزيارة ، ومشكلة اليمن لا مكان لها في جدول الاعمال ، ولا في مناقشات المؤتمر الجانبية ... ولذا فإنه رغبة منه في ازالة اية مصاعب تعترض الاتفاق استدعى السلال الى القاهرة في أكتوبر ١٩٦٥ ليرطب نفسية السعوديين ويقلل من ثغرة الخلافات .

قال لي اللواء طلعت حسن القائد العام للقوات المصرية والذي عين في يوليو ١٩٦٦ ان المجموعة الحاكمة بعد السلال كانت تتأمر على الوجود المصري بصلات سرية مع السعوديين والامريكيين ، وانها تمثل ردة رجعية عن أهداف الثورة ، ولذا طالب بعودة السلال .

ويمكن الرجوع الى تفاصيل الموقف داخل اليمن في الفصل الثالث من باب اليمن في كتاب ( عبد الناصر ... والعرب ) .

القتال لم يتوقف رغم مؤتمر حرض ... ورغم ذهاب جمال عبد الناصر لمقابلة فيصل في جدة .

استنزاف طاقة مصر كان خطة امبريالية مدبرة ، أسهمت فيها القوى الملكية والرجعية في المنطقة .

قال لي جمال عبد الناصر في مقابلة معه بعد عدوان ١٩٦٧ ( لقد أرسلت سرية الى اليمن اضطرت الى تعزيزها بسبعين ألف جندي ) .

حاول جمال عبد الناصر كثيرا أن يتفادى الانزلاق الى هذا الشرك ولكنه كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل .

أولا ... تدخل بريطانيا خوفا على مواقعها في عدن ، وأرسالها بعثة عسكرية لتنظيم الجيش السعودي .

ثانيا ... تدخل حكومة الولايات المتحدة تدخلا مباشرا فيما عرف باسم ( حرب كומר ) وهو ضابط المخابرات الامريكي السابق ( روبرت كומר ) الذي عينه جون كنيدي قائدا لما عرف باسم ( قوة واجب ) قاد فيها المرتزقة لصالح السعوديين والملكيين ... كما قامت بامدادها بالأسلحة والذخيرة والتأييد .

ثالثا ٠٠٠ تخوف حكام السعودية على نظامهم الملكي وتورطهم مع القوى الاستعمارية لمساندة فلول الاماميين من اتباع البدر ٠٠٠ وعدم استجابتهم الى محاولات جمال عبد الناصر الصادرة لاقرار السلام وسحب القوات الأجنبية .

رابعا ٠٠٠ الاخطاء التي ارتكبتها بعض القيادات المصرية خلال القتال نتيجة نقص المعلومات وضعف التدريب على حرب الجبال ، والتسبب الذى فرضته ظروف البعد عن مصر وأسلوب المشير عامر وهينة مكتبه فى معاملة الضباط .

خامسا ٠٠٠ التزام جمال عبد الناصر بموقفه الثورى فى تأييد حركات التحرير الوطنى بكل ما يملكه من طاقات رغم ما يحفل به ذلك أحيانا من نواقص وتناقضات تتمثل فى الاعتماد على ضباط المخبرات وعدم وجود كادر سياسى قادر ، وغيبة التنظيم .

استمر القتال فى اليمن خمس سنوات تقريبا اثرت على القدرة القتالية للقوات المسلحة حيث ضعف التدريب وتراخى ، واستهلكت طاقة الجنود فى حرب عصابات لم يألوها ٠٠ نشرت النيويورك تايمز يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ ان ٥٠٠٠ جندي قاموا بالهجوم على الملكيين وخسرت القوات المصرية ما يقرب من ١٠٠٠٠ جندي .

كما استنزفت حرب اليمن اقتصاد مصر ٠٠ ولكن هذا لم يكن امرا اختياريا ٠٠ كانت هذه هى خطة الامبريالية لحصار النظام فى مصر واجباره على الخضوع .

هذا الضغط الشديد الذى تعرض له النظام لم يؤد الى ركوعه وخضوعه للامبريالية ، ولكنه استطاع المقاومة ٠٠٠ والقول بأن مساعدة ثورة اليمن قد استنزفت مصر تماما وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة هو قول مبالغ فيه كثيرا ٠٠٠ فان مساعدات الأسلحة ووسائل النقل السريع كانت من الاتحاد السوفيتى وقد اعطيت مجانا ٠٠٠ والأمور لم تصل فى مصر الى حافة الازمة لنمو خطة التنمية ٠٠٠ والذين يثيرون القول بأن ما صرف من اموال فى التنمية كان كافيا لرفع مستوى الشعب يعيشون فى وهم التصور بأن النظام المصرى كان يمكن له أن يواصل عمليات التخطيط والبناء والتنمية وهو مغلق ابوابه على نفسه .

ويقول زكريا محيى الدين أحد دعاة الاهتمام بالامور الاقتصادية وعدم نسجها بالقضايا السياسية ان صعوبة الموقف الاقتصادى لم تكن كلها كامنة فى اليمن ، وانسحاب القوات المصرية جميعها لم يكن ليحقق انفراجا حقيقيا للاقتصاد المصرى .

ومع ذلك فان حرب اليمن كانت ضغطا من الضغوط الشديدة التى تعرض لها النظام فى مصر ٠٠٠ والتى كسبت منها اسرائيل اساسا ٠٠ فان القوات المسلحة بعد أن كانت قد وصلت الى ذروة التدريب والكفاءة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٣ كما أكد لى الفريق عبد المحسن مرتجى حيث كان قد تطور تسليحها واكتمل تنظيمها وارتفع تدريبها على



مبادئ القتال العصرية ثم عادت فتراجعت تحت ضغط الظروف الطبوغرافية في اليمن ، وطبيعة الأرض التي لا تتشابه مع أرض سيناء ، وظروف المعركة التي كانت تدفع الوحدات الى الثبات والاستقرار لتعذر تدريجها أو قيامها بمناورات ، وعدم مواجهتها العدو في معركة تصادمية .

كل ذلك أضعف من تدريب الوحدات وقدرتها القتالية في وقت زاد فيه عددها حتى بلغ ٧٠.٠٠٠ جندي كما قال لى جمال عبد الناصري ما يعادل ثلث القوات المسلحة المصرية تقريبا .

ولذا شكلت حرب اليمن ضغطا اقتصاديا على النظام ، واثرت ايضا في قدرة القوات المسلحة على مجابهة أى غزو اسرائيلي ٠٠٠ كما ان عدم تسجيل أى انتصار سياسى أو عسكري لمدة خمس سنوات تقريبا قد اثر على النظام وعلى سحر شخصية عبد الناصر .

### المشاكل الداخلية :

لا يوجد نظام بعيد عن المشاكل الداخلية ٠٠٠ ولا يمكن تحقيق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى قفزا فوق هذه المشاكل .  
ولكن اسلوب ثورة يوليو في تشكيل المجتمع والتجارب التي خاضتها للوصول الى ( صيغة ديمقراطية ) ، والتغيير المتكرر في تكوين تنظيم سياسى ( هيئة التحرير - الاتحاد الوطنى - الاتحاد الاشتراكي ) ، واقصاء قوى سياسية وطنية وتقدمية عن مجال العمل السياسى ، وعدم الاعتماد على تخطيط علمى مدروس ( خطة خمسية واحدة ) ، وعدم اعطاء الثقافة دفعة قوية تصل بها الى الجماهير فى شتى انحاء الجمهورية .

كل هذه العوامل وغيرها أثبتت كثيرا من المشاكل الداخلية التي لا يمكن القول بانه كان يمكن تجنبها تجنبيا كاملا ، وانما كان يمكن أن تظهر بصورة بسيطة لا تهز المجتمع أو تؤثر فيه تأثيرا عميقا .  
وقد أفرخت كل هذه المشاكل من نقص الديمقراطية والاعتماد شبه المطلق على تقارير أجهزة الأمن وما قد تحويه أحيانا من صواب وأحيانا من أخطاء .

انجازات ثورة يوليو في مجال الديمقراطية كانت فقيرة ٠٠٠ مجلس الامة الاول انتخب عام ١٩٥٧ بعد خمس سنوات من الثورة ، ثم سرعان ما انفض مع قيام الوحدة ( فبراير ١٩٥٨ ) ليشكل مجلس جديد بالاختيار عام ١٩٦٠ من ٤٠٠ عضو مصرى ، ٢٠٠ سوريا ، وبعد الانفصال تكون مجلس جديد عام ١٩٦٤ .

مجلس ١٩٥٧ كان من حق الاتحاد القومى أن يشطب أسماء المرشحين ، وأن يخلى الدوائر لأسماء معينة ، ولذا فإن ما قاله لى زكريا محبى الدين من أن الانتخابات كانت حرة ونزيهة الى الحد الذى أسقطت فيه والد كمال الدين حسين ، وشقيق زوجته هو شخصيا ، لايعنى أن الثورة قد انتخبت مجلسا ديموقراطيا سليما .

ومجلس ١٩٦٤ كان خطوة الى الامام فى طريق الديمقراطية ، فلم يحدث اعتراض أو شطب للمرشحين ، ولكن عضوية الاتحاد الاشتراكى كانت قيداً وحاجزاً فى الطريق .

ومع ذلك فان هذه المجالس لم تتفاعل مع المجتمع تفاعلاً ديمقراطياً يكسبها ثقة الجماهير ولم تعرف نظام المعارضة ولم تؤد دور الرقابة الشعبية السليمة ، التى تكشف الاخطاء والانحرافات وتقدم العلاج . . . . قليلة هى الاصوات التى ارتفعت بالنقد . . . بل لم تناقش أو تحط علماً بقرارات خطيرة مثل دخول القوات المصرية لليمن أو مسار محادثات الوحدة الثلاثية مع سوريا والعراق ، أو تفاصيل اتفاق المال العام .

ومجالس الامة لا يمكن أن تكون - وحدها - هى الصورة النهائية للديموقراطية ، اذا كانت هذه الديمقراطية مفقودة داخل صفوف الاتحاد الاشتراكى العربى ، التنظيم الذى يفترض فيه أن يحتوى كل الآراء ووجهات النظر المختلفة ، وقياداته كانت تفرض ولا تنتخب . . . وقراراته كانت تصدر ولا تنفذ . . . وأجهزته المختلفة كان واجبها الرئيسى هو التعرف على نبض الحياة فى سائر الانحاء ، وهو واجب رغم أهميته لا يصح أن يكون هو الواجب الرئيسى .

وعندما بدأت تجربة تكوين جهازه السياسى الطليمى ( طليعة الاشتراكية ) لم تتم بصورة تنظيمية سليمة ، بل انها تحت ضغوط الرابضين فى مركز السلطة تحولت الى صورة من صور الاتحاد الاشتراكى . . . ولكن بطريقة أفضل قليلاً كما اثرننا الى ذلك وغيره فى الجزء الثانى ( مجتمع جمال عبد الناصر ) .

وكان طبيعياً - من وجهة نظر العسكريين الذين وثبوا الى السلطة - أن يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين ، وقد قاموا بإلغاء الاحزاب والدستور وتأكيد سلطة مجلس قيادة الثورة حتى نهاية فترة الانتقال . . وخلال ذلك تعرضوا لمصادمات مع الاحزاب ورجال السياسة السابقين . . وكان أخطر صدام لهم مع الاخوان المسلمين الذين تميزوا بتنظيم متماسك يملك السلاح ، والارهاب ليس نظرية مرفوضة عنده .

لم يكن الاخوان المسلمون حزباً ديمقراطياً . . . ولكن الاسلوب الذى استخدم معهم أيضاً لم يكن ديمقراطياً . . مفهوم أن يحل الاخوان المسلمون وأن يقدم قاداتهم للمحاكمة ، ولكنه غير مفهوم أن يفرض عليهم تعذيب جماعى غير انسانى .

كانت حركة الجيش قد قامت بأكبر عملية اعتقال فى تاريخها عام ١٩٥٤ اذ اعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة ، تعرض بعضهم فى السجن الحربى لاساليب مهينة ، وقامت محكمة الثورة التى رأسها جمال سالم بمحاكمة أعضاء جماعة الاخوان المسلمين بأسلوب يهبط من كرامة القضاء ويحط من مستوى الحكم فى مصر . . ومع ذلك فقد اعتقد جمال عبد الناصر انه قد قضى على الاخوان المسلمين بعد هذه التصفية الادارية الشاملة . . . ولكن ذلك لم يكن صحيحاً . . . فالتصفية الادارية وحدها لا يمكن أن تنفع مع

أصحاب المبادئ - حتى ولو كانت خاطئة - ذلك لان القهر والعنف لا ينزع الافكار من الرؤوس .

لم تبدل الثورة جهدا حقيقياً فى تصفية الاحوان المسلمين فكريا عن طريق توعية الناس وتثقيفهم واتاحة فرصة الاختيار الديموقراطى للمجاهير واكتفت باحكام الاعدام التى اضررتها محكمة الثورة ، وقضبان السجن الحبرى وجدران المعتقلات .

ولم يكن كل ذلك كافيا . فقد عاد الاحوان المسلمون للظهور مرة اخرى بعد عشر سنوات فى عام ١٩٦٥ ، بنفس الاسلوب القديم . تنظيم جهاز سرى وديبر محاولات للاغتيال . شجهم على ذلك احتضان بعض الدول لافرادهم الهاريين من مصر مثل السعودية وبلاد الخليج ، وارتباط عناصر منهم مع جهات اجنبية مشبوهة ، وبقاء ( الدعوة ) راسخة فى صدور بعضهم ، لا يلغيها أو يضعفها وجود تنظيم سياسى مقنع للثورة .

ولذا فشل النظام فى أن يكتسب شرعية بين جماهير الاحوان الذين هم من الطبقة الوسطى الجديدة التى نمت مع الثورة ، فقد كان معظم المتهمين الرئيسيين من المهندسين والكيميائيين وخريجي الجامعات والطلبة ، ولم يكن يتهم أحد من العمال أو الفلاحين . هذه الطبقة الجديدة التى قضت الثورة على تطلعاتها وأحلامها الذاتية ، وحاصرتها داخل الحدود فى أوضاع اقتصادية متواضعة . ولم تضع حلا لمشكلة الاغراء المادى الكبير الذى يجذب بريقه خريجي الجامعات من البلاد البترولية .

كانت ( دعوة الاحوان ) دليلا على فشل النظام فى ايجاد تنظيم بديل يجذب الجماهير . ودليلا على أن تصفية الاحوان لم تتجاوز الحدود الادارية الى الحدود الفكرية ، بل أنه حتى فى الحدود الادارية كان هناك تقصير ، فلم تنشط الشرطة لمعرفة خلايا جهازهم السرى وفشلت أجهزة الشرطة التقليدية الامر الذى أدى الى الاستعانة بالمباحث العسكرية ، وانتهى الى اخراج بعض كبار ضباط الشرطة من الخدمة ، وتغيير عدد كبير من المحافظين .

ورغم كل ما قامت به الثورة من تأكيد لاتجاهها الدينى ، بزيادة عدد المساجد زيادة هائلة ، وبث اذاعة خاصة للقرآن والحديث ، وإقرار الدين مادة رئيسية فى المدارس ، والحرص على التقاليد والشعائر الدينية ، فإن الاحوان قد وجدوا سبيلا لاجتذاب بعض الناس ، مستندين الى الفراغ السياسى ، واثارة العواطف ضد أحكام الاعدام واجراءات التعذيب التى تعرض لها الاحوان ، ومهاجمة بعض اجراءات الثورة الصالحة مثل إلغاء المحاكم الشرعية والمجالس المليية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ واحلال المحاكم الوطنية بدلا منها للنظر فى دعاوى الاحوال الشخصية والأوقاف اعتبارا من أول يناير ١٩٥٦ .

ولم تبدأ الثورة دورها الحقيقى فى محاولة تصفية الاحوان تصفية فكرية الا بعد اعتقالات ومحاكمات ١٩٦٥ التى أشرت اليها فى لجزء الثانى ( مجتمع جمال عبد الناصر ) ، فقد بدأت أجهزة الاعلام تكشف دور

الاخوان تاريخيا ، وتسلبت الاضواء على حوادثهم الازهريه ، مع توضيح المعنى الحقيقى لسماحة الاسلام وسلامة نظريته الاجتماعيه العادله التى لا تتنافر مطلقا مع تطبيق الاشتراكيه ، واسهمت فى ذلك جامعه الازهر ووزارة الارواق .

كانت خطوة متأخرة ولكنها نافعه . . . ومع ذلك فقد كانت ( عودة الاخوان ) ضربه موجبه لشرعيه النظام ولزعامة جمال عبد الناصر التى لم تتعرض منذ عام ١٩٥٤ لمثل هذه المؤامرات أو المحاولات الداخليه . . . ولا شك انها أحدثت هزة دفعت النظام الى مزيد من البحث عن اسباب الضغوط أو الانفجارات الداخليه .

وخلال هذه الفترة وما بعدها وقع حادث كمشيش الذى اثبت ايضا ان فلول الاقطاعيين مازالوا يمثلون قوة انقضا على النظام ، وأن خطوات الثورة فى محاربتهم لم تتجاوز ايضا الاجراءات الاداريه وحدها . . . فلم تقتحم الثورة تجربه اطلاق حرية التنظيم للفلاحين والاجراء .

وفى مواجهه ماوقع فى كمشيش تشكلت لجنة تصفيه الاقطاع التى راسها المشير عبد الحكيم عامر ، والتى اعتمدت فى حركتها على رجال القوات المسلحة والاسلوب الادارى العنيف ، ولم تر أسلوبي آخر لتصفيه الاقطاع بعد ١٤ عاما تقريبا من صدور قانون اصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ .

الاجراءات الاداريه المصحوبة بالعنف ، كانت اقرب السبل لمقاومة الثورة الذين نبتوا فى وسط عسكري ، ولم يسهل عليهم التحرر من طبيعتهم أو عيوب مهنتهم .

لم تكن هناك محاولة جادة أو غير جادة لتصفيه الفكر الاقطاعى سوى خطب ومناقشات جمال عبد الناصر التى كانت تقوم بتنظيمات الاتحاد الاشتراكي بدراستها وتحليلها ثم تطوى صفحاتها دون تأثير حقيقى فى الجماهير .

وأضرب مثلا لذلك بما دار فى جلسة امانة الاتحاد الاشتراكي يوم ١١ مايو ١٩٦٢ عندما قال جمال عبد الناصر :

( أخشى أن نجد أننا كقلنا الرأسمالية الوطنيه فقط لانها مكتله وجاهزة فعلا ومن السهل تجميمها اما بقية القطاعات أو قوى الشعب فسنجد أننا لا نستطيع تجميمها . . . ان عمليه الاخ سيد مرعى سهله جدا ) . . . وكان سيد مرعى هو مسئول الرأسمالية الوطنيه .

عبد الحكيم عامر : أى أن الرجعيه جاهزة  
جمال عبد الناصر : يجب أن نفرق بين الرأسمالية الوطنيه والرجعيه  
سيد مرعى : أرجو أن يقتنع سيادة المشير بهذا .  
جمال عبد الناصر : أنت - أى سيد مرعى - الذى يجب أن تثبت ذلك

ومع هذه الخشيه الواضحه من تكتل الرأسمالية الوطنيه والمعجز عن تكتيل القوى العامله فإن قيادة الثورة كانت على حذر دائم من ناحية حرية

العمل السياسى والتنظيمى للعمال والفلاحين ٠٠ فقيادات العمال استمرت فى أماكنتها عدة سنوات دون انتخابات للتجديد خشية من ظهور عناصر تكون أقل التزاما وخضوعا للثورة وأكثر حيوية وتعبيرا عن مصالح الطبقة العاملة ٠

وكذلك ترك الفلاحون يمارسون دورهم التاريخى الذى امتد آلاف السفين فى زراعة الارض ، دون أن تتاح لهم فرصة التجمع فى تنظيمات ونقابات واتحادات معبرة عن مصالحهم الحقيقية ، تحت قيادات شرعية منتخبة منهم فى ديموقراطية كاملة ٠

ورغم حرص قيادة الثورة على وجود نسبة ٥٠٪ من العمال والفلاحين فى مجلس الامة وبعض مستويات الاتحاد الاشتراكى التنظيمية الا ان هذه العناصر لم تكن مفرزة بطريقة ديموقراطية ، ولم تكن تحتل مواقعها بإرادة الجماهير ، وانما برضاء السلطات العليا فى الاتحاد الاشتراكى أو أجهزة الدولة ، وبذا فهى لم تكن تؤدى دورا معبرا عن مصالح طبقتها ، كما أنه يلاحظ أن جميع قيادات الاتحاد الاشتراكى الحقيقية فى المكاتب التنفيذية بالمحافظات ، أو فى اللجنة التنفيذية العليا عندما شكلت لم تكن من العمال أو الفلاحين بل من أبناء البرجوازية الصغيرة ٠٠٠ واللجنة التنفيذية العليا لم يكن فيها فلاح أو عامل ٠

ويلاحظ أيضا أن الاتحاد الاشتراكى قد بقى منذ تشكيله عام ١٩٦٢ الى ما بعد صدور بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ وهو بغير لجنة مركزية أو لجنة تنفيذية عليا ٠٠٠ كانت هناك امانة فقط لا تصدر أى نوع من القرارات ٠٠٠ بل تثير أسئلة فقط برد عليها جمال عبد الناصر وينهى الموضوع ، كما قال لى الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة ، وكما هو معروف ٠٠٠ وكذلك كان الامر فى امانة طليعة الاشتراكيين كما أوضحت فى الجزء الثانى ( مجتمع جمال عبد الناصر ) ٠

كانت خطب ومناقشات جمال عبد الناصر هى مؤشر التوجيه ، ولكنها وحدها لم تكن كافية دون تفاعل مع أجهزة تنظيمية قادرة على الاستيعاب والتوجيه واكتساب ثقة الجماهير بالقُدوة والنضال ونكران الذات ٠

ولذا كانت ردود فعل النظام فى مواجهة ما يظهر من ضغوط نابعية من المشاكل الداخلية المتراكمة بلا حلول ٠٠ مثل تصفية الاخوان المسلمين وفلول الاقطاع تصفية فكرية وليست ادارية ٠٠٠ كانت ردود الفعل متسمة أيضا بالاغراق فى مزيد من الاجراءات الادارية ، وقليل من المناقشات والدعاية الفكرية المؤثرة ٠

كان عجز التنظيم السياسى وضعف قدرته القيادية عاملا من أهم العوامل التى جعلت النظام يستشعر الضغوط الداخلية بحساسية زائدة ، واجراءات ادارية عنيفة ٠

وكان هذا العجز والضعف نابعا أساسا من نقص الديموقراطية داخل التنظيم ، وحق الفرد فى التعبير بحرية واطمئنان ٠٠٠ وما يتبع ذلك

من غياب الديمقراطية الحقيقية فى المجتمع ٠٠٠ الديمقراطية التى  
بالمعارضة والنقد والنضال من أجل التغيير .

وفى مسار هذا الاتجاه كان الموقف من الشيوعيين أيضا  
أوضحناه فى الجزء الثانى ( مجتمع جمال عبد الناصر ) .

وعندما قرر النظام الإفراج عن الشيوعيين وأخلت المعتقلات تماما  
١٩٦٤ ، لم يفتح النظام أبوابه لاستيعاب هؤلاء المناضلين الذين أمضوا  
السجن سنوات مليئة بالقهر والعذاب ، رغم وجود فرصة متاحة لذلك  
فيما أبداه جمال عبد الناصر من رغبة فى ضمهم الى طليعة الاشتراكية  
وما اتخذته التنظيمان الرئيسيان ( الحركة الديمقراطية للتدريس والوظائف  
والحزب الشيوعى ) من قرار بإنهاء وجودهما التنظيمى استعدادا للمعركة  
فى صفوف النظام .

وبقى الشيوعيون خارج دائرة النظام ٠٠٠ البعض منهم يدخل البرية  
ولكن تسلط عليه الاضواء لتفسيده حركته ومنعه من التأثير فى الآخرين  
أما اذا انصهر فى بوتقة النظام وقبل كل الظروف القائمة بلا نقد أو عمل  
فانه عندئذ يمكن ان يصل الى بعض المناصب المسئولة ٠٠٠ ولذا بقيت ال  
الغالبية من الشيوعيين بعيدا عن مواقع المسئولية ، بل وبقي البعض  
محروما من حق العمل رغم صدور قرار بتشغيل الخارجين من المعتقلات  
والسجون .

وعبر جمال عبد الناصر عن موقفه هذا صراحة عندما زار الامم  
 واجتمع مع محررى الطليعة وقال لهم انهم يجب ان يؤدوا دور الناصر  
مثل ( سان بيتر ) .

كما لم يسمح النظام للطبقة العاملة والفلاحين بتنظيم أنفسهم  
وسياسيا ، فانه أيضا لم يسمح لحزب الطبقة العاملة بالوجود ، ولم ي  
لأعضائه السابقين بأن يمارسوا نضالهم على نفس المستوى الذى يمار  
فيه الآخرون ٠٠٠ وظلت كلمة ( الشيوعية ) تلاحق بعضهم وتطاردهم  
وتدخلهم المعتقلات والسجون ، كما حدث عام ١٩٦٦ عندما اعتقل ك  
عبد الحليم السكرتير السابق لحدثو ومعه عناصر أخرى لفترة شهور .

صحيح أن الشيوعيين لم يأخذوا موقف المعارضة ، ولم يشكلوا  
نوع من أنواع الضغوط على النظام ٠٠٠ ولكنهم حوصروا بمنعهم من الن  
السياسى المسئول فى طليعة الاشتراكيين أو الاتحاد الاشتراكى ٠٠٠  
أن أنفراط مسبحة تنظيمهم قد دفع البعض منهم الى الاهتمام بأمور حي  
الخاصة بعيدا عن دماء الانتماء وحرارته ، وما يتبع ذلك من صقل للواء  
وتغليب للامور العامة على الخاصة ، وتأکید للقضية ونكران الذات .

وهكذا فقد النظام فرصة فريدة كان يمكن له فيها ان يستوعب خ  
المناضلين المصريين لأكثر من عشرين عاما ، خاصة وأن قيادة جم  
عبد الناصر للمجتمع خلال هذه المرحلة لم تكن محل مناقشة مطلقا  
اعترف الجميع بزعامته ووطنيته وتفديمته .

ومن المؤسف أن كثيرا من الذين تولوا مناصب المسؤولية في مرحلة المحول نحو الاشتراكية كانوا أبعد الناس عن فهم الاشتراكية أو الافئدة بها . بينما وضعت الحواجز أمام الاشتراكيين الحقيقيين لتحول دون اداء دورهم الطبيعي في المساهمة لمجاء خطط التنمية .

ربما لا يكون عدد الاشتراكيين الحقيقيين كافيا للخروج من أزمة نقص الكادر الاشتراكي الفني في دول العالم الثالث ٠٠٠ ولكن مجرد بقاء ( الحساسية من الماركسية ) والتهجم على كل من ينتقد أو يعارض بانه شيوعي ، كان هداما في ذاته لامكانية استيعاب العناصر الصالحة ، وسارا يحتفى خلفه أعداء التقدم من الرجعيين والمحافظين بدعوى انهم اشتراكيون محليون ، وفي نفس الوقت لا يحبون الشيوعية .

ومصر لم تطبق الا خطة تنمية واحدة هي التي تمت اثناء رئاسة على صبرى للوزارة وانتهت في يونيو ١٩٦٥ وأصدر على صبرى عنها كتابا خاصا ٠٠٠ ويمكن القول بانها الخطة الوحيدة التي طبقت وانه رغم انها لم تحقق ٢٢٪ من اهدافها الا انها كانت بداية التوجه العلمي لبناء المجتمع . كانت التنمية مشكلة من المشاكل الضاغطة على النظام ٠٠ وكانت ثورة يوليو من ثورات المحرر الوطني الدائرة في هذا المضمار ٠٠٠ ولذا افترس خطوات التقدم بمصاعب جديدة ٠٠٠ فالالتزام بتشغيل الخريجين في المدارس والمعاهد والجامعات فرض نوعا من العمالة الزائدة على وحدات الانتاج في وقت كانت تعاني فيه بعض المشاريع ووحدات الخدمات في الاقاليم نقصا مبالغا فيه .

وعلى قدر ما اتاحته قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية من فرص إقامة مجتمع يسود فيه القطاع العام ، على قدر ما تحملت الدولة نسبة عالية من الاجور .

الاحصائيات تشير الى ان الاجور قد ارتفعت من ٥٠ ٪ الى ٥٢٫٩ ٪ خلال السنوات النسخ الاولى للثورة ، ثم حدث ارتفاع حاد بعد ذلك من عام ١٩٦٥ فوصلت الاجور الى ٧٢ ٪ اذ تضاعفت من ١٠١ مليون جنيه حتى أصبحت ٢٣٤ مليون جنيه كما هو موضح في البيان التالي الذي صدر في عهد وزارة زكريا محيي الدين في كتيب ( اهداف المرحلة القادمة ) .

#### الانفاق الحكومي

١٩٦٥ - ٦٦	١٩٦٦ - ٦٢	١٩٥٢ - ٥٣	جملة المرتبات الحكومية
٢٣٤ مليون	١٠١ مليون	٥٤٫٨ مليون	
٣١٨ مليون	١٩١ مليون	١٠٨ مليون	جملة المصروفات الحكومية

وشكلت لجنة في يناير ١٩٦٥ برئاسة زكريا محيي الدين وعضوية عباس رضوان وكمال رفعت ومصطفى خليل لدراسة اخطاء البيروقراطية ووضع الحلول لها ٠٠ ولكنها مثل كل اللجان وقعت في مصيدة البيروقراطية نفسها .

ضاعفت هذه الحالة البيروقراطية في مصر مع الزيادة المستمرة في

عدد السكان ونقص التخطيط من متاعب النظام وشكلت ضغطا فرض عليه محاولة التهدة حتى يعبر مرحلة الانتقال غير المستقرة في سلام ، خاصة وهو يواجه مشكلة اسرائيل التي لم تصل بعد الى حل .

## القوات المسلحة .

لم تكن القوات المسلحة قوة من القوى الضاغطة على النظام . . . .  
العكس هو الصحيح . . . كانت القوات المسلحة هي درع النظام وحاميته وسنده الرئيسي في البقاء وفي تفريخ معظم الكادر القيادي في مجالات كثيرة ( العمل السياسي - الخارجية - الاقتصاد - الصناعة وغيرها ) .  
ولكن بعض ما كان يدور في كواليس القوات المسلحة ، كان يشكل فعلا نوعا من الضغط على النظام وقيادته السياسية .

كان جمال عبد الناصر هو الذي رشع عبد الحكيم عامر ليرقى من رتبة صاغ الى لواء ، ويتولى قيادة القوات المسلحة في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وذلك ثقة منه فيه لعلاقة الصداقة التي كانت تربطهما معا خلال العمل في الجيش كانا يقيمان معا قبل الزواج في شقة واحدة . . . وبذا كان عامر هو القبض التي يقبض بها جمال عبد الناصر على القوات المسلحة ، وهو السياج العازل الذي يحول دون وصول أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين الى صفوف الجيش وما قد يتبع ذلك من محاولات انقلابية .

ولكن العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ كشف خلافا بين الصديقين حول أسلوب مقاومة المعتدين ، ومع ذلك لم يصل الخلاف الى حد الفرقة ، وما قاله لى عبد اللطيف البغدادى وذكرى محبى الدين من انه كان هناك قرار بعزل قائد القوات الجوية صدقى محمود بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات واصرار عامر على بقائه فلم ينفذ القرار ، انما يدل على ان جمال عبد الناصر حتى ذلك الوقت كان محتضنا لعبد الحكيم عامر ومفضلا تسليمه القوات المسلحة على نزعه منها ، وقد غلب علاقته الخاصة به وثقته الشخصية فيه على قضية وطنية تتعلق باهمال قائد عسكري ومسئوليته عن تدمير قوات مصر الجوية .

وظهر خلاف جديد بين عبد الناصر وعامر عند ما حدث انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ في وقت كان فيه عبد الحكيم عامر موجودا في دمشق ، وله كل صلاحيات رئيس الجمهورية .

فرخ الانقلاب في مكتب عبد الحكيم عامر عددا من الضباط وضع ثقته فيهم فكان ذلك دليلا على غفلته وعدم احساسه بالغليان الذي كان يفرور في صفوف المجتمع والقوات المسلحة . . وكان عبد الناصر قد ساند عبد الحكيم عامر في خلافه مع عبد الحميد السراج الذي استقال وهو قابض على كل خيوط الامن الداخلى بصفته وزيرا للداخلية .

وكانت صدمة الانفصال اقصى على جمال عبد الناصر وعلى النظام من صدمة هزيمة ١٩٥٦ العسكرية والتي تحولت كما ذكرنا الى نصر سياسي . .



لم يستطع جمال عبد الناصر ان يبلع مأساة الانفصال دون محاسبة عامر الذي كان مسئولاً مفوضاً في سوريا ، فشكل مجلس الرئاسة وعين عبد الحكيم عامر نائباً للقائد الاعلى للقوات المسلحة بدلاً من منصبه السابق كقائد عام للقوات المسلحة ، وقدم مشروعه المعروف بتحديد اختصاصات المشير في تعيين قادة الوحدات المسلحة الى درجة كتيبة ، وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة ، وقد تضمن المشروع الذي عرضه عبد اللطيف البغدادى في جلسة غاب فيها عبد الناصر ، حداً من سلطة وزير الداخلية ايضا في تعيين كبار المسئولين في الشرطة الى درجة مأمور مركز .

ولكن المشروع لم يعتمد لاسباب ذكرناها تفصيلاً في الجزء الثاني ( مجتمع جمال عبد الناصر ) ، وأدى الى غضب المشير وسفّره الى مرسى مطروح بعد تقديم استقالته ثم عدوله عنها بعد الحاح زملائه واصدقائه عليه مثل صلاح نصر وعباس رضوان .

لم تكن استقالة المشير عامر عملاً فردياً ، ولكنها اخذت شكلاً جماعياً في صورة برقيات من كبار قادة القوات المسلحة تطالب بعدم قبول الاستقالة والتلويح باستقالة جماعية لكبار الضباط . وكان عامر خلال قيادته للقوات المسلحة يصدق على الضباط ويلبى طلبات كل من يطرق بابيه من أموال الدولة ، ولهذا كان محبوباً كشخصية انسانية ، وكان انتزاعه من القوات المسلحة في ذلك الوقت يمكن ان يخلق المتاعب لجمال عبد الناصر .

والغريب ان بعض المقربين من عبد الحكيم عامر قد تصرفوا امام مأساة الانفصال تصرفات مشيئة تجلب له العار ، مثل جلال هريدى قائد قوات الصاعقة الذى هاجم النظام وعبد الناصر في تليفزيون دمشق ، وزغول عبد الرحمن الملحق العسكرى في بيروت والشخص المدلل من المشير عامر الذى لجأ الى سوريا خلال أزمة شتورا ، وعقد مؤتمراً صحفياً في دمشق هاجم فيه النظام وعبد الناصر ايضا ، وهو الذى لجأ بعد ان كان المشير عامر قد سدد مئات الألوف من الليرات خسرها زغول على موائد القمار في كازينو بيروت .

ورغم ذلك فلم يفعل جمال عبد الناصر شيئاً سوى تجميد بعض الضباط المصريين من مكتب المشير في دمشق عن العمل لمدة عام مثل الفريق انور القاضى وثلاثة آخرين . وعندما عدل المشير عن استقالته تراجع عبد الناصر عن مشروعه المعروف على مجلس الرئاسة للحد من اختصاصاته . وغلب علاقته مع عامر مرة اخرى على علاقته بزملائه الاخرين في مجلس الثورة مثل عبد اللطيف البغدادى الذى كان اكثرهم غضباً من المشير لعدم اخراجه صدقى محمود من قيادة القوات الجوية منذ عام ١٩٥٦ .

ولكن الانفصال والاستقالة ثم العدول عنها كانا نقطة تحول في علاقة جمال عبد الناصر او النظام بالقوات المسلحة . قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى ان جمال عبد الناصر كان شديد الاهتمام بمتابعة تسليح القوات المسلحة بالاسلحة السوفيتية الحديثة والتدريب عليها والمناورات بها ، ويفسر ذلك قوله بان الجيش كان في ذروة

كفائه من اعوام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ ٠٠ ولكنه يستطرد فيقول ان عبد الناصر قد فقد اهتمامه بالقوات المسلحة ومتابعة تقدمها وتطورها بعد الانفصال . وكان المشير ايضا قد بدأ ينهج نهجا جديدا في حياته الخاصة دفع به الى الحياة الناعمة كما اوضحت في الجزء الثاني ( مجتمع جمال عبد الناصر ) ، وضعت بذلك قبضته على القوات المسلحة من الناحية الفنية والتدريبية ، والتقط الصاغ شمس بدران هذه القرصة ففرض نفسه كشخصية مسئولة ، يلجأ اليها جمال عبد الناصر لمعرفة عاصيل ما يدور في القوات المسلحة ، ويعتمد عليها عبد الحكيم عامر في تسيير الامور بلا حساب . واقتربت هذه الحالة بحرب اليمن التي اضعفت القوات المسلحة من ناحية التدريب ومن ناحية الانضباط ٠٠ وزاد ذلك من ابتعاد جمال عبد الناصر عن مباشرة احدى مسئولياته كرعيم للدولة ، وهي القيادة العليا للقوات المسلحة .

وهنا بدأت القوات المسلحة تظهر بما في كواليسها من تناقضات ، وما في قيادتها من تسيب ، كقوة ضاغطة على النظام وعلى جمال عبد الناصر شخصيا الى الحد الذي جعله يعين الصاغ شمس بدران وزيرا للحربية وهو غير مؤهل عسكريا لذلك فلم تتجاوز دراسته الكلية الحربية ، ولم يشترك في اية عمليات حربية ، ولم يعرف عنه الاهتمام بالثقافة العسكرية ، رغم شخصيته التي فرض نفسه بها على ضباط القوات المسلحة ، فلم يشتهر بانحرافات أعضاء مكتب المشير الآخرين الذين كان يقودهم سكرتيه الخاص على شفيق ، ولم يندمج مع المشير في حياته الخاصة اللاهية التي انتهت بزواجه من المثلة برلنتي عبد الحميد .

ومن مظاهر بروز القوات المسلحة كقوة ضاغطة على النظام ، الواجبات التي عهد اليها بها مثل الاشراف على مرفق النقل العام ، والجمعيات الاستهلاكية والتموين ، ومطاردة الاخوان المسلمين ، واخيرا لجنة تصفية الاقطاع . ومن مظاهر ريادة سلطة المشير عامر انه اصدر عقب تعيين شمس بدران وزيرا للحربية تحدد اختصاصاته بمعرفة الدستور او القرارات الجمهورية ٠٠ اصدر قرارا بصفته نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة يحدد اختصاصات وزير الحربية وهو عضو في مجلس الوزراء .

ويعلق امين هويدى وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة في اول وزارة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ على ذلك في كتابه ( اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ ) قائلا ( هذه سابقة لم تحدث على الاطلاق ) .

كان المشير عامر سلطة فوق مجلس الوزراء ٠٠ صدور هذا القرار منه حتى ولو كان بمعرفة عبد الناصر انما يشكل اعتداء على تحديد المسئوليات التي رسمها الدستور ، ويظهر ايضا ان المشير عامر كان مطلق الصلاحية في كل ما يتصل بالقوات المسلحة .

واثبت النظام بذلك انه مازال اسيرا للقوات المسلحة التي ينبع منها

وان اعتماده عليها يشكل عنصرا رئيسيا فى حياته واستقراره .  
ومعروف ان المشير والقوات المسلحة كان لهم رأى فى تعيين ومساندة  
كثير من رؤساء مجالس الادارة والمديرين والسفراء وغيرهم فى المناصب  
المسئولة .

اذكر اثناء رئاستى لتحرير مجلة روز اليوسف ان قمنا بحملة شديدة  
ضد رئيس مؤسسة التعاون الانتاجى لما شُباب تصرفاته من انحرافات  
مؤكدة . . . واثناء اجتماع لامانة طليعة الاشتراكيين قال لى سامى شرف  
سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات انه معجب جدا بهذه الحملة ،  
وان عنده معلومات تؤكد صحة كل حرف فيها . . . واخذتنى الدهشة لسماعى  
هذا الحديث من شخص مسئول عرف الجميع عنه قربه من جمال عبد الناصر  
فقلت له ختسائلا (ولماذا لا تقدمون هذا الشخص للتحقيق والمحاكمة ؟ ) . .  
وقال سامى شرف همسا ( هو احنا نقدر . . ده سانداه المشير ) !!

الى هذا الحد وصلت الامور . . مساندة المنحرفين وعجز جمال  
عبد الناصر عن محاسبتهم . . ولا استطيع الادعاء بانها كانت صورة عامة  
. . كما لا استطيع الادعاء بان كل المنحرفين كانوا يختبئون تحت عيابة  
المشير . . ولكنى اشير فقط الى ان جمال عبد الناصر لم يعد مطلق السراح  
فى توجيه القوات المسلحة او معرفة تفاصيل ما يدور فيها الا عن طريق  
المشير اذا اراد او شمس بدران اذا سئل . . كما ان القوات المسلحة قد  
تجاوزت دورها المعروف وهو حماية الوطن والانتداب على ذلك من ناحية  
التدريب والانضباط العسكرى الى اداء مهمات مدنية ما كان يجوز لها ان  
تقترب منها لو ان النظام كان قد استقر على اسس سليمة تحدد لكل جهة  
اختصاصها .

ولعل هذا هو ما دفع جمال عبد الناصر الى التراجع عن تنفيذ ما ورد  
فى الميثاق من ربط القوات المسلحة والشرطة ورجال القضاء بالاتحاد  
الاشتراكى . . . فان تسييس القوات المسلحة يقتضى ان تكون قبضته عليها  
كاملة ، دون وجود تناقضات او وجهات نظر متباينة بينه وبين المشير .

كما ان المشير لم يكن حريصا على نمو الاتحاد الاشتراكى ، ولم يكن  
مؤمنا بأهمية تسييس الجيش ، فهو محبوب ومطاع بغير سياسة ، وليس  
هناك من مبرر يدفع الى تفتيح عقول الجنود والاضباط بدراسة السياسة  
وما تفتحه من آفاق وتخلقه من افكار .

ولذابقى نظام ثورة يوليو مثل نظم العالم الثالث التى تندفع من  
صفوف القوات المسلحة فى حركات انقلابية . . . تعتمد عليها وحدها  
لمساندة النظام ولا تخلق حزبا سياسيا فادرا على اكتساب ثقة الجماهير وثقة  
الاضباط والجنود ايضا .

وعلى قدر الخطوات الهائلة التى خطتها ثورة يوليو فى طريق  
الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . . . وعلى قدر الانجازات الرائعة  
التي ارسى اساسا متينة لمجتمع جديد ، وعلى قدر المكاسب التى احرزها  
افراد البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة والفلاحين . . . فانها ابقت

القوات المسلحة أكثر المؤسسات تماسكا وتنظيما وقدرة في المجتمع .  
ولذا شكل هذا الانفراد والتميز للقوات المسلحة قوة ضغط  
النظام ، جعلت قيادته السياسية أعجز من السيطرة عليها لتكون  
محاربة قادرة على اداء مسئوليتها الوطنية ... وكانت اسرائيل  
وتعرف التناقضات الموجودة في قمة السلطة والتي لم تكن خافية  
المراقبين والراصدين ... الذين وجدوا اهتمام القوات المسلحة يتشعب  
بين التموين والنقل ومحاربة قلول الاقطاع والاخوان المسلمين ... بالاضافة  
الى وجود ٧٠٠٠ من شباب الجيل باليمن .

### خيوط الامبريالية الامريكية

منذ رفضت مصر والدول العربية مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧  
والامبريالية الامريكية تتربص بالمنطقة لفرض سيطرتها ونفوذها عليها  
ذلك ، بعد الهزيمة السياسية التي لحقت ببريطانيا وفرنسا بعد عدوا  
١٩٥٦ ، وهما الدولتان صاحبتا النفوذ التاريخي .  
لم تنتهج الامبريالية الامريكية نهج التدخل المباشر ، وانما اخذت  
تتحين الفرص المناسبة لاقامة انظمة موالية وخاضعة .

وكان الخلاف بين جمال عبد الناصر وخورشوف عام ١٩٥٩ فرصر  
من هذه الفرص التي حاولت خلالها حكومة الولايات المتحدة ان تغير  
الوجه الامريكي الذي شوهه التدخل في كوريا والهند الصينية والكويت  
وغيرها .

ولم يكن جمال عبد الناصر من الراغبين في منافحة السياسة الامريكية  
... بل كان حريصا على علاقات هادئة بين الدولتين ... ورغم تجاور  
في السنوات الاولى للثورة لمحاولة الحصول على اسلحة للجيش ، وعجز  
عن تحقيق ذلك ، الا انه لم يياس من محاولة خلق علاقة طبيعية بين الدولتين

وكانت الخطابات المتبادلة بين كنيدي وعبد الناصر دليلا على هذا  
الرغبة ، ولكنها لم تمنع الامبريالية الامريكية من تنفيذ مخططاتها من  
مساعدة السعوديين في اليمن ، وشن ما عرف باسم ( حرب كומר ) القرم  
اشرنا اليها ، وتقديم صواريخ هوك لاسرائيل ، وفي تشجيع ألمانيا الاتحادية  
على امداد اسرائيل بالاسلحة والديابات ثم قرارات البوندستاج (البرلمان)  
باقامة علاقات مع اسرائيل في ١٢ مايو ١٩٦٥ الامر الذي ادى الى قطع  
جميع الدول العربية ( عدا تونس والمغرب ولبنان ) لعلاقاتها الدبلوماسية  
مع ألمانيا الغربية .

وقد علق شيمون بيريز على صفقة الاسلحة الالمانية بقوله :

( لقد تلقينا من المانيا الغربية خلال عدة سنوات اسلحة دون ان ندفع  
ثمنها قدرها العرب بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار ... ان هذه الاسلحة  
قد سدت مجالا هاما في الدفاع عن البلاد وفي حملاتها العسكرية القوية  
تضمنت حرب الايام الستة ) .

كانت مساعدات المانيا الغربية لاسرائيل والتي بلغت ٣٤٥٠ مليون مارك كاتفاقية تعويضات تتم بموافقة ومباركة حكومة الولايات المتحدة وتشجيعها .

ولم تلبث حكومة الولايات المتحدة ان أسفرت عن موقفها في امداد اسرائيل مباشرة بالأسلحة متجاوزة صواريخ هوك الدفاعية بعد اجتماع ليفي اشكول مع جونسون في أول يونيو ١٩٦٤ حيث تقرر امداد اسرائيل بالذبابات الامريكية مباشرة دون وساطة دولة أخرى .

ولم يكن اهتمام اسرائيل منصبا على الذبابات كأسلحة بقدر ما كان منصبا على فكرة الامداد المباشر وما تحمله من ( مضمون سياسى ) . ويمكن تلخيص نتائج تلك الزيارة كما ورد في كتاب ( العسكرية الصهيونية - المجلد الاول )

١ — ان الولايات المتحدة سوف تقف خلف اسرائيل في الدفاع عن نفسها وانها لن تبقى مكتوفة الايدي اذا ما تعرضت للهجوم .

٢ — ان الولايات المتحدة سوف تساعد اسرائيل في حصولها على ما تحتاجه من ذبابات وانها سوف تزودها بها مباشرة اذا لم تتمكن من الحصول عليها من مصادر أخرى .

٣ — الموافقة على اتخاذ الخطوات اللازمة بشأن المشروع المشترك الخاص بتحلية المياه بالطاقة الذرية ، كما انها تؤيد انجاز مشروع جونسون الخاص بتقسيم المياه ( نهر الاردن واليرموك ) بين اسرائيل والاردن .

ويعلق شيمون بريس على نتائج هذه الزيارة بقوله ( ان زيارة واشنطن قد فعلت الكثير في سبيل تمزيق الحظر الامريكى على الاسلحة لاسرائيل ، وكما شاهدنا فانها بعد فترة قليلة مهدت الطريق لامداد أمريكا لنا بمعظم انواع الأسلحة كما مكنت اسرائيل من الاحتفاظ بميزان التسليح حتى بعد ذلك الحظر الذى فرضه ديجول في أعقاب حرب الأيام الستة ) .

ولذا كانت عین جمال عبد الناصر يقظة دائما لحركات الولايات المتحدة ، وخاصة بعد اغتيال كيندى وانتخاب ليندون جونسون رئيسا للولايات المتحدة الامريكية .

ووقعت بعض الاحداث التى أدت الى اضعاف الثقة بين واشنطن والقاهرة . . . . مثل زيارة خروشوف الناجحة في مايو ١٩٦٤ ، وحرق بعض طلبة الكونجو للمكتبة الامريكية بالقاهرة ، عقب تدخل أمريكى في الكونجو أثار احتجاج الافريقيين في مختلف الدول ، ورفض جمال عبد الناصر للطلب الذى تقدم به اليه السفير الامريكى لوشيبوس باتل مطالباً بالتعويض والاعتذار .

واسقطت إحدى الطائرات الميج المصرية بعد شهر من حرق المكتبة طائرة امريكية خاصة لاحد كبار رجال صناعة البترول في تكساس ، دخلت الاجواء المصرية بلا اذن وهى فى طريقها من ليبيا الى الاردن ، ولم

تسحب لانذار طائرة الميج لها بالهبوط .  
وتصادف أن كانت هناك مفايلة بين وزير النورين الدكتور رمزي  
استينو والسفير الامريكى فى نفس يوم حادث سقوط الطائرة للمناقشة  
فى موضوع مد اتفاق مصر بالقمح ، وقال السفير فى المفايلة التى  
استغرقت خمس دقائق فقط انه يعتقد أن الوقت غير مناسب للمفايلة  
جونسون فى هذا الأمر .

وجاء رد جمال عبد الناصر على موقف السفير سريعا ومباشرا فقام  
خطب بعد أيام فى بور سعيد يوم عيد النصر ٢٣ ديسمبر ١٩٦٥ قائلا  
( السفير الامريكى يقول أن سلوكنا غير مقبول ٠٠٠ طيب حنقول لهم  
الى مايعجبوش سلوكنا يروحوا يشربوا من البحر ٠٠٠ واذا ما كفاهمش البحر  
الابيض يروحوا يشربوا من البحر الأحمر ) .

وقال جمال عبد الناصر صراحة ( اننى لست مستعدا لبيع استقلال  
مصر فى ماعيل ثلاثين أو أربعين أو خمسين مليون جنيه ) .

كانت هذه الخطبة أول هجوم علنى صريح على أمريكا بعد فترة  
هدوء امتدت سنوات ٠٠٠ وكانت أيضا بداية لضغط أمريكى متزايد على  
مصر ٠٠٠ فرغم أنه قد أعيد تجديد اتفاق تزويد مصر بالقمح ، الا أنه تم  
لمدة ستة شهور فقط ويفصل ما بين كل فترة وأخرى ستة شهور أخرى .

ووصلت مصر الى حد الاشراف على نقص شديد فى القمح، ولجأ جمال  
عبد الناصر للاتحاد السوفيتى ، فأصدر كوسيجين أوامره لبعض البواخر  
السوفيتية المحملة بالقمح فى طريقها من كندا وأستراليا الى الموانئ  
السوفيتية بتغيير مسارها والاتجاه فورا الى الاسكندرية لانقاذ شعب  
مصر مما قد يتعرض له نتيجة نقص القمح .

وهكذا بدأت حكومة الولايات المتحدة تباشر ضغوطها على مصر فى  
ادق وأخطر ما يمكن أن يتعرض له الشعب ٠٠٠ وهو عدم توفر لقمة  
العيش .

ولم تقتصر الضغوط الامريكية على هذه الحدود ، وإنما امتدت  
لتصل الى المشكلة الكبرى ٠٠٠ اسرائيل .

ووصل جمال عبد الناصر خطاب من جونسون فى ١٨ مارس ١٩٦٥  
تضمن عدة تلميحات خطيرة فيها أن الاسرائيليين منزعون من تصريحات  
بعض الزعماء العرب المتشددة والمهددة لامن اسرائيل وجودها ، وأن ذلك  
قد يجبرهم على تحويل البرنامج الذرى السلمى الى برنامج آخر لانتاج  
أسلحة ذرية ، كما تشير الى توريد الاتحاد السوفيتى أسلحة لبعض دول  
المنطقة ، ونهتد صراحة ان الحكومة الامريكية سوف تمد اسرائيل  
بالأسلحة ، وأنه اذا اثار عبد الناصر ضجة بشأن هذه الشحنات ، فسوف  
تزيد أمريكا من مساعداتها لاسرائيل .

وكان جونسون قد أوفد افريل هاريمان وروبرت كומר ( صاحب حرب

كومر في اليمن ) الى اسرائيل لطماننة الاسرائيليين وبذل الوعود لهم •  
وبعد هذا الخطاب خفضت مدة اتفاق تزويد مصر بشحنات القمح من  
سنة شهر الى ثلاثة •  
وصارح جمال عبد الناصر الشعب في احدى خطبه قائلا :

( اننا عند عام ١٩٥٩ حتى الآن اخذنا الف مليون دولار مساعدات  
من امريكا ، بل ان كل رغيفين في البلد ، منهما رغيف مأخوذ كمساعدة  
من امريكا ، فاذا قطعت امريكا عنا هذه المساعدة — وهذا يمكن ان  
يحدث — فماذا يكون وضعنا ؟ يجب ان نكون مستعدين لمجابهة مثل هذه  
المشاكل ) •

ولكن تحركات الامريكيين وضغوطهم لم تتوقف ٠٠٠ فقد هاجمت  
القوات اليمنية مقر النقطة الرابعة في تعز بعد اطلاقه طلقتين من البازوكا ،  
وتبين انه ستار لنشاط المخابرات المركزية الامريكية ، بعد تصوير  
المخابرات المصرية للوثائق الموجودة فيه •

ولم تنجح ( الدبلوماسية الهادئة ) التي طالب بها جونسون في نزع  
بذور الشك والمرارة من صدر جمال عبد الناصر وهو يواجه الضغوط  
الامريكية المتمثلة في مساعدة اسرائيل ، والملكيين في حرب اليمن ،  
وسحب تزويد مصر بشحنات القمح •

ومع ذلك كلف زكريا محيي الدين بتشكيل الوزارة في أكتوبر ١٩٦٥  
وقيل وقتها ان هذا الاختيار قد تم كمحاولة لتهدئة وتحسين الموقف بين  
القاهرة وواشنطن ٠٠٠ ولكن زكريا محيي الدين اكد لى انه لم يتلق أية  
توجيهات من جمال عبد الناصر في هذا السبيل ، ولكنه بمبادرته عمل على  
التهدئة مقتنعا بسياسة قبول ( سخافات ) الامريكان وعدم الرد عليها ،  
مع التسليم بحقائق يصعب التغلب عليها في المرحلة — الآتية — فتسجل  
لمرحلة — مستقبلية — وأنه حاول أن يفيد مصر على قدر الامكان من  
هذه الدولة الكبيرة •

نجح زكريا محيي الدين في مد اتفاقية تزويد مصر بالقمح لمدة ستة  
شهور ، ولكنه قال لى ( ان مصادقة الامريكان لنا امر شبه مستحيل ، لأن  
البناء السياسى هناك يؤثر على استراتيجيتها ، وكانت اسرائيل خلال فترة  
الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الاولى  
للثورة ، عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقة ، خاصة واننا كنا نستجيب  
بسرعة للاحداث بانفعالات تؤثر على مواقفنا ) •

وأعلن جمال عبد الناصر امام مجلس الامة عن تحسن العلاقات مع  
امريكا ٠٠٠ وقام بدور الوسيط من أجل السلام في الحرب الفيتنامية ،  
وعقدت محادثات ثنائية انتهت الى توقيع اتفاقية يوم ٣ يناير ١٩٦٦  
بامداد مصر بمساعدة قدرها ٥٥ مليون دولار •

ونشأ جو معقول من الهدوء والمشاعر الطيبة كما يقول دمكجيان في  
كتابه ( مصر تحت حكم ناصر ) ، وصل غايته بزيارة أنور السادات رئيس  
مجلس الامة في ذلك الوقت لواشنطن يوم ٢١ فبراير لتمهيد الطريق

لزيارة عبد الناصر نفسه الى أمريكا •  
وكادت تطوى صفحة اعتقال الصحفي مصطفى أمين والدبلوماسي  
الأمريكي اوديل في الاسكندرية بتهمة التجسس ، ولكن أحداثا أخرى وقعت ،  
فدمرت ما تم بناؤه خلال شهرى يناير وفبراير •  
أولا ••• محاولة الملك فيصل إقامة حلف اسلامى تنضم اليه الدول  
ذات الانظمة الرجعية التى تدور فى فلك أمريكا ، فى وقت كانت حرب اليمن  
مازالت تشكل نزيها لمصر بمساعدة السعودية وأمريكا •

ثانيا ••• زيادة المخاوف المصرية من قدرات إسرائيل الذرية واحتمال  
توفر قنبلة ذرية عندها ، بينما عجزت مصر عن الحصول سوى على وعد  
سوفيتى بالمساعدة •  
ثالثا ••• وصول معلومات عن بيع أمريكا لطائرات ودبابات  
لإسرائيل الأمر الذى أظهر أن ضغوط أمريكا لم تتوقف وأن محاولات  
التهدئة مع مصر ليست الا ستارا رقيقا لا يخفى الحقيقة •

رابعا ••• رفض الشروط المتشددة التى حاول ( صندوق النقد  
الدولى ) فرضها لاقرض مصر مبلغ ٧٠ مليون دولار والتى تتلخص فى  
تخفيض قيمة الجنيه المصرى ، وزيادة الضرائب ، وخفض مصروفات  
الحكومة ••• ولم يكن سهلا على النظام قبول هذه الشروط فى وقت كان  
يعمل فيه على احتواء السخط الشعبى بعدم زيادة الاسعار ، مع الاهتمام  
بميزانية الدفاع والتصنيع معا •

خامسا ••• وصول الدور المتزايد للمخابرات المركزية الأمريكية الى  
حد تدبير انقلاب ضد كوامى نيكروما فى غانا ( فبراير ١٩٦٦ ) بعد تصفية  
سوكارنو فى اندونيسيا خلال عامى ٦٥ ، ٦٦ ، وتزايد التدخل الأمريكى  
فى الدومنيكان وفيتنام ، الأمر الذى دفع محمد حسنين هيكل الى القول  
لـ الأهرام عدد ٨ أبريل ١٩٦٦ ، ٢٧ يناير ١٩٦٧ بما يفيد بأن هجمة رجعية  
امبريالية تزحف نحو العالم مستهدفة الجمهورية العربية المتحدة •  
وصدر قرار بوقف أى رحلات اضافية للطيران الأمريكى والبريطانى  
فوق مصر اعتبارا من منتصف فبراير ١٩٦٦ •

ومع كل ذلك كان جمال عبد الناصر حريصا على عدم الوصول  
بالملاقات المصرية الأمريكية الى نقطة الانفجار ، فدعا دين راسك وزير  
الخارجية فى أبريل ١٩٦٦ لزيارة مصر لبحث مشروع من أجل السلام ،  
ولكنه لم يحضر لمشاغل حكومة الولايات المتحدة ومناعها فى فيتنام وفى  
الاستعداد للانتخابات •

ورغم صدور قرار الكونجرس الأمريكى فى ١٤ يوليو ١٩٦٦ بوقف  
المساعدات الغذائية لمصر الا بموافقة رئيس الجمهورية شخصيا ، فان جمال  
عبد الناصر لم يعتبر ان الأمور قد وصلت الى نهايتها ، ووافق على زيارة  
مدرعتين أمريكيتين لبور سعيد يوم ٢ سبتمبر ١٩٦٦ لأول مرة بعد  
١٢ عاما •

وهكذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن جمال عبد الناصر كان يتهج



الاسلوب الآتى فى مواجهة الضغوط الامبريالية الامريكية :

أولا ... التمسك باستقلال مصر الوطنى ، ورفض كافة الضغوط الاقتصادية نظير اية مساعدات .

ثانيا ... الحصر على عدم تدهور العلاقات الى الحضيض ، أو وصولها الى منطقة الانفجار بمختلف الوسائل التى يملكها .

ثالثا ... عدم التردد فى مصارحة الشعب بكافة الاخطار والمتاعب القائمة لاعتماده المطلق على الجماهير فى مواقف الوطنىة .

وما كاد عام ١٩٦٧ يقبل حتى وصلت الضغوط الامريكية الى ذروتها ، فلم تعد هناك مساعدات غذائية ، واستقر جونسون فى مقعده رئيسا للجمهورىة ، وتضاعف تسليح اسرائيل .

### مواجهة الضغوط :

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا بالتاكيد فى وقوع النظام تحت مطارق الضغوط الخارجية والداخلية ... ولكن اصراره على الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ، دفع كافة القوى المعادية للتجمع ، وتنسيق اهدافها لهدم النظام والاطاحة بقاتده .

● الانفصال السورى وما تبعه من حساسيات أفضلت محادثات الوحدة الثلاثية ، وجعلت نتائجها شديدة التواضع مقارنة بطموح انصار الوحدة العربىة .

● التورط فى اليمن نتيجة للتنسيق الامريكى البريطانى السعودى الاردنى لمساندة حكم الائمة الشديده الرجعية .

● مواجهة أعداء التقدم الاجتماعى والاشتراكى الذين تحركوا، مثل الاخوان المسلمين ، وفلول الاقطاع .

● عجز النظام عن حل كثير من المشاكل الداخلىة نتيجة اعتماده المطلق على حكم فردى ينقصه تنظيم حزبى وكادر قيادى ووعى اشتراكى .

● كل هذه الضغوط كانت تؤثر على قدرة النظام فى البقاء والاستمرار محتفظا ببريق انتصاراته السابقة ، وشخصية زعيمه الساحرة المؤثرة فى مواجهة الضغوط والمؤامرات الامبريالية والصهيونىة القوسعية .

سنوات الصعود توقفت ، وبدأت سنوات الجمود ... القدرة الثورىة على حل المشاكل بالطرق الادارية استنفذت غايتها ، وبقيت المشاكل تحت السطح متراكمة .

ولكن النظام لم يقف جامدا امام هذه الضغوط ... ولم يستكن الى ما وصل اليه بل اعتبر ذلك مقدمة للاطاحة به .

وفى محاولة للتغلب على المشاكل الداخلىة ومواجهة ما تعرض له من ضغوط ، بدأ جمال عبد الناصر محاولة ، اعطاء تنظيمه السياسى ( الاتحاد الاشتراكى العربى ) دفعة من الحيوىة بتكوين طليعة اشتراكيين

وتشكيل المكاتب التنفيذية ، وتعيين على صبرى أميناً عاماً لـ الاشتراكي بعد أن كان رئيساً للوزراء ، وهو في ذلك الوقت كان موه جمال عبد الناصر ، فهو أول من وصل الى هذا المركز الكبير متخطياً الضباط الاحرار مما جعله موضع حسد أعضاء مجلس قيادة اـ ويلاحظ أن استقالة عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين ابراهيم قد تمت أثناء رئاسته للوزارة .

ولا يمكن التقليل مطلقاً من أهمية التغيير الذى طرأ على الاـ الاشتراكي فهو لأول مرة يبدأ فى مباشرة عمله على أساس وفكرى واضح بعد فترة جمود فرضت عليه عندما كان حسين الشـ أميناً عاماً له . . . . . وخلال هذه الفترة أيضاً نشطت منظمة واستوعبت أعداداً كبيرة لقنت أفكار الميثاق وخطب جمال عبد النا معسكرات للتدريب فى حلوان ومرسى مطروح وأبو قير ، وتخرج فيـ بدأ يهتم بالسياسة ويرتبط بها لأول مرة منذ عام ١٩٥٤ .

والى جانب التغيير الذى حدث فى الاتحاد الاشتراكي والذ تفصيلاً فى الجزء الثانى ( مجتمع جمال عبد الناصر ) حدث تغيير فى الوزارة فجاء زكريا محيى الدين رئيساً للوزراء وهو صاحب خـ منازع فيها فيما يتصل بشئون الأمن ووزارة الداخلية ، وهى شئـ بعد حوادث الاخوان وفلول الاقطاع ، كما انه كان مهتماً بامور وما يصحبها من رغبة فى التغلب على اثقال البيروقراطية ، واعمـ الوحدات الانتاجية فرصة العمل على أساس اقتصادية متحررة من الزائدة والقيود السياسية .

كما ان تعيين زكريا محيى الدين رئيساً للوزراء كان محـ جمال عبد الناصر لتخفيف الضغوط الامريكية على النظام فانه زكريا محيى الدين قد أكد لى أن توجيهات جمال عبد الناصر لم ذلك صراحة ، الا ان انطونى ناتنج فى كتابة ( ناصر ) بفـ الامريكيين كانوا يعتبرون زكريا موالياً لهم وانهم كانوا يعتبرون صبرى معادياً لهم .

ونجح زكريا محيى الدين خلال فترة رئاسته للوزراء فى تثبيت الأمن ، وفى الحصول على معونة قمح من أمريكا لمدة ٦ شهور ، ويد مؤتمراً للقادة الاداريين لمحاربة البيروقراطية .

ولكن وزارة زكريا محيى الدين لم تعمّر طويلاً . . . . . فقد الامريكيون الامداد بالقمح ، ويعمل ناتنج ذلك بقوله ان المحصول قد فى أمريكا وانهم اضطروا لاعطاء الهند مزيداً من الحبوب تقادياً للمـ ولكن عبد الناصر اعتبر ذلك منهم اتساعاً لسياسة ( القط والغار ) وكذلك فان زكريا محيى الدين كان يجنح للانكماش بدلاً من التوسع واـ خرج زكريا محيى الدين من رئاسة الوزراء بعد ١١ شهـ ليتولاه المهندس صدقى سليمان الذى أشرف على بناء السد العالى، لم يكن من الضباط الاحرار . . . . . واعتبر جمال عبد الناصر أن جونسون للولايات المتحدة ستظل فترة مساندة لإسرائيل ، رغـ

محاولات التهدة والاتصالات الخلفية التي قام بها بعض المسؤولين وغير المسؤولين مثل علوى حافظ عضو مجلس الأمة الذى نشر مذكراته فى جريدة اخبار اليوم يوم ٢١ أغسطس ١٩٧٦ ويظهر فيها أن جمال عبد الناصر لم يتردد فى الاتصال بجونسون من أجل الهدوء والسلام فى المنطقة وليس من أجل الخضوع أو الاحتواء تحت المظلة الامريكية .

وفى مواجهة للضعوط المحيطة بادر جمال عبد الناصر باتخاذ خطوات هامة فى مجال السياسة العربية ، فدعا الى مؤتمر للقمة العربية بعد اعلان اسرائيل قرب استكمال المرحلة الاولى من ( مشروع المياه القومى ) الذى استطاعت به حجز نصف مياه نهر الاردن .

عقد المؤتمر الاول الذى دعا اليه جمال عبد الناصر بالفاهرة فى يناير ١٩٦٤ واشتركت فيه ١٢ دولة عربية أعلنت ( ان تحويل مجرى نهر الاردن عدوان خطير على المياه العربية واضرار بالغ بحقوق العرب المتفعين بهذه المياه ) وأعلنت أيضا تشكيل ( قيادة موحدة لجيوش الدول العربية ) ووافق المؤتمر أيضا على انشاء ( منظمة التحرير الفلسطينية ) .

كان انعقاد مؤتمر القمة خطوة نحو ضمور الخلافات العربية ، وظهور وحدة جديدة ضد التحركات الاسرائيلية التى ظهرت فى كثافة الاشتباكات الاسرائيلية على الحدود السورية والتى بلغت بعد مؤتمر القمة العربى الثانى الذى عقد بالاسكندرية فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ ، ١٤ عدوانا خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر التاليين مباشرة .

أعلن المؤتمر الثانى ( ان الهدف القومى هو تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى والالتزام بخطة العمل العربى المشترك مع استخدام جميع امكانيات العرب ، وحشد طاقاتهم وقدراتهم لمواجهة تصديات الاستعمار والصهيونية واصرار اسرائيل على المضى فى سياستها العدوانية والتنكر لحقوق عرب فلسطين فى وطنهم ) .

نتائج مؤتمر القمة لم ترق ابدا الى مستوى القرارات لقصور جدية بعض الدول العربية . ومع ذلك زاد تدفق الاسلحة الغربية وخاصة الامريكية على اسرائيل ، فوافقت حكومة الولايات المتحدة على تزويد اسرائيل بطائرات ( سكاي هوك ) ، وتمادت الهجمات الاسرائيلية على الاردن ، واستنكر موسى ديان سياسة ( ضبط النفس ) ضد تحركات بعض الفدائيين بدأت مع تكوين ( حركة التحرير الوطنى الفلسطينى ) فى أول يناير ١٩٦٥ .

وعقد مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء ، وأسفر عن ( ميثاق التضامن العربى ) واقترن ذلك بمزيد من التسليح الامريكى لاسرائيل حيث وصلتها دبابات باتون .

وجدت اسرائيل فى هذه المؤتمرات التى لم تسفر عن شيء جدى لصالح العرب ذريعة لاثارة الدول الغربية ضد ما أسمته التحركات العربية المعادية فى ظروف مواتية بالنسبة لها بعد أن اطمأنت للدعم السياسى والعسكرى المباشر من الولايات المتحدة ، وبعد ان استكملت استعدادها للحرب وشكلت قوة ضاربة تهيب لها القدرة على شن حرب خاطفة .



# الباب الثاني

## الهزيمة

( أن أمريكا واسرائيل قررتا عام ١٩٦٥  
أن التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي  
غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ...  
وأن الوسيلة هي هزيمته في حرب محدودة  
تفقده ثقة العرب واحترامهم )

الصحفي الامريكى انتونى بيرسن

المجلة الامريكية - بنتهاوس



## الفصل الاول

### خطوات نحو المصيدة

( كان يجب وجود ٨٠ ألف جندي مصرى فى سيناء لقبول فى  
الوزارة ) .

موشى ديان ١٩٦٧

لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع فى الجزائر كما كان محسدا له أن  
يجتمع .  
لم تثمر المؤتمرات الثلاثة السابقة سلافا فى اليمن ، ولا خطة ايجابية  
لمواجهة تحركات اسرائيل المعادية . ولم تضع حدا للتمزق العربى .  
العوامل التى دفعت جمال عبد الناصر للدعوة الى مؤتمر القمة ، وفى  
مقدمتها ما جاء فى مؤتمر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، من أن  
الاضاع الموجودة فى الدول العربية تؤثر على العمل العسكرى ، وأن قرار  
انشاء القيادة العربية الموحدة الذى صدر عام ١٩٦٠ لم ينفذ حتى ديسمبر  
١٩٦٣ وهو الشهر الذى وجه فيه جمال عبد الناصر الدعوة لمؤتمر القمة .

هذه العوامل تعرضت لتغيرات كبيرة . وبعد أن وقف جمال  
عبد الناصر يخطب فى عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٤ بعد انعقاد المؤتمر الأول  
قائلا : ( لم نجد أبدا أية صعوبة فى تصفية الخلافات ، وكان الكل ميالا  
لتصفية هذه الخلافات لمواجهة خطر اسرائيل وعدوان اسرائيل وطلعنا بخطة  
عمل موحدة ) . وقف بعد ذلك فى الاحتفال بعيد الوحدة ايضا عام

١٩٦٦ يهاجم بعض الملوك والرؤساء بعد صمت وهدوء استمر عامين كاملين ، عقد خلالها ثلاثة اجتماعات للقمة في القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، وزار حدة في محاولة لافراز السلام في اليمن .

هاجم حركة الملك فيصل لمحاولة انشاء حلف اسلامي ، وأشار الى ما نشرته الصحف الامريكية من أن واشنطن قد كلفت الملك فيصل وشاه ايران لانشاء هذا الحلف . وذكر أن ايران قد فتحت قروعا للوكالة اليهودية في طهران ، وأن بن جوريون عقد محادثات مع رئيس وزراء ايران في مطار طهران .

كما هاجم بورقيبة الذي نادى بالتفاوض مع اسرائيل ، بعد أن كان قد أعلن في مؤتمر الأول اسعداد تونس لارسال وحدات من جيشها تقف على حدود فلسطين .

لم يستطع جمال عبد الناصر أن يكظم غضبه من تحركات الامبريالية ، والمتجسدة في تكوين حلف اسلامي ، حاول الملك فيصل الادعاء بأنه كان فرارا من قرارات المؤتمر الثالث في الدار البيضاء . والحقيقة أن الأمر لم يكن يعدو حديا عارضا طلب فيه من الملك فيصل أن يستنهض المسلمين أثناء الحج لنصرة قضية فلسطين ، كما يتصل الرئيس اللبناني شارل حلو بالفاثيكان لنفس الهدف .

تفجرت الخلافات من جديد بين الانظمة الرجعية ، وبين الانظمة الوطنية التقدمية .

وكان قد حدث انقلاب في سوريا ضمن اطار حزب البعث أطاح بأمين الحافظ ، ووصلت الى الحكم مجموعة نور الدين الاتاسي وصلاح جديد ويوسف زعين و ابراهيم ماحوس . وبعد شهرين من الانقلاب صدر بيان من القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث في ٤ أبريل ١٩٦٦ يقول ( أن مؤتمرات القمة فيها عودة الى العمل التقليدي ازاء تحرير فلسطين ونضليل للشعب العربي ، ومحاولة لاجهاض أي حركة ثورية لتحرير فلسطين ، وهي سياج يحمي الرجعية من غضبة الجماهير . . . انه تهرب من المعسركة وانهازمية ) .

كان البيان تعريضا غير مباشر بالقاهرة بدعوى التهرب من المعسركة ، وتعريضا مباشرا بالرياض باعتبارها الرجعية التي تحميها مؤتمرات القمة . وبدا واضحا أن فترة الهدوء العربي قد انتهت . . . بعد وصول الجناح اليساري من البعث الى مقاعد الحكم في سوريا ، بانقلاب عسكري فوق التقاليد الحزبية .

رواصل جمال عبد الناصر هجومه على الرجعية العربية في خطاب عيد الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٦ قائلا ( هادنا الرجعية على أساس انها تشترك في وحدة العمل من أجل فلسطين ) . ثم أشار الى أن مؤسسة أمريكية قد أخذت من السعودية ٥ ملايين جنيه للقيام بدعاية مضادة لمصر في أمريكا ، كما انه وزعت منشورات أثناء الحج ضد النظام في مصر . . . وأنه توجد في السعودية بعثات عسكرية أمريكية وبريطانية . ثم حسم جمال عبد الناصر الموقف بقوله انه لا يستطيع الجلوس مع



القوى الرجعية فى مؤتمرات قمة قادمة ، وان الجمهورية العربية المتحدة لن تذهب وانه سيطلب من الجامعة العربية تأجيلها الى أجل غير مسمى .  
وأرسل محمود رياض وزير الخارجية خطابا بذلك الى الجامعة يوم ٢٥ يوليو .

وهكذا لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع الذى كان محددا له ان ينعقد فى الجزائر يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٦ . وكتبت السعودية مذكرة تقول فيها ( فى حالة الاخذ بمبدأ التأجيل فان المملكة العربية السعودية ترى نفسها مضطرة لتجميد كافة التزاماتها تجاه مؤسسات المؤتمر ) .  
طويت صفحة مؤتمرات القمة ، واستبدلت بناء على اقتراح عبد الخالق حسونة بمؤتمر لوزراء الخارجية يوم ١٠ سبتمبر فى دورة مجلس جامعة الدول العربية العادية ، وحضره وزراء خارجية مصر والسودان وسوريا والعراق ولبنان والكويت واليمن فقط أما بقية الدول العربية فمثلتها السفراء .

اجتمع وزراء الخارجية العرب بعد أيام من احتفال الحكومة الاسرائيلية بافتتاح الكنيسة الجديد فى القدس ، وكان ذلك « تدشينا لاختيار القدس عاصمة لاسرائيل رغم قرارات الامم المتحدة » .  
حضر هذه الاحتفالات وزراء وممثلون لواحد وأربعين دولة .  
ولم يأخذ مؤتمر وزراء الخارجية الا قرارا يعلن فيه ( ان الامة العربية اذ ترفض التسليم بالامر الواقع المتمثل فى قيام اسرائيل بفلسطين المحتلة ، تؤكد أن مدينة القدس عربية باعتبارها جزءا من فلسطين العربية ، وأن القدس الجديدة جزء لا يتجزأ من بيت المقدس ) .  
ولكن الفدائيين الفلسطينيين كان لهم أسلوب آخر فى العمل ، هو شن الهجمات داخل اسرائيل . . . كانت منظمة فتح (حركة التحرير الوطنى الفلسطينى) قد تشكلت فى أول يناير ١٩٦٥ وبشرت أعمالها الفدائية بلا تنسيق مع الانظمة القائمة فى تشكيل عسكري باسم (العاصفة) . . . ومنظمة (الصاعقة) التى تكونت فى أحضان النظام السورى وتحت رعايته .

ازداد نشاط الفدائيين الامر الذى يذكرنا بما حدث عام ١٩٥٥ عندما فقدت اسرائيل ٢٥٨ شخصا قبل العدوان الثلاثى ، ولكن الامر يختلف لانه لم تكن هناك قوات طوارئ دولية على حدود مصر واسرائيل تحد من نشاط الفدائيين أو تمنعه . . . كما أن العلاقات العربية لم تكن قد وصلت الى هذه الدرجة من التناحر بعد وضوح الفرق فى الاختيار بين الانظمة الاجتماعية . . . فقد كانت مصر وسوريا تعلنان الاشتراكية ، بينما يحرص الملك حسين على نظامه المعادى للاشتراكية .

كان الفدائيون ينطلقون الى داخل اسرائيل من الحدود السورية بموافقة ضمنية من النظام ، ومن الحدود الاردنية بغير موافقة النظام .  
وكانت اسرائيل توجه غاراتها الانتقامية ضد سوريا .

**اتفاقية الدفاع المشترك : مصر والاردن :**

كانت العلاقة بين القاهرة والنظام البعثى الجديد فى دمشق تقترب عن

ذى قبل ٠٠٠ فقد كانت هناك عقبات كثيرة تعترض طريق عودة العلاقات الطبيعية بين الدولتين ، نتيجة الاخطاء التى ارتكبت فى عهد الوحدة ، وما خلفته من حساسيات وشعور متبادل بعدم الثقة ٠٠٠ ولكن النظام البعثى الجديد كان يشق طريقه نحو التقدم ، فقد اتخذ عدة خطوات هامة مثل تأميم البنوك وشركات التأمين ، وسيطرت الدولة على التجارة الخارجية والصناعات الرئيسية والثروات المعدنية بما فى ذلك البترول ٠٠٠ واتجه فى السياسة الداخلية نحو التعاون مع القوى الوطنية والديمقراطية ومن بينها الحزب الشيوعى السورى وكان ذلك تطورا ملحوظا فى هذا المجال ٠٠٠ كما ان النظام قد اتجه فى سياسته العربية الى التقرب من القاهرة ، وأظهر مريدا من النة بجمال عبد الناصر ، كما أن بعض فاده حرصوا على خلق علاقات شخصية وبلدية مع الشخصيات التقدمية المصرية ، وأذكر أن ابراهيم ماحوس قد لعب فى ذلك دورا ملحوظا . زاد من رصيد النظام السورى عند النظام المصرى وعناصره التقدمية ، كما اتجه الى التقارب مع الجزائر أيضا حيث كان نور الدين الاتاسى وابراهيم ماحوس يعملان طبيبين هناك مع قوات الثورة الجزائرية ٠٠٠ وهى السياسة الخارجية تقارب النظام من الدول الاشتراكية، ووقع عقدا مع الاتحاد السوفيتى لانشاء سد الفرات ، وهو مشروع يعطى دفعة قوية للاقتصاد السورى .

بدأت الحساسيات فى الدوبان تدريجيا بين مصر وسوريا ، وطففت الى السطح حوادث الاعتداءات الاسرائيلية ردا على هجمات الفدائيين . وصل الى القاهرة وفد وزارى سورى فى يونيو ١٩٦٦ لأول مرة منذ ثلاث سنوات لاجراء مناقشات سياسية .

والتقى جمال عبد الناصر مع زعماء البعث الجدد فى موقفهم المشترك من الرجعية العربية الحاكمة .

وكان الجفاء قد عاد يحكم العلاقات مرة أخرى بين القاهرة وعمان ، ومضت فترة اللقاء بعد مؤتمرات القمة واعتراف الأردن بجمهورية السلال فى اليمن كسحابة سيف ٠٠٠ فقد ظهر الملك حسين بمظهر الملتصق بالحماية الامريكية ، ورغم قرار مؤتمر القمة بالاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين الا انه اتخذ موقف العداء من أحمد الشقيرى ، وفرض قيودا على حركة الفلسطينيين فى الضفة الغربية ، وأصدر قرارا يحرم حمل الاسلحة فيها الا على جنود الجيش والشرطة ، الامر الذى يحول دون تكوين قوات مسلحة فلسطينية .

كان الملك حسين يرى فى حمل الفلسطينيين للأسلحة والسماح لهم بالتسلل الى اسرائيل خطرا يهدد نظامه ، ويخلق ازدواجية ولاء فى دولة واحدة ٠٠٠ ولكن الدول التقدمية ( مصر وسوريا والجزائر ) لم تشاركه هذا الرأى وأخذت موقف المساندة لمنظمة تحرير فلسطين .

ولم يكن ذلك يعنى أن جمال عبد الناصر يرى أن تحرير فلسطين يمكن أن يتم غورا عن طريق القتال بالسلح ، فهو فى موافقه وتصريحاته منذ عدوان ١٩٥٦ كما يقول الكاتب الاسرائيلى ( اليزير بييرى ) فى كتابه ( ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى ) ( انتهج سياسة تفسادى المجابهة المباشرة السريعة مع اسرائيل ) .

صحيح أن بعض تصريحات عبد الناصر كانت تتحدث عن الحرب مع إسرائيل مثل تصريحه المندوب إذاعة وتليفزيون كولومبيا في ١٢ يوليو ١٩٦٥ الذي قال فيه ( الحرب هي الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية ) ٠٠٠ ولكنه لم يكن يعنى الاندفاع إليها ، بل كانت مثل هذه التصريحات تنم في حدود حرصه على الاحتفاظ بزعامه الشعب ورغبته في أن ظل القضية ملهبة وليست خامدة .

ويقول ( اليزير بييرى ) في كتابه أيضا أن عبد الناصر خلال سنوات طويلة كان حريصا على عدم مناطحه إسرائيل إلا إذا باورت له بلانه عوامل :

- ١ — تفوق عسكري عربى .
- ٢ — تحقيق الوحدة والتضامن العربى .
- ٣ — عز إسرائيل عن القوى الغربية .

ويقول محمد حسن بن هيكل في مقال له بعنوان ( مصر ٠٠٠ لا لعبد الناصر ) أن جمال عبد الناصر كان حريصا كل الحرص فيما يتعلق بالصدام المسلح مع إسرائيل لعدة أسباب :

١ — كان يرى أن الصدام المسلح مع إسرائيل لابد فيه من حساب احتمالات التدخل الأمريكى ، وهو احتمال قائم يستهدف فرض الهزيمة على العرب إذا استطاع أو سلبهم ثمار النصر إذا استطاعوا ٠٠٠ وأذن فإن نجاح الصدام المسلح في رأيه كان مرهونا بظرف دولى وعربى ملائم تكون فيه القوة الأمريكية مصابة بالشلل أو يمكن اصابتها به .

٢ — كان من رأيه أن القوات المسلحة المصرية تحتاج على الأقل الى خمسة عشر عاما تستوعب فيها سلاحها الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ، ولم يكن يقيس هذه المدة بتاريخ أول صفقة سلاح سنة ١٩٥٥ وإنما كان يقيسها ابتداء من سنة ١٩٥٧ ومن هنا ، فقد كانت الفترة المحتملة للصدام المسلح في تقديره هي الفترة ما بين سنة ١٩٧٢ وسنة ١٩٧٥ .

٣ — وحتى يجيء هذا الوقت وتنسح فرصه فقد كان جمال عبد الناصر يعتقد اعتقادا راسخا أن إسرائيل نمو دخیل وسط الجسد العربى ، وأن مقاطعتها واحكام الحصار من حولها وتشديد الضغط عليها كل يوم سوف يؤدى الى حبس الدم عن خلاياها ومن ثم الى ضمورها وسقوطها وهو ما عبر عنه بسياسة ( السنطة وشعرة ذيل الحصان ) .

ويؤكد هذه الصورة موقف جمال عبد الناصر من مشكلة تحويل إسرائيل لمجرى نهر الاردن داخل اراضيها ، والمناقشات التى دارت حول ذلك في عهد الوحدة كما جاء تفصيلا في الباب الثانى من الجزء الثالث ( عبد الناصر ٠٠٠ والعرب ) .

لم تكن عند جمال عبد الناصر اذا رغبة في الانزلاق الى الحرب قبل أن يستعد لها تماما ، ويقول انطونى ناتنج في كتابه ( ناصر ) أن لهجة بعض تصريحاته لا تدل على تغيير في موقفه الاستراتيجى من إسرائيل .

ويدلل ناتنج على فكرته هذه بالقول انه بعد التغير الذى حدث في سوريا ، وعجز جمال عبد الناصر خلال السنوات السابقة عن ضرب النظام السورى او عزله ، فانه لم يجد بديلا سوى الارتباط بالنظام البعثى الجديد حتى يتفادى سحب العرب الى حرب ثالثة مع إسرائيل ، حيث أن الغرب ما كان ليجد فرصة مناسبة لضربه أكثر من توريطة في حرب مع إسرائيل

تكون سوريا هي البادئة بها مما يجعل الرأي العام العالمى يأخذ موقفا معاديا للعرب .

ولم يكن امام جمال عبد الناصر من خيار آخر . ففى دمشق نظام تقدمى جديد يتشيد بدور مصر وعبد الناصر . ويحرص على تحسين العلاقات مع القاهرة . وهو ما افقده جمال عبد الناصر منذ الانفصال .

ونظام البعث فى دمشق تميز ايضا بمغالاته فى الظهور بمظهر يسارى قد تبدو فيه بعض المغالة المصودة او غير المصودة . ولكن فى حدود الهجوم على الرجعية العربية التى كان يهاجمها عبد الناصر ايضا ، والتى كان واثقا من انها نذير له مع الامبريالية العالمية كميناً جديداً ، بعد ان عجزت اليمن عن استنزاف دماء النظام . وتراجع عدد القوات هناك ليصبح ٢٠,٠٠٠ بدلا من ٧٠,٠٠٠

العلاقات الجيدة ، والرغبة فى حد اندفاع المغالة عند السوريين كان حافزا لجمال عبد الناصر على الارتباط مع النظام السورى بشكل يمنعه من توريث العرب فى اندفاعات غير محسوبة . كان الاسرائيليون قد قاموا بغارة انتقامية ضد سوريا فى سبتمبر ١٩٦٦ ردا على ضربهم لمنشآت اسرائيلية اقيمت على ارض منزوعة السلاح تبعا لاتفاقية هدنة ١٩٤٩ .

وكان الاسرائيليون يرفضون فى عناد مناقشة مبدأ اقامة هذه التحصينات فى لجنة الهدنة المشتركة منذ بدأ انشاؤها عام ١٩٥١ ، وعندما اثار النظام البعثى الجديد هذه المشكلة كان جواب اسرائيل فى صورة تحذير باعتبار سوريا مسئولة عن كافة هجمات الفدائيين الفلسطينيين او غيرهم فى المستقبل وقال اسحق رابين رئيس الاركان فى ١١ سبتمبر ( الممارك التى على اسرائيل خوضها ضد سوريا انتقاما للغارات التخريبية انما تستهدف النظام السورى . هدفنا هو القضاء على هذا النظام ) .

وعلى الجانب الاخر كان نور الدين الاتاسى قد استقبل شوان لاي فى صيف ١٩٦٦ ، وحاول ان يعزله عن صداقته الناشئة مع مصر ومع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى . ولكن الاتاسى لم يستجب لهذا الاسلوب الذى سبق ان اتبعه شوان لاي مع جمال عبد الناصر عام ١٩٦٥ عند بقاءه فى القاهرة فترة قبل انعقاد مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى فى الجزائر والذي تقرر الغاؤه بعد حركة التصحيح التى قام بها هوارى بومدين فى ١٩ يونيو .

أبلغ نور الدين الاتاسى مصر بما سمعه من شوان لاي ، واستجاب الى نصيحة موسكو بالاقتراب من النظام الوطنى التقدمى فى مصر . وسعد جمال عبد الناصر بان الخطوة الاولى للاقتراب جاءت من الجانب السورى فوافق فوراً على ان تبدأ محادثات بين رجال اركان الحرب فى الدولتين ، وتم تبادل السفراء بين القاهرة ودمشق عقب انقطاع طال عهده منذ الانفصال فى اكتوبر ١٩٦٦ وفى يوم ٤ نوفمبر وقعت اتفاقية دفاع مشترك تعتبر ان الهجوم على نولة هو هجوم على الاخرى .

وكان جمال عبد الناصر واعيا بان هذه الاتفاقية قد تحمل له توريطا غير مطلوب ولذا كتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام قائلا ( هذا الميثاق لا يلزم القاهرة بالتدخل اوتوماتيكيا لصد كل غارة انتقامية ضد سوريا ) .

ومع ذلك يعبر جان لاكونير ان الجمهورية العربية المتحدة قد نورطت مع النظام البعثي الجديد في سوريا رغم بحارب الوحدة ، لطرف قادته ومفهومهم لمعنى المسئوليات . . . ويتماهى لاكونير فيقول ( يمكننا القول بان حرب الايام الستة انما بدأت في ٤ نوفمبر ١٩٦٦ ) .

والحقيقة انه كان من اشد الامور صعوبة ان يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا وانعازليا من القضية الفلسطينية الى طلت تعبر محورا للحركة السياسية العربية ، والتي دعا هو من اجلها الى عقد مؤتمرات القمة ، ثم انسحب منها عندما شعر ان المرجعية الحاكمة تتآمر ضده خلال التهدة التي فرضتها .

وكان هناك سبب آخر يدفع جمال عبد الناصر دفعا الى توقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا ، وهو دوره التاريخي البارز ، وزعامته السياسية التي تأثرت بهزيمة الانفصال ، وعدم الوصول الى نتيجة حاسمة في حرب اليمن ، ومصرع عبد السلام عارف وتعيين اخيه عبد الرحمن وهو شخصية ضعيفة تردى الموقف السياسي في العراق خلال حكمه الى حد تشرذم وتمزق القوي السياسية عدا البعث في العراق الذي كان يدبر خطنه للوصول الى الحكم .

كان صعبا ان يرفض العرض السوري للدفاع المشترك . . . وقد وجد فيه محاولة للتخفيف من تطرف النظام في دمشق ، ومحاولة لتغيير مفهوم المسئولية عندهم كرجال دولة . . . وحذرهم من ان القاهرة لن تكون ملزمة اوتوماتيكيا بالرد على كل غارة انتقامية اسرائيلية . . . ومع ذلك كانت الاتفاقية - رغم ضرورتها - خطوة نحو المصيدة .

#### الاردن . . . والمصيدة :

وبعد ايا . . . من توقيع الاتفاقية قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين قرب الحدود السورية ، وفضل ليفي اشكول عدم اختبار جدية الاتفاقية في ايامها الاولى . . . واختار مكانا اخر لغارته الانتقامية . . . قرية السموع الاردنية يوم ١٣ نوفمبر . . . ربما تحاشيا لخسائر قد يتعرضون لها في الهجوم على مواقع الجولان الحصينة .

هاجمت قوة اسرائيلية من المدرعات والطائرات القرية الاردنية في نفس اليوم الذي وصل فيه الى عمان الجنرال ايوب خان رئيس جمهورية الباكستان ، اكبر الدول الاسلامية عددا .

أسفرت الهجمة عن تدمير ١٢٥ منزلا ، ٢٨ قتيلا ، ١٣٤ جريحاً في غارة استمرت أكثر من ست ساعات .

وانفجرت المظاهرات في الاردن . . . في الضفة الغربية والشرقية ، وتعالّت الهتافات ضد الملك حسين الذي كان قد اغلق مقر منظمة تحرير

فلسطين في عمان بالشمع الاحمر ٠٠ واهتز موقف الملك الذي لم يتدخل جيشه في مقاومة الغارة .

وتحرك الاسطول السادس لحماية عرش الملك كما نشرت جريدة نيويورك تايمز يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٦ ، وأشارت الى انه اتخذ مراكزه في شرق البحر الابيض لانزال جنوده عند طلب الملك حسين .

وفجرت عارة الاسرائيليين على قرية ( السموع ) حملة دعائية هائلة ضد مصر وجمال عبد الناصر ، بدأت بمؤتمر صحفي لوصفي التل رئيس وزراء الاردن يوم ٢١ نوفمبر القى فيه اللوم على الجمهورية العربية المتحدة لان ( مسئولية التدخل الجوي لحماية جنوب الاردن تقع على سلاح الطيران المصري ) حسب قوله ٠٠ وعلى القيادة العربية الموحدة لانها ( لم تطلب الى الجيوش العربية التحرك لنجدة الاردن ) ٠٠ وعلى الجمهورية العربية السورية ( لان سلاح الطيران كان بوسعه ان يقصف الاهداف الاسرائيلية الحيوية ويخفف الضغط عن الاردن ) ٠٠ وعلى أحمد الشقيري لانه لم يفتح جبهة ثانية في سيناء بتحريك جيش التحرير الفلسطيني المرابط في قطاع غزة ) .

كان هذا الهجوم امتدادا لحملات الدعاية المضادة للجمهورية العربية المتحدة وجمال عبد الناصر التي تبنتها اذاعة الاردن والسعودية والتي كانت تتهم النظام المصري بانه ارتضى لنفسه موقف السلبية من القضية الفلسطينية ، وانه يحمي نفسه خلف قوات الطوارئ الدولية المنتشرين على امتداد الحدود المصرية ، وانه سمح للاسرائيليين بعبور خليج العقبة وانشاء ميناء ايلات الذي يصله ٩٥ / من بترول اسرايل الوارد من ايران وذلك بالتنازل بعد عدوان ١٩٥٦ عن تواجد القوات المصرية في شرم الشيخ والسيطرة على مداخل الخليج عند جزيرتي تيران وضافير .

ظلت الاذاعة الاردنية والسعودية تضرب على هذه النغمة المستنفزة التي تحاول استثارة النظام المصري ، وتدفعه الى اتخاذ خطوات غير محسوبة للقتال مع اسرايل في توقيت غير مناسب .

ولكن النظام لم يندفع الى ما كانت تبغيه هذه الاذاعات .. قال جمال عبد الناصر بعد غارة السموع في خطاب امام مجلس الامة ( بالنسبة لجبهة الاردن لابد من تسليح سكان القرى الامامية ، ولو بالقدر الذي يمكنهم من الدفاع عن النفس والقيام بدور المعوق حتى نصل النجدة العسكرية النظامية ... ان اى جيش لا يستطيع ان يحمي جبهة واسعة كجبهة الاردن امام عدو غادر كالعدو الاسرائيلي بدون نظام للدفاع يعتمد على تسليح اهل القرى الامامية ... هذا هو رايانا في العدوان الاسرائيلي على قرية السموع .

مازال جمال عبد الناصر حذرا وحريصا على عدم الاندفاع الى المصيدة المفتوحة .

وكان للحكم في سورية رأي آخر أصدره في بيان سياسي يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٦ قال فيه ( الحل العملي الموضوعى هو لقاء القوى التقدمية

بهدف قيام حرب شعبية شاملة .. وانه يجب تشكيل جبهة تقدمية في القطر العربى الاردنى .. وان حرب التحرير الشعبية هى التى تستطيع ان تطيح بالعرش الهاشمى وبذلك اسرائيل من جذورها ، وان الحل هو الاستمرار فى الثورة الى ان يزول العرش الخائن من الوجود .. اليوم تحرير الاردن .. وغدا تحرير فلسطين .

ولا شك ان هذه البيانات كانت عاملا من العوامل المؤثرة على جمال عبد الناصر ، والتى نظهره بطريقة غير مباشرة فى مظهر الذى سع ( سياسة ناعمة ) ازاء اسرائيل ... ولكنه مع ذلك استطاع حتى هذه المرحلة ان يسنوعها هى واذاعة الاردن والسعودية .

وامام هذا الموقف المشيت دعا الفريق على على عامر فائد العباده العربية الموحدة ، مجلس الدفاع العربى للاجتماع فى ٧ ديسمبر ١٩٦٦ . بعد حملة التشهير التى شنّها المسئولون فى الاردن ضد القيادة الموحدة وتخليها عن مسئوليتها القومية فى حادث قرية ( السموح ) .

وكانت اجتماعات المجلس فرصة للنقاشنة وارة القضايا المحتلف عليها ... فقال الفريق على على عامر ان حادث قرية ( السموح ) هو عدوان محدود لا يستهدف الاحلال .. ثم شرح مخالفات الحكومة الاردنيه لتوصيات القيادة العربية من حيث التسليح والتجنيد وبناء المطارات وانشاء الاسراب الجوية ، وعدم السماح للقوات العراقية والسعوديه بالدخول ، ورفض نمرکز مقابلات عربية فى الارض الاردنية .

وقال محمود رياض وزير الخارجيه ردا على اتهامات الاردن فى مذكرة رسمية تقدمت بها بطلب سحب قوات الطوارئ، الدولة من قطاع غزة وسيناء لان وجودها على الارض العربية ( يشكل عائقا يحول دون تنفيذ خطط القيادة العربية الموحدة ) كما جاء فى نص المذكرة .

وقال محمود رياض ( قوه الطوارئء الدولية لا تشكل اى قيد على الجمهورية العربيه المبحده او على حريتها فى العمل الذى يراه مناسباً ) . ونستطيع ان نطلب سحب هذه القوات فى اى وقت نشاء ) .

الاردن يمارس سياسته الضغوط الدعائيه والنفسيه على النظام المصرى حتى فى المذكرات الرسمية وفى جلسات الجامعه العربيه ... واصبح سحب قوات الطوارئء الدولية موضوعا مراما حب البحث منذ اواخر عام ١٩٦٦ .

وكشف احمد الشقيرى بعض مواقف الحكومة الاردنيه من حبه قرارات العياده العربية الموحدة ، اذ رفض ما عرصه العباده من بوريد طائرات سوفيتيه مقاتله من أحد طرار واصرب على شراء طائرات امريكية ( قدمة مجددة ) حسب نعيمه ويبلغ تسها ثلاثة اضعاف من الاولى ونورد بعد مدة تتراوح بين سنتين وثلاث .. وأشار أيضا الى رفض المساعدات ومنع القوات العربية المسلحة او الجوية من الدخول الى الاردن تنفيذاً لقرار القيادة .

واعلن خطة القيادة التى تنص على ( مسئولية كل دولة فى رد غارات العدو عليها طالما لم يؤد ذلك الى اختلال جزء من اراضيها ) كما اشار الى رفع حكومة الاردن اعلان التجنيد الاجبارى ليتمكن تكوين جيش احتياطى يستدع عند الحاجة .

الخلافات فى مجلس الدفاع العربى حادة ، والقيادة العربية الموحد تصارة عن القيام بواجباتها فى التعبير عن القدرة والقوة الحقيقية لجماع الامة العربية ، والنظم السياسية متنافرة النظرة رغم موافق الدفاع المشترك

اثر غارة قرية السموع على موقف الاردن ، فقبلت دخول ٥٠٠٠ جندي سعودي الى اراضيها وظلت على موقف الرفض من دخول القسوة العراقية التى ظلت تنتظر عاما كاملا فى منطقة الرطبة على الحدود الاردنية مما جعل مؤثر القمة الثالث فى الدار البيضاء يوافق على سحبها بعد ( اصاب معدنها التلف وهبطت روح رجالها المعنوية ) كما تقول كلمات تتر القيادة العربية الموحدة بالخرف الواحد .

صرح ابا ايوان بقوله ( ان الغارة قد جعلت الموقف يستقر ) ... واع الجنرال موشى ديان يوم ٨ يناير ١٩٦٧ ( ان الخطر الوحيد هو قيام انقلاب الاردن يطيح بالملك حسين ، فانه عنصر الاستقرار الوحيد فى منطقتنا واختفاؤه عن المسرح سيكون له نتائج خطيرة علينا .

وظل الملك حسين سادرا فى اسلوبه .. يشدد هجماته على النظام القاهرة ، ويسحب اعترافه بجمهورية السلال فى اليمن قائلا فى وليمة اقامه للملك فيصل فى ١٢ فبراير بعمان انه لن يسكت على حمام الدم الذى يجرى اليمن ... ويلتقى بالحاج أمين الحسينى الذى زار الاردن فى اول مارس

الملك حسين يؤدى دوره فى تناسق تام مع ملك السعودية فيصل ويرفض الاثنان ارسال مندوبيهما لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربى الذى ع فى القاهرة فى ١٢ مارس ١٩٦٧ ، والذى تلا فيه الفريق على على عامر نقيز موجزا استغرق خمس دقائق فقط طالب فيه المجلس ان ( يبت فى امر القيا العربية الموحدة حتى لا تبقى بدون عمل ، وان تصارح الدول العربية الامم العربية بالحقيقة .. وان قوات الدعم العربية لم تدخل الاردن ، وان عددا الدول العربية لم توف بالتزاماتها المالية .. وان توقف الدول عن سداد التزامات سوف يؤدى بالوضع العسكى الى موقف خطير ) ثم صرح المجلس بقول ( ان استمرار هذه الازمات لا يمكن القيادة من تنفيذ المهمة التى اقرها مجلس الملوك والرؤساء فى الاسكندرية ) .

كان رئيس اركان حرب الاردن والسعودية فى القاهرة ، ولكنها رفض حضور اجتماع مجلس الدفاع العربى .

وانتهى الاجتماع الى مطالبة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالا



والعسكرية ، وتحدد شهر يوليو موعدا للاجتماع القادم .

### سوريا .. والمصيدة

في يوم ٧ ابريل شنت القوات الجوية الاسرائيلية غارة على سوريا اسقطت فيها ٦ طائرات ميج سورية ... بينما اذاعت الحكومة السورية انها اسقطت ٥ طائرات اسرائيلية ، وسقطت لها اربع طائرات ... ولم يكن ذلك صحيحا .

وقد أثارت هذه الغارة معارضة داخل اسرائيل ... ليس لانها حدثت ، ولكن لانها تمت باستخدام عدد كبير من الطائرات ... ولانه أعلن ان العملية تمت عن قصد وترتيب .

ويروي الصحفي الاسرائيلي شلومو نيكدمون في كتابه ( ما قبل ساعة الصفر ) قصة النقد الذي وجهه الى الحكومة بن جوريون وشيمون بيريز وما قاله ديان من ( ان جيش الدفاع كان يجب عليه الا يدفع بمثل هذا العدد الكبير من الطائرات صوب دمشق ) ... وأضاف بأنه كان من رايه ضرورة تحديد عملية الرد بنفس حجم العدوان السوري ، وعدم توسيع العملية حتى دمشق ميثاق الدفاع المشترك لم يدفع القاهرة الى اتخاذ خطوات اكثر من ارسال الفريق صدقي محمود قائد القوات الجوية الى دمشق يوم ١٠ ابريل . وانقضت الفسارة التي قامت بها اسرائيل ردا على ضرب المدفعية

السورية للمزارعين حول بحيرة طبريا ، دون أن تحرك شيئا في رقعة الشطرنج القاتمة .

ولم يأخذ النظام السوري الذي خسر ٦ طائرات دفعة واحدة هذه الغارة مأخذ الجد ، ويقارن بين حالته العسكرية وحالة الاسرائيليين . . . بل انه واصل هجماته بالمدفعية لاكتساب مطهر البطولة أمام نظام عمان المتربص ، لم يشأ القادة السوريون ان يركنوا الى الصمت والقاء التهم على الآخرين كما فعل الملك حسين ، بل انهم اختاروا طريق الاستمرار في الرد واطلاق الفدائين .

وانسبت تصريحات القادة الاسرائيليين بالعنف . . قال الجنرال اسحق رابين ( لن يعرف نظام في الشرق الادنى الامان والاستقرار ما لم تغلب حكومة دمشق ) ولمح كما يقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب ( حرب الايام السنه ) بان قواته تستطيع مهاجمة دمشق والاطاحه بحكم نور الدين الاتاسي .

وخطب رئيس الوزراء ليفي اشكول في نادى ايدار في تل ابيب قائلا ( نظرا للاعتداءات السورية المتكررة والتي بلغت ١٤ اعتداء في الشهر الماضي ، نرى انفسنا مجبرين على اتخاذ اجراءات حاسمة تفوق تلك التي اتخذناها في ٧ ابريل الماضي ) .

لم يدرك النظام السوري الاخطار الحقيقية التي تتهدده من تصريحات الزعماء الاسرائيليين . . بل لعله أدركها ووجد ان النجاة منها لا تكون في الهدوء والتقاعد ، وانها في الصمود والمواجهة .

ولا يمكن لأحد أن يعيب على نظام - أي نظام - دفاعه عن نفسه ووطنه بأسلوب القتال والمواجهة . . ولكن ما يمكن ان يعاب عليه ، هو أن تكون نظرتة فاصرة ومحدودة على ظروف خاصة وليست شاملة . . وأن تكون حركته عفوية ومن باب ردود الفعل بدلا من أن تكون مدروسة ومنسوجة في خطة استراتيجيية سليمة .

كانت عين النظام السوري في حركته على الجبهة الداخلية التي تحركها وتهزها تحركات الامبريالية . . مثال ذلك المقال الذي نشرته مجلة عسكرية محدودة التوزيع بقلم صف ضابط مجهول يدعى ابراهيم الكلاس يهاجم فيه الاسلام ، والتقطت ذلك جريدة رجعية في بيروت فاعادت نشر المقال ، وعقب على ذلك الشيخ حسن حينكه من على منبر الجامع الأموي في خطبة الجمعة وبعدما أغلق التجار الكبار محالهم وأعلنوا الاضراب وردت الحكومة السورية بالعنف على المتآمرين فاعتقل الشيخ حينكه وظهرت في شوارع دمشق وغيرها الدوربات العسكرية وفصائل العمال المسلحين . . ومثال ذلك أيضا محاولة الانقلاب الذي قام به الرائد سليم حاطوم والذي أثبتت التحقيقات صلته بأجهزة المخابرات الامبريالية ثم هربه وبعض زملائه الى الخارج ، وظهوره فجأة بعد العدوان الاسرائيلي متسللا الى الاراضي السورية ، ثم اعتقاله ومحاكمته أمام محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام هو وشريكه في المؤامرة بدر جمعة ونفذ فيهما حكم الاعدام فورا .

وكانت عين النظام السوري في حركته أيضا على دعاية عمان المستفزة والمربضة لرود فعل الحكومة السورية على غارات الاسرائيليين .  
وكانت عين النظام كذلك على المظهر الذي بود ان يظهر به المجموعة السورية الحاكمة وسط صغوف حرب البعب بعد الانقسام الذي حدث فيه والدور اليسارى المميز الذي نريد ان ننفرد به .

وكانت عين النظام أحياء على القاهرة وجمال عبد الناصر . . . نريد تحسين العلاقات ونونبعها دعما للنظام في الداخل وفي الوطن العربي . . . مع اتخاذ منهج سياسي خاص لا يحمل شخصية عبد الناصر بطمى على فاده سورية الحدد ، الامر الذي كان يدفعهم الى اتخاذ مواقف سياسة مطعرفه لم تنضجها مسئوليه الحكم الذي بدأت ممارستهم له منذ فبراير ١٩٦٦ فقط .

ولذا كانت بعض حركات وبصريحات فاده النظام الجديد تعتسر خطوات نحو المصيده ، رغم النوايا .

### مصر . . والمصيدة

الضغوط التي تعرض لها النظام في مصر لم تدفع جمال عبد الناصر الى اتخاذ خطوات اندفاعيه غير محسوبة لمناطحه اسرائيل . . . كان حريصا حتى ذلك الوقت على المسك باستراتيجيته التي جعله بحار الوقت والطروف المناسبة لحوله جديده .

ورغم ماقامت به الامرياليه الامريكيه وخاصه في عهد حوسون من ضغوط مباشرة في اليمن ( حرب كومنر ) ومن مساعده للنظام السعودى والملكيين في القتال الدائر هناك . . . ورغم التغير الحاسم في قرار امسداد اسرائيل بالاسلحة الامريكيه مباشره . . . ورغم الضغوط الاقتصادية ومع الفصح . . . فان جمال عبد الناصر لم يقطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا مطلقا وهو الذي قطعها مع انجلترا وألمانيا الاتحادية وفرنسا لأسباب أبسط من ذلك . . . ولم يقطع جسور الاتصال بينه وبين المستوطنين في واشنطن سوا عن طريق الخطابات المتبادله مع كيندى ثم حوسون ، اوحلال بعض الاتصالات السريه .

لم يجاوز ردود فعل عبد الناصر دائرة التصريحات السديده والتهجمات اللفظية .

ولكن موقف الجمهورية العربية المتحدة الصريح في مسانده حركه التحرير القومي في جنوب اليمن وسنه الحزيرة العربية كان بسبب ارباعا شديدا ومترايدا للسياسة الامريكيه والبريطانية معا ، ذلك ان ما تحويه ارض شبه الجزيرة من بروة بنروية هائلة ، هو أمر لا يمكن القربط فبه لما يمكن أن يلحقه ضياعها من خسارة فادحة للرأسمالية العالمية .

أرغم نضال الشعب اليمني ومساندة القاهرة له بريطانيا على قبول أبفض الاشياء الى قلبها وهو اعطاء وعد باجلاء فوانها عن عدن في أوائل ١٩٦٨ .

ومع ذلك عمد اجتماع قمة افريقي محدود في القاهرة حضره يومين ونيريري وولد داده ومندوب عن سيكونوري وهي الدول التي قطعت علاقتها مع بريطانيا لسياستها في روديسيا ، واتخذ المؤتمر قرارا بضرورة الاسراع في جلاء بريطانيا عن الجنوب العربي .  
وهكذا تضاعف حقد بريطانيا على مصر ، وخاصة بعد حرب السويس التي اعترفت بريطانيا بحسارنها لأول مرة في المائة وخمسين عاما الاخيرة .  
ورغم ان نصرا نهائيا لم يحقق في اليمن ، الا ان الوضع بالتاكيد كان قد استقر للنظام الجمهوري الذي اصبح قادرا على الدفاع عن نفسه . . . وتعرض النظام السعودي لتدخل شديد بعد زيارة الملك سعود لليمن في ٢٣ ابريل ١٩٦٦ ومعه المشير عامر وأنور السادات ، ودعوته للشعب السعودي برفض الانصياع لحكومته فائلا : (انني استنكر كل الاسنكار دينا وعروبة هذه المذبحة التي راح ضحيتها ابناء الشعب اليمني ) .

الاجاه المعادى للامبريالية في شبه الجزيرة العربية اصبح مثيرا لقلق الدوائر الامبريالية ، ودافعا لها الى البحث في أسلوب لتحطيم النظام الوري التقدمي في مصر باعباره السند الرئيسي لهذا الاتجاه .  
ونحرت بعض العناصر المضادة للنظام في الداخل مدفوعة او غير مدفوعة بجبوت امبريالية . . . الجهاز الارهابي للأخوان المسلمين ، فلول الاقطاعيين المنهريين من قانون الاصلاح الزراعي ، البرجوازية المقاومة للاتجاه نحو تطبيق الاشتراكية .

ولما كان النظام في مصر حتى ذلك الوقت قد عجز عن تكوين جهاز تنظيمي له صفة حزبية ، يملأ الفراغ السياسي . . . واعتمد في حركته على سحر شخصية الزعيم ورصيده التاريخي الكبير ، والاجراءات الادارية الحاسمة ، فانه اخرج من (جرايه) مرة أخرى المباحث الجنائية العسكرية التابعة للشرطة العسكرية ، والتي كان دورها قد ذبل وانحسر بعد انتهاء محاكمات الاخوان المسلمين في نهاية ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ ثم انتهاء فترة الانتقال ١٩٥٦ .

عادت المباحث العسكرية نطفو فوق السطح مرة أخرى بعد عشر سنوات تقريبا ، ونؤدى دورا في مطاردة الاخوان وفلول الاقطاعيين والمهرين وتجار السوق السوداء ، والمهمدين والمنحرفين في ميادين الخدمات مثل النفل العام والجمعيات الاستهلاكية وغير ذلك من الامور البعيدة عن اختصاصها .

ولم تكن تحركات المباحث الجنائية العسكرية تنم تحت الاشراف الواعي المباشر لعبد الحكيم عامر نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ، الذي انتهج أسلوبا ناعما جديدا في حياته الخاصة بعد الانفصال ومحاولة تحديد اختصاصاته في مجلس الرئاسة ثم استقالته وعدم قبولها ، في الوقت الذي تعددت فيه مسئولياته وتوسعت الى الحد الذي يصعب معه على فرد واحد أن يباشرها بنجاح . . . بينما هو مسئول فيه عن تنظيم وتدريب وقيادة القوات المسلحة ، التي يحارب الالوف من ابنائها في اليمن .

كانت مسئوليات عبد الحكم عامر تمتد من قيادة القوات المسلحة الى الاشراف على رجال الطرز الصوفية ، الى رئاسة اتحاد الكرة ، الى رئاسة لجنة

صعوبة الاقطاع ، وأحبرا الى رئاسة هيئة الرقابة العليا للدولة التي شكلت في ٧ مايو ١٩٦٦ وضمت على صبرى وعباس رضوان وعبد المحسن ابو النور وكمال رفعت وشمس بدران وعبد المجيد سيديد ، والتي اعتبرت مسئولة عن ترشيح وتعيين كبار المسئولين في أجهزة الدولة ومؤسساتها وشركاتها . ولذا انفراد شمس بدران مدير مكتبه بمباشرة المسئولية الحثيئة لحركة المباحث الجنائية العسكرية ، وأزاد جمال عبد الناصر مكافأته على جهده ، فعيه وريرا للدفاع في وزارة صدي سليمان (سبتمبر ١٩٦٦) ، وهو الصابط الذي لم يتجاوز معلوماته معلومات ضابط برية بوزباشي قبل الثورة ، انحرف في العمل مع فساد حركة الجيش ، دون ان ينمي معلوماته بأي نوع من انواع الدراسات العسكرية ودون أن يشرح في كليه اركان الحرب ، او يدرس دراسات عليا يجعله مابعا للتطور العلمي الحديث في عالم السليح والتدريب والتكنولوجيا .

كان يعين شمس بدران وريرا للدفاع بدسنا لوصع قائم وتأكيدها لسلطته التي استمدتها من علاقته بعبد الناصر وعامر ، ولكنه في نفس الوقت كان صبورا لكسر من علامات الاستفهام . . . اد لا يمكن ان يدعى أحد بأنه الاختيار المناسب في وقت تعقد فيه الاهوز ومسايك في الحية الداخلية ، وبدو في الافق ضغوط ارمه خارجيه ، وبدرك جمال عبد الناصر انه يواجه تحديا اميراليا خطرا . . . وفي الوقت الذي كان فيه عبد الحكيم عامر ايضا قد ابتعد عن متابعة التطورات الحديثة في القوات المسلحة وقد اهتمت بمابعه المناورات والتدريب على الاسلحة العصرية .

لم بعد نفاذ القوات المسلحة بعد تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع واستمرار عبد الحكيم في منصب نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة في المستوى الذي يمكن القول فيه بانها مادته على توجهه وتدريب وبحركته، الخنود في الوقت والمكان المناسب لمواجهه اي هجوم اسرائيلي . . . خاصة وان جمال عبد الناصر كان قد فقد اهميته ايضا بالقوات المسلحة منذ عام ١٩٦٢ بعد خلافه مع عبد الحكيم عامر ، وآثر ان يترك له المسئولية كامله . . . وهو ما لا يمكن لاحد ان ينكره جمال عبد الناصر عليه . فهو في النهاية الرجل المسئول طالما سولى منصب القائد الاعلى للقوات المسلحة .

ولكن بعقيدات العلاقات الشخصية . والحذر من حركه غير محسوبة من القوات المسلحة . والارتكان الى العناصر التي اعاد جمال عبد الناصر على التعامل معها ، والتي كان صعبا ان يستجملها ان ينفذ عليه لدوافعها الشخصية المتبعة برئاسته . وعلاقتها الوثيقة به رغم ما كان يسوب الحو من غموم وحلالت . . . هذه العوامل دعت جمال عبد الناصر الى جانب رسوخ مدور هذه الشخصيات وفساد علاقته مع قادة الجيش الى افسانهم بمصائبهم الحسابية المسئولة .

وند صادف هذا التعيين جميعا في مراحله القوات المسلحة . يقول عنه الفريق صلاح الحديدي في كتابه « شاهد على حرب ٦٧ » انه « أجل إنشاء تشكيلات جديدة ومطارات هامة كان من المقرر انشاؤها . وخصص من

تفقات تدريب القوات الموجودة فعلا ، وفي عدد ساعات تدريب الطيارين واستعنى عن تكملة الوحدات بالافراد والمعدات التى كانت ننقصها ، وما الى ذلك من الامور التى تؤثر حنى في كفاءتها .. وكانت هذه هى المرة الاولى في تاريخ القواب المسلحة الى تمتد فيها هذه التخميصات بطريقة جديده .

هذا الخفض في ميزانيه القوات المسلحة يدل على ان جمال عبد الناصر لم يكن يرتب عدوانا ، أو هجوما على اسرائيل ... وانما كان يوفر اقتصو ما يمكن من اموال لتنفيذ خطة تنمية ناجحة .

ويدل أيضا على ان جمال عبد الناصر لم يكن قد دخل بعد دائر الشعور بخطر عدوان يهدد مصر ... ولعله كان على يقين من انه طالما هو متمسك باستراتيجيته التى تمنعه من الانزلاق والورط ، وطالما هناك قوات طوارئ دوليه على الحدود ، فان خطر الحرب بعيد .. بعيد .

ولكن علاقات مصر مع امريكا كانت نازمه ولا تنفرج .. وتفرض على نظام الحكم في مصر ان يكون اكثر يقظة واستعدادا ... وهو الامر الذى لا يناسب مع خفض ميزانية القوات المسلحة .

كان لوشبوس بابل السفير الامريكى السابق فى القاهرة قد قال امام لجنة التثئون الخارجية ما نشره وكالات الانباء والصحف المصرية يوم ١ ابريل ١٩٦٧ « من الصعب ان يجد الانسان شخصا معاديا للخطة الامريكى اكثر من عبد الناصر » .

وعلق سنانور بورك هيكلور قائلا « موقف امريكا يراوح بين الارتفاع والهبوط كأنه قطعة من الفلين طافية فوق الامواج .. وينبى حسم الموقف بصورة أو بأخرى » .

وكان السناتور واين مورس اكثر صراحة في الاجتماع عندما قال « ان عبد الناصر يمثل تهديدا لمصالح امريكا لبس في منطقته فحسب بل وفي العالم أجمع » .

ولم تنفض أيام على هذا الاجتماع حتى حدث الانقلاب العسكرى اليميني في اليونان يوم ٢١ ابريل ١٩٦٧ والذي اعنر مؤشرا لاقترب التحركات الامبريالية من المنطقة .

وكانت مصر وقتها تتعرض لحملة اشاعات منظمة سرت في الجنب بنشاط شديد حول اخطار تتعرض لها الاطفال من حقن يحقنون بها في المدارس ، وما أحدثه ذلك من قلق وذعر دفع الحكومة الى تقديم قضيب للمحكمة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٧ ، وهى أمور واساليب كانت قد تجاوزتها الثورة بعد انقضاء أشهرها الاولى ، وما صاحب اعتقال السياسيين ومحاكمات القدر والثورة من شائعات .

محاولات الامبريالية أصبحت اكثر وضوحا لهن المجتمع من الداخل وحصاره بالانتقالات العسكرية في المنطقة .

وكان جمال عبد الناصر قد بلقى تقريراً من امين شاكرا الذى كان سفير في بلجيكا ، وقبل ذلك كان مدبرا لمكتبه ثم مسئولوا في المؤتمر الاسلامى

وعصوا مندبا بمؤسسه أجاز اليوم عندما كان محمد النابعي رئيسا لمجلس  
الإدارة .

قال لي أمين شاكز نفاصل هذا السفير الممر الذي أسار اليه نانسج و  
كبابه « ناصر » .

قال أمين شاكز ان هنري سباك أبلغه أنه بعد انتقال مفر حلف الاطلنطي  
من باريس الى بروكسل . استدعت الحكومة الأمريكية سفراءها في غسرب  
أوربا لشرح نتائج خروج فرنسا من الحلف العسكري .

هنري سباك رئيس اتحاد دول غرب أوروبا ونائب رئيس وزراء ووزير  
خارجيه بلجيكا والذي بعذر « مهندس أوروبا » الذي أسهم في انشاء حلف  
الاطنطي والسوق الأوروبية قال لأمين شاكز ان خروج فرنسا عسكريا من  
الحلف يمثل نقطة تحول غير محدود في الاستراتيجية وأنه يمثل بداية النهاية  
لعهد الاحلاف . وان على أمريكا بهيئة نفسها لذلك بعد ما بدأ ديجول بأسر  
وخاصة أثناء زيارة بعض دول أوروبا الشرقية بأن أوروبا اللاتينيين من الاطلنطي  
الى الاورال .

وروى سباك لأمين شاكز مقالته دين راسك وزير خارجه أمريكا من  
ان أمن أوروبا سوف يعرض لصعوبات في المرحلة القادمة ، وحذر من قوة  
السوفييت وشرح أهمية الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في حماية غرب أوروبا  
مما يفرض مسئولية تأمينها — بمعنى اخضاعها للنفوذ الأمريكي .

وقال وزير خارجيه أمريكا ان العقبة الرئيسية في تحقيق هذا الهدف  
هو جمال عبد الناصر الذي ساءت علاقته بأمريكا بعد سحب نموبل السد  
العالي ، والذي فضح سياسة أمريكا الامبريالية اللا أخلاقية ، وقال ما تحرج  
السوفييت والكتلة الشرقية عن قوله كما قال أدلاي ستيفنسون :

وقال هنري سباك لأمين شاكز ان قرارا قد صدر عن الاجتماع بأن  
جمال عبد الناصر يجب ان يذهب لان المنطقة لن تخضع للنفوذ الأمريكي طالما  
هو موجود وذلك لما يخلقه من صعوبات أمام السياسة الامبريالية ، وردد  
ما قاله جو براون محافظ كاليفورنيا من ان صوت العرب له تأثير أكبر من  
راديو موسكو على الدول النامية .

وقال له سباك أيضا ان جونسون يميل بطبعه الى النتائج التي وصل  
اليها البنتاجون والمخابرات المركزية الأمريكية . . وذكر سباك أنه سيحاول  
تفسير الأمور لهم بشكل آخر ولكن أملة قليل في تغيير هذا القرار .  
وطلب هنري سباك من أمين شاكز ان يبلغ جمال عبد الناصر بتهدئة  
الموقف والا تعرض نفسه لجموح جونسون وأن يتحاشى اناره حتى ننهي مدته  
لانه لن يرشح نفسه للرئاسة مرة ثانية .

دار هذا الحديث وكتب أمين شاكز تقريره في فبراير ١٩٦٦ ، وأشار  
فيه الى أنه ليس هناك من سبيل الا ضرب الجيش لاسقاط النظام ، وأن  
وسيلتهم في ذلك هي اسرائيل ، وأن حلف الاطلنطي يشارك في ذلك فقتد  
سمح للطيارين الذين انهوا مدة خدمتهم بالعمل في اسرائيل كما أنه أخلى  
سبيل الطيارين الذين هم من أصل يهودي .

يقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب « حرب الايام الستة » تأكيداً

لهذه الخطبة ، وبوضيحا بأن أمريكا كانت قد بدأت ممارسة أسلوب جديد في المنطمة :

« رأى رجال العهد الأمريكى الجديد ان عليهم التحول الان نحو ملوك النورول فى العالم واعبروهم « معتدلين » . . . وهكذا دعى الملك فيصل لزيارة أمريكا فى يونيو ١٩٦٦ ، وأثناء وجود العاهل السعودى فى واشنطن اجتمع اليه الرئيس جونسون واعلمه ان القادة العرب لا يفهمون شيئا من السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . . . ونه فيصل بدوره الرئيسى جونسون على انه لا يجوز الاعتماد على عبد الناصر ، فقد وقع فى احضان الشيوعية التى تزوده بالأسلحة » .

أحصل الأمريكيون دم النظام المصرى ، وأحصل فيصل دم النظام وعبد الناصر ايضا .

وكانت تصل الى جمال عبد الناصر انباء تؤكد هذه الحقيقة ، وكانت التحليلات جميعا تشير اليها ، وقد كتب محمد حسين هيكل ١١ مقالا اسبوعيا تحت عنوان « نحن وأمريكا » كانت فيه اشارات واضحة للاخطار التى يتعرض لها النظام .

وفى أواخر أبريل استدعى الملك حسين الفريق عبد المنعم رياض الذى كان يعمل وقتها فى القيادة العربية المشتركة وأبلغه ان لديه معلومات عن خطة يسهم فيها النظام الجديد فى سوريا مع بعض القوى الخارجية لجر جمال عبد الناصر الى مصيدة الحرب ، وطلب منه ان يبلغ هذه المعلومات الى جمال عبد الناصر .

ولما لم يكن هناك سبيل اتصال مباشر بين عبد المنعم رياض وجمال عبد الناصر فقد كتب تقريراً بذلك رفعه الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة مطالبا رفعه الى القائد الأعلى للقوات المسلحة . ولكن رغم خطورة التبليغ فان عبد المنعم رياض لم يتلق اجابة على تقريره . . . وتصادف ان التقى به محمد حسين هيكل فأبلغه بالموضوع من شدة قلقه وحرصه على ان يعرف جمال عبد الناصر هذه المعلومات ليدخلها عند تقديره للموقف كما قال لى هيكل .

وقابل جمال عبد الناصر عبد المنعم رياض . . . ويبدو ان الثقة وقتها كانت ضعيفة أو منعدمة بالملك حسين ، فلم تستمر الاتصالات . . . ربما اعتقاداً من عبد الناصر بأنها محاولة من الملك حسين للايقاع بينه وبين النظام القائم وقتها فى سوريا .

ويقول أمين شاكرا ايضا انه بعد ان عين وزيرا للسياسة قابل جمال عبد الناصر فى شهر مايو ١٩٦٧ ، وأبلغه ان حلف الاطلنطى يقيم جيش اسرائيل بنسبة ٨٥٪ من الكفاءة المطلوبة ، بينما يقيم جيش مصر بأقل من ٣٠٪ .

وقال جمال عبد الناصر لأمين شاكرا ( ولكننى لن احارب ) . وقال له أمين شاكرا الذى أنادته صلتة الشخصية ببول هنرى سببا فى توسيع أفق نظراته العامة للامور ( ولكن الجانب الآخر سيحارب ) . ويبدو ان جمال عبد الناصر لم يأخذ هذه المعلومة انى جانب التقرير السابق لأمين شاكرا ، كما لم يأخذ تبليغ الملك حسين فأخذ الجد . . . تماما



كما فعل عندما بدمقت عليه المعلومات عام ١٩٥٦ من جهات مختلفة بحذر من هجوم بريطاني فرسي مشترك ، مسعدا أن يقدم ابدن على هذه الخطوة المدمرة .

وكذلك لم يكن جمال عبد الناصر حتى هذا الوقت قد أدرك خطورة الخطة والمؤامرة المدبرة ، ولم يكن ينصور أن شراسة الامبريالية وضراوتها يمكن ان تدبر خطة لثخطيه بدمغه داخل المصيدة .

نشر الصحفي الامريكي أنتوني بيرسن في المجلة الامريكية « سهاوس » مقالا جاء فيه « ان امريكا واسرائيل قررا عام ١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي غير ممكن بسبب شيعيته وقوة مركزه ، وان الوسيلة هي هزيئته في حرب محدودة نفقده ثقة العرب واحترامهم » .

كل الظروف القائمة تشير الى ان خيوط مؤامرة امبريالية تنسج حول مصر في هدوء ... وان الانزلاق نحو المصيدة يتوقف على ردود فعل الزعيم الوطني الذي امتحنته التجارب والمواقف السابقة .

### اسرائيل ... والمصيدة

( لقد اسغرق الامر من القوات البريه والطيارين عشر سنوات للاستعداد للدقائق الثمانين الاولى من الحرب ) ... هذه الكلمات النى قالها شيمون بيريز نائب وزير الدفاع الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ تعبر عن حقيقة الدور الذى لعبته الحكومة الاسرائيلية .

عشر سنوات وبضعة شهور كانت قد مضت منذ انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة بعد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ... وخلال هذه الفترة حدثت في مصر واسرائيل احداث تمس القدرة العسكريه .

عرضت الجمهورية العربية المتحدة لمأساة الانفصال التى استقطت التنسيق والقيادة الواحدة - ونست الموحدة - لطرفى الكباشه المحيطه باسرائيل ، واضعفت بالنالى القدرة على وضع خطة واحدة بقياده واحدة تنفذها وحدات القوات المسلحة لدولة واحدة .. وبعد عام واحد انشغلت القوات المسلحة المصرية بحرب اليمن التى لم تحسم فى أسابيع او شهور كما كان متوقعا ولكنها امتدت عدة اعوام فى ظروف متتالية غير موانية خسرت فيها ... ١٠ قتيل وخيرا من الجرحى .. وتعرضت القوات المسلحة لامور كان يجدر بها ان تكون بعيدة عنها ، مثل ابقاء بعض كبار القادة فى مناصبهم رغم اخطائهم الجسيمة مثل قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود الذى ضربت طائراته على الارض فى اكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦ ، وانخذ قرار بابعاده ثم أصر عبد الحكيم عامر على بقاءه .. واستمرار المشير عامر فى منصبه قائدا عاما للقوات المسلحة وان كان قد تغير اللقب ليصبح ( نائب القائد الاعلى ) وذلك بعد مسؤوليته عن مأساة الانفصال ، ثم انجاهه الى حياه بعيدة عن الروح العسكرية القتالية مع مضاعفة مسئولياته فى امور مدنية تستهلك طاقته وتركيزه كما ذكرنا .. وأخيرا تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع وهو لا يملك مؤهلات الفهم العميق لوسائل القتال الحديث ، فقد توقفت دراسته تماما منذ كان

يوزباشى في ليلة ٢٣ يوليو .

وفي الجانب الآخر كانت اسرائيل سستعد لجولة قادمة ، بعد اجبارها على الانسحاب دون تحقيق اى غرض اسرانيجى هام ، سوى انشاء ميناء ايلات والحصول على حق الملاحة فى مضيق بيران .

قال ديان امام الكنيسف فى مارس ١٩٥٧ ( ان الفضل العسكري يرب فى حقيقة الامر على هزيمة سياسية لم يكن امام اسرائيل الا ان تنجرعها حتى السالة ونسحب من كل الاراضى الى احتلتها ) .

ولذا بدأت اسرائيل رسم سياستها الحربية على اساس قدرتها العسكرية الدانيه ، واصبحت مؤسسه الدفاع متحكمه ومسيطره على سياسة الدولة ، ووضع موسى ديان برنامجا يقضى بتعزيز القوات الجوية ودعم القوات المدرعة باعتبارها اقوى اسلحه تملك القوى الضاربة فى الحرب التقليدية الحديثه ، كما ركزت اسرائيل اهتمامها على الابحاث الذرية ، ونجح شيمون بيرير فى ان يبد التعاون الفرنسى فى مجالات السليخ لتبادل الابحاث العلمية والفنيه الخاصة بالطاقة الذرية .

وركزت اسرائيل سياستها واستراتيجيتها على اساس :

١ - الحصول على احدث الاسلحة وخاصة من اكبر مصادرها قدرة ونظورا ( الولايات المتحدة الامريكية ) .

٢ - الحصول على ضمانات لامنهم من الدول الغربية .  
وفي هذا السبيل نجحت بخطوات متلاحقة :

أولا : كانت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى رحبت بمشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ ، والذي كان يقضى بنخويل ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشترك .

ثانيا : واصلت اسرائيل علاقاتها الطيبة مع فرنسا حتى بعد وصول دييجول الى الحكم ( يونيو ١٩٥٨ ) ، فحطمت منها على صفقة من طائرات الميراج ، تكررت ايضا بعد زيارة بن جوريون لباريس ( يونيو ١٩٦٠ ) ويونيو ١٩٦١ ) .

ثالثا : استطاعت اسرائيل الحصول على اسلحة من المانيا الاتحادية بضغط امريكية ووافق برلمان المانيا الغربية على ذلك فى ديسمبر ١٩٦٢ ، وتدفقت الاسلحة والدبابات على اسرائيل حتى فبراير ١٩٦٥ عندما اضطرت المانيا الاتحادية الى اعلان وقف تصدير الاسلحة بعد غضب الدول العربية واعتراضها بعد ان كانت قد صدرت ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار حسب تصريح شيمون بيريز . وقد عوضت المانيا ذلك باقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فى ١٢ مايو ١٩٦٥ وامدادها بمعونات اقتصادية وصناعية هائلة .

رابعا : وصلت اسرائيل الى هدفها وقمة نجاحها بالحصول على اسلحة امريكية مما اعتبر تغييرا حاسما فى الموقف الامريكى ، بدأ ذلك بصفقة صواريخ هوك التى مزقت الحظر الامريكى ثم تبع ذلك الامداد بالدبابات والمدرعات وأخيرا طائرات « سكاى هوك » فى مايو ١٩٦٦ ، واصبحت الولايات المتحدة بعد ذلك المورد الرئيس للأسلحة التى تحتاجها اسرائيل ، كما ضمنت تأييد الولايات المتحدة فى الوقوف خلف اسرائيل بصفة واضحة ونهائية .

وهكذا مضت السنوات العشر في محاولات دائبة وناجحة لتحويل اسرائيل الى برسانة حربية قادرة على ( الاعتماد على قوتها الذاتية ) مستندة اساسا في سياستها الخارجية مع الولايات المتحدة زعيمة الدول الامبريالية .  
ووصلت اسرائيل الى واحدة من خمس دول في المنطقة بملك جيوشا تزيد عن ١٠٠.٠٠٠ وهى باكستان وسوريا ويران المرتبطة بالحلف المركزى ( بغداد سابقا ) .. ثم مصر .

ولكن موقف اسرائيل كان يسبق غيرها في نسبة المجندين الى عدد السكان ، اذ بلغت عام ١٩٦٠ كما ورد في احصائيات اوردها ( هاروبيز ) في كتابه ( البعد الحربى فى سياسة الشرق الاوسط ) ٠٠ بلغت ١٤٤ فى الالف بينما كانت فى مصر ٦ فى الالف ، ١١ فى الالف فى سوريا ، ٢٢.٥ فى الالف فى الاردن .

هذه النسبة تلقى على اسرائيل عبئا كبيرا لا يستطيع بحمله لمدة طويلة ... وقد طهر ذلك جليا في المشكلة الاقتصادية التى تعرضت لها اسرائيل في نهاية عام ١٩٦٦ بعد انتهاء اتفاقية التعويضات مع المانيا الاتحادية التى وقعت عام ١٩٥٢ وبلغت مجموعها ٣٤٥٠ مليون مارك صرفت اساسا على دعم وتطوير الصناعة ووسائل النقل البرى والبحرى وزيادة مصادر الطاقة .  
بلغ العجز في ميزان التجارة الخارجية لاسرائيل ٥٠٠ مليون دولار ، وارتفع عدد العاطلين الى ١٠٠.٠٠٠ عاطل اى اكثر من ١٢ ٪ من القوى العاملة في ذلك الوقت ... واصبحت الحرب هى الحل الانسب للنخلص من هذه المشاكل الاقتصادية .

الوسائل العسكرية جاهزة ، ولكن الذريعة لشن الحسب هى التى تحتاج الى تدبير .. نهاما كما كان الموقف قبل العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ عندما قال بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون ( لم تغير أزمة السويس شيئا من خطط اسرائيل التى كانت ستهجم على اية حال ، ولكنها سهلت لها اصعب الامور وهو السلاح والحلفاء ) .

كانت أزمة السويس هى مبرر العدوان الاسرائيلى عام ١٩٥٦ ، ولكن الموقف مع بداية ١٩٦٧ يختلف ... فقوات الطوارئ الدولية بشكل عاجزا على الحدود فى مصر .. واية حرب تقوم بها اسرائيل على الدول المجاورة لا تحقق غرضها الا اذا اسنهدفت تدمير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة .

ولذا بدأ التفكير في ذريعة ندخل بها اسرائيل الحرب لتحقيق اهدافها وهى ... تدمير الجيوش العربية ، والتوسع الاقليمى ، وفرض السلام الاسرائيلى واسقاط الانظمة التقدمية فى الوطن العربى وفى مقدمتها النظام المصرى .

الحدود المصرية مغلقة ولا توجد اية اشباكات يمكن ان تكون مبررا للهجوم .. والاردن تعرضت لغارات انتقامية اسرائيلية ، ولكن نظامها لا يشكل خطرا على اسرائيل ، وهو على علاقة غيرة مع النظام المصرى مما قد لا يدفع النظام الاخير الى التحرك .

وبقيت سوريا .  
وركزت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية خطتها على ان تكون سوريا  
هي الذريعة التي تؤدي الى الحرب .  
كانت الظروف مواتية لذلك ، فالمقاومة الفلسطينية كانت  
نتحرك الى داخل اسرائيل عبر الحدود السورية . . . وكانت سوريا تقوم  
بنهضة مشروعات المياه التي تعمل اسرائيل على احباطها بشتى الوسائل بما  
فيها العمل العسكري . . . وكانت مواقع الجولان الحاكمة على الاراضي  
الاسرائيلية المنخفضة هدفا من اهداف الحرب الاسرائيلية تعتقد المؤسسة  
العسكرية ( بوجود حساب قديم يلزم تسويته مع الجيش السوري الذي لم  
يكف . . . مستغلا ميزة طبوغرافية . . . عن ملاحقة وضرب المستعمرات الزراعية  
التي يشرف عليها من اعلى الهضبة ) كما ورد في كتاب العسكرية الصهيونية  
كانت هذه هي النقط المعلنه التي اعتمدت عليها اسرائيل لزيادة التوتر  
وخلق مبررات الحرب في المنطقة .

واستجابت الدول العربية لهذا المخطط تدريجيا . . . فاشتعلت اساليب  
الدعاية التي روجت لبعض كلمات التقطها الاسرائيليون مثل ( تدمير اسرائيل  
والقاء اليهود للبحر ) وانخذوا منها دليلا على عدوانية العرب . . . وجسدوا  
الخطر الذي يتعرض له له الاسرائيليون الامر الذي اتاح للمؤسسة  
العسكرية تشديد قبضتها على الجماهير هناك ، وعسكرة المجتمع ، ووضع  
كافة الأفراد من سن ١٨ الى ٥٥ تحت سلطة جهاز التعبئة في المؤسسة  
العسكرية .

هذا رغم ان أحدا من المسؤولين الحقيقيين في الدول المجاورة لم يصدر  
عنه مثل هذه التصريحات المستفزة والمسيئة معا .  
ووجد اصحاب التدبير الاسرائيلي فرصتهم اوفر وأفضل بعد عقد اتفاقية  
الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا . . . فقد اصبح جذب  
النظام المصري الى المعركة اكثر احنالا عن ذي قبل .

وظهرت معالم التدبير بين اسرائيل والولايات المتحدة في النشاط السياسي  
الكبير . . . حتى انه في شهر مارس ١٩٦٧ زار اسرائيل في وقت واحد كل من  
لوشينوس باتل مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط  
وجنوب آسيا ، والذي ذكرنا تصريحاته المعادية للقاهرة امام لجنة الشؤون  
الخارجية بعد انتهاء عمله سفيرا لأمريكا في مصر . . . وهارولد ساندوز مستشار  
الرئيس جونسون لشئون الشرق الاوسط . . . وتاونسند هوبز من وزارة  
الدفاع الامريكية .

كل العوامل التي تؤدي الى احكام الخطة وتجهيز المصيدة أصبحت  
جاهزة . . . وبقي انضاج المبرر وتحديد التوقيت المناسب .

### السوفييت . . . والمصيدة

منذ طلب جمال عبد الناصر اسلحة من الحكومة السوفيتية عام ١٩٥٥  
لكسر احتكار السلاح الغربي وحظر تصديره لمصر ، وللاتحاد السوفيتي في  
المنطقة وجود تدعيم بالمساعدات الاقتصادية والصناعية .

وخلال عدوان ١٩٥٦ قدم بولجانين انذاره الشهر الذى كان اول الاسباب الرئيسية فى وقف العدوان الثلاثى ، واحصار موجه حتى الانسحاب الكامل .

ورغم بغير العلاقات السياسية بين مصر والاتحاد السوفىي ، واعمال مناب الشيوعيين فى مصر عام ١٩٥٩ ، الا ان الامداد بالسلاح لم يوقف تماما مثل التعاون الاقتصادى ، والمواقفه على بكملة مراحل السـد العالى .

والخبراء العسكريون السوفيت لم يدخلوا مصر مع السلاح ... فقد كان هناك تخوف وحساسيه من التعامل مع اكبر دولة شيوعيه ، ولذا اعلنت صفة السلاح اولا على أنها من شيكو سلوفاكيا .

قال لى الفريق عبد المحسن مرنجى انه بدأ ارسال عدد محدود من الضباط الى الاتحاد السوفيينى فى مارس ١٩٥٧ اى بعد اكثر من عام ونصف على توقيع الاتفاقية ، وبدا وصول الاسلحة .. وامانا فى السريه والسفى ذهب الضباط باسء مستعارة تحاشيا للمخابرات الامريكه .. ووصول الخبراء السوفيت فى اواخر ١٩٥٨ باعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط حيث اشتركوا فى اعادة تنظيم القوات وزرع العقيدة الشرقيه فى القتال . وكتب الفريق صلاح الحديدى فى كتابه ( شاهد على حرب ٦٧ ) يقول انه كان لوصول الشحنة الاولى من السلاح السوفىي رنه مـرح واغـتباط فى الاوساط العسكرية لنجاح القيادة السياسيه فى تحطيم احتكار بيع الاسلحة بصرف النظر عن مصدرها الجديد .

وكتب ايضا يقول ( ويسجل تاريخ هذه الفترة بعد وصول الشحنات الاولى من الاسلحة الحديثة وعلى رأسها الدبابات ٣٤ وطائرات الميج ، عدم وصول خبراء من الكتلة الشرقية ليساعدوا فى تفهم الاسلحة وشرح تشغيلها واستخدامها ، واكتفى بالكسب والنشرات التوضيحية المرافقة للأسلحة والمترجمة الى الانجليزية .. وتفنضى الدفة فى تسجيل تاريخ هذه الفترة أن أذكر وصول عدد محدود جدا من الخبراء التشيكو سلوفاكيين فى السلاحين البحرى والجوى ) .

ويفسر صلاح الحديدى ذلك بقوله ( اكاد اجزم أن فكرة استخدام الخبراء السوفيت فى القوات المسلحة المصرية على مستوى واسع ، واتباع الاسلوب الشرقى — كما كنا نسميه — فى تكتيكات وتنظيم هذه القوات ، لم تخطر على أذهان المسؤولين الا بعد الاعتداء الثلاثى ) .

الظروف اذا هى التى دفعت الى كسر حاجز الحساسيه والاستعانة بالخبراء السوفيت ، ومع ذلك ظل هؤلاء فى معزل عن الاندماج فى حياة الضباط الاجتماعيه ، وظلوا على حرص شديد فى تغليف عملهم بالصمت حتى لايساء الى موقفهم من العناصر المعادية المنربصة بالتعاون الناشئ بين الدول الاشتراكية ودول التحرر الوطنى والتى يمكن أن توجه اليهم تهمة ترويج الدعاية الشيوعيه ، فى وقت كان قانون العقوبات ومازال يعتبر الشيوعيه جريسة يحاكم عليها الانسان .

حرص الخبراء السوفيت على أن يلتزموا بأداء واجبهم المطلوب منهم دون

جاءوا لحدوده ، ولو شعروا بنوع من العزلة عن المجتمع وما قد يبيع ذلك من ضيق وشعور بالوحدة .

ويؤكد الفريق صلاح الحديدي هذه الحقيقة فيقول ( كان موقف الخبراء السوفيت وبصرفاهم في الفترة حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ فوق كل شبهة ترمى الى ابهامهم بالدخول فيما لا يعنيه ، وكان لا يعنيه الا اجادة عملهم واضفاء روح الجدية على انجازاتهم العسكرية ، شأنهم في ذلك شأن شعوب الاتحاد السوفيتي الذين يقدسون عملهم ، فلم يحاولوا الحصول على سلطات او نفوذ قد ينفر القادة او الضباط منهم ، بل كانوا من الناحية الواقعية تحت قيادة المناطق والقيادات يلبون اية مهمة يكلفون بها ويشرحون — مخلصين — ما يطلب منهم ابداء الراى فيه منفئين في عملهم ، على جانب كبير من اللباقة في تعاملهم مع الضباط ) .

لم تكن القبضة العليا في القوات المسلحة المصرية للخبراء السوفييت وانما كانت للقيادة المصرية التي ترسم الاستراتيجية وتتخذ الموقف وتصدر القرار .

وكان التعاون قاصرا على المباحثات والمناقشات وتبادل المعلومات التي تتم بين القيادات السياسية او العسكرية على المستويات المختلفة . ولا شك انه كان من مصلحة الاتحاد السوفيتي الاستراتيجية والسياسية أن يكون كل من النظام المصري والنظام السوري مناسكا ، وقادرا على الثبات في مواجهة الضغوط الامبريالية ، وحريصا على عدم التورط في مصيدة اسرائيلية .

واى نجاح واستقرار سياسى واجتماعى للنظامين لابد وأن ينعكس ايجابيا على الاتحاد السوفيتي الصديق الذي يقدم المساعدات العسكرية والاقتصادية فى سخاء واضح .

ولاشك ايضا ان الاتحاد السوفيتي كان يعرف حقيقة قدرات القوات المسلحة المصرية والسورية ايضا . ويعرف نقط القوة والضعف فى كل منها ويدرك ان الدخول فى قتال غير محسوب هو امر يندر بخطر شديد . لم يكن من مصلحة الاتحاد السوفيتي اشتعال الحرب فى المنطقة بأى حال من الاحوال . وكان حرصه على السلام وخشيته على النظامين المصرى والسورى باعثا له على ان يكون فى نقطة دائمة للمنطقة .

ولذا فانه عندما ابلغت موسكو القاهرة ودمشق بأن هناك حشودا اسرائيلية على الحدود السورية لم يكن ذلك من قبيل المبالغة او التحويه ، ولم يكن يعنى أكثر من اتخاذ الحذر مما يدبر ، وليس الاندفاع الى ما يدبر فعلا .

اقترون هذا التبليغ بتحذيرات اسرائيلية عدوانيه ، ابتداء من رئيس الوزراء حتى أعضاء الكنيست، وصرح رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيل بأنه قادر على مهاجمة دمشق واسقاط الحكومة السورية ، وفى ٩ مايو وقبل أى تحرك عربى منحت لجنة شئون الامن فى الكنيست سلطات كاملة للحكومة للقيام بعمليات عسكرية ضد سوريا ، مما اظهر جدية التهديد . ولم يكن ممكنا للخطة الاسرائيلية ان تنجح دون اثارة الشعور بالخطر

الموجه لسوريا ، حتى يلتهب الموقف ، ويدخل في دائرة ردود الفعل ، ولذا فانهم قاموا بحشد قواتهم لاثارة الانبعاث اليها ، ثم قاموا بتحريكها الى الجنوب حيث كانت النية مبيتة على توجيه الضربة الرئيسية . . . وذلك بعد أن أدت دورها الخداعي .

ولا يلقى هذه الحقيقة ما قامت به اسرائيل من دعوة بعض المراقبين بما فيهم السفير السوفيتي الذي رفض الدعوة ، لمشاهدة الحدود والتأكد من عدم وجود حشود حولها . . . فان قدرة القوات الاسرائيلية على الحركة السريعة كفيلة بتغيير موقع القوات من مكان الى آخر في أيام . . . بل في ساعات . لم تكن هذه الحشود وهما أو خيالا كما حاولت بعض الدعايات الغربية تصوير الموقف في محاولة لتبرئة اسرائيل ، والاساءة للموقف السوفيتي ، الذي تبين مع سريان الاحداث انه كان حريصا اشد الحرص على ألا يتورط النظام المصري ويكون البادئ بالاعتداء .

ويشير أمين هويدى الذى عين وريثا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ مباشرة في كتابه ( اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ ) الى هذه الواقعة قائلا :

( وقد وقف الكثيرون عند هذه النقطة وخرجوا باستنتاجات كثيرة أقلها ان الاتحاد السوفيتي دفعنا دفعا الى هذا الموقف حتى يستغله ضمن اطار سياسته العالمية . . . ولكن لعل في هذا الاستنتاج ظلما مادحا للاتحاد السوفيتي ، ولعله أيضا قفزة طويلة فوق الحقائق . . . لأن من يرجع بالذاكرة الى تلك الايام يجد ان المسرح السياسى في المنطقة كان يوحى بأنه قابل للاشتعال ) .

ويذكر أمين هويدى العوامل القائمة وقتئذ وهي دور اذاعات الاردن والسعودية . . . والزيارات الكثيفة التي قام بها مسئولون امريكيون وبريطانيون لكل من عمان والرياض وتل ابيب . . . والتهديدات الاسرائيلية المتكررة ضد النظام السوري .

كان الاتحاد السوفيتي حذرا تماما من الوقوع في مصيدة حرب عالمية ، لهذا امر لم تعد تحتمله الدولتان العظيمتان بعد التطور الرهيب في اسلحة الدمار الذرية . . . وكان حريصا على ألا تندفع مصر في مصيدة الخطأ الامبريالية .

### الايقاع السريع

كان ايقاع الاحداث سريعا ، وكانت بعض الفترات مثيرة ومفاجئة . كانت أزمة الاعتداء في اليمن على مقر النقطة الرابعة ، قد أدت الى توجيه الحكومة الامريكية اذارا للحكومة اليمنية تطلب قبوله يوم ٢٧ ابريل في ظرف ٢٤ ساعة والا سحبت الاعتراف بها . . . ورفض السلال الاحتجاج والاذار ( ولتفعل امريكا ما تشاء ) حسب البيان الذي أصدره . كانت الازمة تشكل تحديا للتنفيذ الامريكى ، وخاصة أنها قد حدثت اثناء وجود الملك سعود مع المشير عامر وانور السادات في اليمن ، وتوجيههم خطبا ودعاية مثيرة ضد النظام السعودي المساند من امريكا .

وكانت الحركة الثورية في اليمن الجنوبية تشكل تهديدا صريحا لبقاء  
أي نفوذ استعماري في جنوب شبه الجزيرة العربية الطائفية على بحر من  
البتترول

وخطب جمال عبد الناصر في عيد العمال أول مايو قائلا إن اسلحة امريكا  
الثلاثة هي الضغط الاقتصادي ، ونشاط المخابرات والحرب النفسية ...  
وقال ( ان لدينا اشربة مسجلة لرجال المخابرات الأمريكية في القاهرة ) .  
وفي يوم ٩ مايو سافر الملك فيصل لزيارة لندن حيث تقبل ببهاهرت  
معادية من الطلبة العرب ، في الوقت الذي كان يطالب انجلترا فيه بعمل  
عسكري قوى لانهاء الثورة في الجنوب كما نشرت الصحف البريطانية .  
وكانت اذاعات الاردن والسعودية ، رغم التبليغ السري الذي همس  
به الملك حسين لعبد المنعم رياض طالبا رفعه لجمال عبد الناصر ليكون على  
حذر من خطة تدبر ضده ٠٠٠ كانت هذه الاذاعات مازالت تواصل حملتها  
الدعائية ضد مصر وتتهم النظام فيها بالتهادن مع اسرائيل .

وكانت الاردن قد اصدرت طابع بريد نشرت صحيفة الاهرام صورته  
في الصفحة الاولى يوم ٥ مايو ٦٧ وهو يحمل هذه الكلمات ( الملكة الاردنية  
الهاشمية ثم صورة جونسون وتحتها هذه الكلمات ( بناء السلام العالمى ) .  
توافرت عند جمال عبد الناصر المعلومات الآتية :

١ - قرار الكنيست يوم ٩ مايو باعطاء الحكومة الاسرائيلية حق القيام  
بعمليات عسكرية ضد سوريا .

٢ - تواجد جنود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية .

٣ - تهديدات أشكول ورابين الصريحة ضد النظام السوري ،  
وحديثهم عن الزحف الى دمشق .

٤ - تقارير السفير السوري في موسكو صلاح الطرزي الذي يقول  
ان مصادر موثوقا بها قد أكدت له ان الهجوم على سوريا قد تحددت له الفترة  
من ١٦ مايو الى ٢٢ مايو .

ضاعف من أثر هذه المعلومات في نفس جمال عبد الناصر معاناته من  
هجمات الدعاية الاردنية والسعودية التي اتهمته باتباع سياسة ناعمة  
مع اسرائيل ٠٠٠ وضاعف من أثرها أيضا شعوره بأنه لا يمكن أن يلتزم  
العصمت الى الابد وهو مرتبط مع سوريا بمعاهدة دفاع مشترك ٠٠٠ وضاعف  
من أثرها أخيرا حرصه على أن يبقى في موقعه التاريخي أملا للامة العربية  
في معركتها التحريرية .

ولذا تصرف جمال عبد الناصر في حدود ما تأثر به ... رفض يوم ١٥  
مايو طلبا تقدمت به بعض قطع الاسطول السادس الاميركي لزيارة بعض  
الموانئ ، مشيرا في رفضه الى تصريحات ليفي أشكول رئيس وزراء اسرائيل  
التي أعلن فيها صراحة ( ان أمن اسرائيل يعتمد في حمايته على وجود  
الاسطول السادس الاميركي ) .

وأصدر يوم ١٣ مايو قرارا بحشد قوات مصرية في سسيناء تأهبا  
واستعدادا .



ولكن جمال عبد الناصر لم يقدم على هذه التصرفات بعقلية المتعالم ،  
بقدر ما أقدم عليها بعقلية السياسي المناور .  
عندما زار ابراهيم ماحوس وزير خارجية سوريا القاهرة يوم ١٦ مايو  
بعد ابلاغ سوريا يوم ١٤ مايو دول مجلس الامن بالمؤامرة ضد سوريا واعلانتها  
بانها ستراجعه اى عدوان اسرائيلى بكل طاقاتها ، قال له جمال عبد الناصر  
— حسب روايته لى — ان الجمهورية العربية المتحدة قد حشدت قواتها  
فى سيناء ليكون فى هذه المظاهرة العسكرية رسالة الى اسرائيل تجعلها  
تساود التفكير .

وقال لى ماحوس ان جمال عبد الناصر قد اوضح له ان تدرة السوفييت  
على المساعدة المادية قد تكون محدودة ... وان مساعدتهم قد لا تتجاوز  
التأييد المعنوى والسياسى ، وربما انذار امريكا واسرائيل ، ولذا فان على  
النظام السورى ان يضبط اعصابه ولا يدفع الامور الى نقطة الخطر ، لانه  
— حسب تعبير عبد الناصر — ( لا يريد ان يقفل باب التراجع وراء اسرائيل )  
وقال عبد الناصر لى ماحوس ايضا ( اريدكم ان تلمسوا دقة الموقف ،  
وعلينا ان نعالجه بأعصاب باردة بعيدة عن اى استفزاز ) .

واكد لى ماحوس انه ابلى جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة حرص  
النظام السورى على عدم الانزلاق فى مخطط امبريالى ، وان سوريا لا تطلب  
من مصر الاندفاع الى قتال غير محسوب العواقب .

وكان هذا دليلا على ان جمال عبد الناصر كان يتصرف حتى هذه اللحظة  
التي اعلن فيها حالة الطوارئ والاستعداد القصى بأعصاب هادئة ...  
وان اخبار الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية مهما تنوعت مصادرها  
لم تكن لتجعله ينزلق الى دخول المصيدة .  
ولكن اسرائيل تريد للموقف ان يزيد اشتعالا .

فى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وهو يوم الذكرى التاسع عشر لتأسيس  
اسرائيل ، حدث عرض عسكري فى منطقة القدس الاسرائيلية التى كانت تعتبر  
ارضا منزوعة السلاح بناء على قرارات الهدنة ، قالت عنه صحيفة الجارديان  
البريطانية ( انه كان خاليا من أية طائرات فى السماء ، ولا توجد دبابات  
او اسلحة متطورة من التى تعتمد عليها اسرائيل فى العرض العسكرى ) .  
كان واضحا ان العرض العسكرى فى القدس هو نوع من الاستفزاز  
.. وان غياب الاسلحة المتطورة كان يعنى انها هناك فى الحشود على  
الحدود .

واذاعت وكالة الانباء الفرنسية يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ تصريحها لليفى  
اشكول قال فيه :

واضح للحكومة الاسرائيلية ان بؤرة ( الارهابيين ) مركزة فى سوريا ،  
ولكننا وضعنا مبدأ بان نختار الوقت والمكان المناسب لصعد المعتدى .. ويبدو  
ان سوريا قد اصبحت رأس حربة العرب فى حربهم ضد اسرائيل .. ولكن  
السوريين يعرفون قوتهم المحدودة ، وانه ليس بدون سبب ان تلعب سوريا  
دورا لمصلحة الدول الكبرى ، ولكن هذا لا يخيفنا ) .

وقال ايضا ( انه من المحتم ان تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل اذا استمرت عمليات الغدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل ) .  
سوريا تصرح بانها ( لن تغلق الحدود فى وجه الفلسطينيين الراغبين فى استعادة بلادهم السليبية ) .  
والجمهورية العربية المتحدة تصدر بيانا يقول انها ( سوف تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السورى لعدوان يهدد ارضه وسلامته ) .

وتتجاوز المظاهرة العربية حدود الكلمات . . وفجأة تختفى من الصحف العناوين الرئيسية التى تتحدث عن الثورة فى جنوب اليمن ، وتظهر اخبار اعلان حالة الطوارئ والاستعداد القصوى .  
ويقرر جمال عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية التى ركزت عليها الدعاية لانظمة الحكم الرجعية والتى ابقت الحدود المصرية هادئة لمدة اكثر من عشرة اعوام .

ولكن تعليمات جمال عبد الناصر لم تكن تقضى بسحب قوات الطوارئ الدولية كلها ومن جميع مواقعها .  
قال لى ماخوس انه اثناء مقابلته لجمال عبد الناصر ابلغه ان خطته تقضى بان تبني قوات الطوارئ الدولية فى غزة وشرم الشيخ ، وان تسحب فقط من الخط الواقع بين ( طابا ورقح ) .  
خطاب الفريق اول محمد فوزى رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة الى قائد قوات الطوارئ الدولية والذى صدر يوم ١٥ مايو ونشر فى صحف اليوم التالى يقول :

( احيطكم علما باننى اصدرت تعليمات الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها باى عمل عدوانى ضد اى دولة عربية ، وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا فى سيناء على حدودنا الشرقية ولضمان امن قوات الطوارئ الدولية المتمركزة فى نقط المراجعة على حدودنا اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فوراً .

وقد اصدرت تعليماتى لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن ) .

الخطاب خال تماما من تحديد القوات التى يجب انسحابها ، ومن المراكز التى يسمح لها بالبقاء فيها ، على اساس الاتفاق على ذلك كما رسم عبد الناصر خطته .

ولكن يوثائق ابلى القاهرة عن طريق محمد عوض القونى مندوب مصر فى الامم المتحدة بناء على نصيحة من مساعده الامريكى رالف بانس ( ان عمل قوات الطوارئ هو مهمة سلام لا تنجزاً ) .

وقد وضع هذا الرأى جمال عبد الناصر فى موقف محير ، فقد اصبح مجبرا على الالتزام بكلمته فى سحب القوات . . ويشير اصعب الاتهام الى رالف بانس الذى احاطت علامات الاستفهام بنصيحته ، وهو الذى يعرف المنطقة لسابق خبرته بها عندما كان مندوبا للامم المتحدة .

وقد فسر جمال عبد الناصر ذلك بعد فوات الاوان فى حديث ادى به الى الصحفي الفرنسى اريك رولو المصرى الاصل نشرته صحيفة الموند يوم ١٩ فبراير ١٩٧٠ وقال فيه :

( لم ارد شن الحرب سنة ١٩٦٧ والقادة الاسرائيليون يعرفون ذلك جيدا ، لم يكن فى نيتى اقبال خليج العقبة بوجه السفن الاسرائيلية ، لم اطلب الى يوثانت ان يسحب قوات الامم المتحدة من غزة وشرم الشيخ المشرى على مدخل الخليج لكن فقط من جزء من الحدود الممتدة من رفح الى ايلات ٠٠ الا ان امين عام الامم المتحدة قرر - بناء على نصيحة موظف امريكى كبير فى المنظمة - سحب جميع هذه القوات ليضعنى فى موقف المجرى على ارسال القوات المصرية الى شرم الشيخ واقامة الحصار وهكذا وقمنا فى الفخ الذى نصب لنا ) .

رؤية جمال عبد الناصر لحقيقة الموقف تأخرت ثلاث سنوات حتى نشر هذا الحديث على الراى العام العالمى .  
انه فعلا كان يدخل المصيدة منساقا تحت ضغط ظروف لم يحسن تبينها ولم يجد حساباتها .

خطاب رئيس الاركان يطلب سحب القوات بلا تحديد ٠٠ وسكرتير هيئة الامم يصر على سحبها جميعا .

كان صعبا ٠٠ بل شديد الصعوبة ٠٠ ان يتراجع جمال عبد الناصر ٠٠ فانه عندئذ كان يخسر كل شئ ، وتنهال على راسه كل الاتهامات .  
ولذا كتب محمود رياض وزير الخارجية خطابا من ٦٧ كلمة يطلب فيه من يوثانت سحب قوات الطوارئ الدولية من الاراضى المصرية ومن غزة ٠٠ صدر الخطاب يوم ١٧ مايو بعد يومين من خطاب الفريق اول محمد فوزى ٠٠ وبعد ساعات فقط اصدر يوثانت اوامره بسحب قوات الطوارئ جميعها دون الرجوع الى مجلس الامن او الى هيئة الامم المتحدة التى كانت منعقدة فى ذلك الوقت .

وقوات الطوارئ الدولية التى طلبت مصر سحبها لم تكن تتجاوز ٣٤٠٠ جندي من كندا والبرازيل والهند ويوغوسلافيا والنرويج والسويد والدانمرك ، استقرت داخل الاراضى المصرية بعد ان رفضت اسرائيل تواجدها على اراضيها بعد الانسحاب من سيناء .

وكانت قيادة قوات الطوارئ الدولية قد طالبت بعدم وجود قوات مصرية لمسافة عشرة كيلو مترات من الحدود ، حتى يتيسر لها فصل القوات العربية عن الاسرائيلية فصلا تاما .

وافق النظام المصرى على عدم وجود قوات مسلحة مصرية فى هذه المسافة حتى تنوافر لرجال البوليس الدولى حربة العمل كاملة ٠٠ وهكذا انتقلت حدودنا اوتوماتيكيا عشرة كيلو مترات الى الغرب ٠٠ وفى هذه المساحة كان السكان المدنيون من العرب الرجل ينضمون اداريا لسلطة المصرية ، ولكن الامر كان يحتاج الى تنسيق مع قوات الطوارئ اذا حاول رجال الامن المحلى فى سيناء القيام بواجبهم .

هذه المسافة الطويلة افقدت القوات المساعدة المصرية فريضة استكشاف

الارض ومعرفة خواصها ومراقبتها ٠٠ وظلت الاراضى الاسرائيلية بعيدة تماما عن الرؤية المصرية ٠

وكانت القوات الكندية هى المسئولة عن كافة التحركات الجوية لقوات الطوارئ وكذلك القيام بدوريات المراقبة من الجو فى بعض الاحيان ٠٠ وقد تقاسمت لذلك مطار العريش مع القوات الجوية العربية ٠٠ ومعروف ان كندا عضو فى الكومنولث البريطانى ، وتربطها علاقات جوار طيبة مع الولايات المتحدة ٠

كان بعض العسكريين المصريين يشعرون بمرارة من فقدانهم السيطرة على بعض اراضيهم ، ولكنهم كانوا يفقدون أيضا أن ذلك يتم فى سبيل الهدوء والاستقرار ، خاصة وان قوات الطوارئ لم تكن بالحجم او التسليح الذى يتيح لها فرصة منع أحد الاطراف من الاعتداء على الطرف الآخر بالقوة ٠ كان واجبا محدودا بالمراقبة وابلاغ السكرتير العام بما يدور على الحدود مع تامين المزارعين للعمل فى سلام فى ارضهم الملاصقة للحدود ٠ انسحبت القوات بأمر يوثانت خلال ايام قليلة ٠

وانهالت الانفعادات على يوثانت الذى عجل بتصرفه هبوب العاصفة ٠ كتب سولزبرجر كبير محررى الشؤون الخارجية فى النيويورك تايمز يقول : ( استخدم يوثانت منزلته الدولية لتشجيع عاصفة لا بد وان تنتهى بالحرب أجلا او عاجلا ) ٠

ونشرت الاهرام يوم ٢٠ مايو عناوين كبيرة : محاولات مستميتة من جانب امريكا وبريطانيا وكندا واسرائيل للضغط على يوثانت ولكنه تمسك بنقطين ٠

١ — حق مصر لا ينازع فى سحب قوات الطوارئ ٠

٢ — هو وحده الذى يملك الرد على طلب مصر ٠

ويبدو انه كان هناك ( قصر نظر مصرى ) لم يتبين الحقيقة خلال الايقاع السريع للأحداث ٠ فالدول التى اعدت المؤامرة وجهزت قواتها للعسودان تهاجم يوثانت لانه اسرع بسحب القوات ، مع ان ذلك كان حلما من احلامها ، وهذفا من أهم اهدافها حتى تظهر فى مظهر الدول الحريصة على السلام ٠٠ والقاهرة تدافع عن يوثانت لانه اسرع بالاستجابة الى طلبها ، وساعد على اعطاء القوة للمظاهرة العسكرية التى بدأها فى سيناء ٠

وقال جمال بوم ٢١ مايو لضباط احد مواقع القوات الجوية المتقدمة ( ان يوثانت تسبب بحكمة ووعى ونزاهة ) ٠

كان انسحاب قوات الطوارئ الدولية نقطة تحول كبيرة فى الموقف ٠٠ وكان واجبا على جمال عبد الناصر ان يعيد تقدير موقفه بعد اضطرابه الى ارسال قوات مصرية الى شرم الشيخ ، وهو الامر الذى لم يكن قد هيا نفسه له ٠ والذى يخرج بانظاهرة العسكرية عن ان تكون رسالة الى اسرائيل ، كما قال لاسرايم ماخوس ٠

ولكن الايقاع السريع للأحداث يبدو انه لم يحمي غرمة للناس بالمراجعة ٠

نشرت الاحرام يوم ١٦ يونيو خبرا اخر سارا تقول ان القوات

الاسرائيلية تكدف بأقصى سرعة الى الجنوب ٠٠ وقالت الاهرام ان الحشود المتجمعة امام سوريا ( تدوب ) ٠ وقدرت الحشود بثلاث فرق اسرائيلية ٠ وفى نفس اليوم ظهرت تصريحات عنيفة للمشير عامر أدلى بها للمحرر السياسى للاهرام قال فيها :

( لا ينبغي لأحد أن يساوره الشك فى ان الجمهورية العربية المتحدة ستضرب بكل قوة أى محاولة للمعدوان ، وانه قد آن الآوان لوضع حد لسياسة التبعج والغرور التى يتصرف بها العدو الاسرائيلى ) ٠

قال عامر ايضا ( ان تحرك قواتنا يقلب موقف العدو الاسرائيلى رأسا على عقب ) ٠

وتمت بعض التحركات ٠٠ الفريق أول محمد فوزى سافر الى دمشق ٠٠ والفريق أول عبد المحسن مرتجى عين قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع اسرائيل ٠٠ وتم الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن ٠٠ وهوارى بومدين يعلن تأييده المطلق لاجراءات مصر وسوريا ٠

وزار المشير عامر المواقع المتقدمة يوم ٢١ مايو ٠٠ وهو اليوم التالى لاعلان اسرائيل حالة التعبئة العامة واستدعاء الاحتياط ٠ ورفضت القاهرة اقتراحا بدعوة مجلس الدفاع العربى لانها ( ليست على استعداد لمناقشة خطط الموقف الخطير الراهن مع الرجعية او بحضورها ) ٠

وحافظ الاسد وررر الدفاع وقائد سلاح الطيران السورى يعلن ( ان القوات المسلحة اتمت استعداداتها والقوات الجوية فى المستوى الذى يمكنها من القيام بواجبها على اكمل وجه ) ٠

وفى نفس هذا اليوم ٢١ مايو عقد اجتماع للجنة التنفيذية العليا برئاسة جمال عبد الناصر ، حضره المشير عبد الحكيم عامر وزكريا محبى الدين وانور السادات وحسين الشافعى ، وصدقى سليمان رئيس الوزراء ٠

قال لى صدقى سليمان ان الاجتماع قد عقد فى صالون منزل جمال عبد الناصر دون جدول اعمال او تحضير ٠٠ وانه عندما عرض عليهم جمال عبد الناصر قراره باغلاق خليج العقبة لم يعترض احد منهم مطلقا ٠٠ وكان الصمت هو تعليقهم الوحيد ٠

لم يتحدث الا صدقى سليمان الذى تساءل بحسن نية عما اذا كانت تقارير المعلومات والمخابرات تظهر الصورة واضحة ، وعما اذا كانت احسالات قفل خليج العقبة قد درست دراسة عميقة وافعية ٠٠ وكان الجواب من جمال عبد الناصر مختصرا بالايجاب ٠

يقول صدقى سليمان انه يلوم نفسه لوما شديدا على عدم حوله فى مناقشة صريحة حول القرار ٠

وقد اكد حقيقة ما رواه لى صدقى سليمان ، ما قاله جمال عبد الناصر نفسه بعد الهزيمة للشهيد عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى عندما سأله عن أسر وراء قفل خليج العمرة ذلك انه ان الوحيد

الذي ناقش الامر معه كان صدقي سليمان .  
واكد لي زكريا محيي الدين حقيقة ما دار في هذا الاجتماع ، وفسر  
عدم تساؤلهم او مناقشتهم للقرار بانهم كانوا على ثقة من جمال عبد الناصر ،  
وان حضور المشير وموافقته يدل على الاطمئنان لقدرة القوات المسلحة .  
ويشير امين هويدى فى كتابه ( أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ ) الى  
حديث دار بينه وبين صدقي سليمان اثناء عمله معه وزيرا للدولة فيقول :  
( ابدت قلقى الشديد من تصعيد الموقف ، بل وابدت عدم ثقتى فى  
بعض القيادات العسكرية الموجودة ، وعدم قدرتها على مواجهة الموقف ،  
فكان رد رئيس الوزراء بهدوئه المعروف عنه ( والله يا امين الرئيس شايف ان  
وجود قوات الطوارئ الدولية زى الدمل لازم يفتح ) .

ولا شك ان اتخاذ هذا القرار الخطير .. فى هذا التوقيت الحرج ..  
وبمثل هذا الاسلوب المنعزل البعيد عن حيوية المؤسسات السياسية  
والديموقراطية ، وهو أمر يدل على ان نظام الحكم كان اوتوقراطيا يعتد  
على جمال عبد الناصر اعتمادا كاملا .. وان الثقة به - عن قناعة  
او مبالاة - كانت مطلقة حتى من اقرب زملائه له ، الذين تقاعسوا عن  
مناقشته ، او ارتضوا قراره بلا تعقيب .. وهم الذين كانوا يملكون وحدهم  
او قبل غيرهم بحكم الدستورية فى السلطة ، وبحكم الزمالة القديمة فى  
العمل .. فرصة الحوار معه ومناقشته .

وبدلا من الانجراف السريع وراء تخطئة القرار تخطئة كاملة ، علينا  
دائما ان نقدر الظروف المادية والمعنوية التى كانت قائمة .. والاهداف  
الكامنة فى صدر عبد الناصر عند اتخاذ القرار ..  
كتب مكسيم رودنسون فى كتابه ( اسرائيل والعرب ) ان عبد الناصر  
لم يصدر هذا القرار لمجرد الاعتراف بحقوق مصر فى خليج العقبة ،  
وانما لاجبار اسرائيل على التفاوض فى كل ما نجم عن حرب ١٩٤٨ ،  
والوصول الى ( حلول وسط ) فيما يتعلق بقضية اللاجئين وتسوية مشاكل  
الحدود

ولكن انطونى ناتنج يعتبر ان هذا الاستنتاج بعيد عن الحقيقة ويقول  
انه نتيجة لاتصالاته بعد الناصر يميل الى الشك فى ان عبد الناصر كان ينظر  
الى الامور بهذا الشكل ، وأنه كان يتحرك برد الفعل اكثر مما يتحرك  
بالفعل .

والواقع ان اسرائيل كانت امامها عدة طرق مفتوحة للحل بعد اتخاذ  
القرار لو انها كانت تستهدف الوصول الى حل سلمى فعلا وهى :

١ - مواصلة الاتصالات الدبلوماسية والتركيز عليها رغم عدم  
جدواها المؤكد فى ذلك الوقت .

٢ - اختبار جدية قرار الحصار المصرى بارسال مراكب اسرائيلية  
مضال من مائيت .. ان وسوسة رد الفعل المصرى .

٣ - محاولة القيام بعملية عسكرية محدودة لفتح المضائق لقواتها .

٤ - شن هجوب وقائية .

وواضح ان طريق الحل الرابع كان اقرب الحلول الى تفكير قادة المؤسسة العسكرية الذين أعدوا خطتهم لذلك منذ اعوام طويلة .  
والحرب الوفاائية نحتاج الى مبررات وذرائع هي التي ركزت عليها الحكومة الاسرائيلية لتوريط العرب فيها فى وقت غير مناسب لهم .  
وتماادت بعض تصريحات التهديد لاسرائيل دون حساب دقيق لظروف الموقف ، ودون تقدير لرد فعل ذلك على سكان اسرائيل الذين تجعل منهم هذه التصريحات عجيبة سهلة فى يد قادة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

ويقول هربز دمكيان فى كتابه ( مصر فى عهد ناصر ) :  
ان حشد القوات العربية على حدود اسرائيل منح الصقور هناك فرصة فريدة لاشعال حرب شاملة نجابت مع مشاعر السكان ) .

اعلن جمال عبد الناصر القرار يوم ٢٢ مايو اثناء زيارته لموقع القوات الجوية المتقدم ، معلنا اغلاق خليج العقبة وحظر الملاحة الاسرائيلية او مرور المواد الاستراتيجية . . . وهاجم فى الاجتماع زعماء الحلف الاسـلامى الذين لا يوقفون شحن البترول الى ايلات .

ويفسر جمال عبد الناصر فى هذا الاجتماع رد فعله على تصريحات اشكول ورايين التى ذكروا فيها ( انهم سيقومون بعمليات حربية ضد سوريا من اجل احتلال دمشق واسقاط النظام السورى ) ووصف هذا التصريح بقوله : ( ان هذا التصريح - الذى صدر يوم ١٣ مايو - تصريح وقح جدا الواحد لما يقرأه يعتقد هؤلاء الناس قد وصل بهم التبجح والغرور الى الحد الذى لا يمكن السكوت عليه ) .

مازالت دمشق عند عبد الناصر المدينة العزبة التى ألهب قلبه بالحب يوما ما . . . ومازالت طبيعته المصرية الاصيله ترفض الرضوخ للتصريحات المهينة للكبرياء

ويفسر عبد الناصر لضباط القوات الجوية التطور السريع للاحداث فيقول : ( انه لم يكن هناك تفكير قبل يوم ١٣ مايو فى اتخاذ أى اجراء على اساس ان اسرائيل لم تكن تجرؤ على مهاجمة أى بلد عربى ) ، ولكن وصلت فى هذا اليوم معلومات تفيد بحشد ١١ او ١٢ لواء وان هناك نية عمل عدوانى ضد سوريا يوم ١٧ مايو ، واتصلنا باخواننا السوريين فوجدنا عندهم نفس المعلومات ، ولذا ارسلنا فوزى الى دمشق يوم ١٤ ، وقررنا ان احنا ندخل المعركة من أول دقيقة ) . . .

قرار قفل خليج العقبة الذى اتخذ فى هذا الاجتماع فوق ارض سيناء هز العالم بعنف شديد ، ووضع ان الامور تتطور بايقاع اسرع من المتوقع ، وان شيخ الحرب يقترب ولا سبيل لدفعه .

قفل خليج العقبة يعنى القبض على رقبة اسرائيل . . . وهى لن تترك نفسها لتموت بين يدى المصريين .

صحافة العالم تنشر ( ان الحرب مع اسرائيل قد تنشب فى أى لحظة ) . . . والدعاية الغربية تصور التحركات المصرية فى صورة عدوانية . . . وجوتسون يكتب الى كوسييجين بان تتعاون امريكا وروسيا على مواجهة

الازمة ٠٠ ويقترح السوفيت على جورج براون وزير الخارجية البريطانى اثناء زيارته الى موسكو عقد مؤتمر ثنائى مع امريكا لفرض نسـويه للموقف ٠

ويصل يوثانت سكرتير الامم المتحدة الى مصر فى اليوم التالى مباشرة - ٢٣ مايو - ويجتمع ٤ ساعات مع جمال عبد الناصر ، اعطى له فيها وعدا بان يدعو اسرائيل الى الامتناع فى اثناء بذل الجهود الدبلوماسية النشطة عن ارسال سفنها للمرور عبر مضيق تيران ٠٠ على ان تسمح السلطات المصرية بمرور كافة السفن الاخرى المتجهة لاسرائيل دون تفتيش ٠ وفى يوم ٢٥ مايو ٦٧ طار شمس بدران وزير الحريسة المصرى الى موسكو ٠٠ وطار ابا اييان وزير خارجية اسرائيل الى باريس ولندن وواشنطن ٠

بدأت رحلة ابا اييان فجر يوم ٢٤ مايو دون ان تشير الصحف الى تحركاته واكتفت بالقول انه غادر البلاد لرحلة اعتيادية ٠

قابل ابا اييان ديچول الذى قال له :

- لا تبدأوا باطلاق النار ٠

وناقش مع المسئولين البريطانيين فى لندن ( الوضع فى الشرق الاوسط) وظهرت صحيفة التايمس يوم زيارة اييان للندن - ٢٥ مايو - بعنوان رئيسى يقول :

- ( يوم آخر بلا قتال فى الشرق الاوسط ) ٠

وفى واشنطن وضعت اللمسات النهائية للخطة ، وقال جونسون لايبان ٠

- ( ان العلم الازرق والابيض يجب ان يمر فى المضائق ) ٠

وصرح اييان فى طريق عودته الى اسرائيل بباريس يوم ٢٧ مايو بقوله :

( لا يمكن للسلام ان يتعايش مع حصار غير مشروع ) ٠

وعندما سئل ( هل انت متفائل ؟ ) ٠

اجاب ( ان الشجاعة امر صعب )

عاد اييان الى تل ابيب ، وهو الوزير الخبير المتمرس بعد ان تعرف على حقيقة موقف الدول الغربية من قضية مساندتها للحكومة الاسرائيلية ٠

وزيارة شمس بدران لموسكو فى هذه الفترة الحرجة يعطى لها اهمية قصوى ويدفع الى مناقشة نتائجها بتركيز شديد ٠

واذا تفاضينا عن قدرة شمس بدران على تحمل مسئولياته كوزير

لحربية مصر ، فى وقت كان ابعد ما يكون فيه عن متابعة التطورات العلمية

الحديثة لوسائل القتال ، وفى مستوى محدود وصلت اليه تجاربه ودراساته ،

فاننا مع ذلك يجب ان نقف عند هذه الزيارة لما احاط بحديث شمس بدران فى

مجلس الوزراء بعد عودته من علامات استفهام وتعجب ٠

قال لى الدكتور مراد غالب سفير مصر فى موسكو والذى حضر

مباحثات شمس بدران مع جريتشيكو وكوسيجين انه ارسل تقريراً شخصياً

الى جمال عبد الناصر عن نتائج الزيارة وما ورد فيها من تحفظ سوفيتى على

بعض الخطوات التى اتخذت ، والتى قد تدفع الى التورط فى حصار غير

محسوبة النتائج ٠



ارسل مراد غالب التقرير مع حمدي عاشور محافظ الاسكندرية الذي كان يقوم وقتها بزيارة للاتحاد السوفيتي ، وذلك خشية منه ان يكون شمس بدران لم يدرك تماما صحة الموقف السوفيتي وتقديرا من السفير المصري لما يحيط بالموقف من اخطار .

وعندما صدر بيان الزيارة لم يتجاوز ما ورد فيه عن العبارات التقليدية ، وهي ( ان محادثات دارت حول مسائل تهم البلدين في اجتماع يتسم بالود والصداقة )<sup>١</sup> .

ويذكر ان شمس بدران قد اجاب على تساؤل في مجلس الوزراء المصري عما اذا كانت مصر قد ادخلت في حساباتها وجود الاسطول السادس الامريكي في شرق البحر الابيض المتوسط ، بقوله ( انه لو تدخل سنحطه ) .

ويروي امين هويدي زميل شمس بدران في مجلس الوزراء حيث كان وقتها وزيرا للدولة في وزارة صدقي سليمان في كتابه ( اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ ) :

( في زيارة السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ الى موسكو اكدت له القيادة السوفيتية اكثر من مرة عن املها في عدم تصعيد الموقف والاكتفاء بما حصلنا عليه من انتصارات . . هذه حقيقة لا جدال فيها .

وكان السفير الروسي في القاهرة يقوم بمثل هذا التاكيد ايضا . ثم ما قيل عن ان الاتحاد السوفيتي وعد السيد شمس بدران بالتدخل في حالة اي عدوان على مصر بعيد عن الحقيقة بل تؤكد الصحافة السوفيتية ان اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي يؤكد المرة تلو الاخرى بعدم تصعيد الموقف والعمل على تعزيز الانصارات السياسية التي حصلنا عليها دون النورط في القتال ) .

ويعلق امين هويدي على ذلك بقوله ان ما قاله البعض من ان معلومات موسكو عن الحشود السورية كانت كالزيت الذي يوضع فوق النار يتنافى مع هذه الحقيقة ويقول ( ومن يريد ان يدفع الامور لا يستبدل الزيت بالماء ليصبه على النيران ) .

ويكمل جان لاکوتير هذه الصورة في كتابه ( عبد الناصر ) فنوله ( سافر شمس بدران ليطلب اسلحة جديدة ، الا انه اصطدم بانتقاد كومــيـنـجـن — للاخطاء المؤسفة — التي ارتكبتها مصر : عرض عضلات في سيناء . تصار تيران واوصى رئيس الحكومة السوفيتية بالا بضمن ( المعدات الحربية ) الممنوع مرورها البسرول الضروري لنشوس اسرائيل ، كما اوصى وزير الدفاع السوفيتي بالانسحاب التدريجي للقوات المراقبة في سيناء .

ثبتت من هذا ما ذكره انطوني ناننج ايضا في كتابه ( ناصر ) . ان عبد الناصر لم يستشر السوفيت قبل قفله خليج العقبة ، وان آخر ما كان يمكن للسوفيت ان يطلبوه هو صدام عبد الناصر مع القوات الامريكية الامر الذي يمكن ان يسحبهم هم الآخرين الى ميدان المعركة . كانت مواب حاتف راسو على حذر شديد من الخطوات الاندفاعية

الى ستم فى الشرق الاوسط ، فاعل حاله التأهب والطوارئ فى نفس اليوم الذى صدر فيه قرار جمال عبد الناصر بقتل مضيق العقبة .

ويقول نانج ان شمس بدران قد أخطأ فى نقل وجهه نظر السوفيت المعارضة للحرب . واعفد ان تأييدهم لمصر يجاوز طبيعته ويمتد الى الحد الذى يورطهم فى حرب ناله .

وفى كتاب ( ملف الحرب ) الذى أعده ( تيم هيوث ) تسجيل لاحاديث عبد الناصر الليفيونية الى اجراها مع انطونى نانج والنائب العمالى كريسوفر مابيو يوم ٣ يونيو واذيعت فى السادسة من مساء ٥ يونيو بعد بدايه العدوان .

سأل نانج قائلا :

( فى محاوله للنظر الى المستقبل فان روسيا قدمت كميات كبيرة من الاسلحة والدبابات والمطارات لمصر عدا الاموال والمساعدات الاقتصادية وبناء السد العالى وقدمت مع الصين مساعدات من القمح . . وزير حربينا قال ان روسيا قد وافقت على مساعدة مصر ضد اسرائيل .

هل يعنى كل ذلك ان حربة الحركة لمصر قد أصبحت محدودة كدولة محايدة ؟ )

واجاب عبد الناصر :

اننا اخبرنا سياسة عدم الانحياز .

تحدثت فى بعض كلماني عن زيارة وزير حربينا لموسكو ولكننى لم أقل انهم قالوا انهم سيكونون معنا اذا نشبت الحرب مع اسرائيل . . لا . . طبعاً اننا نرحب بالفكرة وذلك لاننا لانريد أن نجابه ١٩٥٦ أخرى أما عن الحياد وعدم الانحياز فنحن أحرار ١٠٠٪ .

ويؤكد ذلك صحة استنتاج السفير مراد غالب وحرصه على ابلاغ جمال عبد الناصر -نقطة الموقف السوفيتي كما سبق أن ذكرت . . وقد اكد لى مراد غالب ان الاتحاد السوفيتي كانت له استراتيجيه واضحة معروفة لمصر لاتسمح له بالموافقة على الهجوم على اسرائيل كما لا يوافق على الهجوم على مصر .

ويروى الفريق اول محمد فوزى قصة شمس بدران تفصيلا فيقول :

كان الوزير شمس بدران قد كلف بمهمة للسفر الى موسكو فى الاسبوع الاخير من شهر مايو ومعه وكيل وزارة الخارجية فى ذلك الوقت السيد أحمد حسن الفقى . وانضم اليهما فى موسكو سفيرنا هناك الدكتور مراد غالب وتم لقاء كالمعتاد والهدف هو دعم جديد ، اسلحة للقوات المسلحة . . المهمة انتهت سريعا ، مثل باقى المهام الاخرى . وأثناء عودة الوزير شمس كان وزير الدفاع السوفيتي جريتشكو يودعه . حصلت لفنة تقليدية بكلمة مجاملة خبط على كتفه للمجاملة . . وشدوا حيلكم احنا وباكم . . حاجة من هذا القبيل .

وعاد الوزير شمس ومعه زميله وكيل وزارة الخارجية ومعهم المظروف الذى به محضر الجلسة . . الوزير شمس بدران اتجه رأسا من المطار الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وقال له جملة . . ما معناه ان الحكومة السوفيتية والقوات المسلحة السوفيتية معنا .

لقد فهم شمس بدران هذا من اللهجة العاطفية المقلّبة .. لحجة المجاملة .. التي أعلنت من وزير الدفاع في بودبعا بالمطار .  
 هذه الحملة خدعت بعض الشيء في الفكر او الدهن لدى الرئيس جمال عبد الناصر وكان رد فعلها هو تشديد الاعلام فقط .. بمعنى كان ساعنها وراها فيه خطبة للرئيس عبد الناصر مع احد التجمعات الشعبية .. فالحظ الاعلامي زاد في لهجه نتيجة لتأثير هذه الحملة .  
 ثم انضج بعد ذلك أن الطرف الرسمي الاكيد الذي يحوى جلسة موسكو لم يطلع عليه الرئيس جمال عبد الناصر الا في ١٣ يونيو لسنة ١٩٦٧ .

لم يقرأ جمال عبد الناصر الا في ١٣ يونيو الطرف فضل مقفول وانسلم من وكيل الوزارة احمد حسن الفقى لمكتب جمال عبد الناصر وفيه محضر جلسات الوزير شمس مع القيادة السوفيتية ومكتوب على الطرف « عاجل جدا ويسلم » ولم يفتح الطرف . ولما منح الطرف وقرئ لم يوجد بالمحضر الرسمي أى اشارة سياسية او معذوبة ، أو أدبية عن المساعدة أو الأيد في الصراع اللى حصل في ذلك الوقت اطلاقا .. كله كلام على التسلية حتى خدوا كذا حيدونا كذا .. حاجة زى كده ..  
 وأقول هذا للتدليل على الاربعال الشفوى غير الدقيق وتأثيره على الدهن وعلى الفكر .

ويسنطرد قائلا : تم دعى مجلس الوزراء الى الاجتماع .. وحضره الوزير شمس بدران وكان فيه تساؤل عن احتمال دخول امريكا مع اسرائيل كمساعدة مباشرة في الصراع الى موجود وخاصة ان الاسطول السادس موجود في البحر الابيض . فرد شمس على الوزراء ردا بهكيا اسقط النفاس .. اسقط النفاس يعنى الترجمة الى وصلت لى منقوله عن هذه الحالة .. انه « أوف النفاس » يعنى معناها أبه هو الاسطول السادس ؟ .. يعنى يطلع ابيه الاسطول السادس ؟ .. وذكر التفصيل .. وقال : ده احنا بطباريين نى يوم ١٦ أس .. وزورقين لنشات صواريخ .. قال نعمل مش عارف آيه .. وهكذا توقفت المناقشة في مجلس الوزراء .. وهذه بيكن ان نضعها تحت عنوان المبالغة المخللة في قدرتنا العسكرية بالنسبة للحقيقة ، نشابها مع الخط الاعلامي عن القوات المسلحة .

ولكن شمس بدران يتحدث بنفسه عن حقيقة ما دار خلال رحلته الى موسكو فيقول في حذب مع محله الحوادث عدد ٦ سبتمبر ١٩٧٧  
 ( في حفل الغداء الذى أقامه لنا جريشسكو نحس احمد حسن الفقى وكيل الخارجية وعضو الوفد فقال في أحد الانتخاب ( ان الشعب شديد الحساسية لمواجهة العدوان الاسرائيلي . وانه لن يتردد في التضحية بآبائه في معركة ضد الامريكيين .. ودب الفزع في الحفل . وقام الضباط الروس بخطبون محذرين من تصعيد الموقف ، فوففت وقلت لهم : نحن لا نرغب فى أية مواجهة مع امريكا . بل أؤكد لكم اذا مرت السفن الاسرائيلية فى حماية الاسطول الامريكى فلن نتعرض لها )  
 ويقول شمس بدران ايضا :

(عندما النقيب بكوسجين قال لي : لقد حصلتم على نصر سياسي كبير ويجب ان نعمل على تخفيف حدة الموقف الآن .

ويذكر ايضا ان جريتشكو قال له وهو يودعه في المطار :  
( شدوا حبلكم .. الاسطول السادس نزل مشاة أمس في كربت ولكنه عاد وسحبهم لان أسطولنا في البحر الابيض مزود بصواريخ وأسلحة نووية ، وإذا حدث هجوم عليكم من الاسطول السادس فابعثوا لنا بإشارة سجدوننا عندكم في المكان الذي تحدوده .. الاسكدره او بور سعيد .

وإذا كان هذا هو ماحدث فعلا .. فانه لايمكن ان يعتبر تشجيعا على القنال أو ارتباطا في معركة مصير .

ويذكر شمس بدران ان المشير عامر قد استدعاه بعد التنجي وأبلغه ان هيكل ومراد غالب يقولون ان مانقله شمس لعبد الناصر ( كان غلط ) .  
والدليل ان الروس قد ابلغوا مراد غالب ( أن الاسطول السوفيتي يرافق الاسطول السادس وانهم لم يشاهدوا تدخلا أمريكيا )  
وهذا يتناقض تماما مع مادكره شمس ولم يدون رسميا في محضر المحادثات .. ومراد غالب مصدر ثمة لاجادته للغة الروسية حيث أمضى ١٢ عاما سفيرا في موسكو .

الامر المؤكد .. ان خطأ ما قد حدث فيما نقله شمس بدران ، وفي عدم اطلاع جمال عبد الناصر على المحضر الرسمي للمحادثات .

ولكن جمال عبد الناصر كان وانقا فيما يبدو من ان اسرائيل لن تهاجم ، في ذلك يقول ناتنج ايضا ( وفي محادثاتي معه أثناء هذه الايام الحرجة ، بدا عبد الناصر مقتنعا انه يستطيع ركوب العاصفه والسيطرة عليها اذا لم يقم اسرائيل مزيدا من الاستفزازات )

ولذا حرص جمال عبد الناصر في محادثاته مع يوثانت على ان يجنح الى تهدئة الموقف .. ولكن اسرائيل كانت قد اعدت خطتها للهجوم ورفضت اقتراح يوثانت الذي قبله جمال عبد الناصر والذي كان يقضى بثوفير ( فترة تنفس ) يمارس فيها جهوده الدبلوماسية النشطة على أن تسمح السلطات المصرية بمرور السفن المتجهة الى اسرائيل دون تفتيش ، على أن تمتنع السفن الاسرائيلية عن المرور الى حين الوصول الى تسويه .

وشجع عبد الناصر على هذا الموقف تأكيد الامريكيين له - كما يقول ناتنج ايضا - بأن اسرائيل لن تطلق الطلقة الاولى .  
وفي يوم ٢٦ مايو نشرت الصحف مطالب الحكومة الامريكية لتسوية الموقف والتي تخلص في :

- ١ - ان الولايات المتحدة الامريكية ترى ان تظل قوات الطوارئ في غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة
- ٢ - ألا تتوجه أية قوات مسلحة الى شرم الشيخ إلا بعد ان تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة اعلانا رسميا بتأكيد حرية الملاحة في مضيق تيران .
- ٣ - ألا تدخل الى غزة أى قوات مسلحة .

٤ - ان نطل الامم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الادارة فى قطاع  
عمره حتى يتم تسوية المسئلة .  
٥ - ان يعود القواط المصرية فى سيناء ، والقواط الاسرائيلية فى  
مواجهتها الى موافعها الاصلية .  
ولم تكن معقولا ان ستنجيب القاهرة لهذه الطلبات بعد الخطوات التى  
اخذتها . ومع ذلك طهرت حريضة الاهرام يوم ٢٨ مايو بحمل عنوانا رئيسيا  
يقول ( حوسون بناسد القاهرة ضبط النفس ) .

وفى نفس اليوم عن زكريا محيى الدين فائدا للمقاومة السعبيه  
وعهد جمال عبد الناصر مؤمره الصحفي السهر الذى بدا فيه عصيبا  
لانه كان قد ابلغ قبله بعدة ساعات ان ثلاثة سباط قد وقعوا اسرى فى يد  
اسرائيل اساء فيامهم بالاسكشاف . اجاب فيه على سؤال لسنين هاربر  
محرر الديلى اكسپريس الذى سآله قائلا :  
لقد مررتم كاسان بمرحلة ضغط كبيرة فى اناء ازمة السويس عام  
١٩٥٦ فهل تجدون من السهولة بمكان بحمل اعبائها كاسان اكبر سنا مما  
كان عليه قبل ١١ عاما ، ام انكم تجدونها اصعب شأنا . وكيف تسربحون  
من مسآلككم ؟

واجاب عيد الناصر بان الديلى اكسپريس تهاجمه يوميا ثم قال  
( بالنسبة للسن انا ما عجزتش ولسه ما بلفتش ٥٠ سنة . وانا مش خرف زى  
مستتر ايدن باى شكل من الاشكال ) .  
وفى يوم ٢٩ مايو توجه اعضاء مجلس الامة برئاسة انور السادات الى  
قصر القبة لاعطاء جمال عبد الناصر تفويضا كاملا لمواجهة الموقف . وكان هذا  
حدثا جديدا فى تاريخ الحياة السياسية اذ ينتقل ممثلو الشعب جميعا من فاعنتهم  
الى قصر الرئيس . ثم يقدمون له تفويضا يعبر كل فرد منهم مسئولا عنه  
مسئولية ضمنية .

هذا بدلا من المطالبة بمنافسة الموضوع من كافة جوانبه ومحاولة العرف  
على حقيفة الاخطار التى يعرض لها الوطن  
وفى نفس اليوم توجه عبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن  
ابراهيم لمقابلة جمال عبد الناصر . وهم اعضاء مجلس الثورة الذين قدموا  
استقالاتهم خلال السنوات الثلاث السابقة . والذين كانوا قد أرسلوا له  
مذكرة يشرحون فيها الموقف ويعرضون أن يكون لهم موقع فى أى قتال  
محتمل .

قال لى كمال الدين حسين ان المقابلة لم تمتد طويلا . ثلت ساعة فقط .  
وضح فيها ان جمال عبد الناصر يعرف حقيفة الجيش المصرى ولذا فقد اعتقد  
انه لن يجرؤ على اعلان الحرب .

وقال لى حسن ابراهيم ان جمال عبد الناصر كان واثقا من أن شبح  
الحرب مازال بعيدا ، فقد قال لهم (أنا لن أحارب) . وقال أيضا (لست أنا  
الذى سيأخذكم الى تل أبيب . انه من سيأتى بعدي) ولكنه قال (أنا عاوز  
أهلف شرم الشيخ ) .

وعندما سألته حسن ابراهيم عما اذا كان سيرك الاسرائيليين يوهون لنا الصرية الاولى قال (ان امامهم سنة اسابيع) .  
ولكن حسن ابراهيم بعدل اقواله في كتاب ( الضامون بكلمون )  
فيقول ان عبد الناصر ابلغه بان امام اسرائيل ٦ او ٧ اسبوع ) .  
وقال لي عبد اللطيف البغدادي ان المواجهة قد اُسيبت ان جمال عبد الناصر  
لم يكن يدخل التحرك السريع نحو الحرب كعامل رئيسي ، وانه كان يعتقد أن  
المعركة ليست قريبة . وانه وزملاءه قد قاموا بحسب الاحظار امامه .  
ويقول ناسخ في كتابه ( ناصر ) عن هذه المواجهة ان جمال عبد الناصر قد  
قال لزملائه انه ليست هناك مناسبة لمثل حديثهم الابهزامي الذي كان يفسر  
نقط الضعف في قوانا المسلحة ، ويقول انه عندما سأل البغدادي عن موقف  
السوفيت . ردد له جمال عبد الناصر ما قاله شمس بدران عن استعداد  
السوفيت لمساعدة مصر للنهاية حتى ولو تورطت في حرب عالمية جديدة  
وقال لي حسن ابراهيم ايضا انه ارسل له مدبرة اخرى بتاريخ أول  
يونيو .

كانت هذه المواجهة من المواجهات النادرة التي أتيح لجمال عبد الناصر أن  
يسمع فيها آراء صريحة بلا خوف او تردد من زملاء قدامى أنحب لهم فرصه  
العمل معه ١٢ عاما وأكثر قبل ان ينعدوا عن المسئولية والحياة العامة . . .  
ولكنها طلبت مع ذلك كسوع من الاستسارة فقط .  
الايقاع السريع للاحداث يظهر شبح الحرب في الافق ، وبجعل مع  
الارفاق اليها أمرا عسرا

## موقف القوات المسلحة

أمر بديهي ان تكون عين جمال عبد الناصر على القوات المسلحة عند  
تعبيره في اتخاذ أي قرار .  
وصحيح انه كان قد فقد اهمامه ورغبته للتدخل والاشراف على شئون  
القوات المسلحة بعصليا ، منذ أن نشأ الخلاف بينه وبين المشير عامر بعد  
الانفصال . . ولكنه يظل مع ذلك القائد الاعلى للقوات المسلحة .  
وحرب اليمن أو العملية ٩٠٠٠ كما كان اسمها الحركي كانت لا تزال  
قائمة . . صحيح ان حجم القوات قد انحسر هناك بعد ان كان قد وصل كما  
يقول العريق صلاح الحديدي (شاهد على حرب ٦٧) بعد أن ازداد (حتى فاق  
في وقت من الاوقات حجم القوات الموجودة داخل حدود الجمهورية ، فنارت  
بذلك الحطط الموضوعه عن سبنا لعدم نوافر القوات اللازمة ، بل تأثر حجم  
القوات المتمركزة في مواجهة القوات الاسرائيلية ) .

ويحلل صلاح الحديدي ذلك بقوله (ان الامتيازات الضخمة التي منحت  
للقوات المشتركة في حرب اليمن كانت مغريه الى حد بعيد لجميع الرتب ) .  
كانت حرب اليمن غير ذات قيمة حربية علمية أو فنية لانها كانت أقرب  
مانتكون الى عمليات تاديبية وبوليسية ضد قوات الملتكئين المتمركزة . . ولذا فلم  
تكن القوات المسلحة المصرية مهياة من ناحية التدريب لحرب تصادمية مع جيش  
عصري مثل الجيش الاسرائيلي .

كان التدريب قد وصل الى مستوى فرقة منساة أو مدرعة ولكنه هبط عام ٦٦/٦٧ ليتم على مستوى سرية فقط في المنطقة الشرقية المسئولة عن سيناء .

وكانت القوات الجوية أيضا رغم امدادها بأحدث الطائرات العالمية غير مؤهلة لأداء واجبها حسب تطور الحرب الحديثة ، وذلك لاصرار صدقي محمود على أن نظل القوات الجوية ذات قيادة خاصة ، وفي وقت فرض فيه التطور حتمية انضمام فروع القوات المسلحة المختلفة تحت قيادة واحدة . . . وهكذا غلبت الفكرة الانفصالية في وقت كان دمج الفروع شرطا رئيسيا لدحول أية معركة .

وكان الدفاع الجوي بعيدا عن المستوى المطلوب ، اذ انه حدثت عدة اختراقات للمجال الجوي منذ اعلان حالة الطوارئ ، ولم يمكن اعتراض الطائرات المخترقة كما قال صلاح الحديدي (نتيجة عدم يقظة أفراد الدفاع الجوي ، أرضيين وجويين وخضوعهم للحياة الروتينية السائدة وقت السلم )

معظم هذه النواقص وغيرها لم تكن خافية على عيون المسئولين في القوات المسلحة ولكنهم كانوا أعجز عن الوصول بهذه القوات الى المقدرة القتالية المطلوبة . . . ولاشك ان الخلافات التي كانت قائمة بين القائد الاعلى ( جمال عبد الناصر ) ونائبه (المشير عامر) كانت من أهم الاسباب التي أدت الى ضعف القوات . . الى جانب انه لم تكن لها استراتيجيات قتالية واضحة ، ولم ترسم لها أهداف جديدة للوصول اليها . . هذا الى أن الوضع الاقتصادي للدولة كان قد فرض خفضا في ميزانية القوات المسلحة عام ١٩٦٦/٦٧ أما عن الاستفادة من خبرة السوفييت فاني أنقل ماكتبه الفريق صلاح الحديدي في كتابه :

أما عن الخبراء السوفييت وما بذلوه من جهد طوال مدة تزيد عن العشر سنوات فلاشك انهم قد أفادوا فائدة كبيرة ، وكانت أعدادهم المتزايدة عاما بعد عام . . وقد انشرت في كل الاسلحة ، ومعظم التشكيلات والوحدات تعمل بنفس الاسلوب المرسوم لها ، وتتدخل بالقدر المحسوب لدفع القدرة القتالية للقوات المسلحة ، ولكن رؤى منذ عام ١٩٦٤ تخفيض هذه الاعداد ، ورسمت السياسة لتنفيذ ذلك ) .

ويستطرد صلاح الحديدي قائلا (وفعلا تناقصت أعداد الخبراء سنة بعد سنة حتى كانت الاشهر الاولى من عام ٦٧ فوقعت اتفاقية في موسكو لينخفض بمقتضاها عدد الخبراء السوفييت الى أقل عدد ممكن) هذا ولم يكن مصرا للخبراء السوفييت بالذهاب مع الوحدات او التشكيلات الى سيناء ؛ رغم الايقاع السريع للاحداث ، وظهور شبح الحرب في الأفق .

وعندما صدرت تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة باعلان حالة الطوارئ بحيث تتخذ كافة القوات حالة الاستعداد الكامل اعتبارا من الساعة ١٤٠٠ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ واعلان التعبئة وحشد القوات في جهة سيناء طبقا للخطة الدفاعية قاهر . . تبين ان التعبئة قد أصبحت مجبرة على

تعديل خططها للظروف القائمة ، كما يقول تحليل أعدته شعبة البحوث العسكرية عن أسباب النكسة .  
فوجئت القوات المسلحة بالتعبئة وهناك نقص بلغ ٣٧٪ من الضباط و ٣٠٪ من الرتب الأخرى ٠٠ زاد في القوات الميدانية حتى وصل ٤٠٪ في الضباط و ٤٤٪ من الرتب الأخرى .

ويقول أحد القادة المسؤولين في ذلك الوقت انه ( فيما بين ١٥ مايو و ٤ يونيو ١٩٦٧ كان قد تم صدور أوامر استدعاء وتعبئة وإنشاء بلغ عددها ٢٠١ منها ٨٢ أمرا تضمنتها خطة تعبئة القوات المسلحة الموضوعية مسبقا و ١٩ أمرا بإنشاء لم يسبق وضع خطة تعبئة له .  
لم تكن هناك خطة تعبئة موضوعة لعام ١٩٦٧ ولذا عندما أعلنت حالة الطوارئ، وطلب الأمر استدعاء ١٢٠.٠٠٠ فرد احتياط ، رفعت التعبئة نسبة الاستدعاء الى ١٥٠٪ ومع ذلك لم يلجأ الطلب سوى ٨٢.٠٠٠ أى بنسبة تخلف ٣٢٪ .

وقد دفعت قوات الاحتياط بمجرد تعبئتها الى مسرح العمليات المنظر في سيناء فزادت عن نصف إجمالي القوات المحتشدة في سيناء ١٣٠٩ ضباط ٨٠٦٥٠ رتب أخرى من جملة ١٣٠.٠٠٠ فرد تم حشدهم في سيناء .  
لم يكن هناك تدريب شامل على استدعاء قوات الاحتياط ، ولم يكن هناك تمرين سنوي لجنود الاحتياط ، كما انه لم يكن هناك فرز دقيق لخبراتهم السابقة ، الأمر الذي أحدث أخطاء جسيمة في توزيع الجنود على الأسلحة والواجبات المختلفة ٠٠ بل وتواجد في الميدان حولي ٢٠٠ فرد يرتدون ملابس المدنية في اللواء ١٢٥ مشاة احتياط الذي بلغ ٨٠٪ في الحملة الميكانيكية و ٩٧.٥ في المدفعية .

وفي اختصار ٠٠ كانت القوات المسلحة غير مهيأة لهذا الاستدعاء المفاجيء ٠٠ ولم يكن في خاطر قادتها ان حربا سريعة يمكن أن تنشب في جبهة سيناء .

ومع ذلك لم يعترض قائد واحد من قادة القوات المسلحة ٠٠ حسب تأكيد أمين هويدى وزير الحربية بعد النكسة .

انصرف القادة لتنفيذ التعليمات بحشد القوات ، واستمرت هذه العملية ثلاثة أسابيع ، نكشف فيها الأخطاء ولا يقاومها احد . تصدر فيها الأوامر بسحب قوات الطوارئ من خليج العقبة ، ولا يشير أحد الى النقص الموجود .

قال الفريق عبد المحسن مرتجى في حديث لمجلة آخر ساعة انه اعترض على تحرك القوات المصرية الى شرم الشيخ ٠٠ وكان الأجدر أن يتم الاعتراض على سحب قوات الطوارئ .

ويقول الفريق مرتجى ان المشير عامر قد صرح له بأن العمل سياسى وليس عسكريا .

ربما تكون قد حدثت اعتراضات أو ابدت بعض ملاحظات ٠٠ ولكن الواقع ان عجلة القوات المسلحة كانت قد بدأت تدور في اتجاه المعركة ٠٠ .



وانشغل جميع القادة بتنفيذ واجباتهم .. وربما تصور البعض منهم ان المعركة بسيطة وهينة ، فقد طلب أحد كبار القادة من مدير احدى دور الصحف الاستعداد لطبع كروت بريد يرسلها الجنود الى أهلهم بعد الوصول الى تل أبيب .

ويؤكد هذه الحالة النفسية ماكتبه أمين هويدي في كتابه عند مناقشته ان القوات المسلحة كانت مستعدة للقتال في حدود ظروفها المتاحة وقيادتها القائمة فهو يقول بعد اعتراضه على القول بأن القوات المسلحة لم تكن مستعدة للقتال :

( بل نجد ان ذلك يتعارض كله مع ما أكده السيد شمس بدران وزير الحرية وقتئذ في مجلس الوزراء ، وعلى مسمع من كل اعضاء المجلس في رده على سؤال موجه من أحد الزملاء عن الموقف اذا تدخلت الولايات المتحدة الامريكية بأن القوات المسلحة كفيفة بمواجهة الموقف .. ولم يكتف بذلك بل اتبع رده بضحكة لازلت اسمع رنينها في اذني واخل ان كل الزملاء مازالوا يذكرون ) .

ومع ذلك فان حديث جمال عبد الناصر مع زملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ، وقوله لانتوني نانج كماورد في كتابه انه لا يتصور ان اسرائيل وحدها دون معونة جوية امريكية وبريطانية يمكن ان تلحق ضررا بالغا بالقوات الجوية المصرية الذي يجعل بعدئذ تقدم القوات الاسرائيلية في سيناء معرضا للهجمات الجوية المصرية .. كما ان عبد الناصر استبعد إمكانية هجوم اسرائيل في جبهتين او ثلاث جبهات .

كان موقف جمال عبد الناصر يدل على استعداده للمعركة حنى هذه اللحظة ، ويدل ايضا على توافر قدر من الثقة في القوات المسلحة ..

وعندما قال نانج لعبد الناصر قبل ٣٦ ساعة من الهجوم الاسرائيلي ان لديه معلومات تلقاها من لندن تفيد بأن اسرائيل قادرة على ان تقوم وحدها بما قامت به طائرات ( كانبرا ) البريطانية عام ١٩٥٦ ، رفض عبد الناصر تصديق ذلك ، مشيرا الى ان طائرات النقل الاسرائيلية تواصل خلال الاسابيع الماضية نقل قطع طائرات الميراج من مصانع ( داسو ) بفرنسا لتركيبها في اسرائيل .

وقال عبد الناصر له ان اجهزة المخابرات قد أكدت له ان طائرات الميج والسوخوي أفضل من كل ما تملكه اسرائيل .

ويشير ناتنج الى انه بعد مقابلته لناصر عقب النكسة قال له عبد الناصر انه بعد حديثه السابق معه توجه فوراً لمقابلة المشير عامر في مقر القيادة وابلغ قادة القوات المسلحة بأن يتوقعوا هجوماً اسرائيلياً خلال ساعات ... ولكن كان الوقت متأخراً .

ويقول رودلف رونستون تشرشل في كتاب ( حرب الايام الستة ) :

( كان عبد الناصر يكون فكرة خاطئة عن قوة اسرائيل الحربية نظراً للمعلومات غير الاكيدة التي كانت تزوده بها مخابراته المتفككة ، وليست هناك من أسباب واهية توضح لنا ان عبد الناصر كان يسعى فعلاً للتسبب بصراع

مسلح ) .  
ولكن مما لا شك فيه انه بعد ان اندفعت عجلة الامور في ايقاع سريع . .  
افلتت الخيوط من يد جمال عبد الناصر ، وأصبح واضحا تماما ان المعركة قادمة  
لا ريب فيها .

### العرب . . . في المعركة

كانت انظار العالم تتجه الى مصر ، وقد عبرت الاهرام عن ذلك بقولها  
( العالم مأخوذ بفناجأة التحرك السياسي والعسكري المصرى وسط الازمة  
الخطيرة في الشرق الأوسط ) .

ومنذ وصلت الانباء عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية  
وزيارات المسؤولين المصريين لسوريا لانتقطع . . سافر محمد فوزى رئيس  
الاركان يوم ١٤ مايو ، وسافر بعد ذلك زكريا محيى الدين يوم ٢٠ مايو الى  
بغداد ودمشق والجزائر .

حرص جمال عبد الناصر منذ البداية على الاتصال برؤساء العراق  
والجزائر واليمن فور اتخاذ قرار سحب قوات الطوارئ الدولية .

وقد حضر الى مصر رئيس اركان الجيش الجزائرى ، الذى حمل  
اقتراحا من هوارى بومدين برسالة جزائرية ، فوافق جمال عبد الناصر  
على ذلك يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وكانت هذه المبادرة تعبيرا من الثورة  
الجزائرية عن فهمها العميق لطبيعة المعركة بين قوى التحرر الوطنى  
والامبريالية والصهيونية . والاف الاميال التى تفصل الجزائر عن سيناء لم  
تمنع قيادتها من القيام بواجبها القومى .

وخلال هذه الفترة كانت الجزائر تستعد لاستقبال السياسيين العرب  
المشاركين فى الندوة التى يادر هوارى بومدين بالدعوة اليها ، وحضرها لاول  
مرة فى تاريخ العرب الحديث ، ممثلون لمختلف القوى والتنظيمات السياسية  
فى الدول العربية ، واجتمع فى قاعة واحدة ممثلون للانحاد الاشتراكى العربى  
فى مصر ، وحزب البعث فى سوريا ، والاحزاب القومية المنناثرة فى العراق  
والاحزاب الوطنية فى المغرب العربى . . . الى جانب الاحزاب الشيوعية فى  
السودان ولبنان وسوريا والاردن .

عقدت ( ندوة الاشتراكيين العرب ) فى جو يخيم عليه شبح الحرب . .  
ومع ذلك كان هناك شعور سائد بان الموقف سوف ينفذ فى اللحظة الاخيرة .  
اذكر ان مؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعى الاردنى قد حضر سريعا  
للمشاركة فى الندوة بعد افتتاحها ومنسائلا عن مصير الخطوات التى نندفع  
اليها فى مصر .

واذكر ايضا ان هوارى بومدين صرح بقوله ان الجزائر سوف تقف مع  
مصر وسوريا بلا اى تحفظ .

انتهت الندوة ووصلنا القاهرة مساء ٢ يونيو ١٩٦٧ .  
كانت هناك دول عربية تقدر خطوره الموقف ، وتحرك مع مصر . . مثل  
السودان واليمن والعراق والجزائر الى جانب سوريا .  
ولكن الموقف فى سوريا كان مختلفا عنه فى مصر .

كانت الخطوات والاجراءات على الجانب المصرى واضحة لسحب قوات الطوارئ الدولية ... بينما تغيرت الامور على الحدود السورية ، فقد نشرت الاهرام يوم ١٩ مايو ان ( القوات الاسرائيلية تتدفق بأقصى سرعة الى الجنوب والحشود المتجمعة امام سوريا — تذوب — ) .

ولذا يقول امين هويدى فى كتابه ( اضواء على اسباب نكسة ٦٧ ) ان الفريق محمد فوزى رئيس الاركان عاد بصورة مختلفة عما ورد فى التقارير السوفيتية .. والحقيقة انه وصل سوريا بعد اعلان مصر لحالة الطوارئ ، وانتهاء الدور الخداعى للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية .

كما ان امين هويدى يقول ان عبد الكريم الجندى رئيس الشعبة الثالثة ( المخابرات ) فى الجيش السورى قد تساءل فى دهشة ( لماذا كل هذه الضجة التى تثيرونها فى القاهرة ؟ ليست هناك حشود ) وذلك عند مقابلته للوفد الذى كان يرأسه زكريا محيى الدين .

كان ذلك فى ٣٠ مايو بعد ان كانت القوات الاسرائيلية قد تحركت فعلا الى الجنوب لاداء الواجب الملقى عليها فى خطة العدوان .

وتأكد لى ان السوريين بعد ان — ذابت — الحشود من امام حدودهم كانوا اكثر هدوءا ولم يكن بهم رغبة للاندفاع .. فقد قال لى ابراهيم ماخوس وزير الخارجية السورى فى الخرطوم وهو يجلس خارج قاعة مؤتمر القمة الذى رفضت سوريا الاشتراك فيه بعد الهزيمة ( أفنا لم نطلب من مصر ان تحارب من اجلنا .. ولم نتخذ من الخطوات ما يعطى لاسرائيل مبررا للهجوم ) .

ويقول امين هويدى ان السلطات السورية قد اتخذت موقفا فاترا اثناء المباحثات التى تمت مع زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت . ولكن لم يعد هناك من سبيل لوقف التضامن العربى .

وكان أشد المواقف مفاجأة .. وصول الملك حسين الى القاهرة يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ بعد اتصالات سرية استمرت ثلاثة ايام ولم يدع نبأ وصوله الا بعد ساعتين ونصف بعد الاتفاق معه فقد اسفرت الزيارة عن اعلان اتفاقية دفاع مشترك وقعها جمال عبد الناصر والملك حسين .

وتشكلت جبهة شرقية أوكلت قيادتها للفريق عبد المنعم رياض . وأنهت الاتفاقية الخلافات المعلنة بين الاردن ومنظمة التحرير ، فسافر أحمد الشقيرى مع الملك حسين عائدا الى عمان على نفس الطائرة . كان تغير الموقف مفاجئا وباعنا على الدهشة .

خطب جمال عبد الناصر فى اول مايو ٦٧ ناعنا الملك حسين بانه خادم وعميل للامبريالية ... وانه يخدع الجماهير والامة العربية .

واذيع بيان سورى مصرى مشترك يوم ٢ مايو يقول ( ان الملك حسين قد جعل من بلده حامية للأسلحة الاستعمارية ومعسكرا لعصابات المرتزقة المدربين ) .

واعلن راديو دمشق يوم ١٥ مايو ( اضربوا العرش العميل وحلفاءه الصهيونيين وسادته الامبرياليين ) .

وكانت سوريا تدفع الى الاردن بعد ان تازمت الامور بقوات تقوم بغارات تخريبية وصلت قمتها يوم ٢١ مايو عندما أعلنت اذاعه عمان ان حادثة قد

وقعت على نقطة ( الرمثا ) على الحدود المشتركة في الواحدة والنصف ظهرا وأدت الى مصرع ٣ سياح اجانب ، ١١ اردنيا ، وجرح ٢٨ اردنيا وذلك نتيجة لانفجار لغم في سيارة سورية عبر الحدود ٠٠ واعلنت قطع العلاقات مع سوريا .

لم تلتفت هذه الحادثة انتباه الراى العام الذى كان مشغولا بتحركات القوات الاسرائيلية والمصرية . .

كتب بيتر هوبكيرك مراسل التايمز في القاهرة يوم ٣٠ مايو يقول (كان لقاء الرجلين عبد الناصر وحسين مفاجأة شديدة للشعب المصرى وللأجانب في مصر ) .

وتبادل عبد الناصر وحسين كلمات الترحيب الودية الشديدة التى طوت صفحة الاتهامات والسباب المتبادلة . . . واذاع راديو عمان ترحيبا بزيارة حسين للقاهرة والوصول لاتفاقية الدفاع المشترك ، وهو الذى كان يتهم النظام المصرى منذ ايام قليلة بالتعاون مع الصهيونية والماركسيه .

تحسنت العلاقات مع مصر ، ولكنها لم تتحسن مع سوريا .  
ويقول أحد الذين عرفوا بما دار في المباحثات السرية التى امتدت ٦ ساعات ان الملك حسين كان يبدو في مظهر من يريد الا يفشونه شريف القتال مع رفاقه العرب في حربهم ضد اسرائيل .

ولا شك ان الملك حسين كان في وضع شديد الحرج . . فالوضع يلتهم يوما بعد يوم ، والموقف يشير الى ان قتالا عربيا اسرائيليا على وشك ان يبدأ . . لا أحد يستطيع التنبؤ بنتيجته . . ولا يمكن للملك حسين ان يتخلف عنه ، حتى لا يتعرض عرشه للانهيار ، وهو محاط بدول معادية له شخصيا مثل مصر وسوريا والعراق . . وفي بلده مئات الالوف من ابناء فلسطين .

اعتقد الملك حسين ان اتفاقيه الدفاع المشترك هي طوق نجاه ينقذه عن طريق الارتباط بمصر في مواجهة النظام السورى الذى واصـل هجومه على النظام الاردنى والملك رغم عقد الاتفاقية باعتباره بؤرة للخيانة والمؤامرة .

ويشير تحقيق نشره الكاتب الصحفى الأمريكى ( انطونى بيرسون ) في مجلة بنتهاوس عن قضية الباخرة ( ليبرتى ) سـنتعرض له فيما بعد . . يشير تحقيق بيرسون الى انه بعد اتفاق الولايات المتحدة واسرائيل على اسقاط جمال عبد الناصر ابلغت حكومه الولايات المتحدة الملك حسين بذلك ، وخيرته بين البقاء على الحياد او المخاطرة بنظام حكمه .

قال لى محمد حسنين هيكل ان الشهيد الفريق عبد المنعم رياض كان قد تلقى رسالة سرية من الملك حسين بهذا المعنى وطلب ابلاغها الى جمال عبد الناصر ، ورفع الفريق رياض الرسالة الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة ، كما سبق ان ذكرت .

ولكن القلق اصاب الفريق رياض لعدم وصول رد على هذه الرسالة من عبد الناصر رغم خطورة ماورد فيها من تهديد صريح له ولنظام حكمه .  
ودبر هيكل لقاء بين عبد الناصر وعبد المنعم رياض . . الذى شرح له

مضمون الرسالة والتي كانت تتضمن ان الحكومة الامريكية قد دبرت خطتها مع بعض عناصر النظام الحاكم في دمشق

ولذا تحفظ جبال عبد الناصر على هذه الرسالة لانها وردت من الملك حسين اولاً ، ولانه اعتبرها محاولة للوئعة بينه وبين نظام الحكم في دمشق ثانياً ، ولانه لم يعد يملك مفاح الموقف وحده بعد تطور الاحداث وتلاحقها في ايقاع شديد السرعة .  
وكان للاتفاقية انعكاسات متعددة .

الاتفاقية لم تصلح ما بين النظام الاردني ومنظمة التحرير .. وعودة الشقيرى مع الملك حسين لم تكن خاتمة الخلافات ... فالملك حسين كان مسنداً لمشاركة مصر في حربها ضد اسرائيل ، ولكنه لم يكن مستعداً للسماح لآلاف الفلسطينيين المسلحين بدخول الاردن ، لاغتفاده بعدم فائدتهم للجيش الاردني من جهة ، ولانهم سوف يصحون عنصر تهديد لنظامه من جهة أخرى .. ولذا فقد رفض الملك حسين عرض احمد الشقيرى بادخال ٥٠٠٠ جندي من جيش التحرير الفلسطيني ولو كانوا تحت قيادة اردنية .. وكل ما وافق عليه هو اعادة فتح مكتب منظمة تحرير فلسطين في القدس والذي كان قد اغلق منذ بدا الخلاف مع الشقيرى .

واعلنت السعودية وقف مساعداتها العسكرية الى الاردن ، بعد ان خذلت تعاونها السابق ، ووضع الملك حسين يده في يد عبد الناصر .  
وحاولت اسرائيل عن طريق اتصالات خاصة ان تقنع الملك حسين بالتراجع عن موقفه .. ولكن الملك حسين رفض ذلك كما يقول انطوني ناتنج اما انطوني بيرسون فيقول في تحقيق (بنهاوس ) ان اسرائيل كانت تدبر خطة لجر الاردن للمعركة اذا كان الملك حسين قد تردد في ذلك .  
اما العراق فقد اخذت جانب التأييد للاتفاقية التي سمح لعواتها بالدخول والوقوف على الحدود الاسرائيلية .

ولم ترحب الجزائر كثيراً بعقد الاتفاقية .  
وفي مؤتمر صحفي عقده الملك حسين يوم ٤ يونيو قال ان زيارته للقاهرة هي تعبير عن علاقات التضامن الطبيعية بين العرب ضد عدو مشترك .. وعندما سئل عن موقف الاردن من سوريا ، قال ان الاردن يريد ان يزيل كل الخلافات امام الخطر المشترك .. وفي المؤتمر هاجم الملك حسين بريطانيا وخيرها بين معاداة العرب جميعاً او معاداة اسرائيل .

وعقب المؤتمر الصحفي مباشرة اتصل جبال عبد الناصر بالملك حسين واخبره بانضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك .  
وانضمت العراق يوم ٤ يونيو ، واداع راديو بغداد ان العراق قد قررت فرض الحصار على أى شحنة بترول الى أى بلد يساند العدوان المدبر ضد أية دولة عربية .

وهددت الكويت بوقف شحن البترول في حال وقف الدول الغربية الى جانب اسرائيل .  
.. وقد هبطت النسبة التي عبرت قناة السويس أثناء هذه الفترة الى

٦٠٪ من البترول العربي بعد ان كانت ٨٠٪ خلال الاحد عشر عاما السابقة وهكذا وحدها ( الخطر المشترك ) معظم الدول العربية . . . ولم يستطع الملك حسين أن يبقى في موقفه المنعزل .  
وقد كان لعقد اتفاقية الدفاع المشترك مع الاردن بطريقة مفاجئة اثر كبير في تخطيط اسرائيل ، فقد أعطى لها مبررا اضافيا للهجوم ، وساعدها في شن حملة دعائية عالية يظهر العرب في مظهر المتربصين للعدوان ، كما منحهم فرصة توسيع نطاق ضربتهم المنظرة لاكتساب مزيد من الاردن العربية .  
سارعت الاتفاقية في دفع عجلة الحرب وهددت كل احتمال للتسوية السلمية .

أحكمت الدول العربية الحصار على اسرائيل وخاصة بعد السماح بدخول القوات العراقية الى الاردن . . وأصبحت أزمة الشرق الاوسط تهدد بالانفجار بين لحظة وأخرى .  
وكانت في مصر قوات من الجزائر والسودان . . . وفي الاردن قوات من العراق والسعودية .

وشكلت تصريحات عبد الرحمن عارف التي قال فيها للجند العراقيين مودعا نتم سينتقمون لشهداء ١٩٤٨ وأنهم بإرادة الله سيلتقون في يافا وحيفا . . . وأذاعات الشقيري التي تحدثت عن تصفية ( اليهود ) والقائهم في البحر . . . وأذاعة دمشق التي أكدت أنها لن تتراجع في مساعدة الفدائيين للتسلل داخل اسرائيل . . . شكلت فرصة دعائية هائلة لاسرائيل .  
فقد سجل الاسرائيليون هذه الأذاعات واتخذوا منها دليلا على رغبة العرب المحيطين بهم في العدوان ، وجعلوا منها ستارا مضللا يخفي حقيقة تدبيراتهم .

ولا شك أن هذه التصريحات كانت متعجلة ومضللة وغير مسؤولة ، فانه رغم الاتفاقيات التي نمت بين الدول العربية في آخر لحظة ، فانه لم تكن هناك استراتيجية حربية ولا قيادة عربية واحدة مهيمنة .  
كان لقاء سياسي هام بين الدول العربية يمكن أن يعتبر بداية لوضع خطة سياسية وحربية متناسقة مبنية على الظروف الموضوعية القائمة . . . ولكن اندفاع الاحداث جعل من هذه الاتفاقيات أمورا صورية لا تترجم قدرات العرب الحقيقية .

ولذا واجه العرب الخطر صفا واحدا ، ولكن بعقليات متباينة وأهداف متعددة . . . ولم يصلوا حتى لحظة العدوان الى استراتيجية شاملة موحدة .  
**نحو الانفجار**

كان واضحا ان فرصة التسوية قد ضاعت ، وأن الحرب وشيكة الوفوع .

وتوافرت لاسرائيل كل الظروف الملائمة لتنفيذ خطتها . . فاتخذت المؤسسة العسكرية من ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والاردن ذريعة تمارس بها ضغوطها ، وازعمت الاصوات بطلب بعودة بن جوريون الذي استقبل

أول مرة عدوه السابق منحهم بيجين الذي يمثل أقصى التطرف الصهيوني واتفق الانان على ضرورة الحرب .

وبذا بوحدت معظم الفئات السياسية في اسرائيل ، وانحصر الخلاف حول الجهاز اللازم لادارة الحرب وتولى مسئوليتها .

ورفض ليفي اشكول فكرة عودة بن جوريون الى الوزارة قائلا :  
( ان وجود جوادين عجوزين - يقصد نفسه وبن جوريون - لا يستطيعان جر عربة واحدة سويا ، فاما أنا واما هو )

وبعد مداورات طويلة بين الاحزاب الاسرائيلية استقر الامر على تعيين موسى ديان وزيرا للدفاع ، ومناحم بيجين وزير دولة . وكان هذا دليلا على ان حكومة ليفي اشكول قد استقر رأيها على الحرب ، وأنها تعين دايان وزيرا للحربية استجابة لمشاعر الشعب الاسرائيلي المؤيدة له .

وكان ديان قبل ذلك قد ذهب الى المنطقة الوسطى مع قائدها الجنرال ناركين للتفتيش على قواتها . وفرض نفسه خلال حركة سياسية وعسكرية نشطة . أثبتت انه كان ينسق خطته مع بعض أفراد المجموعة الحاكمة .

قال ديان ( كان يجب وجود ٨٠ ألف جندي مصري في سيناء لقبولي في الوزارة ) . ولاشك ان ديان كان أحد الذين خططوا لاستجلاب هذا العدد الكبير من الجنود الى سيناء .

ويقول رودلف وونستون تشرشل ان قرار بدء العدوان قد اتخذ في أول يونيو ١٩٦٧ بعد تعيين دايان ، وأن ميثاق الدفاع المشترك المصري الاردني كان هو السبب المباشر لذلك .

ولما كان وصول ديان الى منصب وزارة الدفاع يشير مؤكدا الى استعداد اسرائيل لبدء القتال ، وهو ما عبرت عنه الاهرام بقولها ( انقلاب صامت في اسرائيل يأتي بوزارة حرب ) ، فإن أول عمل قام به كما جاء في كتاب تشرشل ( حرب الايام الستة ) كان هو :

( خداع العالم على أمل أن يأخذ زمام المفاجأة الضرورية جدا لاسرائيل والحصول على نصر مقابل أقل عدد ممكن من الضحايا المدنيين ، ومن هنا فقد أشيع في اسرائيل على أوسع نطاق أن القوات الاسرائيلية التي مر اسبوعان على حشدها في الصحراء والتي تنتظر بفارغ الصبر وبل وتطالب الحكومة باعطاء أمر الهجوم . . . ان هذه القوات سوف يسرها أن تعلم ان الحكومة التي دخلها موسى ديان قد قررت الابتداء الحرب ، وقد حاولوا بذلك اظهار ديان وكأنه مجرد ( شخصية مدنية ) لا يمتاز على غيره من المدنيين الا بأنه محل ثقة لا أكثر ) .

وفي مساء ٢ يونيو قام أحد مؤلفي كتاب ( حرب الايام الستة ) بمقابلة موسى ديان في داره بضواحي تل أبيب بصفته مراسلا لمجلة ( نيوز أوف ذي وورلد ) وقال له :

( من الخطأ في تصوري ان يقال ان اسرائيل قد فاتها القطار ، وانها لم تعد قادرة على التحرك ، فبالعكس ان مصير الحرب يمكن ان يتقرر في الجو حيث الوضع الاستراتيجي لا يزال كما هو تقريبا ) .

ولكن ديان واصل عملية التغطية قائلا :

( قلما تتلون الاشياء فى حياتنا باللون الاسود وحده أو الابيض وحده اذ غالبا ما نكتسب الاشياء لونا رماديا ، فمن الصعوبة جدا أن نقطع بإمكانية التفوق الجوى لطرف على الآخر ) .

ولزيد من الخداع قال ديان فى مؤتمر صحفى مساء السبت ٣ يونيو ( ان وقف الرد العسكرى على الحصار المصرى المضروب حول مضيق تيران قد فات ، ولكن التنبؤ بها يمكن أن تؤدى اليه الجهود الدبلوماسية لا يزال سابقا لاوانه ... لقد اختارت الوزارة قبل دخولى فيها طريق العمل الدبلوماسى ، ولا بد ان نتيح للوزارة فرصة اختبار امكانيات هذا الطريق ) . ووزعت على الصحف يوم ٤ يونيو صور للجنود الاسرائيليين وهم فى حالة استرخاء على شاطئ البحر ضمن ( عملية مدبرة وجزء من خطة رامية لتضليل الراى العام العالمى ) .

احكمت الخطة الخداعية تماما ، وظهرت صحف اسرائيل يوم ٥ يونيو تحمل قرارات مجلس الوزراء فى امور بعيدة نها عن الحرب ، مثل الموافقة على الاتفاق الثقافى بين اسرائيل وبلجيكا او الاتفاق بين اسرائيل وبريطانيا على تحديد الاساليب التى يجب اتباعها فى حال حدوث اختلافات عسكرية وتجارية .

وفى الجانب المقابل كانت اسرائيل قد رتبت عملية خداعية اخرى . اثناء زيارة ابا ايبان للولايات المتحدة توجه الى الخارجية الامريكية بلا موعد يوم ٢٦ مايو وطلب مقابلة دين راسك فى الحال ، قائلا ان الموقف اخطر من أن يتحمل المجادلات الدبلوماسية لان ( اسرائيل ستعرض للهجوم والتدمير اليوم ) . وكان ايبان لا يزال فى وزارة الخارجية عندما استدعى والت روستو سفير مصر مصطفى كامل ، الذى حمله رسالة من جونسون الى عبد الناصر طلب تبليغها له فوراً ، وذلك كما قال جمال عبد الناصر للطلبة المبعوثين اثناء اجتماعه بهم فى ١٦ مايو ١٩٧٠ .

كانت هذه الرسالة هى الرسالة الثانية خلال ايام ... الاولى سلمت يوم ٢٣ مايو من السفير الامريكى ريتشارد نولتى الذى خلف لوشىوس باتل والذى لم يكن قد قدم أوراق اعتماده بعد — ولم يقدمها بعد ذلك أيضا — ولذا قدم رسالة جونسون الى محمود رياض .

كانت الرسالة تقول ( ان الهدف الاسمى والارفع ) هو تجنب القتال . وفى نفس اليوم استدعى السفير المصرى الى وزارة الخارجية الامريكية حيث سلمه يوجين روستو رسالة مماثلة وقال له ( ان امريكا ابلغت اسرائيل صراحة ، انها ستناهض أى هجوم على أى دولة عربية ) . وكان ذلك فى اليوم السابق لوصول يوثانت .

الرسالة الثانية تختلف فى لهجتها عن الرسالة الاولى ... بينهما لم تمض ثلاثة ايام فقط .

كانت الرسالة تائهة على تبليغ الاسرائيليين باحتمال هجوم مصرى فى نفس الليلة ٢٦ مايو ، وقال جونسون فى رسالته انه اذا هاجم المصريون وسددوا الطلقة الاولى فان من شأن الحكومة الامريكية ان تتخذ موقفا شديدا



للغاية من مصر ... وانها لن تسمح بحدوث ذلك في الوقت الذي يجري فيه الامين العام للأمم المتحدة اتصالاته .

وفي نفس الليلة توجه السفير السوفيتي ديمتري بوجدانييف الى منزل جمال عبد الناصر على غير موعد وطلب ايقاظه في الناله صباحا ، وحين استقبله عبد الناصر اوضح له أنه نفى أوامر من القيادة السوفيتية بأن يقابله فوراً وان يبلغه أن الأمريكيين اتصلوا بالكرملين وأبلغوا الروس ان لدى اسرائيل معلومات تعيد أن المصريين سيبدأون الهجوم مع أضواء الفجر الاولى .

وقال السفير للرئيس انه يناشده ألا يقوم بتنفيذ خطته لان الطرف الذي يطلق الرصاصه الاولى - مهما يكن - سيصبح في وضع سياسي لا يمكن الدفاع عنه ، ولذا فان السوفيت - كأصدقاء - ينصحون مصر بعدم اطلاق الطلقة الاولى ... واجاب عبد الناصر بأنه لم يصدر أوامره بالهجوم، وأنه ليست هناك خطة للهجوم هذا الصباح .

نجحت اسرائيل بذلك في خلق شعور دولي عام بأن خطة العدوان كانت ستتحرك من جانب مصر .

وقد حرص جمال عبد الناصر في تصريحاته ومؤتمره الصحفي بعد ذلك على القول ( باننا لن نطلق الرصاصه الاولى ، ولن نكون البادئين بالهجوم ) مخاطباً بذلك الرأي العام العالمي ، وجونسون والقيادة السوفيتية وديجول أيضاً الذي حذر الطرفين من اطلاق الطلقة الاولى-\*

واعتقد عبد الناصر بذلك انه قد كسب المعركة السياسية ، وان الموقف ليس مستعصياً على الحل بالاتصالات والمفاوضات السلمية .

ويشير الفريق صلاح الحديدي في كتابه الى واقعة غريبة ، وهي ان التوقيت الذي طلبت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من مصر عدم القيام بالضربة الاولى ( كان هو نفس التوقيت الذي حددته القيادة العامة بمصر لانهام الاسنعدادات القوات الجوية توطئة لضربة فجائية ضد توات العدو الجوية ) .

اذا صح ما رواه صلاح الحديدي فان معنى ذلك ان القوات المصرية الجوية كانت منذرة ومسنعدة للقتال قبل العدوان بعشرة ايام على الاقل . ولكن لم يثبت ان هناك أوامر هجومية قد صدرت للقوات المصرية ، وان الخطة الدفاعية ( قاهر ) كانت مازالت هي المنفذة ، عدا بعض طلعات قامت بها الطائرات النفائة المصرية التي كانت تعبر اسرائيل من العريش الى البحر الميت في { دقائق وهي مدة غير كافية للاشتباك ... وكان ذلك جديداً في حركة القوات الجوية المصرية التي لم تخترق المجال الجوي الاسرائيلي منذ الانسحاب من الاراضي المصرية بعد عدوان ١٩٥٦ .

واتهام الاسنعدادات لا يعنى بالضرورة بدء الهجوم . كان جبل الامل لم ينقطع بعد ... ورغم رسالة جونسون ... فان يوثانت أرسل رسالة برقية أخرى يوم ٣٠ مايو شرها محمد حسنين هيكل

فى مقال له بعنوان ( ٠٠٠ لا لعبد الناصر ) نشر فى جريدة الوطن الكويتية يوم ٢٢ أبريل ١٩٧٦ .

الرسالة تشير الى ما قاله يوثانت امام مجلس الامن يوم ٢٦ مايو من انه يطلب تمسح من الوقت لتخفيف التوتر ويقول :

( وبالأذات وبدون طلب أى تعهدات منكم أو حتى رد فاننى أعرب عن الامل فى أن تمتنعوا خلال مدة اسبوعين من لحظة استلامكم هذه الرسالة عن أى تدخل فى الملاحه الاسرائيلية عبر مضيق تيران .

وفى هذه الخصوص فهل لى أن أخطركم وفى كل الاحوال أن لدى من الاسباب ما يجعلنى أفهم انه فى الظروف العادية فإنه ليس منوقعا أن تحاول أى باخرة اسرائيلية عبور مضائق تيران خلال مدة الاسبوعين المحددين ) .

اعطت هذه البرقية الإيحاءات التالية :

١ - أن هناك ( فترة نفس ) مدتها اسبوعان يمارس فيها يوثانت جهده الديبلوماسى السلامى .

٢ - أن قوله بعدم مرور باوخر اسرائيلية ، هو أمر يؤكد صلته باسرائيل وأخذ موافقتها .

٣ - كانت حركة يوثانت مطلوبة من جونسون بناء على رسالته الاولى .

٤ - لا شك أن يوثانت كان على صلة بالدول العظمى المثلثة فى مجلس

الامن .

وهذأت انفاس عبد الناصر بعد هذه الرسالة ، واعتقد أن مناورته السياسية قد نجحت ، وأن الأخطار التى حملتها للمنطقة قد تجمدت أو هى فى سبيل التجمد الذى سبق أن لعب دور الوسيط بين عبد الناصر وبين جوريون عام ١٩٥٦ .

وزاد من هذا الشعور عنده وصول روبرت اندرسون فى اليوم التالى لتسليم رسالة يوثانت - أول يونيو ٦٧ - والوصول الى اتفاق على إفاد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية لمقابلة جونسون يوم الثلاثاء ٦ يونيو .

قال جمال عبد الناصر للبعوثين المصريين فى الخارج اثناء اجتماعهم به فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ وهو يستعيد درس الهزيمة .

( قبل ه يونيو الامريكان بلغونى أنهم يضمون كيان الدول فى المنطقة وأنهم سيعارضون أى عدوان وفى يوم من الايام طلبوا سفرنا فى واشنطن وقالوا له أن عندهم أخبار أننا نهاجم اسرائيل وأن وزير خارجية اسرائيل موجود فى المبنى ذاته فى وزارة الخارجية وطلبوا أنهم ييلغونى فى الرسالة أن امريكا بتصمم على اعلان كيندى اللى هو خاص بالتحفظ على الوضع فى المنطقة كما هو ومجابهة أى عدوان . .

وبعد ذلك حصل العدوان وكان من الواضح بالنسبة للامريكان انه فى وقت الحرب اذا كانت اسرائيل هى المنتصرة فإن امريكا ستتفانى كلية البيان اللى هبه اعلنته ، واذا كانت الدول العربية هى المنتصرة ، فامريكا

ستصمم على البيان اللى قاله والخاص بوحدة هذه المنطقة وعدم تغيير الاوضاع بالنسبة لحدود المنطقة .

وتفجر هذا الشعور فجأة بمراقبة ما حدث فى اسرائيل ، ووصول المؤسسة العسكرية الى مواقع النفوذ ، وبعين دايان وزيرا للدفاع الاسرائيلى .

وشعر جمال عبد الناصر ان اخطارا تجمع فى الافق ، وان الخيوط التى كان يمسكها قد افلتت من يديه ... وان الموقف قد تحول لبصبح خطيرا ... خطيرا .

وفى ذلك اليوم استقبل عبد الناصر النائب البريطانى كوليستوفر مايهيو الذى سأل ( ان لم يهاجموا .. هل تدعهم وشأنهم ؟ فأجاب عبد الناصر ( ليس فى نيتنا مهاجمة اسرائيل ) .

وقرر جمال عبد الناصر عقد مؤتمر عسكرى سياسى مساء يوم ٢ يونيو حضره معه المشير عامر وزكريا محيى الدين وانور السادات وحسين وحسين الشافعى وعلى صبرى وقادة القوات المسلحة .

وقد حدد جمال عبد الناصر رؤيته للموقف فى هذا المؤتمر كما يلى :

١ - الظروف الدولية تحتم عدم اتباع استراتيجية عدوانية ( حتى لا نضحي بموقف امريكا وباقي الدول الكبرى منا ، ولا سيما بعد ان اعلن الجنرال ديجول ان فرنسا ستقف ضد البادئ بالعدوان ) وذلك نبعا لما ذكره الفريق صلاح الحديدى احد الذين حضروا هذا المؤتمر .

٢ - حدد اختيارين امام اسرائيل ... اما قبول الامر الواقع ، أو شن حرب وهو ما يتوقعة بنسبة ١٠٠٪ وخاصة بعد تشكيل وزارة الحرب ... وحدد موعد قيامها بعمليات هجومية فى مدة يومين أو ثلاثة ( أى ٤ او ٥ يونيو ) ... وقد بنى ذلك على أن اسرائيل لابد ان تقوم بهجومها قبل وصول قوات الجيش العراقى الى الاردن ، وكانت قد بدأت التحرك فعلا وكان ينتظر وصولها خلال يومين .

٣ - شرح عبد الناصر تصوره للمعركة بانها ( ستقوم على اساس توجيه اسرائيل ضربة جوية ضد ثواتنا ودفاعنا الجوى حتى يتم شلها وأخراجها من المعركة ... وطلب من العسكريين الاستعداد لللقى هذه الضربة ، واتخاذ ما يلزم لتقليل خسائرها الى الحد الادنى حتى يمكننا بعدئذ توجيه ضربة رادعة ضد ثوات العدو الجوية .

ويروى الفريق الحديدى ما دار فى هذا المؤتمر الهام من مناقشات فيقول :

( وهنا ساد الوجوم غرفة الاجتماع واعزى العسكريين نوع من القلق والصمت قطعته قائد القوات الجوية ، موضحا ان تحول استراتيجيتنا العسكرية من الهجوم الى الدفاع سيؤثر تأثيرا كبيرا على موقف القوات الجوية ، وان الفرق سيكون كبيرا بين الحالتين لان الروح المعنوية لقواته ستتأثر كثيرا فى حالة الانتظار لتلقى ضربة اسرائيل ، وانه يفضل لو كان من الممكن عدم تغيير الوضع عما هو عليه ... وكانت اجابة الرئيس الراحل على هذا التعليق اجابة طبيعية ، اعتبرتها كتب الاستراتيجية من البديهيات

في هذا الفن ٠٠٠ اذ تعتبر أن استخدام الاجهزة العسكرية يكون لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة ، وأن هذا الاستخدام هو استمرار للعمل السياسي ولكن بوسائل أخرى ، ومعنى هذا خضوع العسكريين الكامل للمرات السياسية للدولة ) .

ويقول الحديدي أيضا ان المشير عامر قد قال ( اذا بدأنا الضربة الجوية الاولى فلن نقف الولايات المتحدة الأمريكية منتظره الاحداث بل ستتدخل ضدنا بقوتها العسكرية ، بينما لو بدأت اسرائيل هذه الضربة فلن نتدخل أمريكا بقوتها .

لقد دخل حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى حتمية قيام اسرائيل بالضربة الجوية وهي أول اجراءات العملية الوقائية من وجهة نظر اسرائيل .

ووجه الرئيس عبد الناصر الكلام الى الفريق اول محمد صدقي محمود ، ولم نقاش حول :

١ - الخسائر المحتملة .

٢ - امكانية الرد بضربة مضادة .

وفد قدر الفريق اول صدقي الخسائر المنتظرة بعشرة الى ١٥٪ ولكنه قال ان هذا يعتبر فقدا للمبادأة ٠٠ وان هناك احتمال تكسيح القوات الجوية أنصور انني متذكر كلمة قالها بانجليزيه « كربل »

وتطورت المناقشة الى المشجسان ملاقة الضربة الجوية من اسرائيل بدلا من فهد عطف العالم ، وخاصة امريكا التي قد تميل الى الدحول في صف اسرائيل في حالة المبادأة من جانبنا .

وانقضى في آخر المناقشة في هذا الموضوع بالذات على اتخاذ الاجراءات الوقائية الضرورية للتفليل من تأثير الضربة الجوية الاولى .

وافق المشير عبد الحكيم عامر على ذلك وقال للفريق اول صدقي محمود :

« ادرس هذا الموضوع وأبلغني بالاجراءات التي ستتخذها بخصوص تأمين القوات الجوية ضد الضربة الاولى من اسرائيل . »

وانتهى الاجتماع بتأكيد من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه يعلم تماما الخطوات التي تتخذها اسرائيل داخليا وخارجيا في مثل هذه الاحداث .

متملا بما تم في سنة ١٩٥٦ . مفاجأة عسكريه . حرب قصيرة . نقل المعركة الى أرض العدو .

قال جمال عبد الناصر هذا الكلام وهو شيء مكتوب في الكتب .

وفي صباح يوم ٣ يونيو أخطر الفريق اول صدقي بإمكانية التغير ، وبالأوضاع التي رآها مناسبة في هذه الحالة . وذكر نقل القوات ٠٠ المقاتلات القاذفة غالبا ٠٠ او المقاتلات الى مطار كبريت .

ويعلق صلاح الحديدي على ذلك تعليقا صائبا يلقي به مسئولية جسيمة على قادة القوات المسلحة عموما ، وقادة القوات الجوية خصوصا اذ يقول : ( وكان من الطبيعي ان تتخذ عدة قرارات عسكرية في اعقاب هذا المؤتمر تنفيذا للوضع السياسي الاخير ، وكان ضمن هذه القرارات ضرورة

إخلاء المطارات الامامية في سيناء من الطائرات ، حتى لا تكون لقمه سائغة لطائرات العدو عند قيامها بالضربة الاولى ، وحى هذا القرار المنطقى لم يكتب له التنفيذ ) \*

كان جمال عبد الناصر في هذا المؤتمر قد وصل الى قناعه كامله حملها الى معاونه من العسكريين والسياسيين بأن الحرب واقعته ١٠٠ / ... وعندما يقرر رئيس الدولة والفائد الاعلى للمواهب المسلحة ، فان الواجب كان يقضى على القيادات العسكرية والسياسية أن تتحرك بهذا المستوى من الفهم ومن تقدير المسئولية .

القيادات العسكرية حملت عبء تجهيز القوات المسلحة للمعركة . اما بالنسبة للشعب ... فان الامر كان عريبا وشاذا ... معروف ان الحروب الحديثة لا تتم بعيدا عن الرجل المدنى في القرية او المدينة ... وانه من الواجب تجهيز افراد الشعب للدفاع عن وطنهم في امكان افانهم او مراكز عملهم ... ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق .

افراد الشعب يابعون الاخبار في الصحف والاذاعة يسبذ به القلق وتحيط بهم التساؤلات ، وليس عندهم من عمل بقويون به ، او جواب يهدى صدورهم .

والمناطق الحيوية ... حلوان وشبرا الخيمة والمحله الكبرى وكفر الدوار والموانىء تركت جميعا بلا حماية شعبه ... وجاء نعين زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة التسعية متأخرا فقد ظهر القرار في صحف يوم الاحد ٢٨ مايو ١٩٥٦ ، ولكن الوقت الآن كان متأخرا جدا .

كان مراسلو الصحف الاجنبية يلحون في السؤال عن الساقض الهائل بين تصريحات المسئولين التي تؤكد قيام الحرب ... وبين الحياة العادية للناس في المجتمع وكأنهم لا يواجهون خطرا رهيبا . وكانوا يتساعطون عن الفرق بين الحالة في اسرائيل حيث اختفى الشباب ... وبين مصر حيث ترك الشباب في الشوارع بلا واجب او مسئولية .

نشرت الصانداى تايمز رسالة لمراسلها فيليب نائيلى يوم ٢٧ مايو يقول فيها :

(ليس في القاهرة ما يوحى بأن هذه الدولة على حافة الحرب فزيارات السياح اليومية للاهرام لم تنقطع ، والمقاهي والمطاعم مملئت بروادها . وكثير من المصريين في نادي الجزيرة الرياضى يلعبون الجولف ويسبحون ويعرضون اجسامهم لحرارة الشمس ) .

اما مراسل صانداى تايمز في تل ابيب دافيد دايدج فقد نشر في اليوم نفسه رسالة تقول : ( تكتيكيا لانزال اسرائيل تقوم بنوازن على حافة الحرب ولكن أى زائر غريب لتل ابيب يمكن ان يتصور الحرب قد قامت بالفعل . ففي مراكز جمع الدم يقف المتطوعون على النواصى في طوابير طويلة وفي

الضواحي يقوم تلاميذ المدارس بحفر الخنادق ) .  
كانت الجماهير في مصر بعيدة تماماً عن جو المعركة وروحها . . وكان  
الانحداد الاشتراكي سادراً في اجتماعاته عبر المصرة . . وكاتب الحكومة قد  
عقد مؤتمراً مشتركاً بين الوزراء والمحافظين يوم ٢٩ مايو أصدر عدة قرارات  
ادارية من التي تنعثر في طريق البيروقراطية .  
أمانة طليعة الاشتراكيين التي كان مفروضاً انها قلب الحركة السياسية  
في الاتحاد الاشتراكي وجهازة السياسى لم يجمع ولم تناقش الموقف ، ولم  
توضح أبعاد الاخطار التي تهدد مصر .  
وعندما عدت من ندوة الاشتراكيين العرب في الجزائر هرعتم الى  
شعراوى جمعة أمين التنظيم وزملائي أعضاء الامانة ، فوجدت انهم يتوقعون  
الحرب ، ولكنهم كالحيارى لا يعرفون ماذا يفعلون .  
وعندما طالبت باجتماع عاجل للامانة ، كانت المشاكل الادارية قد  
أحاطت بالزملاء في مناصب السلطة ، فباتوا أكثر انشغالا بها عن الدور السياسى  
الذى يجب أن يقوموا به .  
كانت هذه الصورة توضح بكل تأكيد ان جمال عبد الناصر لم يكن راغباً  
تماماً في شن حرب أو تدمير إسرائيل ، وانما كان يقوم بهندسة نصر سياسى  
غامر فيه بالوصول الى حافة الهاوية ، ولم يستطيع أن ينقذ نفسه في اللحظات  
أو الايام الاخيرة . . فقد كانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بصقورها  
المتعطشة للحرب قد أعدت المصيدة للنظم التقدميه في مصر وسوريا بالتعاون  
مع المخابرات المركزية الامريكية .  
وكانت رغبة جمال عبد الناصر في أن (يلهف) شرم الشيخ على حد  
تعبيره لزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين قد دفعته الى خيوط المصيدة  
الصهيونية الامبريالية المشتركة ، ولم يعد قادراً على الفكك منها رغم  
استخدامه لكل خبرته السياسية .  
كانت الخطوات نحو المصيدة قد اكتملت .  
وكانت اسرائيل على وشك تنفيذ خطتها الهجومية التي أطلقت عليها  
ساكوديا ( الحمامة ) .

## الفصل الثاني

### هزيمة عسكرية . . . بلا اعلام بيضاء

ان حرب ابناء النور ضد اولئك الذين  
حاولوا اغراقنا في الظلام قد انتهت  
« جنرال رابين »

« خسرنا معركة ٠٠ ولم نخسر الحرب »

جمال عبد الناصر

اطلقت ( الحمامة ) جارة شرسة مثل صقر لينقض على فريسته ٠٠  
بدأت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تنفيذ خطتها المرسومة التي اختارت  
لها الاسم الكودي الوديع ٠٠

انطلقت أول موجة من الطائرات الاسرائيلية من قواعدها صباح الاثنين  
٥ يونيو في تمام الساعة الثامنة الا ربعا ، أو التاسعة الا ربعا بتوقيت  
القاهرة ٠٠ واتجهت حسب توقيت دقيق نحو ١٩ مطارا في سيناء والقنال  
والدلتا والصعيد ٠

واثناء الموجة الاولى للهجوم الاسرائيلي كان هناك حادث درامي مثير ٠٠  
طائرة المشير عبد الحكيم متجهة الى مطار ( بير تماذا ) في سيناء ومعها قائد  
القوات الجوية وتائد الدفاع الجوي ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ،

وعدد من كبار القادة ، وعدد من رجال الاعلام والمصورين ، كان مفروضا ان اكون واحدا منهم لولا اختلاف في الترتيبات الادارية والمواعيد .

طائرة المشير في الجوفرسية سهلة للمهاجمين . وفي مطار (بيرتمادا) ينتظر كبار القادة الذين حضروا من مواقعهم بطائرات هليكوبتر لحضور المؤتمر الثاني للمشير في سيناء بعد اعلان حالة الطوارئ والتأهب القصوى . ميز الطيار الطائرات الاسرائيلية وهي نصف احد مطارات منطقة القناة فغير ابجائه وابتعد بطائرته ، ولاحظ ذلك قائد القوات الجوية فدخل على الطيار في كابينة القيادة يستفسر منه عن سبب تغيير مساره ، وشاهد بنفسه الطائرات الاسرائيلية ، فأمر الطيار بالعودة الى مطار القاهرة الدولي بدلا من مطار الماطة . . وذلك حسب رواية الفريق صلاح الحديدي الذي كان مديرا للمخابرات الحربية في ذلك الوقت .

وعاد الفريق صدقي محمود الى المشير عامر ليبلغه بهذا الخبر المفاجيء . . واتفق الاسان على ان ترد القوات الجوية بالهجوم تبعا لخطة تباهلية موجودة . ولكن ركاب الطائرة لم يعرفوا جسامه التدمير الذي تعرضت له المطارات والطائرات اثناء تحليهم في الجو . . والاشارة التي ابلغت للقوات الجوية من طائرة المشير وهي في طريق العودة لم تكن ذات اثر . هبطت طائرة المشير في مطار القاهرة الدولي . . لم يكن في استقباله احد . . وهرع الى مقر القيادة العامة في مدينة نصر راكبا سيارة ناكسي قديمة ومعه العدد الذي استطاعت السيارة القديمة ان تحمله .

وفي نفس الوقت تقريبا كان كبار القادة تحت قيادة الفريق مرتجى قد نجموا في قاعدة الميس ينتظرون هبوط طائرة المشير . . وعندما لاحت في الافق طائرات اسرائيلية تطير على ارتفاع منخفض نهدم المهرات والطائرات وتقتصف المخازن وغرفة العمليات . . وبدد شمل الحاضرين وأذهلتهم المفاجاة .

ولم تكن طائرة المشير وحدها هي التي كانت تحلق في الجو . . كانت هناك طائرة اخرى تحمل حسين الشافعى ، ومعه طاهر يحيى نائب رئيس وزراء العراق متجهة الى مطار فايد غرب العنة . سحب وجود هذه الطائرات في الجو صدور تعليمات الى دفاعنا الجوى بالاى يطلق نيرانه . . اى يكون مقيدا .

وهنا يتور نساؤل خطير عن الاسباب التى دعت المشير الى القيام بهذه الجولة في نفس التوقيت الذى حدده جمال عبد الناصر في مؤتمره مع القوات الجوية كموعده محتمل للهجوم الاسرائيلي .

وقد علل لى الفريق اول محمد فوزى رئيس هيئة اركان الحرب وقت العدوان ، ذلك بأنه كان نوعا من تحدى قيادة القوات الجوية لقرارات وآراء جمال عبد الناصر ، ومحاولة لاثبات وجهة نظرهم الخاصة .

كما قال لى ايضا ان ذلك يرجع الى ثقة المشير عامر المطلقة بمعلومات المخابرات الحربية والتي تبين انها كانت خاطئه ومضللة منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ويدلل على ذلك المخابرات قد قدمت تقريرا في ٢٧ يوليو ١٩٦٧ بعد انتهاء العدوان تقول فيه ان قوات العدو تزيد ٥٠٪ عن تقاربرها السابقة .



كما ان تحليل المخابرات الحربية لعملية احتلال العدو لبعض المواقع الالامية في الساعة الواحدة من صباح ٥ يونيو استعدادا كان ( تدعيم وتقوية الدفاعات في الخط الاول ) .

ولذا فان وصول هذه المعلومات متأخرة اذ عرضها على شفيق على المشير في الساعة السابعة صباحا اى بعد ٦ ساعات من ارسالها وثقة المشير في تحليل المخابرات وتحدى قيادة القوات الجوية لرأى عبد الناصر في موعد الهجوم ٠٠ كل هذا أدى الى طيران المشير فى الساعة من صباح نفس اليوم ٠٠ وتعرض نفسه للخطر ٠٠ وترك القوات المسلحة بلاقيادة فعالة فى أدق لحظات الخطر .

وأوقف قليلا لنقل مارواه الفريق اول محمد فوزى حول تقارير المخابرات الحربية لتكتشف انها كانت « من أهم نقاط الضعف التى زيفت الحقيقة وخدعت القيادة العسكرية والسياسية معا » .  
يقول الفريق أول محمد فوزى :

ودعونا نستعرض ما كانت ترسله المخابرات الحربية من يوم ١٥ مايو .  
١ - يوم ١٥ مايو - مازالت هناك بجمعات عسكرية اسرائيلية فى المنطقة الشمالية من ٥ الى ٧ لواءات ٠٠ وهذا خطأ .

٢ - يوم ١٧ مايو - الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى منخفضه وهناك حالة منتشرة من الخوف والتساؤل فى اسرائيل .

٣ - يوم ١٩ مايو - الاحداث التى جرت فى المنطقة قد قللت من فرص اسرائيل فى تحقيق المبادأة ودفعنها الى اتخاذ موقف التريث والانتظار .

٤ - يوم ٢١ مايو - ظهر نشاط نفل جوى الى الجنوب . الظروف ليست مناسبة لشن عمليات شاملة نظرا لفقد عامل المبادأة والمفاجأة ، علاوة على حاجتها للدعم العسكرى الخارجى .

٥ - يوم ٢٤ مايو - الفريق صلاح مرتجى قائد الجيش الميدانى يقرأ تقرير المخابرات الحربية عن مقارنة القوات .

مدرعانا ٣ - مدرعات العدو ١  
مشاننا ٣ - مشاة العدو ١ قواننا متفوقة كلها بنسبه ١ الى ٣ ٠٠ نحن ثلاثة والعدو ١ .

يوم ٢٤ مايو - كلام عن تغيير قادة الفرق واللواءات .  
يوم ٢٦ مايو - اخطر تقرير مضلل عن اهتمام اسرائيل بمنطقة اسلات ووصول قوات اضافية ( ٣ لواءات مدرعة - ٢ لواء مشاة - ١ كتبة دبابات ) .  
يوم ٢٧ مايو - زيادة نشاط العدو نجاه الجنوب . تعزيز بلواء ٠ وهذا استمرار فى الخطأ .

يوم ٢٨ مايو - موضوع عن اسر مجموعة عمليات مدفعية . كانوا ثلاثة ضباط أو اثنين ٠٠ ناهوا واسروا .

يوم ٢٩ مايو - أمر المشير عبد الحكيم عامر بفتح مركز قيادة متقدم فى الميثان ، وتحريك عربات القيادة كلها الى هناك وكانت عربات ضخمة .  
يوم ٣٠ مايو - تأكيد عن نشاط العدو فى وادى الحران ، وادى نصاب

المعين • المحور الجنوبي • تعليمات من هيئة عمليات قيادة الجيش الميداني  
بتأمين الاتجاه التعموي الجنوبي •

يوم أول يونيو - أكد مكتب مخابرات العريش ان عزم العدو وشيك على  
القيام بعمليات تعرضية ضد الاتجاه الجنوبي ، واحتمال اسقاط جوى معاد  
جنوب الكنتيلا • والتقرير يؤكد شن عملية هجومية ضد الاتجاه الجنوبي •  
يوم ٢ يونيو - اسرائيل لن تقوم بأى عمل عسكري تعرضي ، وان الصلابة  
العربية الراهنة ستجبر العدو وبلاشك على ان يقدّر العواقب المختلفة المترتبة  
على اندلاع الحرب في المنطقة •

ويعلق الفريق اول محمد فوزي على ذلك بقوله :  
اننى اقول ان هذه التقارير مضللة جدا • وقد انتشر هذا التخريب بين  
القوات في ذلك الوقت • وتأثيره طبعاً في الاتجاه المعاكس • خداع وتضليل  
• تقاعس وببلبة • اسرائيل لن تهجم • تقليل درجة الاستعداد تلقائياً ، وقد  
حدث هذا من قوات او من قادة •

وهنا يجب ان نلاحظ ملاحظة هامة :  
ان تقرير المخابرات الحربية موضع الثقة الكاملة من المشير يقول في ٢  
يونيو ان اسرائيل لن تهجم •• هذا في نفس الوقت الذي كان فيه تعذيب من  
الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية على ان الهجوم سيتم !!  
ولم تكن هناك طلعات استطلاع متواصلة كثيرة ، لكن تؤكد او تنفي كلام  
المخابرات الحربية • وخرجت طلعة استطلاع واحدة او طلعتان في الجنوب  
لتعرض موضوع الحشد • وجاءت منها صور عن العقبة وليس عن ايلات ••  
والطلعة الثانية لم تؤكد التأكيد المضبوط •• ومع ذلك •• فند تم التصديق  
على تقرير المخابرات بأن هناك حشداً موجوداً كما قدره بثلاثه لواءات مدرعة  
واثنين لواء مشاة ميكانيكي وواحد كتيبة دبابات وعززت بلواء آخر •  
وهنا ينبت الشك في الصدر لاختيار اسرائيل هذا التوقيت •• فمن  
المحتمل أن تكون بعض المعلومات قد تسربت الى العدو •• أو ان تكون بعض  
الاشارات قد التقطت ، واختير التوقيت للهجوم بناء على ذلك •  
واقع مثير •• كل قيادات القوات المسلحة سواء في القاهرة أو الجبهة  
بعيدة عن مواقعها •• ومصدومة بالهجوم الاسرائيلي المباغت •  
وعندما وصل المشير عامر الى مقر القيادة ، وقبل ان يصل قادة وحدات  
سيناء الى مواقعهم ، كان كل شيء قد انتهى تقريباً ودمرت معظم قواتنا الجوية •  
وعندما ارسلت قيادة القوات الاردنية التي كان يرأسها الفريق اول  
عبد المنعم رياض اشارة الى القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادة القوات  
الجوية ، تبلفها بما سجلته شاشات الرادار من قيام موجات متتالية من الطائرات  
الاسرائيلية ، لم تثمر هذه الاشارة شيئاً ، فقد كان مفتاح الشفرة قد تغير  
صباح ٥ يونيو ، ولم يتمكن من استقبالها في القاهرة من فك رموزها فوراً ••  
وعندما حلت الشفرة كانت قد وقعت الواقعة •  
ويشير الفريق صلاح الحديدي ماسبق ان اشار اليه الفريق اول فوزي  
حول هجوم قوات اسرائيلية على موقع متقدم عند الحدود في ( ام بسيس )

واستيلائها عليه بعد اشتباك قصير بالنيران في الساعة والنصف صباح ٥ يونيو ٠٠ ويقول ان قائد الموقع قد ارسل ما ابلغته به نقط المراقبة ليلة ٥/٤ يونيو ( الساعة الواحدة صباحا ) من وجود بحركات غير طبيعية للقوات الاسرائيلية ٠٠ ولكنه علم فيما بعد ان هذه الاشارة لم تعرض على قائد الجيش في سيناء الا بعد ظهر يوم ٥ يونيو . لانه كان مشغولا في الصباح باستقبال المشير ٠٠ ويقول ان الانذار لو وصل في موعده لكان هناك احتمال بتغيير الموقف .

وكانت هذه هي الحالة لحظة البدء في تنفيذ خطة ( الحملة ) . . كل الظروف مهيأة لتحقيق اهدافها . . والى جانب هذا الاضطراب الشديد في مواقع القيادات ، وصدمتها من مفاجأة الهجوم هي بعيدة عن مراكز رئاستها . فان كتاب ( حرب الايام الستة ) يضيف عوامل جديدة وضعها الاسرائيليون في تقدير موقفهم لتحديد انسب توقيت للهجوم :

١ - تجاوز فترة الفجر والصباح الباكر التي تكون الطائرات المصرية فيها في حالة انذار وجاهزة للتحليق خلال خمس دقائق .

٢ - الهجوم عند الفجر يجبر الطيارين الاسرائيليين على النهوض عند منتصف الليل اما تأخيرهم الى التاسعة فيترك لهم فرصة الراحة والنوم حتى الرابعة صباحا .

٣ - التأكد من ارتفاع الضباب الذي يغطي دلتا النيل في الصباح الباكر معظم الايام .

٤ - التاسعة الا ربعا هو الموعد الذي يتحرك فيه الضباط المصريون عادة الى مواقعهم فيكون الهجوم مفاجأة لهم .

ولكن كل هذه العوامل التي اثارها تشرشل ندليلا على حسن اختيار ودقة التوقيت الاسرائيلي ما كان لها ان تنجح هذا النجاح الساحق لو كانت القيادة العليا للقوات المسلحة ، قد اخذت تعليمات جمال عبد الناصر باحتمال الهجوم يوم ٥ يونيو مأخذ الجد ، واعدت خططها على هذا الاساس .

لم يكن مفهوما ان يتحرك نائب القائد الاعلى المشير عامر في طائرته وبغير حراسة الى مطار متقدم في سيناء في نفس اليوم الذي يتوقع فيه الهجوم .

ولم يكن مقبولا ان يسهر ضباط القاعدة الجوية في انشاص في حفلة ساهرة ليلة ٥/٤ يونيو تغنى فيها المطربة شريفة ماهر .

ولم يكن طبيعيا وقد تحددت استراتيجية الدولة في النزاع خطة دفاعية ان يندفع الى سيناء مايزيد عن ٨٠٠٠٠ جندي البعض منهم في ملابس مدنية، وعدد من الوحدات تنعصه الحملة والاسلحة ٠٠ وان نزل الطائرات رابضة على الارض في المرات الجوية للمطارات الامامية في سيناء .

وعندما وصل المشير عامر الى مبنى القيادة العامة انتقل مباشرة الى الدور السفلى من المبنى الكبير الشديد الوضوح للطائرات المهاجمة .

يقول الفريق اول محمد وزي ان المشير فد طلب من الفريق اول صدقي محمود معلومات عن القوات الجوية

وقد اجاب الفريق اول صدقي بذكر الحقيقة عن القوات الجوية بعد

انتهاء الضربة ، وكان لذلك تأثير عنيف على المشير شخصيا ، كما ان الفريق أول صدقي نفسه كان متأثرا كذلك .

ولا شك ان هذه الكارثة قد سببت من فصول شديد في الدفاع الجوى وهو امر لم يكن مجهولا ولكنه كان مهملا .  
ويؤكد الفريق أول محمد فوزى ذلك بقوله :

(من ناحية قصور الدفاع الجوى عن ملاحقة الطيران المنخفض حصلت اشارة لهذا الموضوع ، وكتب تقرير او نصيحة من الاتحاد السوفيتى بعد زيارة كبيرة حاءت الى مصر . . وللأسف حتى تقريرهم لم يطبع ولم يوزع . . بل ولم يترجم ويبقى مختبئا . . فكان النقص في الدفاع الجوى معروفا . . ولم يكن في فكر القيادة احتمال بأن العدو سوف يصل الى أهدافه على الارتفاع المنخفض الذى وصل اليه يوم ٥ يونيو وبعد هذا اليوم .

ويروى الفريق صلاح الحديدي قصة مادار فى هذه اللحظات فيقول :  
بدأت الاتصالات مع قائد الجبهة وقائد الجيش الميدانى لتفهم المواقف والتوفوف على آخر المعلومات ، وكان المشير شخصيا هو مركز هذه الاتصالات ، واضطر في بعضها الى التعامل راسا مع القادة المرؤوسين لعدم وجود قادتهم في مراكزهم اما لعدم وصولهم بعد من المطار — الذى كانوا يستعدون فيه لاستقبال المنبر — او لوجودهم في مكان آخر للتعرف بأنفسهم على الموقف وسبر الامور .

كانت هيئة القيادة التى تكون المستشارين فى مختلف الشؤون وعلى رأسهم رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة ، تحتل الغرف المجاورة ، عاكفة على جميع المعلومات عن الموقف للامام به . ثم تقديم الافراحات المناسبة بوطنة ليخذ القائد العام قراره فى ضوء هذه الدراسة ، ولكن هذا الاسلوب السليم الذى سبق التدريب عليه ، والذي يعتبر احدى السمات الهامة التى جنبها من الدراسات النظرة فى اكااديميات ومعاهد الاتحاد السوفيتى ، بالإضافة الى ما بذله الخبراء السوفييت ليكون هذا الاسلوب نليديا ونلقائيا فى الشكليات والقيادات لم يلبث ان توقف نظرا لتضارب المعلومات التى كانت تصل الى القائد العام من جهة والى مستشاريه من جهة اخرى ، بالإضافة الى تدخل بعض كبار الضباط — الذين لا يشغلون وظائف رسمية ترتبط ارتباطا عسوبا بالمعركة — وكان معظمهم فى غرفة المشير . تدخل بعيدا عن المسئولية . . كل هذا بجاب التغير السريع الذى كان بطراً على المواقف فى الجبهة ، جعل المشير بدريحيما غير قادر على اتباع الاسلوب العلمى السليم فى ادارة المعركة ، وصار هو فقط وبمفرده مصدرا للمقرارات دون الرجوع الى مستشاريه ، بل وفى كثير من الاحيان لم يكن هؤلاء المستشارون يعملون بهذه المقرارات الا بعد فوات الاوان وعن طريق المصادفة فى معظم الاحيان .

تعطى هذه الصورة التى رسمها احد كبار قادة القوات المسلحة دليلا على ان القيادة العامة لم تكن فى مستوى الكفاءة لادارة حرب وطنية .  
ولم يكن ذلك أمرا مفاجئا . كما انه لم يكن نتيجة لما حدث من أخطاء فقط . . ولكنه كان خطأ كبير بدأ عند برقبه عبد الحكيم عامر من رتبة صاغ الى لواء دفعة واحدة مى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة .

ثم ظهور هذه الفئة من الضباط القريبين الى المشير الذين انفسدوا الانضباط العسكري بصلاتهم الخاصة .. واخراج عدد كبير من الضباط الاكفاء للعمل خارج الجيش في الوزارات المختلفة للتخلص من شخصياتهم المحبوبة او المؤثرة وضياح حرب ١٩٥٦ بلا محاسبة للمقصرين وخاصة قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود الذي فقد قواته الجوية للمرة الثانية .. والانزلاق في حرب اليمن دون وقعة تأمل وحساب للأسلوب الذي ساد القوات المسلحة ، ودفع الضباط الى السعى وراء الكسب والمنفعة الشخصية .. ثم الاستمرار في تغليب الولاء على الكفاءة الى الحد الذي وصل به شمس بدران ووزيراً للمربية وابعد عن مواقع القيادة بعض من حصلوا على دراسات عليا في أكاديميات الانحاد السوفييتي .

لم تكن الحالة المضطربة التي واجه بها عبد الحكيم عامر الموقف جديدة او شادة .. فقد سبق أن تم الانفصال عام ١٩٦١ بين يديه وهو في دمشق .. ومع ذلك فقد ظل في موقعه معسدا على حب الضباط له لما كان يفدقه عليهم بلا حساب او نظام .. والواقع ان شخصية عامر بقدر ما كانت عامرة بالعواطف الانسانية ، كانت فاقدة للمؤهلات التي تجعل منه قائدا عسكريا .

وكان رد الفعل الاول عن العدوان في مصر هو ماأذاعه راديو القاهرة في العاشرة الاخمس دقائق بعد خمسة واربعين دقيقة من اذاعة اسرائيل التي قالت : ( القوات الاسرائيلية بهاجم طابورا مصريا مدرعا ينحرك نحو اسرائيل ) ، وقالت اذاعة القاهرة ( ايها المواطنون : اليكم انباء هامة .. بدأت اسرائيل هجومها على الجمهورية العربية المتحدة ، وفواننا نواجه العدو وسنوافيكم بالاجابات فيما بعد ) .

أذيع بيان القاهرة بعد ان سمع السكان اصوات انفجارات العنايل في مطار غرب القاهرة واشخاص تم مطار القاهرة الدولي ، وسمعها معهم المسئولين .

كان جمال عبد الناصر في منزله .. وكان كل المسئولين ايضا . عندما سمعت اول أصوات للفنابل اتصلت بليفويا بشعراوى جماعة بصفته أمينا عاما لامانة طليعة الاشتراكيين ، لأسنفسر منه عن حقيقه الموقف ، وأنعرف على مايجب علينا ان نعمله .

كان شعراوى جماعة قد تلقى خبر الغارات قبل ذلك بدقائق ، ولم يكن يعرف واحبا واضحا لطلليعة الاشتراكيين او للانحاد الاشتراكي ، ويدوان واجبه كوزير للداخلية قد اخذ كل انتباهه .. وعندما قلت له اني سأذهب الى مقر الامانة في مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وافق .. وأسرعت الى هناك فلم أجد الا بعض الموظفين الاداريين الذين البعوا هم الآخرون حول مذياح ينحرك بين محطة القاهرة واسرائيل .

ولم تكن هذه الحالة من الاضطراب عريية او شادة ايضا .. بل كانت طبيعية ، حب لم ينسكل التنظيم الطليعي او الجماهيري على اسس حزبية وسياسية سليمة ، تتيح له قدرا من الديمقراطية الداخلية ، وبومر له واجبات اساسية وتوحد بين اعضائه في ايديولوجية اشتراكية واضحة ، وتؤهله لمواجهة معركة وطنية يفرض فيها ان يكون في مركز القيادة للجماهير .

ولم يقتصر هذا الموقف على الاتحاد الاشتراكي ،  
رئيس الوزراء محمد صدي سليمان لم يسمح بالحرب الا وهو في  
سيارته متجها من منزله في الهرم الى رئاسته مجلس الوزراء ، ولاحظ بجمع  
الناس ، ولما سال السائق علم ان هناك غارة .  
قال لي صدي سليمان انه عندما سمع ذلك اتجه الى القيادة العامة  
للقوات المسلحة .

لم يكن هناك تدريب على المعركة يقضى بإبلاغ رئيس الوزراء في أي مكان،  
حتى في العربة التي يتوفر لها جهاز نليفون .  
وفي القيادة العامة للقوات المسلحة كان الموقف مضطربا . . أصيبت  
القيادات العليا بصدمة شديدة من الضربة المفاجئة التي ألحقت بقواتنا الجوية  
خسائر قاتلة .

يقول حسن إبراهيم انه عندما سمع نشرات الاذاعة وأصوات القنابل  
اتجه الى منزل زميله عبد اللطيف البغدادي ، ومن هناك قرب الظهر اتصل  
بجمال عبد الناصر الذي كان لا يزال في منزله ، وأبلغه استعدادهما للعمل  
في أي مكان تعرضه المعركة ، فطلب منه جمال ان يتصل بالمشير .  
وتوجه الثلاثة : البغدادي وحسن إبراهيم وكمال حسين الى القيادة العامة  
حيث قام المشير في مكتبه ومعه شمس بدران والعريق اول على علي عامر .  
قال لي البغدادي انه لما استفسر عن الموقف من المشير قال له في عيظانه  
(زفت وانهم خسروا كل الطائرات في لحظة واحدة) . . ومع ذلك فقد قال  
للبغدادي ان هناك خطه للفصل بدون غطاء جوي .

وعندما حضر جمال عبد الناصر كان مطمئنا وهادي الاعصاب حسب  
رواية البغدادي . . ولكنه عندما بدأ السؤال عن موقف قواتنا ، انكر المشير  
علمه بحقيقه الخسائر قائلا انه لا يوجد بيان كامل بذلك . . ثم لما بدأ قراءة  
مذكرة قدمها له شمس بدران عن سر الاحداث فوجيء بأن خان يونس قد  
سقطت وان الاتصال مقطوع برفح . . وطلب من عبد الحكيم عامر معرفة الموقف  
بالدفة من اجل اتخاذ موقف بالسبب لقرار مجلس الامن الذي كان سينعقد  
في نفس الليلة .

وقال البغدادي ان عبد الحكيم تظاهر بانهماكه في الرد على النليفونات  
الخمس التي كانت تضج بالرنين وينادىها هو وشمس بدران ، ولما قال له  
جمال عبد الناصر (فسي لي نفسك شويه يا عبد الحكيم) لم يرد عليه واستمر  
في انشغاله بالنليفونات)

وفاض الامر بجمال عبد الناصر ، ولم يجد سبيلا سوى الخروج من  
القيادة العامة للقوات المسلحة تاركا المسؤولية للمائد العام .

واربط هذا الموقف بما قاله لي الفريق اول محمد فوزي من ان صلة  
جمال عبد الناصر بالقوات المسلحة قد حددت بعد تقديم المشير استقالته عام  
١٩٦٢ عقب مبعيد عبد الناصر لمشروع قانون الى مجلس الرئاسة يحد من  
اختصاصاته ويجعل سلطة تعيين قادة الكنائس في القوات المسلحة ومأموري  
المراكز في الشرطة من اختصاص المجلس وليس المشير منفردا .

منذ ذلك الوقت وعقب اجتماع ٦٠ من كبار الضباط في مركز القيادة

العامه بكويرى القبة واحتجاجهم على استقالة المشير ومطالبهم ببقائه ، ورضوخ جمال عبد الناصر للامر الواقع لصلته الوثيقة بالمشير اولا ، وثقته بأنه لايفكر فى القيام بانقلاب مضاد .

منذ ذلك الوقت تغيرت الامور فى قمة القوات المسلحة وصدر قرار يحدد اختصاصات القائد الاعلى ( جمال عبدالناصر ) فى امرين اثنين فقط هما ترقية الضباط الى رتبة الفريق والفريق اول وحضور البيانات العملية والمنلورات التى يدعى اليها ، والتى يكون قد سبق اعداد بروقات لها .

كان جمال عبدالناصر بعيدا فعلا عن رؤية القوات المسلحة ومعرفة دقائق الموقف فيها ، ومسئوى التدريب للقادة والجنود .

ولذا لم يكن خروجه من القيادة موقفا انفعاليا ، ولكنه كان نتيجة طبيعية لما استغرت عليه الامور ، وما ارضاء من صمت على مايدور فى القوات المسلحة .

قال صدقى سليمان ان جمال عبد الناصر بعد ان استمع الى الاخبار من المشير قال : ( يله بينا ٠٠ خلىنا نسيب المشير يتصرف )

وعند خروجه النفث الى عبد الحكيم وقال له : ( طلع حاجة لدبريد ) . وكانت الاذاعة قد بدأت تعكس الجو السائد فى القيادة منذ الصباح . ويقول الفريق اول فوزى ان شمس بدران وعلى شفيق كانا يصدران بيانات وتعليمات . . ليس للقيادات ولكن للاذاعة .

اذاعت فى العاشرة والنصف اننا استطنا ٢٣ طائرة للعدو . وفى الحادية عشرة وعشر دقائق ارتفع رقم الطائرات التى استطناها الى ٢٢ طائرة .

وفى بيان الحادية عشرة وتسع وثلاثين دقيقة اعلن عن اثبتباك ارضى وارتنع رقم طائرات العدو ليصبح ٤٤ طائرة ، وسقطت لنا طائرتان فقط ونجا الطياران .

فى الحادية عشرة وثلاث وخمسين دقيقة اذيع اول بيان من القيادة العليا للقوات المسلحة ، يتحدث عن غزو اسراييل شامل بدأ فى التاسعة صباحا ، وذكر ان الطائرات الاسرائيلية قدهاجت بطارات سيناء والقناة وغرب القاهرة ، وقال البيان ان اسراييل قد بدأت هجوما شاملا فى كل الميادين وان هذه الحقيقة قد اصبحت واضحة .

وفى الواحدة وثلاث واربعين دقيقة اذيع بيان وصل به عدد الطائرات المسقطه الى ٧٠ طائرة .

وفى الثامنة ١٧ دقيقة مساء اذيع بيان يحدد عدد الطائرات المسقطه بأنها وصلت ٨٦ طائرة

كانت المبالغة الشديدة هى المحور الرئيسى للبيانات ، التى حجبت الحقيقة عن الشعب بالتمويه والخداع .

واذا كانت الحقيقة قد حجبت فى البداية عن القائد الاعلى للقوات المسلحة . . فانه كان طبيعيا ان تحجب ايضا عن جماهير الشعب .

ويمكن القاء المسئولية كاملة على القيادة العامة المنهارة . . التى لم تواجه الامور بجدية ومسئولية وطنية بعد مؤتمر ٢ يونيو الذى حدد فيه جمال

عبد الناصر موعد الهجوم ٠٠ والتي خشيت مواجهة القائد الاعلى بما يحملها الحزى والعار .

عندما علم جمال عبد الناصر بحقيقة الموقف تماما ، كان الجيش المصري قد فقد قواته الجوية كلها تقريبا للمرة الثانية خلال ١٢ عاما ، ولم تعد المعركة سهلة ٠٠ بل لم تعد ممكنة .

القيادات العسكرية غرقت فى دوامة الاوامر المتناقضة ، وفقدان الحزم ، وضعف شخصية القائد .

والقيادات السياسية غائبة لا تعرف لها دورا تلعبه .  
وخطة العدوان مستمرة لانتوقف

**تحديد الموعد ٥٠٠٠ يونيو**

كتب مراسل (واشنطن بوست) يقول :

(انحد القرار بالهجوم على الدول العربية فى وقت متأخر من الليل فى الاجتماع الذى عقده مجلس الوزراء الاسرائيلى يوم ٣ يونيو ، اى قبل ٣٦ ساعة من الهجوم)

وبتحديد الموعد كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل :

١ - الاتفاق الذى تم بين عبد الناصر وأمريكا على اساس محاولة تفادى الازمة سياسيا عن طريق سفر زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية الى واشنطن يوم ٦ يونيو ، وكان عبد الناصر بالتاكيد مخلصا فى رغبته ، ولاريد ان اصور او اتهم جميع الاطراف فى الولايات المتحدة بانها كانت متواطئة مع الحكومة الاسرائيلية فى تخدير مصر بنحديده موعد هذه الزيارة لخلق نوع من الاسترخاء النفسى عند القيادة المصرية ٠٠ فقد صرح دين راسك وزير خارجيه الولايات المتحدة بعد العدوان انه ربما قد ساعد فى الضغط على الزناد بابللاغ اسرائيل عن زيارة زكريا محيى الدين ، فى الوقت الذى كانت اسرائيل فيه غير مستعدة لاعطاء اى تسوية دبلوماسية فرصة سلب خطتهم لنزع جمال عبد الناصر من موقعه ٠٠

ويقول ناننج فى كتابه (ناصر) ان اخبار زيارة زكريا محيى الدين لواشنطن قد اثارت اكبر قلق فى تل اببيب التى خشيت ان تؤدى علاقه زكريا محيى الدين الطيبة مع واشنطن الى اتفاق فى وسط الطريق ينتهز جمال عبد الناصر من المصيدة ، ويضع الحكومة الاسرائيلية فى مأزق امام جماهيرها بعد ان صعدت الازمة الى حدودها القصوى مركزة على الخطر الماحق المؤكد من التهديدات الغربية .

ولذا حرصت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية على قطع الطريق للوصول الى حل للازمة بالبدء فى العدوان فى اقرب وقت .

٢ - كان توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن يوم ٣مايو هو المبرر الذى استندت اليه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لتنفيذ خطتها العدوانية ، فقد اثارت الرأى العام المحلى والعالمى ضد العرب وصورتهم فى صورة المتربصين لابتادة اسرائيل . وكان ذلك حافزا على سرعة وصول موشى ديان الى منصبه . (ليقود الشعب ضد الحصار الذى تفرضه الدول العربية المجاورة)



ولم يكن خافيا على اسرائيل ان الجيش الاردني محدود القوة والنسليح لا يملك الا طائرات بريطانية قديمة من طراز هنتر ، ولكن اسرائيل وجدت في توقيع الاتفاقية حافضا لحلم من احلامها في الاستيلاء على الضفة الغربية ، حيث يعيش بقايا الشعب الفلسطيني في المدن او المخيمات .

كما ان اسرائيل اسرعت في تحديد موعد الهجوم بعد توقيع الاتفاقية نظرا لخشيتهما من دخول الجيش العراقي المسلح سليحا لا بأس به بأسلحة سوفيتية ، فذائف مدافعها يمكن ان تصل الى قلب تل ابيب من الحدود الاردنية - وطائراتها تعبر اسرائيل الى البحر الابيض في ٥ دقائق .

وكان هذا هو العامل الذي وضعه جمال عبد الناصر في تقدير موقفه عند مناقشة تحديد موعد الهجوم الاسرائيلي مع القيادات العسكرية والسياسية في المؤتمر الذي عقد يوم ٢ يونيو ١٩٦٧

استعداد الاسرائيليون من الحركة السياسية العربية الى الحد الاقصى ، وجعلوا منها شبحا يهدد أمن بلدهم ، وجعلوا يضخمون التصريحات العربية العدوانية التي صدرت من بعض البعدين عن المسؤولية الحقيقية لجعلوا منها المبرر الرئيسى للاسراع في الهجوم .

٣ - ساعد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في تحديد موعد الهجوم نقتهم ويقتنهم من ان جمال عبد الناصر لن يطلق الاولى كما صرح بذلك اسحق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي لجريدة المسوند في فبراير ١٩٦٨ عندما قال انهم كانوا يعلمون ان عبد الناصر لا يريد الحرب وان القوات التي فع بها الى سيناء - فرقتان - لم تكن كافية . . ولذا نوافرت لديهم حرية اخيار التوقيت دون ان يكونوا تحت ضغط احتمال قيام القوات العربية بهجوم شامل مستمر . . اصبحت الوقت ملكا لهم .

ولم يعد هناك من شرط لتحديد الموعد الا رغبة اسرائيل في نفاذ الوصول الى عمل دبلوماسي يؤدي الى تسوية سياسية للامنة . . الامر الذي بجهض خطه ( الحمامة ) .

## القتال على ثلاث جبهات

منذ ان أجبرت اسرائيل على الانسحاب بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وهي ترسم استراتيجيتها على أساس (الاعتماد على القوة الذاتية) حتى تتفادى أى بورط او تبعية لسياسة الدول الغربية، بعد ان ادت مشاركتها في العدوان الثلاثي الى ان تصبح ( دولة سيئة السمعة ) .

كانت السياسة الجديدة تقتضى خلق وتكوين قوة عسكرية متطورة ، واعادة تشكيل القوات المسلحة على أسس جديدة .

نولى مسؤولية تنفيذ السياسة الجديدة (حاييم لاسكوت) رئيس الاركان الذي خلف موسى ديان عام ١٩٥٨ ، والذي وضع مأسماه (برنامج الردع ) ، الذي بدأت اسرائيل في تنفيذه عن طريق الحصول على احدث الاسلحة وخاصة في مجال القوات الجوية والصواريخ والمدفعية والمدرعات .

يقول كتاب (العسكرية الصهيونية) ان اسرائيل قد اعتنقت المبدأ الذي

يقضى ( بأن الهجوم هو الشكل الرئيسى للامعان الحربي ، حتى يمكن حماية الاهداف الحيوية ، والغلب على - ضحالة - العمق الاستراتيجي ، وبالتالي دعم عناصر الامن القومي الاسرائيلي ، وكان لابد ان تعتنق اسرائيل منذ عسكريا محددا بالنسبة لشكل عملياتها ، ويدور هذا المبدأ حول ضرورة نقل العمليات الحربية الى ارض العدو منذ بدايتها ) .

واهتم وايزمان الذي عين قائدا للقوات الجوية عام ١٩٥٨ ايضا خلفا لدان بلوكوفسكي باختيار الطائرات المناسبة لتحقيق هذا الهدف ، وصرح عام ١٩٦٣ بقوله :

( في حالة الحرب مع العرب فان افضل وسائل الدفاع هو تجنب العمليات فوق ارض اسرائيل ، والعمل على تهديد دمشق ، واحتلال الضفة الغربية والاندفاع نحو قناة السويس ، فلواتكتفت اسرائيل بالدفاع عن تل ابيب فسيكون ذلك انتحارا جماعيا ، اذ ليس امامها اي عمل استراتيجي برى . لذلك فان العمل الاستراتيجي يجب ان يكون هو الصق الجوي )

هكذا حدد وايزمان في عام ١٩٦٣ الاستراتيجية الاساسية لعدوان ٥ يونيو ١٩٩٧ .

كانت اسرائيل قد رسمت خطتها (الحماية ) على اساس الاعتماد الكامل على النفس ، مقدرة تعاطف الدول الغربية معها في موقفها من قتل خليج العقبة راسمة سياستها الدعائية على اساس الظهور في مظهر المدافع عن نفسه امام خطر التدمير .

يقول تشرشل في كتابه ( حرب الايام الستة ) :  
( كانت قيادة الجيش الاسرائيلي العليا مقتنعة ان اكبر خطر يهددها هو مصر ، ونظرا لضيق حدود اسرائيل ، وكثافة سكانها ، لم يكن الاسرائيليون يجهلون ضرورة نقل الحركة الى خارج ارضهم : يجب ان يخرجوا جميعا ويجابهوا العدو في سيناء ) .

احتلت التهديدات الاردنية والسورية المرتبة الثانية .  
في لحظة بدء الهجوم الجوي على مصر لم يكن يحس سماء اسرائيل سوى ١٢ طائرة وانطلقت بقية الطائرات التي تكمل ٤٠٠ طائرة لتنفيذ الخطة في موجات متتالية بلغت ١٧ موجة ، وانتهت من اداء واجبها في ثلاث ساعات الاكثر دقائق ، سجل فيها الطيارون ارقاما قياسية في سرعة اعادة تعبئة الطائرات بالوقود والذخيرة .

ومن بين ٣٤٠ طائرة مصرية صالحة للعمل دمرت على الارض ٣٠٠ طائرة .

ولم تقتصر الخسارة على الطائرات وحدها ، ولكنها لحقت بالطيارين ايضا الذين تدربوا فترات طويلة وقام بعضهم بعمليات بطولية رائعة .  
وخلال التركيز على ضرب المطارات المصرية لم تتحرك القوات الجوية السورية والاردنية بالسرعة والكثافة اللازمة للاحاق الضرر باسرائيل التي كانت ساوئها شبه مفتوحة لايدافع عنها الا عدد محدود من الطائرات .  
حاولت بعض الطائرات السورية ضرب مصفاة البترول في حيفا وقصف

مطار ماغادو بالقنابل ، ولكن الطائرات الاسرائيلية لحمت بها ودمرها قرب دمشق ، بعد ان الحقت باسرائيل اضرارا جسيمة .

وبعد التدمير السريع للطائرات المصرية . اسندارت القوات الجوية الاسرائيلية لتدمير الطائرات السورية . .

وقصف الطيران الاردني مطارا اسراييليا دمر فيه طائرة نقل ، ورد الاسرائيليون على هجوم الطيران الاردني المحدود العدد ، فقصفوا مطار عمان والمفرق والحقوا بهما اضرارا فادحة .

وفي صباح ٦ يونيو قصف الطيران العراقي نائانيا فرد الاسرائيليون بتدمير قاعدة ه ٣ القريبة من الحدود الاردنية .

في مسار ذلك اليوم كانت ٤١٦ طائرة حربية لاربعة دول عربية قد دمرت وهي جميعا رابضة على ارض المطارات عدا ٢٤ طائرة اسقطت اثناء المعارك في الجو .

وخسرت اسرائيل ٣٧ طائرة .

كان ضياع القوات الجوية مؤشرا لنتيجة المعركة .

وكان دليلا على ان خطة العدوان الاسرائيلي قد اختبرت وجهزت منذ وقت طويل اولا . وانها اعتمدت على القوة الذاتية ثانيا .

اصبحت القوات المسلحة المصرية في سيناء عارية من الغطاء الجوي . .

واصبحت سوريا والاردن مكشوفة السماء .

وبدأت القوات الجوية الاسرائيلية في ممارسة دور جديد . هو الهجوم على القوات المسلحة في خنادقها ، أو معسكراتها . . وبدأت القوات البرية هجومها بعد نصف ساعة من القيام بأول غارة .

كانت غزة اول هدف للجيش البرية الاسرائيلية ، حوصرت المدينة بينما هاجمت المدرعات خان يونس ورفح والشيخ زويد في معارك عنيفة ، أدت الى قتال مستمر في الشوارع لمدة يومين .

وسقطت العريش ايضا بعد مقاومة باسلة .

وبدأ هجوم اسراييلي في منطقة ابو عجيله . . ورغم فقدان المساعدة الجوية الا أن وحدات كثيرة حاربت ببسالة ، وقاومت في عناد .

والسر وراء احداث المعارك لا يعطى صورة صحيحة لقدرة القوات المسلحة القتالية ، ذلك انها كانت تتحرك بلا رأس تقريبا ، فقد أصيبت القيادة العامة بنوع من الاضطراب والفوضى . الذي ادى الى تشابك الاوامر ، وخلق جو من اليأس ، وسيطرة روح الهزيمة .

كانت صدمة المشير عامر بفقدان القوات الجوية اكبر من ان تستوعبها قدرته ، واكثر من ان يواجه الموقف بعدها في ثبات وشجاعة .

ومع ذلك تركزت الامور كلها عنده . . ويوضح الفريق صلاح الحديدي اثر ذلك فيقول :

( وصلت الفوضى نتيجة اتباع هذا الاسلوب ان قرارا تاريخيا ضخما وهو قرار الانسحاب والجلء عن سيناء بكافة القوات ، قد اتخذ دون الرجوع الى المستشارين والمحترفين ، بل ظلوا جاهلين به فترة من الوقت حتى احسوا برد فعله عن طريق المصادفة ، فحاولوا الاخذ بزمام الموقف دون جدوى ) .

قال لى ضابط كبير مسئول فى هيئة العمليات انهم سمعوا ان قرارا بالانسحاب قد صدر دون ان يعلموا به وانهم كتبوا مذكرة للمشير بوجهة نظرهم ، ولكنه لم يطلع عليها الا بعد ساعات نتيجة لتعذر مقابلته وهو فى غرفة لا يبعد عنهم اكثر من امانار قليلة .  
والمشير عامر لم يصدر قرار الانسحاب وحده دون الرجوع الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر . . انفق الاثنان على ذلك .  
قال لى زكريا محبى الدين ان قرار الانسحاب كان صحيحا . . ولكن طريقة تنفيذه كانت خاطئة . . ويقول اعضاء مجلس القيادة البغدادى وكمال حسين وحسن ابراهيم ( انهم نصحوا عامر يوم ٦ يونيو باشتباك بدرعاتنا مع مدرعات العدو لان الالتحام يحيد الطيران الاسرائيلى . . . . . ولكن الوقت كان قد فات . .

وهنا لابد من الاشارة الى ان وجود اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين فى مكتب عبد الحكيم عامر ليدلوا بملاحظات وتعليقات غير مدروسة كان يلقى عليه عيننا عصيبا يدفعه الى المبالغة فى تصرفات يحاول بها ان يظهر فى مظهر القائد العام الذى لم تقعه الهزيمة . . والواقع ان تواجدهم كان اضافة الى حالة الارتجال السائدة .

كان امرا بديهيا وطبيعيا ان ينفذ الانسحاب خلال اجراءات القتال الطبيعية . . فالمعروف ان الانسحاب هو مرحلة من اعقد مراحل القتال نحتاج الى ثبات ودقة فى التنظيم .  
ولكن الحالة النفسية التى سادت القيادة العامة ، وانفراد المشير باصدار القرار ، ادى الى ( مرحلة ) تنظيمية ، جعلت الامر بالانسحاب يصل الى بعض قادة التشكيلات المقربين من المشير قبل ان يصل الى القيادات المسئولة .  
ويقول الفريق اول محمد فوزى :

وفى يوم ٦ يونيو استدعاني المشير بعد الظهر ، وقال لى : عاوز خطة عاجلة لانسحاب القوات غرب ( القناة ) وجلست مع الفريق انود القاضى واللواء تهامى وكتب الاخير ورقة بحضورنا بها خطوط عامة جدا عن امكانية واسنوب انسحاب القوات من سيناء الى غرب القناة ، تسحب القوات على ثلاث مراحل . . وهذا يستغرق ثلاثة ايام باربع ليال .

عدنا بعد عشرين دقيقة الى المشير الذى كان فى انتظارنا واقفا على المكتب ، وحاطت رجله فوق المقعد . واقف وساند دماغه على ايده وعلى كوعه . وقسرا اللواء تهامى الراى سريعا على المشير .  
وهز المشير راسه بعدم الموافقة على الراى وقال : (ثلاثة ايام واربع ليالى بالفوزى . . انا اصدت امر الانسحاب خلاص . .

وانصرف داخلا الى غرفة النوم التى كانت ملاصقة لكرسى المكتب متاثرا جدا . . يعنى دخلته الى الادوة ماكانتش عادية . . واحد متعب . . منهك . . منهار بيخلص من الموقف الى هوه فيه . واستدار ودخل الادوة موطى للدرجة اننى افكرت انه تعبان عاوز سرير . . يعنى واحد عاوز يرقد .

## • • انهيار بالجملة • •

وبعد ذلك جاءت بلاعات من سيناء وطريق العريش عن اجراء انسحابات فردية ارحالية • ثم علمت باندحار كل القيادات واجهزة الامن ، شمس بدران على شفيق ، الشرطة العسكرية ، المخابرات الحربية • • كلهم تدخلوا في تبليغ اوامر فردية بالانسحاب - حسب هواء وبأسلوبه • الى غرب القناة • وحدث انهيار لجميع القادة والافراد الموجودين في القيادة بعد انهيار المشير • •

ثم نمت زيارة الرئيس عبد الناصر الى المشير في غرفه نومه ، واستغرقت الزيارة دقائق • وخرج الرئيس متجهما بدون تدبير المشير كالعادة • وحدث اول انسحاب من مرفق اللواء نصار • الفرقة الثالثة بدون ان يخطر بباله • لا قائد الجيش ولا قائد الجبهة ولا التشكيلات الجائرة • بدأ الانسحاب ليلة ٧/٦ ارجاليا ومنفردا تاركين معداتهم واسلحتهم الثقيلة • وحاول قائد الجيش تنظيم الانسحاب باصدار اوامر منها تمرکز الفرقة الرابعة المدرعة في المضائق لنقطية الانسحاب حتى الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو • لقد فقدت السيطرة نهائيا على القوات المسلحة ، كما فقدت الاتصالات • حدث انهيار •

**وعلم بعد ذلك ان تشكيلات تماسكت واستمرت متماسكة وبالذات في ام قطف لغاية بدء الانسحاب • وبصبح في الكوننلا ايضا •**  
وفي يوم ٧ يونيو استدعاني المشير عند الفجر • قال لي عن صعوبة الاتصال التليفوني ، وطلب مني ان اذهب بنفسى ، واحاول الابقاء على القوات ، وبصفة خاصة الفرقة الرابعة المدرعة على خط المضائق ، بدلا من انسحابها غرب القناة •

## • • محاولة مستحيلة • •

اصطحبت معى اللواء مصطفى الجمل • والسكرنير العسكري ، وتوجهنا الى معسكر الجلاء في الاسماعيلية حيث وجدت قائد الجبهة الفريق اول مرتجى والفريق صلاح محسن واللواء احمد اسماعيل ولواءات اخرى كثيرة • • معظمهم او كلهم • عرضت المحاولة على القادة جميعا ، فذكروا لي اسنحالة التنقيذ لقوات الوقت • وبحنت عن قائد الفرقة الرابعة المدرعة فلم اجد • وكنت قد علمت ان بعض عناصر الفرقة الادارية قد وصلت الى الهاكسب مساء يوم ٦ يونيو ، وقد امرتها قبل مغادرتي القاهرة بالعودة الى الاسماعيلية • فشلت مهمتى • وتم الاتصال مع المشير بواسطة الفريق اول مرتجى الذى اقنعه باستحالة هذا الوضع • ثم اتصل بي المشير في نفس المكالة وامرنى بالعودة • •

**وعلمت قبل قيامى مباشرة انه تم اتصال تليفوني بين المشير وبين الرئيس عبد الناصر وقد طمانه المشير على امكانية احتلال المضائق بقوات من الفرقة الرابعة المدرعة •**

واسترسل الحديث بينهما في اخذ رأى الرئيس •

وكان رد الرئيس عبد الناصر : اשמعنى جى تاخذ رأيى دلوقتى .  
والرئيس عبد الباصر ، يشير فى هذا الرد الى عسدم اخذ رأيه فى امر  
الانسحاب . لقد كتب اعرف ان اتصالا جرى بين الرئيس عبد الناصر والمشير  
عبد الحكيم عامر فى شأن الانسحاب . . . ولكن الحديث الذى تم فى الاتصال  
سمعه من الرئيس عبد الناصر فيها بعد وهو يشرح انهيار المنسبر عقب  
النضربة الجوية » .

واختلطت الامور الى الحد الذى جعل الانسحاب يتم الى الغرب دون  
تحديد خط دفاعى جديد . . كان معروفا لجميع القادة ان خط ممرات بنلا والجدى  
هو انسب الحطوط للمفارمة وعدم تحول الانسحاب الى حالة الذعر والفوضى .  
وما يذكره الفريق الحدندى يعطى صورة واضحة للحالة التى كانت سائدة  
فى العيادة فهو يقول :

« كانت انباء الاشنباكات فى سيناء يصل النينا فى القاهرة بشوشة وغير  
كاملة . . وربما كانت ايضا متنافضة وغير سليمة . . اذ لم يكن هناك اسلوب  
نايت لنشر معلومات عن الموقف بطريقة منظمة على القيادات فى باقى الجبهات) .  
ويقول ايضا :

( استشرى القلق والتوتر فى التشكيلات الرؤوسة كانعكاس طبيعى لما  
اعترى قيادتنا الكبرى من شطط وشلل فكرى ) .  
بدأت الوحدات والنشكيلات تنسحب وحدها دون تنسيق ، تعتمد كل  
وحدة على أوامر قائدها . . ووصل بعضها الى القاهرة مباشرة . . وقد اختارت  
مثلا احدى الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات حديقة قصر الطاهرة معسكرا  
لها . بينما اتجهت وحدات أخرى الى معسكراتها القديمة .

نضاربت الآراء والأوامر . . وانسحبت الوحدات والتشكيلات فى ظروف  
شديدة القسوة من الناحيتين المادية والنفسية . . ولاتى الجنود عذابا  
أثناء انسحابهم عبر سيناء فى شمس يورير الحارقة . . وتعرض الجيش لمهانة  
حقيقة من العدو الذى تحقق له انتصار اضخم كثيرا مما كان يحلم به .  
ولو ان القيادة العامة للقوات المسلحة كانت فى مستوى المعركة . ولم  
تفقد سيطرتها . . لتمكن للجنود ان يواصلوا القتال فى ظروف افضل ، رغم  
عدم وجود غطاء جوى . . ولتمكن لهم الانسحاب الى خطوط دفاعية لا تصل  
بالاسرائيليين الى الشاطئ الشرقى لقناة السويس . . وذلك حتى تتمكن القيادة  
السياسية من الوصول الى حل ينقذ الوضع من الانهيار .

ولكن ما حدث كان هزيمة نفسية مدمرة ، كما كان هزيمة عسكرية مخجلة  
ومن المؤسف ان القوات المسلحة لم تكن تنقصها الاسلحة الحديثة القادرة  
على مواجهة الاسلحة الاسرائيلية . . ولم يكن الجنود فى حالة من التمزق  
والانهيار مثل بعض ضباط القيادة العامة . . بل كانوا متاهبين للقتال فعلا .

المشكلة كانت فى ضباط الرتب العليا الذين استكان معظمهم الى حياة  
بعيدة عن الروح العسكرية الصادقة . . وكانوا فى اعماقهم لا يتحمسون للثورة  
ولا يؤمنون بالاشتراكية ، ولذا فقدوا - الى حد كبير - حسهم الوطنى  
واستعدادهم لاداء واجبهام العسكرى .

كان المياني ينص على دخول رجال العواصم المسلحة الى الاتحاد الاشتراكي والفاعل مع الحياة السياسية للجماهير .. ولكنهم ظلوا بعيدا عن ذلك بدعوى التخوف من دخول الجيش في السياسة ، الامر الذي ترك فراغا هائلا في الوعي الوطني والسياسي ، ولم يفسر للضباط او الجنود حقيقة دورهم في حماية الوطن والنورة والتقدم الاجتماعي .

ولا يجوز التهوين من اهمية الحافز والشعور الوطني عند المقاتلين .. كما انه لا يجوز التقليل من اثر النفرة الاجتماعية الهائلة التي ظلت باقية بين ضباط الرتب العليا وبين صفار الضباط والجنود ، والتي لم تنجح الثورة الا في التقليل منها بامور ثانوية وشكلية سواء في الناحية الفكرية او الاجتماعية .

خلال حكم البورة تعددت نوعية صفار الضباط . وامكن لابناء الطبقة العاملة والفلاحين ان يدخلوا الكلية الحربية .. ولكن عملية التجديد لم تصل الى القيادات العسكرية العليا التي تحولت مع الوقت ورسوخ المصالح الى فئة لا تهتم كثيرا بواقع المجتمع وتطوره .

ظلت عقلية ضباط الرتب العالية جامدة وغير مستنيرة من الناحية الاجتماعية او السياسية .. ولم تصل مطلقا الى المستوى الذي وصلت اليه القيادة السياسية للنورة .. كان جمال عبد الناصر اكثر استنارة ووعيا .. ولكنه لم يفلح في رفع مستوى القيادات العسكرية الى الحد المطلوب في قيادة معركة تحرير وطني ضد الامبريالية .

كان هذا سببا من اسباب الفشل والهزيمة .. ولكنه لم يكن السبب الوحيد ..

## أمريكا .. ووقف اطلاق النار

انتقلت آثار الهزيمة من ارض المعركة الى فاعات الامم المتحدة ومجلس الامن .

الصورة الحقيقية للحسائر لم تكتمل امام جمال عبد الناصر الا مساء ٥ يونيو بعد مغادرته القيادة بعد ظهر نفس اليوم ، وسؤاله لعبد الحكيم عامر عن حقيقة الموقف حتى يستعد لمواجهة مجلس الامن ، ونهرب المشير من الاجابة كما ذكر عبر اللطيف البغدادي .

كان حجم الخسارة كبيرا يصل الى حد الفاجعة ، وقيل لعبد الناصر انه لم يكن في وسع الاسرائيليين وحدهم تحقيق هذا الانتصار ، وأن الامريكيين لابد وقد ساعدوهم بطريقة مباشرة .

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) ان جمال لم يكن مستعدا لقبول هذا العول على علاته ، وانه اراد تأكيداً يشبث هذه الافوال .

وجاءت تقارير من القوات المسلحة تؤكد ان طائرات أمريكية قد حلقت فوق مصر ، وأن اتجاه الهجوم للغارات الجوية كان من الشمال وليس من الشرق .. بما يعني مشاركة الاسطول السادس .

وكان الفريق عبد المنعم رياض أحد الذين أبلغوا عبد الناصر باشتراك

طائرات أمريكية بريطانية في العدوان على مصر وذلك خلال محادثة نليفونية بين القاهرة وعمان .

وتجاوبت هذه المعلومات مع فكرة جمال عبد الناصر التي سسبعمندناما قدرة القوات الاسرائيلية وحدها على تدمير القوات الجوية المصرية في مدة لا تتجاوز ثلاث ساعات . فاجرى انصلا هانفيا مع الملك حسين يوم ٦ يونيو سجلته مخابرات ياريف الاسرائيلية كما ورد في كتاب جوليـان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) وفي المكالمة انفق الانان على توجيه الانهام لأمريكا ، وقد اذاعت اسرائيل تسجيلات لهذا الشريط في مؤتمر صحفي بعد يومين من التفاطه .

وأكد هذه الحقيقة في نفس عبد الناصر مغابلة تمت بينه وبين السفير السوفيتي على غير موعد يوم ٧ يونيو يبلغه فيها ان كوسيجين قد تلقى رسالة من جونسون على الخط الاحمر تقول ان طائرتين امريكيتين اضطربا للمرور فوق المواقع المصرية لانتاخذ الباخرة الامريكية (ليبرتي) التي هاجمها الاسرائيليون ، وقد اراد جونسون من كوسيجين ان يبلغ عبد الناصر ذلك ليكون دليلا على صدقه

كانت هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها الخط الاحمر بين واشنطن وموسكو .

المرة الاولى التي استخدم فيها الخط الاحمر خلال هذه الازمة كانت في الثامنة من صباح ٥ يونيو بتوقيت واشنطن . ولم يكن قد استخدم قبل ذلك منذ تركبته في ٣٠ اغسطس عام ١٩٦٣ الا في نحية العام الجديد او في رسائل الاختبار التي تتم كل ساعة .

الرسالة الاولى كانت من كوسيجين ، وقد اسرع نيكسون كما نشرت مجلة ( نايم ) الى الاجتماع مع وزير الدفاع روبرت ماكنامارا ووزير الخارجية دين راسك وردسوف الذين كانوا معه في البيت الابيض لحظة تلقى الرسالة . وكانت رسالة كوسيجين تقول ( ان الدولتين العظميين يجب ان تتفاديا الصراع والصدام في هذه الازمة . وان الاتحاد السوفيتي لا يحطط للدخول في مواجهة ولكنه سيفعل ذلك اذا تدخلت الولايات المتحدة . وفورا اجاب جونسون ومراقوه على الرسالة قائلا ان الولايات المتحدة لاتنوي التدخل في المشكلة .

وحرصا من جونسون على الظهور بهذا فانه بادر بارسال الرسالة الثانية عبر الخط الاحمر ، والتي يطلب فيها من كوسيجين ابلاغ جمال عبد الناصر بدور الطائرتين الامريكيتين ، وكأنه بذلك يريد أن يطمئن الاتحاد السوفيتي على الموقف الامريكي ، ويخفي عنه حقيقة التواطؤ والتآمر المستتر .

أكدت هذه الرسالة الثانية اذن واقعة عبور طائرات أمريكية مقاتلة فوق الاجواء المصرية .

ولم يكن جمال عبد الناصر في حال يسمح له بقبول التقرير الامريكي ولذا فانه عندما بلغ الامر عنده مرحلة اليقين بادر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع امريكا لأول مرة في تاريخ الثورة رغم تآزم العلاقات بين الدولتين في اكرر من مناسبة .



كان في ذلك تأكيد لحقيقة المشاركة الامريكية في العدوان . وتصعيد للموقف بما يرضى الجماهير التي قد تعب من الهزيمة من دوله كبرى ولا يستطيع تصورهما من دوله صغرى . واطلقت الاذاعة أغنية عبد الحليم حافظ التي اذيعت عدة مرات وكانت بقول (ولا يهزمك ياريس من الامريكان ياريس . . . حواليك اجدع رجال)

واذاعت دمشق تسجيلا مع طيار اسرائيلي اسعطته الطائرات السورية اعلن فيه ان ١٧ طائرة تمولكان بريطانية قد انتقلت من قاعدة ( اكرويرى ) البريطانية في قبرص الى اسرائيل قبل العدوان بعشرة ايام بهدف ضرب القواعد المصرية والسورية .

وفال الملازم الطيار الاسرائيلي ان طائرات كانت نتجه من قبرص لتضرب اهدافا مصرية وسورية ثم تعود الى مواقعها .

وقامت في معظم العواصم العربية مظاهرات ضد القنصليات البريطانية والامريكية ، واوقفت العراق ضخ البترول ، واغلقت سوريا ولبنان خط الانابيب . واوقفت كل من الجزائر والعربية السعودية وليبيا والبحرين وقطر والكويت شحن البترول الى الدول التي تساعد اسرائيل .

وكان رد الفعل الامريكي تصريحاً لروبرت ماكلسكى الناطق الرسمي للبيت الابيض قال فيه :

— ان هذه الاتهامات عارية تماماً من الصحة ، وهى مختلعة من اساسها .

وفى مجلس العموم البريطانى وقف هارولد ويلسون رئيس الوزراء ووصف الاتهامات العربية بأنها كاذبة قائلاً ( كانت حاملة طائرانا على بعد ألف ميل من منطمة القتال ) .

لم يتحدث ويلسون عن حاملات الاسطول السادس . . ولم يتحدث ايضا عن الباقرة ليبرتى .

والباقرة ليبرتى لعبت دوراً هاماً في العدوان ، فهى تابعة للاسطول السادس الامريكى ومجهزة باحدث آلات الالتقاط والتجسس الاليكترونية وكانت نقف خارج المياه الإقليمية المصرية مباشرة فى مواجهة غزة .

ورسالة جونسون الى كوسيجين تقول ان الطائرات الامريكية قد حلقت فوق المواقع المصرية مضطرة وهى فى طريقها لانقاذ (ليبرتى) من الهجمات الاسرائيلية .

وقد ظلت علامة الاستفهام قائمة تلاحق الدور الذى قامت به هذه الباقرة ، ونحاول كشف الاسباب التى أدت الى مهاجمتها من جانب الطيران الاسرائيلى . . ولم ينكشف هذا السر تماماً الا بعد سنوات ، تماماً مثلما انكشف خطة الناصر البريطانى الفرنسى الاسرائيلى للهجوم على مصر عام ١٩٥٦ بعد خمس سنوات من حملة السويس ، وذلك عندما نشرت مجلة ( بنتهاوس ) عام ١٩٧٦ كتاباً للصحفى المعروف انتونى بيرسون .

واضطرار الطائرات الامريكية للنحليق فى الاجواء المصرية هو أمر غريب فى ذاته ، فحاملات طائرات الاسطول السادس كانت ترافق الوضع عن كنب وليبرتى كانت قريه منها ايضا ، الامر الذى لا يخلق مبرراً مغنعا لعبور الطائرات الامريكية فى الاجواء المصرية .

ويقول رودلف وونستون شرشل في كتاب حرب الايام السنه :  
( يجب الا يغيب عى بالبا الدور الذى لعبته هذه الحامله ( ليبرتي ) ففدعت  
لاسرائيل خدمات في مجال الرصد مما كشف القناع عن وجه امريكا  
المنحيز . . وشاركت المراكز البريطانية في العملية واوعزت الى محطاتها في  
جبل نرودس في قبرص بمراقبه الوضع بدفة مناهيه )  
ولكن الغموض ظل يحيط بهجوم زوارق الطوربيد والطائرات الاسرائيلية  
ضد الباخرة .

وكما جاء في الكتاب السوفيتي ( اطلاق الحمامة ) فان الحادث الراجيدى  
والمريب في الوقت ذاته لم يحرك فضول الصحافة الامريكية التقليدى ،  
فالحكومة والمؤسسات الامريكية المختلفه لا تبخل في العادة بالكلمات كلما كان  
الامر يتعرض للحساسة في ارواح العسكريين والمدنيين الامريكيين . . لكن  
هذا الحادث لم يتر الا الصمت المطبق . . فالعواصف والزوابع لم يهب على  
الذين تسببوا في هذه الخسارة الكبيرة .

ظل الصمت متيرا للدهشة والتساؤل الى أن مزق الكاتب الصحفى  
انونى بيرسون السار عن الاسرار التى ادت الى حادث السفينة .

يقول بيرسون ( ان الحكومتين الامريكية والاسرائيلية فررتا في عام  
١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلى غير ممكن بسبب شعبينه  
وفوة مركزه . . وأن الوسيله الوحيدة للتخلص منه هي هزيمته في حرب  
محدودة بعمده به العرب واحرامهم ، ونمهد السبيل لتولى حكومه مواليه  
للغرب توقف المد الثورى الذى كان يهدد النظم الصديقه للغرب في المنطقه .  
لذلك انفق الطرفان على ان يقوم اسرائيل بشن حرب محدودة ضد مصر  
وحدها لان شمل الاردن وسوريا ، واستدرجت امريكا واسرائيل عبد الناصر  
الى المصيدة » .

ساعد على بلورة هذا الفراء في امريكا مستشارو جونسون من اليهود  
المؤيدين لاسرائيل : ارثر جولدريج في الامم المتحدة . ووالث روسنو  
مستشار الامن القومى . ويوجين روسنو في الخارجيه .  
( ولكن اسرائيل امام النصر السريع كانت قد قررت عدم الالتزام  
باتفاقها مع امريكا وانتهاز فرصة الحرب لتوسيع رقعتها لتشمل الضفه  
الغربية والجولان وكل سيناء )

ويقول الكاتب ان اسرائيل كانت مطمئنه الى ان كبل المعلومات  
التي تصل الى امريكا حليفها مصدرها المخابرات الاسرائيلية ( مוסاد ) وحدها  
وعندما وجدت سفينة التجسس ( ليبرتي ) في منطقة العمليات قررت اغراقها  
لتنفرد وحدها بتنفيذ مخططها التوسعى .

ويؤكد هذا انه رغم الاتفاق على مؤامرة واحدة الا ان المصالح  
الاسرائيلية لا تذوب ونخضع نهايا للمصالح الامريكية . . ولذا حرصت امريكا  
على ارسال ليبرتي حتى ترصد أى تجاوز من جانب اسرائيل .  
أصبحت ( ليبرتي ) مصدر كشف لمحاوله اسرائيل الانفلات من خيوط  
المؤامرة المشتركة حيث كانت تسجل كل الاشارات . . وكان على ظهرها كما  
جاء في كتاب ( اطلاق الحمامة ) بحارة يتكلمون العربية والعبرية .

ويقول الكاتب ان الهيكل الاساسى للخطة وضعت له امريكية اسرائيلية مشتركة ضمت من جانب اسرائيل موسى ديان وبيجال آلون وشمعون بيرير وعازرا وايزمان رئيس العمليات وموردخاي هود قائد الطيران ، وانتهت الى ان افضل الحلول هو قيام اسرائيل بشن حرب محدودة على مصر لاتعداهالى الاردن او سوريا .

ولما كشفت ( ليبرنى ) حقيقة الرسائل المبادلة فى مصر واسرائيل ، وأسلوب نزوير المحادثات بين مصر والاردن عن طريق جهاز أمريكى اليكترونى نادر .

قررت اسرائيل ضرب هذا الجاسوس الذى يفضح تآمرها . . . وكان ان انطلقت الطائرات وزوارق الطوربيد لمهاجمة ليبرنى التى نبين من فحصها بعد ذلك انها تعرضت الى ٨٢١ اصابة مباشرة من الصواريخ او الرشاشات الثميلة ، وانها نجت من الغرق بفضل مهارة فائدها بعد ان خسر طاقمها ٣٤ قتيلا ، ٧٥ جريحا ، وبيعت الباقية بعد ذلك ( خردة ) بعد ان سلمت الى وزارة التجارة الامريكية .

وأسرعت اسرائيل بتقديم اعتذار رسمى عن الحادث ، وأسرعت امريكا ايضا بقبول الاعتذار .

وكان يمكن لهذا الحادث ان يفرق فى بحر من الاسرار حتى لانكشف المؤامرة المشتركة ، لولا اصرار اهل بعض القتل من الضباط والجنود على الحصول على تعويضات كبيرة .

صرح المتحدث رسمى باسم البنتاجون قائلا ( يمكن فهم امكانية وقوع الحادث نتيجة خطأ بشرى )

ولكن البحارة الذين رست بهم السفينة بعد الحادث فى ميناء نالينا بمالطة اخذوا يسحبون عن تجربتهم الرهيبة . . وقال جندي امريكى يهودى من بروكلين للصحفيين انه انسرع نجمة داود التى يصعبها فى سلسله على صدره وقذف بها الى البحر .

رفض اهل الضحايا المبلغ الذى قرره الحكومة وهو ٩٠٠٠ دولار ورمع والد احد الضحايا قضية امام محكمة العدل الدولية بلاهائى ضد الحكومة الاسرائيلية مطالبا بمبلغ ٥٠ مليون دولار . . ولكن القضية لم تنظر بناء على ضغط سياسى من الحكومة الامريكية كما بقول الكاتب الغربى .

واسنطاع والد أحد الضحايا ان يواصل الضغط حتى وصلت قيمة التعويض لابنه ربع مليون دولار .

وينسأل الكاتب الذى تحدى نفى ديان بأن الهجوم كان منعهدا فى مؤتمر صحفى اذيع بالليفزيون - فى النهاية (هل كان امام الحكومة الامريكية خيار آخر غير ان ننسخر على جريمة اسرائيل بضرب ليبرنى حتى لا ينفصح دورها فى المؤامرة الكبرى؟)

وسواء صح مانشرته مجلة (بنتهاوس) او لم يصح . . فمما لا شك فيه ان قصة ليبرنى سوف تكشفها الايام كاملة بكل تفاصيلها . . ولكنها فى كل الحالات تظهر بما لا يقبل الجدل انه كان هناك تعاون ونيق وخطيطة مشترك بين المخابرات المركزية الامريكية والحكومة الاسرائيلية .

قطع العلاقات الدبلوماسية وتوجيه الاتهام لأمريكا وبريطانيا بالمشاركة في العدوان لم يوقف القتال . . . المأساة كانت تدور على أرض سيناء .  
وفي يوم ٧ يونيو توفرت فرصة لوقف إطلاق النار . . . وكانت القوات الاسرائيلية لم تصل بعد الى شاطئ القناة ، وان كانت قد احتلت في مساء ذلك اليوم جميع اجزاء الضفة الغربية ، وسقط القدس وجنين ورام الله وبيت المقدس وبيت لحم وحبرون واريحا .

يقول الكاتب الانونى بيرسون ان يوجين روستو في وزارة الخارجية قد استدعى السفير الاسرائيلي في هذا اليوم وأبلغه طلب الحكومة الأمريكية بوقف الهجوم ، حتى تظل الخطة الاسرائيلية في حجبها المنفق عليه .  
عندما وجد الملك حسين انه لم يعد يملك سوى شرق الاردن طالب بوقف إطلاق النار ، واستجاب الاسرائيليون لذلك .

أما في الجبهة المصرية فقد صرح موسى ديان قائلاً :  
(لم نعد هناك أية عقبة تقف في طريقنا لكي نصل بغوانا الى قناة السويس ولكن هذا ليس هدفنا ، لاننا لانسعى الى التورط في مشاكل دولية ) .

كان الاتحاد السوفييتي قد اذاع مذكرة من موسكو موجهة الى اسرائيل يطالب فيها بوقف إطلاق النار (والا فان الاتحاد السوفييتي سوف يعيد النظر في موقفه تجاه اسرائيل وينخذ قرارا يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية مع هذه الدولة التي يتعارض نشاطها مع الدول المحبة للسلام )  
كانت طلائع القوات الاسرائيلية قد وصلت الى مشارف القناة عند القنطرة ، ولكن موسى ديان اصدر اوامره اليها بان تعود الى الوراء اربعين كيلومترا .

كانت حكومة اسرائيل حتى هذه اللحظة - فيما يبدو - تريد ان تبقى القناة التي اعلنتها مصر باغراق بعض المراكب فيها يوم ٦ يونيو خارج النزاع طالما هي قادرة على الوصول اليها في اي وقت نشاء .  
وأعلنت حكومة اسرائيل يوم ٧ يونيو انها على استعداد لوقف إطلاق النار بشرط ان تعزل الاردن وسوريا والعراق ومصر ذلك ، وغادر ابا ايان وزير الخارجية مدينته القدس ليعلم ذلك في الأمم المتحدة .  
المدعى ان الرض جاء من جانب الحكومات العربية غير الاردن التي فقدت الضفة الغربية .

كان ممكنا حتى هذه اللحظة الاحتفاظ بجانب كبير من الارض ، وانقاذ أعداد هائلة من الجنود الهائمين على وجوههم في صحراء سيناء ، ومنع الهزيمة من ان تكون كاملة ومشية لكل دول المواجهة .  
رفضت مصر قرار مجلس الامن في وقت كانت فيه كل دول مجلس الأمن ( قد قررت وقف إطلاق النار بغض شرط ولا موعد ولا حكم ولا اذانة وبغير إشارة الى معندي او معندي عليه ) كما جاء في كتاب جولييان بيزانسون ( حرب اسرائيل الحاطقة ) .

وليس لهذا الموقف من تبرير سوى الامل في وصول امدادات سريعة تسد الموقف العسكري من الانهيار ، ونحفظ للقوات المسلحة المصرية قدرتها على الحركة من جديد .

ولكن الموقف كان اصعب واعقد من ان تنقذه اسلحة جديدة ، كطوق  
نجاة ٠٠ لان العيب فى البداية لم يكن فى نقص الاسلحة ولكنه كان فى نقص  
فدرات القيادة العليا ، وفى ضعف روح معظم ضباط الرتب الكبيرة .  
ضاعت فرصة قبول وقف اطلاق النار تحت ضغط رفض بعض الدول  
العربية لقبول الامر الواقع ، وصعوبة التسليم بالهزيمة القاسية .

كان ألوف العلى يسافطون فوق صحراء سيناء من طلعات الرصاص  
أو العطش وضربة الشمس ٠٠ وكان الاحياء يتعرضون لمهاته الهزيمة من  
القوات الاسرائيلية التى صورت ذلك فى افلام سينمائية كانت ترسلها يوميا  
الى الليفيرون فى مختلف دول اوربا لتعرض على الجماهير التى بهرها النصر  
المفاجىء السريع ، الذى سبقته دعاية مدروسة ضخمة تظهر اسرائيل فى مظهر  
الدولة الوديعه المعرضه لهجوم جيرانها العرب من اجل تدميرها والقاء اليهود  
فى البحر .

والمندوب الامريكى جولد برج الذى أعلن فى الامم المتحدة فى اليوم  
الاول للحرب ان الولايات المتحدة لا تعرف من بدأ القتال ، عاد فغير رايه  
وبنى الرواية الاسرائيلية التى ظلم تزعم فى نيجع ان مصر هى التى بدأت  
الهجوم ، وذلك كرد فعل للموقف المصرى من أمريكا الذى أثار عليها معظم  
الدول العربية فقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها ، ولم ينبى لأمريكا علاقات  
الا مع المملكة العربية السعودية وبنس ولبنان والكويت فقط .  
ومع ذلك كانت حكومة الولايات المتحدة لاتريد لحظة التامر مع الحكومة  
الاسرائيلية ان نكتشف بما ٠٠ وكان الامر حى هذه اللحظة يؤخذ بالقرينة  
ولا يؤخذ بالمعلومات التى ظهرت فيها بعد .

وأدت الفرصة الضائعة فى قبول وقف اطلاق النار الى نردى الموقف  
العسكرى وانهايار جبهه القتال انهايارا كاملا ٠٠ ولم يفلح الخمسون طائرة  
الجزائرية التى وصلت وشارك بعضها فى القتال فى تغيير شىء من الواقع  
المؤسف .

وانسرب القواب الاسرائيلية المسلحة فى كل سيناء ٠٠ واندفعت  
قواب موسى ديان حنى وصلت الى ضفة القناة فلم بعد هناك أوامر منه او من  
اسحق رابى رئيس الاركان بمضى بوقوف القواب فى مواقع لاندفعها الى  
التورط فى مشاكل دوليه - وسس اكبر هجوم بالدبابات فجر يوم ٨ يونيو .  
كابت وقعة القوات الاسرائيلية نعننى انتظار انهايار النظام فى مصر ،  
واحصاء جمال عبد الناصر ، والوصول الى موقف يعرض فيه الاسرائيليون  
شروطهم للتصلح .

عبر ديان عن ذلك بقوله :  
لقد حققنا أهدافنا السياسية والأمن من هذه الحرب ، الا انه ينبعينا  
الناكد من الطريقة التى نعرف بها مايجب ان نعمل ، حتى لاشكر الظروف  
التي أدت الى هذا النزاع ) .

ولكن الآمال الاسرائيلية لم تتحقق ٠٠ فقد بقى النظام المصرى قائما ،  
وعلى رأسه جمال عبد الناصر ٠٠ ولم يستجيب المصريون للداعة الاسرائيلية  
التي حاول انارهم ضد زعيمهم خلال الخمسة عشر عاما السابقة .

قبلت مصر فرار وقف اطلاق النار نحت ضغط الكارثة ، وجنود اسرائيل قد وصلوا شاطئ الغنة ، ولم يعد هناك من الاسلحة او القيادات ، ما يمكن ان يمنعهم من الوصول الى القاهرة .  
كان قبول وقف اطلاق النار صدمه شديدة للديبلوماسيين العرب في هيئة الامم المتحدة ، الذين توقعوا هجوما مصريا مضادا ، وتأثروا بأخبار الدعاية التي لم تصور الموقف على حقيقته .

أبلغ محمد عوض القنولى مندوب مصر الدائم في هيئة الامم المتحدة سكرتيرها العام يونان بقبول مصر قرار وقف اطلاق النار في الوقت الذي كان (فيدرنكو) المندوب السوفيتي يهم بالمطالبة بانزال عقوبات على اسرائيل .

وبعد قبول مصر وقف اطلاق النار . أعلنت سوريا في الساعة الثالثة بعد منتصف ليله ٩/٨ يونيو وقف القتال .  
وكانت القوات السورية قد تقدمت يوم ٦ يونيو مسافة ٣ كيلو م ، ذهب على أمل الاحتفاظ بالارض المكتسبة .  
خلال ايام القتال لم يشترك القوات السورية في معارك برية بعد فقدان قواتها الجوية

وعندما راى مصر على وقف اطلاق النار . كانت سوريا يوم ٩ يونيو هي الدولة العربية الوحيدة المجاورة لاسرائيل التي لانزال محفظه بجيشها .  
كان قبول وقف اطلاق النار فرصة لانفاذ هذا الجيش ٥٠ في وقت كانت القيادة السورية فيه غير مرحبه كبرا بالتقارب بين مصر التقدمية والاردن الملكية . ولم يكن الملك حسبن حليفا مرضيا عنه في دمشق كما كان الحال مع القاهرة .

ولكن الموقع السوري لم يحسم لان ذلك كان يعارض أساسا مع الحطة الاسرائيلية التي كانت تريد ان تعرد ذراعيها على الارض العربية بأقصى مدى يمكن ان تصل اليه . وخاصة هضبة الجولان التي . . . . . تطل منها القوات المسلحة السورية على الارض الاسرائيلية .

كانت تحصينات الجولان أقوى من ان نخترق اذا قرر . . . . . زيادة السوربة المقاومة حتى الطفلة الاخيرة - فقد كانت المواقع شديدة . . . . . بين والخط الدفاعي منيع .

قال لى عبد الحميد السراج انه منذ زمن بعيد . وعلى عهد الوحدة كانت الدبابات التي هي في دابها حصون متحركة . منحصنة في خنادق سيح لها الوفابة والحركة معا .

يقول جوليان بيرانسون في كتاب (حرب اسرائيل الحاطمة) .  
(في فجر اليوم التاسع من بوبو كان القليلون جدا في اسرائيل يرضون عن فكرة ان تنتهي الحرب . بغير ان يعود الامن الى الحدود الشمالية للبلاد )

ولذا فانه لم نكد نصف ساعة على قبول سوريا لوقف اطلاق النار حتى أعلن الناطق الرسمي بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي في السادسة والنصف من صباح ٩ يونيو ان السوريين قد استأنفوا عملية ضرب المزارع الجماعية بمنازلهم . وكأنهم يحلقون ذريعه لمواصلة القتال .  
وكان هذا التصريح مقدمة لهجوم اسرائيل شامل بدأ في الساعة السابعة صباح ٩ يونيو .

وجاء في نفس المصدر السابق ان الامر بالهجوم كان قد تأجل مرتين . . . الاولى يوم ٧ يونيو حيث عطلت السماء سحب كثيفة . . . ويوم ٨ يونيو حيث كان موسى دبان يود ان ينهي من الجبهة المصرية حيث كان قد بدأ الهجوم الساميل بالمدرعات . . . وأى عمليات في سوريا تعنى تأخير انتهاء القتال في الجنوب ، (وجعل الدول الكبرى تشعر بالامتعاض فتزيد من ضغطها على اسرائيل ) .

بدأ الهجوم الاسرائيلي وكان مفروضا ان يتم على وجه السرعة ، قبل ان يغيق العالم الى ان الهجوم ينسحب بعد قبول وقف اطلاق النار .  
كان القتال يدور على هضمة الحولان . الاسرائيليون يصعدون والسوريون يدافعون . وقاعة مجلس الامن تسمع الاتهامات المتبادلة بين الدولتين كلا منهما هي التي استأنفت القتال

وتوصل مجلس الامن الى قرار حديد بوقف اطلاق النار  
ثم جاءت خطبة جمال عبد الناصر التي أعلن تنحيه فيها بمقتبة الصدمة للعرب السورية ايضا . . . فنحوت لهجتها وبياناتها فورا من أن الاسرائيليين ينسحبون ، الى اذاعة أن القبطية (٣٠ ألف ساكن) ودمشق قد سقطت بسما هي مازالت في يد الجيوش السورية .  
كان هذا التعبير المفاخي في لهجة البيانات مبرا للسؤال . فلماذا طبعنا أن نحطم الاذاعة السورية معنويات الشعب والعوات المسلحة السورية باذاعة أخبار انهزامية غير صادقة .

قال لى ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا في ذلك الوقت أن هذه البيانات كانت تصدر عن وزارة الدفاع التي كان حافظ الاسد وزيرا .  
ورسل مباشرة الى الاذاعة .

ويعمل البعض ذلك بأنه كان نوعا من تحسيس الخطر للاستنحاد بالسوفييت الذين استخدموا الخط الاحمر مع واشنطن للمرة الباله يوم ٩ يونيو محذرين من أن استمرار الهجوم الاسرائيلي سوف يؤدي الى كارثة وحيث قرر السوفييت التدخل العسكري . . . وقد دفع هذا الانذار أمر بكا الى تقرب الاسطول السادس .

وبعد أن أعلنت الهزيمة وتقرر الانسحاب في الاذاعة . . . انطاعت الروح المعنوية للمقاتلين السوريين الذين نوافرت لهم مواقع جغرافية أشد حصانه ومناعة من القوات المصرية والاردنية وبدأوا الانسحاب فعلا دون مبرر عسكري قوى يدفعهم الى ذلك ، فقد كان الالتحام بين قواتهم المدافعة والقوات الاسرائيلية المهاجمة . مانعا في حد ذاته من استخدام الطائرات الاسرائيلية .

وفي يوم ١٠ يونيو سفلطت القبطره في يد القوات الاسرائيلية . واحبل  
 الاسرايينون الشرمه السوريه الميعه الى كانت نطل على ارضهم .  
 ومال الجبرال رابين للحدود الاسرايينين في البيان اليومى الذى اصدره  
 بعد وقف اطلاق النار :  
 (ان حرب أبناء الورد ضد أولئك الذين حاولوا اغرافنا فى الطلام قد  
 انتهت) .  
 وهكذا قلب الجبرال رابين الحفائق ، وجعل من المصدين ابناء للنور .  
 ولكن الساريح لا يكتبه المصرون فقط . . المهورمون أيضا لهم فى الساريح  
 سطور ونأير  
 انتهت الحرب ، وغرق العرب فى الطلام .  
 واستطاع دوله صعيه يسكنها مليونان ونصف من السكان ان يهزم  
 جيرانها العرب ، بعد أن حولت الى أكبر نرسانه حديثه فى المنطقه .  
 ضاعفت اسرائيل مساحتها أربع مرات من الاراضى العربيه . واحوت  
 مليوناً ونصف المليون من المدنيين . . وضمت الى حدودها آباراً من البنرول  
 تكفى استهلاكها والتصدير ايضا .  
 سقط أكثر من ٢٥٠٠٠ جندي عربى قبيل ٥٩٢٠ أسيراً . . بينما  
 سقط ٦٧٩ جندياً اسرائيلياً قتلى وأصيب منهم ٢٥٦٣ جريحاً . . وبلغ عدد  
 الاسرى الاسرايليين ١٨ ، أسر منهم ٩ فى مصر .  
 وفى مقابل ١٣٠ دبابة دمرت لاسرايل . . وفقدنا ١١٠٠ دبابة منها  
 ٣٠٠ فى حالة صالحه للعمل ، وفقدنا ١٥٠٠٠ عربيه نقل .  
 الهزيمة بشعه ، والخسائر جسيمة .  
 ولكن الهدف الرئيسى . . من العدوان لم يتحقق . . لم نستطع خطه  
 (الحماة) رغم روعة انتصارها ان تسقط النظام التقدمى فى مصر أو سوريا  
 ولم تؤثر أيضاً فى النظام الملكى بالاردن .  
 نجحت الخطه عسكرياً . . ولكنها لم تحقق بعد أهدافها سياسياً .  
 خسر العرب معركة . . ولكنهم لم يرفعوا الاعلام البيضاء . . لم  
 يستسلموا .



## الباب الثالث

### رفض الهزيمة

( ناصر ٠٠ ناصر ٠٠ لا رئيس الاناصر )

( مكتوب على سلاحنا ٠٠ عبدالناصر كفاحنا )

مظاهرات الشعب المصري

يوم ٩ يونيو ١٩٦٧



## الفصل الاول

### رفض الهزيمة

لا صلح مع اسرائيل  
ولا اعتراق باسرائيل  
ولا مفاوضة مع اسرائيل

قرارات مؤتمر القمة العربى  
بالخرطوم اغسطس ١٩٦٧ .

على قدر ماكانت الهزيمة العسكرية صدمة مريرة وقاسية ، على قدر ما عبرت الجماهير عن رفضها لهذه الهزيمة التى لم تشارك فى صنعها .

كانت مفاجأة شديدة لمعظم الناس الذين طالعوا العناوين الرئيسية لصحف الصباح يوم ٩ يونيو تعلن عليهم قبول وقف اطلاق النار ، وهم الذين عاشوا قبل ذلك بأيام فى حلم الانتصار ، وخدوتهم الدعاية المكثفة عن قدرة قواتنا المسلحة ، ثم نابعوا البيانات الحربية التى لا تحمل شبهة الهزيمة . وتعلقت أعين الناس بشاشة التلفزيون ، والتصقت اذانهم بأجهزة الراديو ، وهم ينتظرون كلمة جمال عبد الناصر .

كان الناس حيارى يتساءلون عما حدث ، ويناقشون الامر فى لهفة وجزع . وينظرون الى الغد فى قلق وظهر جمال عبد الناصر على شاشة التلفزيون .

كانت الامور عنده قد وصلت الى حد لم يتوقعه .. فهو في حـ المصيده لم يتوقع الحرب ، وعندما خرجت الامور من يديه واصبحت امرا محبوما لم يتوقع هذه الهزيمة السريعة المخجلة .. كان يتصور ان المسلحة قادرة على الدفاع ولو بلغت الضربة الاولى . ولم يتوقع لقياد الانهيار .

اما الآن وقد ضاع كل شيء ، فقد اعتبر نفسه مسئولا عما حدث ان ينحى عن سلطانه ، وان يضع نفسه تحت بصرف الجماهير . يقول محمد حسن هيكل اقرب الصحفيين اليه ان عبد الناصر به يوم الخميس ٨ يونيو وانلغه بقرار التنحي ، وكان رأيه ان يتحى بدران وزير الحربية . حتى يجنب البلد مشكلة الصدام بين القوى العـ والعسكرية .

كتب هيكل خطاب السحى وبرك محل الاسم فارعا لم يكتب بدران .. وأوضح لجمال عبد الناصر - حسب قوله - عدم اقناعه بـ لشمس بدران . وبعد مناقشة اسقى الرأي على زكريا محبى الدين على انه أقدم اعضاء مجلس القيادة السابقة ، وليس على أساس انه قريب من كما لاحقه الاشاعات .

كان عرييا ان يفكر جمال عبد الناصر في ان يخلفه شمس بدران هناك من ببرر لذلك الا اعتقاده بـ هذه اللحظة ان شمس بدران هو الوحيـ الفادر على قيادة القوات المسلحة لانه زرع ابناء دفعه في معظم القيادة الحساسة .. ولكن هذا التفكير على اية حال كان بعيدا تمام سلامة بـ الموقف لصالح مصر ومواجهة الكارثة التي حلت بها .

ظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون كما لم يظهر من ة انحزن العميق في عينيه .. والنبرة الهادئة تعطي لكلماته عمقا وثقلا . قال جمال عبد الناصر :

أقول لكم بصدق - ورغم اية عوامل قد أكون سبب عليها موء الازمة - فأننى على استعداد لتحمل المسؤولية كلها ، ولقد اتخذت قـ أريدكم جميعا أن تساعدونى عليه .. لقد قررت أن أنحى تماما ونهاة أى منصب رسمى وأى دور سياسى وأن أعود الى صفوف الجماهير أؤدى و معها كآى مواطن آخر .. ان قوى الاستعمار تتصور ان جمال عبد ٩ هو عدوها .. وأريد ان يكون واضحا امامهم انها الامة العربية كلها و جمال عبد الناصر ) .

ويقول محمد حسن هيكل انه كتب في الخطاب (اننى مستعد ان نصيبى في المسؤولية ) ولكن جمال عبد الناصر عدل العبارة بخط يده لتـ (اننى مستعد لان اتحمل المسؤولية كلها) انتهى جمال عبد الناصر من خطابه الذى بدأ في الثامنة الا الثلث واستغرق ٢٠ دقيقة ، ولكنه نجر في مصر والعالم الخارجى انعكاسه هائلة .

كان قرار التنحي رغم انه كان نتيجة طبيعية لانهار القوات المسلحة وتـ النظام معها ، مفاجئا تماما للجماهير ، التي فقدت في هذه اللحظة التعيد والحرية من حياتها ، الزعيم الذى ارتبطت به منذ تحمل المسؤولية ، و

عاشت معه أياما مجددا بكلها انجساراً وطيبه . ومكاسب اجتماعيه .  
وميل العربي نكاد يفقد طوق النجاة . حرجت الجماهير والخطبة لم  
تكمّل بعد الى الشوارع . . . منحه الى دار جمال عبد الناصر . . . بصرح طالبه  
منه أن نبهى في موقعه .

وليس صحيحاً بما يحسّول بعض الادعاء القول به من أن المظاهرات  
التي احتاجت شوارع القاهرة كانت مدبرة من جانب الاتحاد الاشتراكي ،  
فهو شرف لأبعد أنه يمكن استماعه في سهوله على عبد الباقم ، الذي هو  
أعجز من القدرة على تحريك الجماهير بهذه الصورة الحاشده .

لم يجرج المظاهرات في القاهرة وحدها . . . ولم يجرج في المدن فقط .  
ولم تقتصر على الجمهورية العربية المتحدة . ولكن المظاهرات قد عمت معظم  
مصر وبلاد الامه العربيه . . . وفي هذا جواب على اصحاب هذا الادعاء .

كانت حركة الجماهير في هذه الليلة على امتداد الوطن العربي تعبيرا عن  
احساسها بخطر يهدد سوريا حليها باندفع في صورة عد يدو عاطفه وثقافته  
ولكنها في الحقيقه كانت ذات مضمون أعمق من ذلك . . كانت الباربع في لحظة  
واراده الشعب في موقف . . ينسب الجماهير بالرغم الذي لحقه البرجمه . .  
ولم تكن الناس قد اكتشفوا بعد بشاعه الحساره .

وكان عبد الحكيم عامر ينظر أن يتبر جمال عبد الناصر الى استقالته  
معه ، ولما لم يسمع ذلك اتصل بلقونيا بمحمد احمد السكري الحاس لجمال  
عبد الناصر ، وطلب منه أن يدخل ورفه الى عبد الناصر وهو يدبج البيان ببلعه  
فيها أن المشير سوف يذهب الى الادعاء لإعلان استقالته . وقد استاز عبد الناصر  
بعدم الذهاب ، وقد اخضعت صورته عبد الناصر عن شائعه الليبريون في هذه  
اللحظات القليلة .

وبصادف أن كنت مع زميلي وصديقي صلاح حافظ نائب رئيس تحرير  
روز البوسف في ذلك الوقت نجوب القاهرة بحثا عن مسئول نعرف منه حقيقة  
الموقف ، ومررنا على وزارة الارشاد طلبا لمقابلة محمد فايق الذي كان قد اسجه  
ومعه كل الوزراء والمسؤولين الى منزل عبد الناصر . . . ووجدنا على خشبة  
وكيل وزارة الارشاد عند الباب الخارجى لمدخل الوزير منتظرا حضور المشير  
-امر . ثم حضر اليه بعض ضباط الحيش وألغوه أن المشير لن يحضر ولن  
يسمح له بأذاعة استقالته بنفسه .

وعندما تبين للمشير أنه قد يمنع من اذاعة استقالته أرسلها الى وكالة  
الانباء ، فاذاعها مع استقالة شمس بدران أيضا .

بعد دقائق من اذاعة بيان النجى كانت الشوارع قد امتلأت بعشرات  
الآلاف الذين هرعوا الى دار عبد الناصر بمنشبة البكرى . وطلب القاهرة ساهرة  
طوال الليل تنتظر اشراف الصباح . والليل مظلم والأنوار مطفئة والجو رهيب  
.. وطلقات المدفعية المضادة للطائرات هي الصوت الوحيد الذي يعلو على  
صيحات الناس وهساتهم ومنافساتهم .

كان ممكنا أن تحرق القاهرة في هذه الليلة التي خلت فيها من المسؤولين  
الذين بوجها جميعا الى بيت عبد الناصر ، الذي قبّع في غرفة نومه يسمح  
حشود الناس ، وهو يتناول حبة منومة تنقذه من الجهد وتوتر الاعصاب .  
كانت الاوامر قد صدرت لوحملات المدفعية المضادة باطلاق بعض الطلقات

اشعارا للناس بخطر ما يمكن ان يقدموا عليه من اعمال مريعة غير محسوبة .

ولكن عشرات الالوف نصرخوا بحكمة ووعى ومسئولية . . الهنود يقول (ناصر ناصر . . لا رئيس الا ناصر) - (ارقص ارقص يا زكريا . . عبد الناصر ما به المالبس - اسجل سجل باسادات احنا اخبرنا جمال بالذات . . (مكتوب على فلوبيا ، عبد الناصر محبوبنا) - (وحياة السيد لأقول الحمد . . بعد عبد الناصر ما في حد) - (بالمركا لى فلوسك عبد الناصر حاي بدوست . . (مكتوب على سلاحنا . . عبد الناصر كفاحنا) . . (مانهوليش مانهوليش . . عبد الناصر غره مفينس) .

زكريا محيى الدين فوحي ، تماما بنارل جمال عبد الناصر له . وصمم على الرقص وأصر على اداعة بيان ذلك . . وكان بعض الافراد قد حاولوا الاعتداء على محمد فابو وزير الارشاد وهو يدخل بيت عبد الناصر اعتداءا منه . بانه زكريا محيى الدين .

لم يعرف الناس طوال الليل ، وأصبح واضحا ومؤكدا ان الشعب يرفض بنحو عبد الناصر . وأنه لابد من جديد في الموقف .

اجتمع مجلس الوزراء في ساعة متأخرة من الليل ، وأصدر بيانا بالاجماع يطالب فيه بأن يبقى جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية وأذاعت الاداعة بعد ذلك بيانا من جمال عبد الناصر الى المواطنين ياشدهم فيه ان يحافظوا على الهدوء وان يعود كل منهم الى أداء واجبه . ولكن الناس في الاقاليم كانوا قد بدأوا يتجهون الى القاهرة ايضا .

واجتمع مجلس الامة في الصباح واتخذ قرارا ببقاء عبد الناصر في موقعه رئيسا للجمهورية . . وفي الواحدة الا الثلث يوم ١٠ يونيو كان الناس قد احاطوا بالمجلس من كل جانب عندما افتتح انور السادات رئيس المجلس الجلسة قائلا : ان جمال عبد الناصر لا يستطيع الوصول من داره الى مجلس الامة بسبب الزحام الشديد تم قرا انور السادات نص الكلمة التي ابلغها الرئيس بالتليفون الى اعضاء المجلس ويقول فيها :

انا لا استطيع الا ان امتثل لارادة الشعب ، وسوف اهبه كل قواى حتى النفس الاخير ، وسوف ابقى في منصبي حتى يتم تصفية اثار العدوان ولابد ان نستخلص الدروس مما حدث ) .

هدأت أنفاس الشعب ، وبدأت جموعه تصرف بعد ليلة حافلة بالقلق والحزن والتوتر .

وبقى جمال عبد الناصر في موقعه . . لم تسنطع الهزيمة على فداحتنا أن تقتلعه من مكانه او تهدم نظامه . . وهكذا لم تحق الحكومة الاسرائيلية هدفها تحقيقا كاملا ، فقد نجحت عسكريا ، ولكن اعلام العرب البيضاء لم ترتفع استسلاما .

طويت صفحة الهزيمة شديدة السواد ، لتفتح صفحة جديدة في حياة الشعب يجابه فيها المستقبل ، وبعبارة نقطة تحول تاريخية في أزمة الشرق الاوسط . وما كان للشعب ان يستكين للامور كما كان الحال قبل ٥ يونيو ، فقد

افاقت الناس من صدمة الهزيمة . وما عادوا يركنون الى الصمت ( طالما  
عبد الناصر موجود ) .  
وكانت هذه هى بداية رفض الهزيمة

## التغير

ارفع شعار التغير منذ اللحظة الاولى .  
وكانت القوا المسلحة قد اصبحت بلا قيادة . . . وعندما استجاب جمال  
عبد الناصر لارادة الشعب واسترد بحبه يوم ١٠ يونيو ، ذهب عدد من كبار  
الضباط الى نفس اليوم الى المشير عبد الحكيم عامر يطلبون منه العودة الى  
منصبه . وبعد نفاس طويل وعدهم بذلك ، فطلب اليه الضباط ان يوجه  
الى مكبته في صباح اليوم التالي . . . ولما وافقهم على ذلك قاموا بتوزيع  
الشربات كما يقول أحد الذين حضروا هذا اللقاء .  
ولكن المشير لم يذهب الى مكبته في اليوم التالي ، وأصر هو وشمس  
بدران على اللقاء بعدا عن السلطة لانه حسب تعبيره ( البلد خربت ولا يمكن  
احتحل الأزمة ) .

ويقول شمس بدران أنه حاول امتناع المشير بالذهاب الى فيرينه  
(اسطال) بمحافظه المنيا . جنبا لحو المجاملات ونفاق الضباط الذين احاطوا به .  
ولكن المشير لم يطق البقاء هناك طويلا .

يوم ١١ يونيو لم يكن في القوات المسلحة فرقه واحده كامله التنظيم  
ولم يكن هناك تشكيلات متماسكة . . . وكان الاسرائيليون على بعد ١١٠ كيلو  
من القاهره . . . ومدربا الحرس الجمهورى كانت قد اجهت الى منطقته  
الضال .

وبادر جمال عبد الناصر وقد عاد له نفوذه الكامل على القوات المسلحة  
من جديد بحرى بصرات جذبة في القيادات العليا .

وسجل يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ بدايه مرحله جديده .  
وأعلنت اداعة القاهرة في نشره الثانية والنصف يوم ١١ يونيو تعيين  
الفريق اول محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة . ومذكور ابو العز قائدا  
للقوات الجوية واحالة الفريق اول سليمان عزت قائد القوات البحرية ومحمد  
صدقى محمود قائد القوات الجوية وزملائهما من نفس الرتبة احمد حليم امام  
وهلال عبد الله هلال وعدد المحسن مرنجى ، وجمال عفيفى وانور القاضي .  
واللواء عبد الرحمن فهمى وعثمان نصار وحمره البسيونى واسماعيل لبيب  
الى المعاش .

(يلاحظ ان الحينى قد خلا بذلك من جميع الضباط الذين حصلوا على  
رتبة فريق اول وان الاصدقاء المقربين للمشير قد ابعدهوا ومعهم اللواء  
ذو السمعة العاسية السيئة حمزة السسوى الذى اقترن اسمه بالعنذوب  
عندما كان مديرا للسجن الحربى .

كان هذا التغير يعنى حدا هاما فى القوات المسلحة ، ولكنه وحده  
لم يكن كافيا . . . فقد كان كبار الضباط يشكلون فئة متماسكة بعيدة عن روح

وأمال ثورة بولكو . . ولكنه كان بمثابة المدابة ، حيث ان هؤلاء القادة قد استنفروا في مراكزهم رغم أخطائهم التي احتسبت على بعضهم أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ .

ولم يبق التغيير عند حدود القوات المسلحة ، فقد ركز جمال عبدالناصر كل السلطات في يده . . أصبح أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي بدلا من على صبرى . . وأصبح رئيساً للوزراء في نفس اليوم ١٨ يونيو ١٩٦٧ .

الوزارة الجديدة التي رأسها عبد الناصر كان فيها ١٨ وريرا من الذين كانوا ضباطا في القوات المسلحة ، عسره مددسن ، وهذا يعنى زيادة نسبه الضباط في الوزارة عن ورائه صدقى سليمان التي سبقها والتي كانت تضم ١٥ ضابطا . ١٧ مدنيا من بينهم ٣ نواب ورياء .

مارال جمال عبد الناصر يعتمد على زملائه ضباط القوات المسلحة السابقين . . ولم بعد هناك نواب لرئيس الجمهورية . . أصبح زكريا محبى الدين نائبا لرئيس الوزراء وحسين الشافعى نائبا للرئيس ووريلا للأوقاف والشئون الاجتماعية ، وعلى صبرى نائبا للرئيس ووزيرا للإدارة المحلية ، وصدقى سليمان وزيرا للصناعة والكهرباء والسد العالي .

وعين بعد ذلك عبد المحسن ابو النور أميناً مساعدا للاتحاد الاشتراكي وفي ٢٢ بولكو عين أمين هويدى وزيرا للحربية واقتصر عبد الوهاب الشورى على الانتاج الحربى . . وكان قد عهد الى أمين هويدى بالاشراف أيضا على ادارة المحاربات العامة بعد احواله صلاح نصر الى المعاش .

لم يكن هذا التغير كافيا عند الجماهير التي أدركت مع الوقت وتكشف الحقائق ، ان الانهيار لم يكن كامنا في القوات المسلحة وحدها ، ولكنه كان موجودا في بقية الاجهزة والمؤسسات بدرجات مختلفة . وان بقاء الوجوه القديمة وتعبير مواقفها مثل قطع السطرنج لا يعد في ذاته تعبيراً مقبولا عند الجماهير .

كانت الجماهير سعطى الى تعبير نمو فيه الروح الديمقراطية ، وسطلى طاقات الجماهير ، وشارك فيه الطبقة العاملة والفلاحون مشاركة حقيقية في السلطة .

كانت الجماهير سعطى الى تعبير حقيقى يمكنها من مواجهة كارثة الهزيمة والتعلب على آبارها .

ولكن العدميات التي حدثت في الاسابيع الاولى بعد عودة عبد الناصر لم يكن كافيه لاسماع رغبات الجماهير .

ولم يكن التعبير يعنى مريدا من تركيز السلطة في يده في وقت تضخمت فيه المسؤوليات ، وأصبح هناك هموم شديدة فاسيه يتحملها الزعيم الذي أصر الناس على بقاءه في قمة السلطة .

وكان ممكنا ان يخفى في هذه الفترة أضخم الاسماء من موقع المسؤولية دون ان يسور ساؤل او نهر انسان .

وكانت الفرصة مباحة لعب الحياة في الاتحاد الاشتراكي وفي طليعة الاشتراكيين . . وقد حدث فعلا ان انضمت بعض الشخصيات الى لجنة القاهرة للاتحاد الاشتراكي التي كان امينها العام عبد المجيد فريد . . انضم اليها احمد



بهاء الدين وفتحى غانم ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور وعدد آخر من الشخصيات المعروفة مثل سيد يوسف وزير التعليم السابق وسمير حلمى وزير الصناعة السابق وغيرهم .

أدت هذه الاضافة الى بحث نوع من الحيوية فى اللجنة . . ولكن ذلك لم يصل الى القاعدة . . كما ان تعيين عبد المحسن ابو النور خلفا لعللى صبرى فى منصب امين مساعد كان مثيرا للدهشه والنسائل .

عبد المحسن ابو النور لم يعمل بالسياسة من قبل ولم يكن مرشحا لذلك طوال خدمته التى استمرت فى القوات المسلحة حتى اصبح يولى منصبا رئيسيا فى الجيش الثانى بدمشق على عهد الوحدة ، وبعد الانفصال عين فى أول وزارة شكلت فى ١٨ اكتوبر ١٩٦١ وزيرا للاصلاح الزراعى واصلاح الاراضى ، وبقي فى قطاع الزراعة نائبا لرئيس الوزراء فى وزارات على صبرى وزكريا محيى الدين وصطفى سليمان حى عدوان بونيو ١٩٦٧ .

صدر قرار خاص فى ٥ أغسطس ١٩٦٧ ليصبح عبد المحسن وزيرا للدولة الى جانب كونه امينا مساعدا . . وكان هذا التعيين فى رأى الجميع مؤشرا للرغبة فى بقاء الاتحاد الاشتراكى على حاله من الجمود . . فلم تكن لعبد المحسن مزايا يؤهله لتولى هذا المنصب شديد الحساسية والمسئولية سوى انه ليست له (شلة) كما قيل فى ذلك الوقت .

ويبدو ان موضوع (الشلة) كان يؤرق عبد الناصر كثيرا منذ بدأت خلافاته مع المشير وشلته فى القوات المسلحة ، فاراد اشخاصا ليس لهم اصدقاء ، وليس عندهم طموح خاص لتكوين (شلة) .

والواقع ان الحياة السياسية فى مركز السلطة كانت تنأثر كثيرا لعدة عوامل شخصية فى الدرجة الاولى ومنها :

١ - ابناء الدفعة اى الذين دخلوا الكلية الحربية فى عام واحد وتخرجوا فيها معا وهؤلاء كانت تربطهم صداقة من نوع خاص وعلاقة اجتماعية وطيدة تستمر الى ما بعد التخرج .

٢ - الشلة وهم مجموعة الاصدقاء الذين تلقى بهم الظروف لاقامة علاقات اجتماعية حول هوايات خاصة فى اوقات الفراغ ومنها على سبيل المثال لعب القمار او بدخين الحشيش او الجرى وراء النساء .

٣ - علاقات النسب وهى تظهر غالبا كعمرة للتواجد فى عمل واحد يفرض علاقات اجتماعية تؤدى الى المصاهرة وبالتالي الى التماسك وتبادل المصالح .

كان ضهور امل التغيير الى الحد الذى يعين فيه عبد المحسن ابو النور مسئولا رئيسيا فى الاتحاد الاشتراكى ، صدمة لكل الذين البهت صدورهم بهأساه الهزيمة ، وما عادوا يطبقون الصيت .

أما أمانه طليعة الاشتراكيين التى كان مفروضا انها تمثل العلب فى الجهاز السياسى فانها نوفقت عن الاجتماعات مطلقا ، وكانها أصيبت بسكة فلبية .

كان التوقف عن الاجتماعات مؤشرا اكيدا بعدم الرغبة فى بعث النشاط فى (طلبة الاشتراكيين) التى كانت هى الامل فى أن تتحول الى حزب اشتراكى

حسمى في يوم من الايام .

وهكذا صاعب فرصة البعير . . بل لعلها كانت موجودة ولم يقدم عليها جمال عبد الناصر لان ذلك في مضمونه كان يعنى التخلص من معظم الجهار الذى اقامه الثورة على امتداد سواحل حكمها . . ويعنى ايضا اجبار عبدالناصر على جبن الطريق الصعب فى اقامه تنظيم سياسى على اسس حزبية يوافر له كادر فسادى ممرس بدلا من الاستمرار فى الطريق الاسهل . . طريق الاعتماد على المعرفة والعلاقات الشخصية فى تحديد الاسماء التى نولى مراكز المسئولية .

كان عبد الناصر قد اصبح مرتبطا بهذا الجهاز الذى حلقة خلال سنوات حكمه . ، والذى ضم افرادا من المحلصين ، وافرادا من الانهازين والمنحرفين . ولم تكن عيوب الاشخاص وانحرافاتهم خافية على جمال عبد الناصر ، ولكنه كان يحتفظ بهم فى مراكزهم طالما انهم يظهرون الولاء لشخصه والخضوع لارادته . . ولعل معرفته بالعبوب والانحرافات واشعار اصحابها بذلك كان يدفعهم الى مزيد من اظهار الولاء ، والضعف فى مواجهته ، خشية افضاح امرهم .

ولم يكن هذا فى طبيعته اسلوبا سلبيا لاختيار معاونين . فليس مفروضا ان تكون مقياس الوطنية ، هو درجة الولاء لشخص الزعيم وذوبان الارادة والرأى الخاص اناء العامل معه .

ولكن ١٤ عاما من افراد جمال عبد الناصر بالسلطة . ونعاون هذا القريب من الافراد معه ، قد جعله مستكينا وراضيا بهذا الاسلوب من اساليب الحكم . .

ولذا كانت المطالبة بغير جذرى ، ليس من تنفلات الافراد فقط ، وانما فى طبعة تكوس النظام وبيادته بما يسمح بخلق نوع من السفاعل الديمقراطية الحى فى قمة السلطة ، وبين الجماهير . . كانت المطالبة بذلك اكثر مما يمكن لجمال عبد الناصر ان يقوم به ، وخاصة ان الهزيمة قد اطلقت اعداء النظام واعداء التقدم والانسانية من ججورهم ، وبدادوا حملة نقد ونشهر اسنغلوا فيها ماكانت تظهره الايام من فساد فى قيادة القوات المسلحة ، وما كان يلسمه الناس من بعض الفساد فى قطاعات اخرى .

موجة النقد والشهر التى شنها الطبقات المتربصة . لاشك انها كانت عاملا من اهم العوامل التى ادخلها جمال عبد الناصر فى تقديره للموقف . . فهو يدرك اكثر من غيره مدى ما تعرض له النظام من شرخ ، وقسوة ماواجهه من مستقبل فى مصر . . ويدرك ايضا انه قد اصيب بجرح نافذ يؤثر على صورته امام الجماهير .

خشى عبد الناصر ان يقدم على بغير مجهول النتائج . . وآثر ان يمضى باسلوبه القديم معيدا على رجاله السابقين . عندما واجه الجماهير لاول مرة بعد الهزيمة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ اناء انعقاد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى ببقاعه احفالات جامعة القاهرة . قال لهم فى صراحة : ( اننى مسئول عن كل شئ ) .

ولكن التصفيق احاط بكلماته . واطهر الامور فى ثوبها التقديم . . وكان

شبتا لم يحدث .

كانت خطب جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة هي العامل الوحيد الذي يهدى غليان الجماهير . . . ويجيب على بعض تساؤلاتها . . . ويجدد في نفسها الأمل .

كانت الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية في حيرة من امر هذا الشعب الذي استوعب الهزيمة القاسية واحفظ بالمسئول الاول عنها قائدا وزعيما في المرحلة القادمة ولذا فانهم حاولوا نمزيق الجبهة الداخلية مستندين الى بعض عناصر الطبقات الدالة المربصة ومعتمدين على الفراغ السياسي الذي لا يشغله تنظيم سياسى قادر على تعبئة الجماهير وحسدها . قال جمال عبد الناصر لشعراوى جمعة بعد خطبة في مجلس الامة :

— اياك الخطبة دى يهدى الناس ولو شهرين

كان هناك سباق بين جمال عبد الناصر في محاولته لاعادة الاستفرا والهدوء في المجتمع . . وبين عوامل الاثارة والفيلان المنجددة .

وقد حرص جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة على ألا يشعر الناس بضائقة اقتصادية ، فاهم بالمواد التموينية ، واملات المجعات الاستهلاكية بمعظم ما يحتاج اليه الناس بأسعار في متناول اصحاب الدخول البسيطة . وقد اسهمت الدول الاشتراكية في ذلك بتقديم معونات كثيرة هدية من شعوبها الى الشعب المصرى في محنته .

كان التغيير عند عبد الناصر (قضية حائرة) تماما مثل (النفخة الصحيحة) التى يجب ان تمضى فيها الاداعة واجهزة الاعلام . . . الناس تعيش في اعتقاد انه يمكن رد الهزيمة في ارب وقت ممكن . . . وأن كل نضحية في سبيل هذا الهدف تهون .

ولكن مصر أصبحت بلا قوات مسلحة تقريبا . . الطيران ضاع والجيش تمزقت وحداته . . ومع ذلك فشعور الثار يتأجج في صدور الناس بقلوب الاظلام في الشوارع وعندما تضاء بعض الأنوار يعتقد البعض أن في هذا نوعا من البهاون أو التفريط . . الاذاعة تذيع الاغاني والاعانيات الوطنية وعندما تذاغ اغنية عاطفية يقول البعض بأن هذا دليل على أن روح الثار قد خمدت وأن هناك اتجاها للاسكانة وقبول الوضع الراهن .

لم تصدر الحكومة منذ الثورة قرارات ترفع فيها أجور بعض الخدمات مثل المواصلات والبلديات والبرقيات وغيرها ونفرض ضرائب جديدة ويقابلها الناس بهدوء . . . بل وترحيب مثلما حدث في القرارات التي أصدرتها الحكومة في شهر يوليو ١٩٦٧ .

كان الشعب مسعدا للمساهمة بكل ما يملك من اجل استرداد كرامته واسترجاع ارضه ، ونعيم اسلوب النظام . ولكن التعبير لم يتحقق فورا . . . ولن يتحقق أيضا بللمسة سحرية .

البذرة وضعت في صدور الناس مع الهزيمة . . . وترددت في اقوالهم . . . وأصبحت قضية النظام .

وإذا كان عبد الناصر لم يحدث في المجتمع التعبيرات المنشودة ٠٠ فانه بدأ في مواجهة الموقف بعد الهزيمة المشييه بصلايه واضحه ، واصرار على تحقيق نمة الجماهير به ٠  
وكانت خطوة البداية في رفض الهزيمة ٠٠٠ هي اعادة بناء القوات المسلحة ٠

## اعادة بناء القوات المسلحة :

كان القادة السوفييت بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين قد أرسلوا خطابا الى جمال عبد الناصر يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ أعلن عنه أمام المبعوثين في حديثه معهم يوم ١٦ يونيو ١٩٧٠ عندما قال انهم ( طلبوا فيه ان نصمد ولا نسنسلم وانهم مسعدون لتعويضنا — مجانا — عن جميع الاسلحة النى فقدناها في حرب يونيو ) ٠

كان هذا الخطاب هو بداية مساندة السوفييت بعد الهزيمة لجمال عبد الناصر ونظامه التقدمى ٠٠٠ وكان وعدهم بالتعويض المجانى عن جميع الاسلحة النى فقدتها القوات المسلحة رغم ضخامتها هو نقطة الانطلاق لاعادة بناء القوات المسلحة بعد أن تمزقت وتشتت تشكيلاتها ٠

قال لى الفريق أول محمد أحمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية في ذلك الوقت ان الاسلحة السوفييتية بدأت تتدفق بعد أيام من الهزيمة ٠

وسمعت أنور السادات يتحدث في مجلس الامة مع طلبة كلية الهندسة أثناء مرة اعتصامهم في فبراير ١٩٦٨ فيقول ان الاتحاد السوفييتى قد أقام جسرا جويا سريعا لتعويض القوات المسلحة المصرية فور الهزيمة بحيث كانت تهبط طائرة سوفيتية كل دقيقتين ٠

ويقول أمين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة في كتابه ( أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ ) :

( كانت مئات الطائرات قد بدأت في الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفييتى ٠٠٠ أحيانا تأتي في قوافل جوية في سباق مع الزمن في الأيام الاولى بعد النكسة ، وأحيانا أخرى في قوافل بحرية بعد ذلك ٠٠٠ وبجهد محمود بدى في مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة في عدد الطائرات ٠٠٠ فالبعض يدرّبون في الاتحاد السوفييتى ، والبعض الآخر يدرّبون هنا في القاهرة ) ٠

ووصل بودجورنى رئيس اتحاد الجمهوريات السوفييتية الى القاهرة يوم ٢١ يونيو بعد عشرة أيام فقط من رضوخ جمال عبد الناصر لارادة الشعب والعدول عن التحدى ٠٠ حضر بودجورنى ومعه زاخاروف رئيس أركان حرب الجيوش السوفييتية ، وعاد بودجورنى بعد انتهاء زيارته وبقي زخاروف في مصر لمدة تزيد عن الشهر لتقديم كل عون ممكن في المراحل الشاقة لاعادة تكوين وتنظيم القوات المسلحة ٠

وكانت هذه الفترة فعلا من أقسى الفترات على نفسية الزعيم الذى أخطأت حساباته ، وخسر قواته المسلحة .

يقول أنطونى ناتنج فى كتابه ( ناصر ) ان جمال عبد الناصر قد اعترف له بأن الاسابيع التى بليت النكسة كانت بهل له كابوسا مسنمرا . فقد كانت الخسائر الشديدة فى الأسلحة والمعدات والرجال تجعل القاهرة مدينة مفتوحة وأنه لو قرر الاسرائيليون الهجوم عليها فانه لم تكن هناك قوات مسلحة قادرة على صدهم .

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى انه وجد جمال عبد الناصر على غير عادته شاردا مهموما لا يكاد يبين طريق المستقبل ، وأنه حاول جاهدا خلال جلسنه معه ان ينغمره بثقة الجماهير به ، وأن يؤكد له ان خسارة المعركة الحربية رغم جسامتها لا تعنى النهاية للنضال ولا خاتمة النظام .

وقال لى محسن ابراهيم المسئول فى حركة القوميين العرب ان عبد الناصر فى هذه الفترة كان يبدو أكثر مرونة واستجابة للمناقشة . . . وأنه كان حريصا على تلمس الطريق للخروج من الأزمة .

وكان الاننان قد قابلا جمال عبد الناصر ضمن مقابلاته لعدد من القادة والمناضلين العرب .

وفى الفترة التى بدأ فيها اعاده تكوين القوات المسلحة فكر جمال عبد الناصر فى احياء المقاومة الشعبية التى كانت مسئوليتها قد أوكلت الى زكريا محيى الدين، يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ الذى سبق له ان باشر هذه المهمة اثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ولكنه فى هذه المرة لم يكدر درس اسلوب تكوين المقاومة الشعبية وبدأ فى تحديد الخطوط العريضة لتنظيمها حتى كانت المعركة قد بدأت وانتهت .

اختار جمال عبد الناصر زميله السابق فى مجلس قيادة الثورة كمال الدين حسين الذى اسبق عام ١٩٦٤ لتكون قائدا للمقاومة الشعبية . . وكانت له بها حيرة سابقة اثناء توليه مسئوليتها اثناء العدوان الثلاثى ١٩٥٦ فى مدينة الاسماعيلية .

ويقول كمال الدين حسين ان جمال عبد الناصر قد استدعاه وقال له ان الاسرائيليين يمكن ان يدخلوا القاهرة خلال اسبوع وطلب منه تولى مسئولية المقاومة . . فاستمهل للتفكير . . ولكنه طلب منه الجواب فى نفس اليوم .

وبعد تشاور كمال الدين حسين مع زملائه المستقلين جمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم اتفق الجميع على ان يذهب اليه كمال حسين فى الموعد المحدد . وأن يدخل معه فى منافسة عن اعطاء الحريات للشعب مع الأمن والاستقرار دون أن يبلغه بالموافقة أو الرفض .

وذهب كمال حسين لمناظرة جمال عبد الناصر حيث ناقش معه تقريرا سبق أن كتبه كمال بعد الهزيمة من ١٥ صفحة ويقول فيه ان مفتاح الموقف فى يد أمريكا وليس فى يد الاتحاد السوفيتى وأنه يجب أن نحسن موقفنا

معها وذلك بالنسبة للسياسة الخارجية ٠٠٠ وبالنسبة للسياسة العربية فيجب أن ننسى الماضي ونمد أيدينا لدول البترول دول الخليج والسعودية وايران ٠٠٠ نلم شمل العرب كلهم حتى يستخدموا سلاح البترول في الضغط على امريكا ، كما قلت له ان مصر فى حاجة الى ابنائها المقاتلين فى اليمن ، وانه يجب ان انسحب من اليمن .

ويقول كمال الدين حسين انه واصل مناقشته مع عبد الناصر حول الامن والحرية والديمقراطية من وجهة نظره ، وانتهى الامر الى عدم الاتفاق .

وصدر فى نفس اليوم قرار بتعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية .

كان التجاء جمال عبد الناصر الى كمال الدين حسين فى هذه المرحلة دليلا على أنه كان يعبر فترة ضعف نفسى يدفعه للاستعانة فى مركز حساس من مراكز العمل الجماهيرى الى زميل سابق له ظهرت اتجاهاته المعادية للاشتراكية التى انتهجتها الثورة ، وظهرت معارضته للواجبات والالتزامات الثورية التى تفرضها القومية العربية على ثورة يوليو .

كان ضيق الحلقة التى اعتمد عليها عبد الناصر فى فترة حكمه هى السبب الذى يحد من حريته فى الاختيار ٠٠٠ وربما تصور فى هذه الفترة المضطربة أن عودة كمال الدين حسين الى الاضواء وهو المعروف بصلاته السابقة مع جماعة الاخوان المسلمين ، والمشهور باتجاهاته الدينية المحافظة امر قد يرضى الطبقات والفئات المتربصة بالثورة والتى بدأت تنشيط فى توجيه سهامها المسمومة منتهزة فرصة الهزيمة وما تكشف عنها من أخطاء وانحرافات .

لعبة التوازن مازالت مستمرة تفرض نفسها .

ورؤية كمال الدين حسين للموقف حسب ما ورد على لسانه فى التقرير الذى رفعه بعد الهزيمة والذى أشرت اليه كما ورد فى كتاب ( الصامتون يتكلمون ) تدل على رفض مطلق لكل الاتجاهات التقدمية ، ورغبة شديدة للتعاون مع الامبريالية الامريكية التى تحتضن الصهيونية التوسعية ، والتى تخضع لها الدول البترولية التى ينادى أيضا بتحسين العلاقات معها .

أما تعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية أيضا الى جانب عمله أمينا مساعدا للاتحاد الاشتراكي فهو اثبات بأن فرصة الاختيار كانت ضيقة جدا ٠٠٠ وانه لم تكن هناك نية جادة حقيقية لخلق مقاومة شعبية تنبع من ارادة الجماهير وتعبير عن اصرارها على التحرير .

ولكن ما حدث فى المقاومة الشعبية يختلف عما حدث فى القسوت المسلحة ، فقد كان العمل يسير بجدية شديدة فى اعادة التسليح والتدريب والتنظيم .

افضلت قتاده الذمى الجوى عن قتاده القوات الجوية .

وبقول أمين هويدى فى كتابه :

( تم تعويض كافة خسائرنا الى حدثت فى يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد  
انسوفييتى من امدادات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال  
النقص فى بعض انواع المدافع عن طريق الشراء من اسواق السلاح  
العالمية ، واخذت اسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل  
من الاتحاد السوفييتى ، فعلاوة على الصواريخ سام ٢ ، سام ٣ التى كانت  
مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ ، سام ٧ مما كان سببا  
فى تدعيم القدرة القتالية لدفاعنا الجوى ، هذا علاوة على الوحدات  
الالكترونية التى تعمل فى المجالين الدفاعى والهجومى ) .

ويؤكد جمال عبد الناصر ذلك للمبعوثين فى حديثه معهم يوم  
١٦ مايو ١٩٧٠ فيقول .

( فيه حاجات ما كناش نعرفها ادو هالنا ، والحقيقة بدون معونة الاتحاد  
السوفييتى كنا حنكون كلبة تحت رحمة اسرائيل ، لان طبعنا كان من السهل  
عليهم ان يعبروا الى الضفة الغربية من القناة ويتقدموا للقاهرة اما الآن  
فبذا امر مستحيل عليهم .

وقال جمال عبد الناصر ايضا انهم قد عملوا لنا نوعين من طائرات  
المبح معدلين حسب طلبنا ٠٠٠ النوع الاول عام ١٩٦٨ والثانى ثم  
عام ١٩٦٩

باشتر جمال عبد الناصر عملية اعادة بناء القوات المسلحة بنفسه ،  
وعاد الى تركيز اهتمامه عليها كما كان يفعل فى سنوات الثورة الاولى  
٠٠٠ واعتمد اساسا فى عمله على الفريق اول محمد فوزى والفريق  
عبد المنعم رياض الذى عين رئيسا لاركان الحرب وفريق من الضباط  
خريجي الاكاديمية العسكرية السوفييتية فى فرونز .

خلق فوزى فى الجيش روحا من الجدية والانضباط والاهتمام  
بالتدريب وصدق التعاون والاستفادة من الخبراء السوفييت ، بعد ان كان  
محظورا عليهم فى عهد ما قبل الهزيمة ان يعبروا القناة الى سيناء . فلم  
يكن هناك خبير سوفييتى واحد فى سيناء اثناء القتال والانسحاب .

## موقف السوفييت :

اذا كان المثل العربى يقول ( الصديق يعرف وقت الشدة ) فقد عرف  
العرب السوفييت وقت الشدة فوجودهم اصدقاء يقفون الى جانبهم  
بلا شبهة تردد .

يقول الفريق صلاح الدين الحيدى فى كتابه ( شاهد على  
حرب ١٩٦٧ ) :

( ان الاتحاد السوفييتى فام بلاشك بتقديم اكبر عون لنا منذ بدء  
علاقائنا به وسعمل هذا العون كافة النواحي السياسية والاقتصادية  
والعسكرية ولا استطيع ان اتخيل كم يكون موقفنا صعبا لو لم تكن هذه  
العلاقة موجودة وثيقة ولاسيما بعد تدمير معظم اسلحتنا وقواتنا الجوية

فى يونيو ١٩٦٧ )  
ولكن التعاون مع السوفييت لم يقتصر على تقديم السلاح فقط . . .  
ولكنه امتد الى تقديم الخبراء والمستشارين بأعداد وفيرة بناء على طلب  
جمال عبد الناصر والحاحه بعد الهزيمة .  
كان جمال عبد الناصر قد وجد ان خروجه من كارثة الهزيمة لن يكون  
الا مزيد من الارتباط والتعاون مع الاتحاد السوفىي .

طلب من بودجورنى وزخاروف اثنى عشر زيارتهما لمصر الخبراء  
والمستشارين الى جانب السلاح ، ويقول ناتنج انه طلب وجودهم فى كل  
لواء أو كتيبة لو امكن ذلك .  
قال لى حنين هيكى انه عندما طلب جمال عبد الناصر من السوفييت  
بولى مسئولية الدفاع الجوى أبلغه بودجورنى ان ذلك لا يتم الا ضمن اجراءات  
دبلوماسية ومعاهدة .

واقترح جمال عبد الناصر على بودجورنى عقد انعاهيه دفاع مشترك  
بين مصر والاتحاد السوفييتى اذا كان الامر كذلك ، كما صرح بذلك للشهيد  
الفاضل عبد الخالق محجوب ، ولكن رد الاتحاد السوفييتى كان سلبيا  
بالنسبة لعقد هذه الاتفاقية نظرا لحساباتهم الخاصة فيما يتعلق بقضية  
الرفاق العالمى والتعايش السلمى التى كانوا يناضلون من أجل تحقيقها مع  
الولايات المتحدة ضمنا لاستقرار السلام العالمى من جهة . . . ولطبيعة  
العلاقات بين الدول الاشتراكية ودول منطقة التحرر الوطنى الى لم تكن تسمح  
حتى هذا الوقت بقيام هذا النوع من الانفاقيات .

ولكن رفض عقد الاتفاقية لم يثبط همة عبد الناصر فى طلب المزيد  
من الاسلحة السوفسية المتقدمة ومعها الخبراء والمستشارون .  
ويقول ناتنج ان السوفييت قد رسموا حدود مساعداتهم فيما يقدمون  
من اسلحة أو مساعدات تموينية أو اتفاقيات اقتصادية . . . لان كوسيجين  
قد صدم اثناء زيارته لجونسون بالشعور العميق المؤيد لاسرائيل فى امريكا  
عامة . وفى جهاز حكم جونسون خاصة . الامر الذى بعث الحذر والخوف فى  
نفسه من احتمال تعرض الاتحاد السوفييتى لمواجهة مع الولايات المتحدة اذا  
ما وافق الاتحاد السوفييتى على الارتباطات والاتفاقيات التى تطالب بها  
مصر . . . ومع ذلك يقول ناتنج ان حذر كوسيجين لم يحل دون امداد مصر  
بما طلبته من اسلحة وخبراء ومستشارين . . . جعلت دفاعات مصر تستكمل  
بعد خمسة أشهر من الهزيمة . .

وقد كلف جمال عبد الناصر الزعيم الجزائرى هوارى بومدين بالسفر  
الى الاتحاد السوفييتى ، وكان قد أقام فى مصر بعد الهزيمة مدة تزيد عن  
اسبوعين .

سافر هوارى بومدين الى موسكو يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ مع الرئيس  
العراقى عبد الرحمن عارف ، ويقول محمد حنين هيكى فى كتابه ( الطريق  
الى رمضان ) انها عندما تقابلا تريجينيف قال لهما :  
أؤكد لكما اننى امضيت هنا فى موسكو عدة ليال بلا نوم عندما كانت



نرد البنا اخبار عن احتمال عبور اسرائيل للقناة . وكان واضحا ان هذا ليس أمرا سهلا عليهم لمساعدتنا للمرب وللراى العام العالمى . ولكن كان منصورا احتمال قيامهم بهجوم حاطف نحو القاهرة . وهر أمر يجلب العالم الى حافة الهاوية .

وبقول هكل ايضا ان بربجنيف قد قدم للرئيس بنانا ما أرسله الاتحاد السوفيتى الى مصر خلال اسبوعين وهو ما حملته ١٥ سفينة تبلغ حمولتها ٨٤ الف طن من المعدات الحربية الى جانب ١٥٠٠ خبير .

وقد بقى الماريشال زخاروف فى مصر بعد حضوره مع بودجورنى وكان يخفى وجوده فى مصر بلبسه ملابس مدنية ، كما ان الرقابة كانت تمنع نشر الصور التى يظهر فيها . . وكان زخاروف صريحا فى قوله ان الجيش المصرى ليس محتاجا الى السلاح بقدر ما هو محتاج الى التدريب .

قال لى الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد استبقى زخاروف فى مصر حتى بدايه شهر نوفمبر . . لم يسامر الى موسكو الا اياما قليلة لزياره اسره والنشاور مع الزعماء السوفيت . . وعندما انهى مهمته التى كلف بها ذهب الى جمال عبد الناصر ومعه ثلاثة جنرالات من الخبراء والمستشارين السوفيت وقال له ان مصر تستطيع الان ان تدافع عن نفسها ضد أى هجوم اسرائيلى مفاجئ .

ولم يفتصر موقف الاتحاد السوفيتى على امدادنا بالسلاح ، ولكنه اتخذ مع كافة الدول الاستراكية عدا رومانيا موقفا مبدئيا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل وتضامنت يوغوسلافيا ايضا فى اتخاذ هذا القرار .

وكان عدد كبير من القادة المسئولين فى هذه الدول الاشتراكية قد وافدوا على مصر لتقديم المعونات والمساعدات الاقتصادية الى يخف من أثر صدمه الهزيمة .

ومع ذلك عقد حاولت بعض العناصر الرجعية تخريب العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى فى هذه المرحلة الحرجة ، حتى تحرم مصر من أصدقائها الاوفياء . ويسقط غريسة فى يد الصهيونية البوسنية وراعسها الامبريالية الامريكية .

اطلق البعض شائعات بان سبب الهزيمة هو تخرى الاتحاد السوفيتى عن مساعدة مصر ، وذلك قفرا فوق كل الحقائق ، ومحاولة لايجاد مشجب تعلق عليه الكارثة . فى محاولة استعمارية صهيونية لتجريد النظام من كل مقومات الدفاع عنه .

ونشرت جريدة الاخبار مقالين يحملان هذه الشبهة ، واذاغت لندن مضمون هذين المقالين فى مقدمة نشرة اخبارها بالعربية . . وكان منظرا متيرا للدهشة ان ترسل وزارة الداخلية بعض جنودها لحراسة السفارة السوفيتية فى الدقى فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات السوفيتية تشكل

جسرا جويًا يحمل الأسلحة والدخيرة والمساعدات الطبية والتموينية .  
ولكن سرعان ما مضت هذه المحاولة الاستعمارية اسرع مما تُمضى سحابة  
الصيف . . . زبدات تتكشف الحقائق . وفُضحت خطة العناصر المعادية  
للتورة من هلول الاقطاع والبرحوازية الكبيرة .

وليس هناك رد على هذه المحاولات اُتلع من ذلك الذي قاله جمال  
عبد الناصر تعقيبًا على ارتفاع ميزانية القوات المسلحة من ١٧٠ مليون جنيه  
الى ٥٥٠ مليون جنيه

( ده ضبعًا حارح منه موضوع السلاح . احنا ما بندفعش السلاح  
الى احنا بناحد . ولكن جميع الأسلحة التي ننسستوردها من الاتحاد  
السوفيتي بناء على اتفاقات والذفع فيها مؤجل حتى بالنسبة للذفع التي  
كان مقرر علينا للاتحاد السوفيتي طلبنا مهم ناجله ) . .

قال لى امين هويدى وزير الحربية السابق ان مصر طوال عهد جمال  
عبد الناصر لم تدفع ثمنًا للسلاح الذي حصلت عليه من الاتحاد السوفيتي ،  
فحسانر عدوان ١٩٥٦ استعوضت بلا ثمن . واقساط السلاح بعد ذلك كانت  
يُوحل ويوجه للناحية الاقتصادية . وخسانرنا الهائلة عام ١٩٦٧ لم بنفاس  
الاتحاد السوفيتي شيئًا من ثمنها . وبدا في امدادنا بالسلاح دون دفع  
تقديرًا منه ظروفنا الاقتصادية بعد النكسة .

هكذا كان موقف السوفيت معنا . .

قن المعركة . . نصبح بعدم التورط . .

وبعد البريمة . . امداد بالسلاح والمعونات بلا تردد . . وقطع  
للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع اسرائيل . . تم تأييد مطلق بلا حدود  
للتحق العربى فى المجالات الدولية .

ومع ذلك فلا يمكن القول بان هناك تطابقًا وتناهيًا كاملاً فى الموقف  
العربى والسوفيتي بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . . فلا شك ان للاتحاد  
السوفيتي باعذاره احدى الدولتين العظيمين حسابات خاصة تتعلق بالسلام  
العالمى واترد على الحضارة والبشرية وضرورة تفادى المجابهة فى حرب مع  
الولايات المتحدة . . كما ان موقفه الاستراتيجى الواضح منذ البداية لم  
يكن يسهدهف تدمير اسرائيل او ازالتها من الوجود . وانما كان يقف مع  
حق العرب فى تحرير ارضهم ومساعدة شعب فلسطين وتأمين كافة دول  
اسطقة .

كما ان زعماء المنطقة لهم رؤية خاصة للمشكلة تدفعهم الى ضرورة  
حلها فى سرعة تد يكون فيها نوع من الاندفاع غير المحسوب . والذي قد  
يكرر كارثة الهزيمة .

هذا الى جانب اختلاف النظم الاجتماعية . . فالنظام فى مصر لم يكن  
شيوعيا . بل ان بعض جوانبه تحرم الشيوعية وتنظيمات الشيوعيين . .

والشيوعيون انفسهم كانوا فى المعتنلات لم يكتمل خروجهم منها  
الا قبل العدوان بثلاث سنوات فقط . هى المدة الوحيدة التي خلت فيها  
السجون والمعتنلات من المعتنقين المبادئ الشيوعية منذ قامت حركة

الجيش في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولذا فإن نوعية العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة كانت تختلف عن نوعية العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتي .

اسرائيل والولايات المتحدة يطبقان النضام الرأسمالي . وحكومة اسرائيل تعتمد في وجود الدولة وضماني مستقبلها على العلاقة الوثيقة التي تربط بينها وبين الدول الامبريالية والتي تدرجت من بريطانيا ، فرنسا حتى استقرت في احضان الولايات المتحدة التي سلك اكبر برسانة حربية . والتي يتوفر فيها نفوذ سياسي صهيوني قادر على التأثير في اجهزة الحكم المختلفة هناك .

اما العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتي فانها تختلف من حيث طبيعتها . فالنظام المصري يشق طريقه في محاولة للخروج من قيود الاستعمار الجديد الى طريق غير رأسمالي يمكن ان يصل به مع الوقت الى نظام اشتراكي . والعلاقة التي تربطه مع الاتحاد السوفيتي هي علاقة التعاون المدنية التي تربط بين شعوب الدول الاشتراكية وشعوب دول منطقة التحرر الوطني في نضالها من اجل التحرر والاستقلال الوطني . فليس بين النظامين شباه كامل في النظمه الاجتماعية . ولا تربطهما علاقة عضوية مثل العلاقة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة .

كان موقف السوفيت هو السند الاول لجمال عبد الناصر في التثبيت برفض الهزيمة تعبيراً عن ارادة الشعب .

## ازمة المشير . .

كان العمل يمضى جادا وسريعا في اعادة بناء القوات المسلحة . . تغيرت معظم القيادات العليا التي كانت السبب المباشر في الهزيمة . . واطهر السوفييت نعاوننا مدهلا في سرعه الامداد بالاسلحة والمعدات مع تقديم الخبرة والمشورة .

واعطى جمال عبد الناصر لهذه العملية اسبقية اولى ، وجعل لها افضلية على كل شيء . . ولكن بعض المناعب كانت تفرخ داخل صفوف القوات المسلحة .

ابتعد عامر عن مركز القائد العام بعد ١٤ عاما الا ٩ ايام بالتحديد . . رقى من رتبة صاغ الى لواء وعين قائدا عاما للقوات المسلحة مع اعلان النظام الجمهورى في مصر يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وخرج من مكتبه ليقدم استقالته يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ .

ولم يكن خروج المشير عامر من منصبه امرا سهلا ، فقد احاط نفسه خلال مدة قيادته بمجموعة من ضباط الرتب العليا الذين ارتبطوا به شخصيا واستفادوا من علاقتهم به . . هذا الى جانب اتجاهاته المعروفة يفتدق على كل من يلجا اليه ، ويساعد كل من يقدر على مساعدته من اموال الدولة ، حتى اصبح شخصية محبوبة بين الضباط .

ولذا كان ابتعاده عن منصبه يشكل صدمة عاطفية لعدد كبير من الضباط الذين لم يحسنوا في لحظتها تقدير الاخطاء التي وقع فيها ، او عمق المأساة التي دفع الوطن اليها . . اما لانهم كانوا مشاركين فيما حدث . . واما لان رؤيتهم للامور لم تكن ثاقبة .

وكان خروج شمس بدران من القوات المسلحة في نفس اليوم مع المشير عامر بضيف مشكلة اخرى ، فقد كانت له سلطه الخاصه في الجيش التابعة من مسئوليته عن الامن ، وتعيينه لمعظم ابناء ديفته في مراكز قيادية حساسة .

عندما سمع ضباط الرتب العليا خبر تنحي جمال عبد الناصر والمشير عامر طالبوا بعودة الاثنين . . وعندما سسمعوا خبر عودة ناصر طالبوا بعودة المشير .

كان عبد الحكيم عامر قد خرج من القيادة العامة متوجها الى منزله في ثكنات الحلمية الجديدة ، وسمع خطاب تنحي عبد الناصر في سيارته . . وتجمهر الضباط في الطابق الاول بينما صعد المشير الى غرفة نومه يحيط به بعض اقاربه واصدقائه المقربين مثل صلاح نصر وشمس بدران .

وكان منزل عبد الناصر ايضا قد امتلأت حديقته وطابقه الاول بعدد كبير من المسؤولين والضباط ومنهم زكريا محيي الدين وانور السادات وحسين الشافعي وعلى صبرى وغيرهم .

وقال زكريا محيي الدين لجمال عبد الناصر :

— انت من حقك ان تتنحي ، ولكن ليس من حقك ان تعين رئيسا للجمهورية بدلا عنك . . وانا لن اقبل هذا التعيين .

وصعد جمال عبد الناصر ايضا الى الطابق الثاني حيث اتصل به عبد الرحمن عارف وهواري بومدين اللذان فوجئا بخبر التنحي .

وفي اليوم التالي ١٠ يونيو كان جمال عبد الناصر قد عاد رئيسا للجمهورية وغادر المشير عامر منزله الرسمي في ثكنات الحلمية . . ولم يذهب الى منزله الاخر المطل على النيل في شارع الطحاوية بالجيزة ، فقد كان كبار الضباط قد تدفقوا عليه يطلبون عودة عامر مع عبد الناصر .

ذهب المشير عامر الى منزل في شارع احمد حشمت كان معدا لزوج ابنة احد ضباط مخابرات القوات الجوية ، وذلك حتى يبتعد عن تجمعات الضباط واحراجهم له . .

ساد الهرج والمرج من الضباط في منزل عبد الحكيم عامر في الجيزة وكانهم في شبه مظاهرة ، ولم ينصرفوا الا بعد ان خرج لهم الفريق صدقي محمود الذي كلفه المشير وقال لهم ان المشير سيتوجه في اليوم التالي الى مكتبه في القيادة العامة للقوات المسلحة .

وفي صباح اليوم التالي ١١ يونيو توجه عدد من كبار الضباط الى مبنى القيادة العامة مطالبين ايضا بعودة المشير طالما عاد الرئيس .

وزاد الموقف حرجا عندما خرجت سرية حراسة المشير في ثكنات الحلمية في عرباتها بقيادة الرائد احمد ابو نار ، وتحركت الى مبنى القيادة

العامه للقوات المسلحة هاتفه ( ناصر ٥٥ عامر ) .  
وعندما بلغ الامر جمال عبد الناصر غضب لذلك كثيرا ، وكلف صلاح  
نصر مدير المخابرات بالتحقيق فى هذا الموضوع ٥٥ وكلفه ايضا بان يركز  
اهتماماته على الامن الداخلى الى جانب المباحث العامة .

ومع ذلك فقد حرص جمال عبد الناصر على ابلاغ عبد الحكيم عامر  
حيث كان يقيم فى شقة شارع احمد حشمت بالزمالك تبا تعيين محمد فوزى  
قائدا عاما ٥٥ وبدا المشير مرتاحا لهذا التعيين لانه رفع عن كاهله مسئولية  
كان يريد التخلص منها ، ولو انه علق على ذلك - حسب رواية صلاح نصر -  
بقوله : ( اختيار غير موفق ) .

قرر المشير ان يبتعد عن القاهرة بعد تعيين الفريق محمد فوزى قائدا  
عاما للقوات المسلحة ، فسافر مع شمس بدران الى قريته ( اسطال )  
بمحافظة المنيا ، فى مساء ١١ يونيو ، وعندما علم جمال عبد الناصر بذلك  
طلب منه العودة حتى لا تحدث بلبلة فى صفوف الجيش ، واستجاب عامر  
لذلك وعاد الى القاهرة .

وكانت هناك لجنة قد تشكلت لاعادة النظر فى موقف كبار الضباط  
برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية زكريا محيى الدين ومحمد فوزى القائد  
العام ومذكور أبو العز قائد القوات الجوية واللواء أبو ذكرى قائد القوات  
البحرية وصلاح نصر مدير المخابرات العامة ، وكاتم اسرار حربية .

واستقر رأى هذه اللجنة على اخراج عدد من القادة وما ان علم المشير  
عامر بذلك حتى اعتبر القرارات نوعا من التصفية ، وقرر العودة مرة أخرى  
الى قريته ( اسطال ) .

وبعد أيام عاد شمس بدران الى القاهرة ، واتصل بجمال عبد الناصر  
مدعيا ان المباحث العامة تراقبه وقال له غاضبا كما قال صلاح نصر ( انا  
لست خائنا حتى اعامل هذه المعاملة غير الكريمة ٥٥ اننى لو اردت ان اعمل  
انقلابا لمعلته وانا فى بيتى ) .

غضب جمال عبد الناصر من هذه المحادثة التى تحمل روح التحدى فى  
وقت لم تكن فيه تنظيمات الجيش قد استقرت على اسس جديدة سليمة ،  
وكلف صلاح نصر بتهديد شمس بدران تقاديا لما يمكن ان يسفر عنه الموقف  
فى هذا الوقت الحرج .

وعاد المشير ايضا الى القاهرة ، وتلمس جمال عبد الناصر خطرا فى  
هذا التجمع ، وخاصة ان مجموعه من الضباط العاملين او الذين احيلاوا  
للتقاعد بدأوا يترددون على منزل المشير .

وكلف جمال عبد الناصر صلاح نصر بأن يعرض على المشير عامر اما ان  
يكون نائبا أول لرئيس الجمهورية ، واما ان يغادر القاهرة الى قريته ويقيم  
بها فى هذه الظروف .

رفض عامر العرض قائلا انه لا يود ان يكون تشريفاتى برئاسة  
الجمهورية ٥٥ وانه لا يقبل ان يكون فى هذا المنصب بينما تتم تصفية الضباط  
الذين عملوا معه ، ووثق بهم ووثقوا به ٥٥ وفضل العودة الى قريته .

كانت الاحوال قد توترت بين صديقي العمر ورفيقي الكفاح .. ومع ذلك ظل جمال عبد الناصر حريصا على هذه العلاقة بعرضه منصب نائب رئيس الجمهورية على القائد الذي حسر المعركة بطريقة مهينة .. وكان هذا دليلا على عدم الاطمئنان النسبي الى الموقف في القوات المسلحة .  
كان مفروضا ان يحاسب عبد الحكيم عامر على الموقف العسكري عام ١٩٥٦ ولكنه لم يحاسب .. ولم يوافق على خروج بعض معاونيه مثل العريق صديقي محمود الذي دمرت قواته الحوية على الارض .  
وكان مفروضا ان يحاسب على موقفه في سوريا الذي ادى الى مأساة الاعمال التي فادها بعض اعضاء مكتبه اساء وجوده في دمشق .. ولكنه لم يحاسب .

وكان مفروضا ان تقبل استقالته اثناء ازمة مجلس الرئاسة عام ١٩٦٢ عندما قدم عبد الناصر مشروعا بتحديد اختصاصاته .. ولكن الاستقالة لم تقبل وظل المشير محتفظا بكل صلاحياته بل وراثة مسؤولياته مع الوقت .

وليس هناك من سبب يعتبر تبريرا لهذا الموقف من جانب جمال عبد الناصر الا حرصه على علاقة الصداقة الوثيقة مع عامر .. وثقته في ان وجوده في قيادة القوات المسلحة يضمن عدم حدوث تحركات مضادة داخل الجيش لحب الضباط للمشير ، ولاعتقاده بان المشير لا يمكن ان يفكر في الانقاص عليه .

ولكن اذعمال حدوث حركة مضادة من جانب ضباط الرتب العليا المرتبطين بالمشير لم يجب ابدا عن ذهن جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد توتر الموقف بينه وبين عامر وبدران .

ولذا عرض على المشير منصب نائب اول رئيس الجمهورية ، وكرر العرض بواسطة صلاح نصر الذي سامر الى المنيا في طائرته حربية خاصة ، وقابل عامر في قريته اسطال .. ولكن المشير رفض في المرتين .. ورفض عرضا اخر بالسفر الى يوغوسلافيا .

وبدأت العلاقة بين الصديقين تدخل مرحلة الازمة الشديدة عندما عاد عبد الحكيم عامر الى منزله في الجيزة ، وتكالب عليه الضباط الذين احيوا الى التقاعد ، واقام بعضهم عنده اقامة شبه دائمة .

وتصادف ان كانت هناك عربة للمخابرات تراقب حاسوسا اجنيا يسكن قريبا من منزل المشير ، ولحقها بعض الضباط المقيمين عنده فاعتلوا طاقمها وادخلوه الى المنزل ، واتصل عامر بصلاح نصر غاضبا ومتسائلا ، وقد قال لي صلاح نصر ان هذه كانت حساسية مفرطة من عامر في هذه الظروف ، وانه توجه اليه فوراً مع رئيس هيئة الامن القومي لتوضيح الحقيقة له ، وقال ايضا انه لو طلب منه مراقبة المشير في ذلك الوقت لقدم استقالته .

ولم يركن عبد الحكيم عامر في منزله الى الهدوء ، ولكنه بدأ نشاطا متريا ، اد طبع استقالته الى كبتها عام ١٩٦٢ وطالب فيها بتكوين حزبين وحرية ليبرالية وبدأ توزيعها على نطاق واسع فأرسلها الى اعضاء مجلس

الامة ورؤساء المؤسسات والصحف .

كما اتصل عامر بالسفير السوفيتى والقى تبعة الهزيمة على الاتحاد السوفيتى ، وكان ينوى طبع خطاب له يوزعه فى الخارج ، ولكن بعض اصدقائه نصحوه بالعدول عن ذلك فى اللحظة الاخيرة ، لما يمكن ان يثيره هذا الخطاب من مناعب فى وقت يعيد فيه السوفيت بناء القوات المسلحة . كان الضباط المحيطون بعامر يشعلون صدره بالغضب ، ويثيرون الفتنة بينه وبين عبد الناصر ويجسمون له الصفائر . ويبدو ان عبد الحكيم كان قد تأثر بهم الى حد بعيد . فلم تنجح محاولات التوفيق التى قام بها جمال سالم ومحمد حسنين هيكل وصلاح نصر وغيرهم .

وحدث ان اصدر قائد المخابرات الحربية اللواء محمد احمد صادق قرارا باعتقال الصاغ جلال هريدى قائد قوات الصاعقة ، الذى كان يقيم منذ النكسة فى منزل المشير بصفة دائمة . ونصبوا له كميناً بالقرب من منزل المشير ، وعندما حاولوا اعتقاله خارج المنزل صرخ مستنجدا بزملائه فى الداخل فهرعوا اليه ومعهم المشير يحملون اسلحة وقنابل يدوية . ولكن عربة المخابرات اسرعت بالفرار تلاحقها طلقات الرصاص . اصبح الموقف غريباً وشاذاً . منزل المشير يتحول الى حصن مستقل داخل القاهرة ، لا يجرؤ احد على اقتحامه ولا تطبق عليه قوانين الدولة .

وعندما صدرت الاوامر بسحب الحرس الخاص للمشير ، اسرع باحضار حرس مدنى خاص من قريته . ولكن الامور سويت وعاد اليه حرسه الرسمى .

كانت محاولات التخريب بين الرجلين مستمرة ، ولم يكن احد منهما يفكر فى لقاء الاخر لتسوية الخلاف .

وظل الحال كذلك الى ان اصيب صلاح نصر يوم ٣ يوليو بذخبة صدرية الزمته الفراش بمكتبه لمدة ستة اسابيع ، كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يسألان عليه خلالها . وفى احدى هذه المرات ذهب عامر وعباس رضوان الى منزل عبد الناصر حيث تناولا معه طعام العشاء ، وبدا كما لو ان الامور قد تحسنت .

ولكن عملية اعادة بناء القوات المسلحة كانت تتم وسط موجة نقد شعبية للضباط الذين القيت عليهم تبعة الهزيمة ، والذين احاطت بهم النكات وكلمات النقد . وقد ترك ذلك أثراً فى نفس المشير عامر الذى اعتبر نفسه راعياً للقوات المسلحة . كما انه كان من الضرورى مساءلة الذين تسببوا فى الهزيمة .

وكانت البداية قرارا باعتقال ومحاكمة كبار ضباط القوات الجوية . الفريق صدقى محمود والفريق جمال عفيفى واللواء اسماعيل لبيب بتهمة الالهال الجسيم .

واعبر عامر هذا القرار طمئنه له ومقدمه لصفية بقة اعوانه . وبأزمته الامور الى الحد الاقصى . ولم يعد امام جمال عبد الناصر من خيار . الا الخضوع لهذا ( الجيب العسكرى ) السابق الذى يحاول

فرض ارادته من خارج السلطة .. او مواجهة صديق ع  
واتخاذ موقف بعيد عن العاطفة .  
وخلال ذلك كانت قد وصلت الى اللواء محمد احمد ح  
المخابرات الحربية معلومات عن نشاط تامرى نقوم به المجموع  
بالمشير .. ورفع صادق المعلومات - كما قال لى - الى عبد  
فى حرج شديد .

ولم يعد هناك من سبيل الا اتخاذ موقف وصدور قرار  
واسمى استدعى جمال عبد الناصر عبد الحكيم عامر  
٢٥ اغسطس لمواجهة زملائه المتبقين فى السلطة من أعضاء  
الثورة .. زكريا محبى الدين وأنور السادات وحسين الشاف  
جلسة امتدت عدة ساعات تصارح الاثنان فيها بكل ما فى الذ  
وكانت كما ارادها جمال عبد الناصر ( محاكمة سياسية ) .  
ولكن عبد الناصر كان قد اتخذ قراره قبل الجلسة بتحد  
فى منزله بالجيزة واعتقال الضباط المقيمين هناك .. ولم ي  
شبهة شك فى السبب الذى من أجله استدعاه عبد الناصر .. بل  
يتوقع حلا للمشاكل ، فقد صارح صلاح نصر الذى صرح له ا  
الفراس بمكتبه يوم ٢٢ اغسطس بعد نوم استمر ٦ اسابيع .  
هناك احتمالا بأن يذهب الى مؤتمر الخرطوم مع جمال  
٢٨ اغسطس .

ولكنه ما ان دخل المشير عامر منزل جمال عبد الناصر  
سكرتيره العسكرى محمد طنطاوى ، وتوجهت قوات الى منزله  
محمد فوزى واللواء سليمان مظهر فاعتقلت المقيمين فيه  
شمس بدران ، وهم الذين كانوا ينتظرون عودة المشير ومعه أه  
بالصلح والوفاق ، وقد أسهم عباس رضوان فى اقناعهم بأن  
بعد محادثة له مع عبد الناصر .

أما فى بيت عبد الناصر بعد أن انتهت الجلسة واعلن عبد  
بتعديد اقامة عامر ، صعد الى الدور العلوى وذهب عامر الى الح  
صائحا وهو يلقي بكوب ماء من يده بأنه قد أنتحر .  
قال لى أمين هريدى أنهم اسرعوا الى عبد الناصر لابلاغه  
ولكنه لم ينزل معهم وقال انه اجبن من ان يفعل ذلك ..

قال لى الفريق محمد فوزى أنهم قد استولوا من منزل  
حمولة ثلاث عربات لورى أسلحة وأنهم أخرجوا منه سريتيه  
الجيش كانتا مكلفتين بحراسته وانتقلتا معه من الحامية  
أيضا ٣٠٠ من أبناء بلدة المشير .

ويقول أيضا ان المشير لم يغادر منزل عبد الناصر الا  
الفريق أول محمد فوزى بسامى شرف وأبلغه ان كل شيء  
القوات المسلحة قد سيطرت على المنزل ، وكانت الس  
صباحا تقريبا .

وخرج عبد الحكيم عامر معتقلا الى منزله وأوصله الى  
محبى الدين وحسين الشافعى ، أما أنور السادات الذى بقى .



طوال جلسة المحاكمة السياسية فإنه لم يذهب معهم فى العرية .  
دخل عامر معقلا الى منزله الذى أصبح خاليا الا من أسرته ،  
ولا تربطه بالعالم الخارجى اية صلة فقد قطعت عنه حرارة التليفون واحيط  
منزله بحرس جديد ، واعلنت بعد ذلك استقالة صلاح نصر مدير المخابرات  
يوم ٢٧ اغسطس .

وبذلك انتهت صفحة فى حياة القوات المسلحة . أصبح يتولى  
قيادتها العامة ضباط جدد لم يكونوا من الضباط الاحرار اصلا فقد ذهبت  
المجموعة القليلة التى بقيت منهم حول المشير الى السجن انتظارا للمحاكمة  
.. لم يعد هناك أحد من ضباط ثورة يوليو فى قيادة القوات المسلحة  
الا القائد الاعلى جمال عبد الناصر والفريق محمد فوزى القائد العام .  
ورغم قسوة القرار على نفس عبد الناصر الا انه وجد نفسه مجبرا  
على اصداره امام المعلومات التى توفرت لديه من احتمالات عمل طائش تقوم  
به مجموعة المشير .

واسفرت التحقيقات عن اعتقال عدد من كبار المسئولين الى جانب  
شمس بدران ، فاعقل بعد ذلك بايام عباس رضوان وصلاح نصر يوم  
١٣ سبتمبر وعدد من كبار ضباط القوات المسلحة الحاليين الى التقاعد .  
وكان الموقف فى نفس الوقت شديد القسوة على نفسية المشير عامر  
وهو الذى احتفظ بالولاء كاملا لجمال عبد الناصر خلال مدة قيادته للجيش  
والتي امتدت ١٤ عاما ، ولم يفكر لحظة واحدة فى القيام بانقلاب عسكري  
مطلقا ، واكتفى بنشر سلطاته فى الأجهزة الادارية والتنفيذية .. وهو الان  
قد أصبح مجردا من كل شيء السلطة والاصدقاء .. يواجه مستقبلا  
غامضا .

ولم يتحمل المشير عامر هذا الموقف الذى لم يهبىء نفسه له  
مطلقا ... فقبل ايام كان يرفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، ويرفض  
السفر معززا مكرما الى يوغسلافيا ... وهو الآن محدد الإقامة فى  
منزله ، واصدأؤه فى السجن .

وقرر المشير عامر الهروب من هذا الموقف بالانتحار .  
قال لى الفريق محمد سعيد الماحى الذى أصبح كبيرا للياوران بعد  
حرب اكتوبر ١٩٧٣ انه كان قائدا لحرس منزل المشير ، وأنه كان يحاول  
ما وسعه الجهد أن يقدم له كل الاحترام .. ولكن المشير قرر الانتحار  
عندما علم بأنه سوف ينقل من منزله الى منزل آخر بالهرم .

وأسرع الماحى يبلغ الفريق عبد المنعم رياض وأسرع الاثنان فى  
محاولة لاجراج السم الذى ابتلعه المشير ، ثم حملاه الى مستشفى القوات  
المسلحة حيث اجريت له عملية غسل معدة نقل بعدها الى المنزل الجديد  
الذى تقرر تحديد اقامته فيه بالمربوطية .

ومرة اخرى لم يستطع المشير أن يتحمل الموقف فى صبر ...  
فقرر الانتحار مرة اخرى ، ونجح فى هذه المرة مساء ١٣ سبتمبر ١٩٦٧  
بعد مائة يوم من العدوان .  
وانتهت حياة الانسان الذى ملك قلوب الضباط حبا له ، والذى

عاش حياة لا تتناسب كثيرا مع ضراوة المعارك التي كانت تدور في اليمن ،  
أو فوق أرض سيناء .

كان عبد الحكيم عامر أول قائد مصري في التاريخ الحديث ينتحر  
بعد الهزيمة ٠٠٠ ولكنه لم ينتحر نتيجة لمهانة الهزيمة وقسوتها ٠٠٠  
ولا أسفا وندما على دماء ٢٠٠٠٠ فقدوا حياتهم فوق رمال سيناء بعد  
عذاب بدني شديد ٠٠٠ ولا خجلا من عار سوف يلاحق قدرانه القيادية  
الى آخر التاريخ .

لم ينتحر كقائد عسكري مهزوم ٠٠٠ وانما انتحر بعد أن سلبت منه  
السلطة وضاعت منه الحرية ، وواجه الموقف وحده بعيدا عن الأضواء  
ونفاق الاصدقاء .

ولم تؤثر أزمة المشير في اتجاه رفض الهزيمة ٠٠٠ فقد كانت  
سدا لا يعوق التقدم ٠٠٠ وكانت محاكمة زملائه لتصفية آثاره .

ولم يكن خروج عضو سابق لمجلس الثورة من جهاز السلطة يمثل  
أكثر من سقوط بعض الفروع من شجرة ثابتة ٠٠٠ كان جهاز الحكم قبل  
الهزيمة متماسكا ومستقرا رغم ما كان يواجهه من أزمات اقتصادية  
وسياسية .

ولم تكن استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن  
ابراهيم تمثل أكثر من موقف احتجاج فردى لا يجد له صدى عميقا بين  
ال جماهير لانه يواجه اعلاما مركزيا موجها ٠٠٠ ولم تتجاوز حدود  
التأييد لبعضهم أكثر من همسات لا تعلو الى موقف صريح ٠٠٠ واختار  
كل منهم طريقه الجديد في الحياة بلا ضغط ولا غت ٠٠٠ ولم تصل  
العلاقات بينهم وبين جمال عبد الناصر الى حد القطيعة النهائية ٠٠٠ فقد  
تواجدوا في القيادة العامة في أيام القتال رغم ابتعادهم النهائي عن  
السلطة ٠٠٠ وقام كل منهم بالتعبير المكتوب عن رأيه في خطاب أو مذكرة  
رفعها الى جمال عبد الناصر .

ولم يصبح خروج أى فرد منهم ، ولا من سبقهم في الاستقالة اتخاذ  
موقف معاد لهم اذا استثنينا سجن يوسف صديق وتحديد اقامته في  
عام ١٩٥٤ ٠٠٠ فلم يخرج احد منهم مصحوبا بتهمة التآمر او العمل  
ضد النظام ٠٠٠ ولم يكن احد منهم يعمل في منصب عسكري حتى يمثل  
خطرا يستحق المطاردة .

ولذا كان تحديد اقامة المشير عبد الحكيم عامر هو أول عمل عنيف  
يتخذ ضد عضو سابق في مجلس الثورة ، اذا استثنينا أيضا فترة  
تحديد اقامة كمال الدين حسين لمدة أسابيع عام ١٩٦٥ في فيلا بالهرم

كانت أزمة المشير عامر هي أعنف أزمة تعرضت لها الثورة منذ أزمة  
مارس ١٩٥٤ ، وكانت قاسية على نفس جمال عبد الناصر قسوة الهزيمة  
نفسها ، فقد حدث الصدام الصريح بينه وبين أقرب رجال الثورة اليه ،  
في وقت كان كل شيء فيه في شبه ضياع .

كانت حركة الاعتقالات التي شملت المشير ووزير الحربية ووزير

الداخلية السابق ومدير المخابرات وعددا من كبار ضباط القوات المسلحة ذات تأثير كبير في المجتمع ، فقد حدث شرح عميق في جدار النظام كنسب عن وجود أخطاء وانحرافات ، اندفع الناس الى مهاجمتها ونقصها ٠٠٠ وكانت المحاكمات أمام المحكمة الخاصة التي شكلت برئاسة حسين الشافعى فى يناير ١٩٦٨ مجالا لاثارة كثير من القضايا .

كانت الفكرة الاساسية لمحاولة المشير عامر الانقلابية تقوم على أساس ظهور المشير عامر فى مدرسة الصاعقة ليلة ٢٧ أغسطس أى بعد يوم واحد فقط من تحديد اقامة المشير واعتقال الضباط المتعاونين معه ، ثم تحرره من مدرسة الصاعقة الى مركز نياده الفصاين فى حراسه توه مدرسة الصاعقة « ١٠٠ فرد » .

كان المدربون للعملية قد قرروا اتساعه ان عبد الناصر قد اعاد عامر للقوات المسلحة ، وبدا يسهل على المشير السيطرة على مركز القيادة الشرقية وتولى قيادة الجبهة العاملة تحت أوامرها ، وهى فى ذلك الوقت كانت تعتبر القوة الاساسية للجيش .

ومن هناك كان مفروضا أن يبدأ التفاوض بين عامر وعبد الناصر على أساس إعادة المشير قائدا أعلى للقوات المسلحة والافراج عن الذين استدعت ظروف الهزيمة التحقيق معهم .

أسهم فى اعداد الخطة حسب ما أظهره التحقيق شمس بدران وعباس رضوان ثم الضباط جلال هريدى قائد الصاعقة السابق ووكيله مقدم أحمد عبد الله واللواء عثمان نصار الذى ترك فرقته أثناء عمليات سيناء وعاد الى القاهرة حيث بقى فى حماية المشير ثم المقدم حسين مختار من قوات الصاعقة والعقيد طيار محمد تحسين زكى .

ولم يكن هذا التدبير موجها للاطاحة بعبد الناصر ولكنه كان موجها للضغط عليه للرضوخ ، أو تحرك المشير الى القاهرة على رأس قوة مدرعة للقيام بعملية انقلاب كاملة .

والغريب أن عامر قد أعطى لهذه العملية اسما كوديا هو ( نصر ) نفس الاسم الذى أطلقه الضباط الاحرار على حركتهم ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وقد كشفت هذه العملية عن رغبة بعض الضباط فى الوصول الى السلطة فوق مأساة الشعب ، ودون تقدير سليم لجسامة الهزيمة وبشاعة الموقف .

كذلك اظهر التحقيق عدة حقائق مثيرة :

تبين مثلا أن عباس رضوان كان قد أخفى فى بلدته الحرائبة بالهرم حقيبة مليئة بالنقود ٠٠٠ وهو حادث قد يبدو بسيطا ولكنه فى مضمونه كبير ان يكشف اعتداء بعض رجال الثورة على أموال الدولة واستباحتهم لها ، ويكشف ايضا اتساع هذه الظاهرة بعد أن كانت خافية على الناس نتيجة للقيود التى كان يفرضها النظام على وسائل النشر ، والخوف الذى كان يبذره بالفوس من الخوض بالحديث فى مثل هذه الامور .

وتبين كذلك حقيقة الدور الذى لعبته احدى الممثلات ( برلنتى

عبد الحميد ) فى حياة المشير حتى أصبحت زوجته وأما لآله ، وهى التى كانت على علاقة سابقة بجهاز المخابرات ، الأمر الذى جعل حسين الشافعى يقول لى أن دورها كانت تحيط به علامات استقهاهم خطيرة تمتد الى خارج الحدود .

وتبين أيضا بشاعة الوجه القذر لادارة المخابرات ، وهو وجه قد يكون طبيعيا فى كافة أجهزة المخابرات فى العالم ، ولكن الجديد أن النظام نفسه هو الذى كشف عن هذا الجانب البشع ، وأعلن عن سقوط ما أسماه ( دولة المخابرات ) الأمر الذى أثار حفيظة بعض الناس ضد فترة من فترات النظام .

ولو أن هذه المحاكمة لم تسقط ، أساليب دولة المخابرات عمليا ، فقد تعرض بعض الضباط المعتقلين لأنواع من الضغط والتعذيب هى فى مضمونها امتداد لاسلوب بعض أجهزة الأمن .  
وتبين أخيرا نوعا من أنواع الاستهتار الفظيع خلال فترة القتال ، وهروب بعض كبار القادة المرتبطين شخصا بالمشير والذين تلقوا التعليمات منه شخصا .

حفلت هذه المحاكمات بصور متعددة الجوانب لاختطاء وانحرافات كانت كامنة فى النظام . . . يصعب القول بأن جمال عبد الناصر كان على جهل بها ، ولكنه كان يصمت عليها ، ربما لاعتباره بأنها فرز طبيعى لى نظام ، أو لأنها تضع المخطئين تحت قبضته فيصبحون أكثر طواعية .

وقد أبرزت هذه المحاكمات جانبا سياسيا هاما ، إذ أظهرت أن بعض هؤلاء القادة المنهزمين قد نصروا أن الحكومة الأمريكية يمكن أن تلقى اليهم عجلة الانقاذ التى تنقذ حياتهم وشرفهم ، وتحول من يمتهم الى نصر . . . وانهم يمكن أن يجدوا بعد الهزيمة مبررا ينهى العلاقة مع الاتحاد السوفييتى الذى أصبح عندهم مشجبا تعلق عليه خطيئتهم .

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد استقبل السفير السوفييتى فى القيادة العامة للقوات المسلحة قبل استقالته من مناصبه العسكرية والمدنية ولم اتعرف على ما دار فى هذه المقابلة الا أن الفريق الحديدي يتصور فى كتابه ( شاهد على عدوان ٦٧ ) انه كان فيها نوع من العتاب .

وقد صرح شمس بدران خلال محاكمته السرية بأنهم قد فكروا فى حل المشكلة عن طريق الاتجاه الى أمريكا .

ويمكن القول بأنه قد تجمع حول المشير عامر فى هذه الفترة بعض الذين لم تحصل عندهم الطهارة الوطنية الى حد التفارقة بين الاطماع الشخصية والكارثة القومية . . . الذين حاولوا استعادة السلطة عن طريق التآمر بالقوة دون اعتبار للضحايا ( عشرين ألفا ) الذين سقطوا نتيجة اسلوبهم المستهتر فى القيادة .

ويمكن القول أيضا بأن الثورة قد فصدت بعض دمهها القاسد ، الذى تسبب فى الهزيمة ولم يجد مع ذلك فيها رادعا يبعده عن السلطة ، أو حقيقة تجسم له خطر الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية .

كثبت في رور اليوسف خلال هذه الفترة قائلا .  
 ( البوره التي لا يحاكم ابناءها ولا يكتشف صراحه عن اخطائهم ، تكتب كلمة  
 ( النهاية ) في محضرها . . . ولكن البوره التي يحصل في سـجاعة  
 مسئولية كشف انحرافات واخطاء ابناءها انما تكتب كلمة ( البداية ) في  
 انطلاقة جديدة تؤكد استمرارها .  
 كانت ازمة المشير ومحاكمة الضباط رفضا للهزيمة . . . ورفضاً  
 للدعوة التي ثارت بين المتسببين الرئيسيين في الهزيمة من محاولة  
 للارتداد نحو أمريكا فيما يتببه الاستسلام وقبول الامر الواقع .  
 اما محاكمة مجموعة المشير باحتمال نجاح محاولة انقلاب  
 عسكري ، وبوضع نهاية لاتجاه استسلامي كان يثور في صدور  
 المجموعة المهزومة .  
 وكانت المحاكمة ادانه لهذا الاتجاه الاستسلامي الذي اوقع مصر في  
 الهزيمة ، وفكر في الخلاص منها عن طريق انقلاب يمهّد الطريق لعودة  
 النفوذ الأمريكي للمنطقة .  
 وكانت في مضمونها اصرارا على رفض الهزيمة واستمرار  
 النضال .

## مؤتمر الخرطوم

لم يكن رفض الهزيمة مصريا فقط . . ولكنه كان عربيا .  
 كانت الهزيمة عارا لحق بالعرب جميعا دون استثناء . . ولكن ردود  
 الفعل وباتّير الصدمة كان مسابغا بين دولة واخرى . . ولاتشك ان جمال  
 عبد الناصر كان اكثر الزعماء تأثرا بها حذبا ، واكثر الجميع تسعورا  
 بالمسئولية في مواجهة المستقبل .  
 ورغم الجذبة التي واجه بها النظام المصري الموقف ، وبدء عملية اعادة  
 بناء القوات المسلحة ، فان الامور كانت قد سابكت بحسب لم يعد من الممكن  
 ان يكون هناك حل مصري او حل سوري او حل اردني للمسكلة .  
 لم يعد هناك من سبيل سوى ( حل عربي ) للمسكلة . . واجتمع وزراء  
 الخارجية العرب في الكويت يوم ١٧ يونيو ولكن اجتماعهم انقضى بلا قرارات  
 لبلحقتوا اجتماع الامم المتحدة .  
 وكان يومين قد أمضى في القاهرة بعد الهزيمة عدة ايام سافر فيها الى  
 موسكو حيث قابل الزعماء السوفييت وسعر انهم محروحدون من هزيمة العرب  
 . بحث سلمت معظم اسلحتهم الى اسرائيل بلا قتال ، وسقط حلفاؤهم  
 في حفرة الهزيمة بلا مفاوضة .  
 وفي يوم ١٢ يوليو اجتمع في القاهرة هواري بومدين وعبدالرحمن عارف  
 واسماعيل الارهرى ثم انضم اليهم بور الدين الاناسي في اليوم التالي وارسل  
 محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان الذي كان يشارك في اجتماعات  
 الامم المتحدة التي نحاول الوصول الى قرار . . ارسل برقية يطلب فيها  
 امداد مؤتمر القمة المحدولحين عودته .

وصل محجوب الى القاهرة يوم ١٦ يوليو وعرض على الزعماء العرب فكرته في ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي حيث يمكن للدول العربية أن تحشد جهودها وامكاناتها السياسية والعسكرية والاقتصادية في عمل موحد مشترك . ورغبة من الزعماء العرب في معرفة مدى مايمكن ان يقدمه السوفييت نقرر ارسال هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف الى موسكو وسافر الاثنان بغرض شرح الموقف العربي للزعماء السوفييت وتقديم الشكر لهم على مساعداتهم ثم معرفة المدى الذي يمكن للسوفييت والدول الاشتراكية تقديمه للنضال العربي من مساعدات في التسليح والخبراء والمتطوعين .

سافر بومدين وعارف يوم ١٧ يوليو وعادا في مساء اليوم التالي ، ويقول محمد احمد محجوب في كتابه ( محاكمة الديمقراطية ) ان بومدين قدم لهم تقريراً ملخصه ان المؤتمر الثاني لزعماء الدول الاشتراكية الذي عقد في بودابست قد اتخذ قراراً بتأييد مبدأ الحل السلمي للصراع . والعمل من أجل التعايش السلمي بين الدول والسلام العالمي . ولذا كان الاتحاد السوفييتي حريصاً على صدور قرار من الامم المتحدة في دورتها الطارئة .

كما كرر الاتحاد السوفييتي للرئيس بومدين وعده بامداد الدول العربية بالاسلحة تعويضاً عن خسائرها . . ويقول محجوب ان زيارة الانحاد السوفييتي قد بركت عند الرئيسين العربيين انطباعاً بان السوفييت تحفظات على امكانية العمل العسكري ، ولو ان هذا الموضوع لم تكن له عندهم أهمية عاجلة لانهم كانوا يعتقدون انه لايمكن استئناف القتال قبل سنين او ثلاث سنوات .

ويقول محمد احمد محجوب ان هذه الزيارة قد أكدت التصور بان الحل العسكري في الوقت الحاضر كان بعيداً عن الموضوع وان الحل الدبلوماسي كان مستحيلاً في حدود مآدار في الامم المتحدة ، وأنه لم يتبقى من طريق مفتوح الا الحل السلمي الذي قد يقود في النهاية الى صدام عسكري أو سلام عادل .

وأثمر مؤتمر القمة المحدود قراراً بالدعوة لمؤتمر قمة عربي ، ويقول نانج ان الملك حسين ايضا كان قد بادر بالدعوة لهذا المؤتمر . وقع الاختيار على الخرطوم لتكون مقراً لانعقاد مؤتمر القمة لانها كانت مقبولة من قادة جميع الانظمة العربية . . وقد اجتمع فيها وزراء الخارجية في اول أغسطس وصدرت عنهم توصيات تطالب بتنقية الجو العربي ، ووضع مسؤولية العدوان وتحرير الارض على عاتق كل العرب ، مع اعتبار المشكلة الفلسطينية قضية رئيسية ودعوة وزراء البترول والمالية العرب للاجتماع في بغداد يوم ١٥ أغسطس ، وعدم ضخ البترول لأمريكا وانجلترا في حدود قرارات مؤتمر البترول العربي ، والعمل على تصفية كافة القواعد الاجنبية في الدول العربية بأسرع وقت ممكن .

وقد اجتمع وزراء المالية والاقتصاد والبترول العرب من ١٣ دولة ومشيغة ضمت قطر والبحرين وأبوظبي وقدموا قائمة من الاسلحة الاقتصادية التي يمكن استخدامها في حدود استراتيجية عربية شاملة .

وكان الرأى العام العربى فى ذلك الوقت قد اجتاحتته موجة المطالبة بوقف ضخ البنترول للدول الامبريالية .

وقد اتخذ الوزراء العرب فى مؤتمراتهم ببغداد توصيات بنفى بوقف الضخ مع مراعاة الاحوال والظروف الاقتصادية لدول البنترول . وبتقدير ردود الفعل السياسيه والاقتصادية التى قد تنجم عن ذلك فى العالم كله . وكان هذا دليلا على الحذر وعدم الانفاق الكامل .

وأصدر المؤتمر توصيات أخرى بسحب الارصدة العربية من منطقة الدولار والاسترلينى ، وتخفيض الاستثمارات العربية فى هانن المنطقتين حتى لا تنسرب الاموال العربية الى هذه الاسواق . ونفل احتياطي الذهب العربى من انجلترا وأمريكا الى بلاد أخرى . وتوجيه الاستثمارات الحكومية العربية الى الاسواق العربية مامك . وتكوين احتياطي نقدي مركزى من العملة الصعبة للدول العربية .

درست هذه التوصيات بوساطة وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم يوم ٢٦ اغسطس ، ورفعت الى الملك والرؤساء الذين اجتمعوا يوم ٢٩ اغسطس . سافر جمال عبد الناصر الى الخرطوم بعد ان كان قد حدد اقامة المشير عبد الحكيم عامر ووضع الضباط المتأمرين فى السجن للنحقيق .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يلتقى فيها عبد الناصر خارج مصر مع جماهير الامة العربية ، وهو يحمل على كنفه مسئولية الهزيمة والتحرير معا . كما انها كانت المرة الاولى التى يلتقى فيها مع الملك فيصل وهو جريح بعد الهزيمة .

كان موقفا صعبا امام عبد الناصر . . وكان مؤتمر القمة يواجه أخطر مشاكل تعرضت لها الامة العربية .

ولكن استقبال جمال عبد الناصر كان مظهرا رائعا من مظاهر الوفاء والتقدير السياسى السليم عند شعب السودان ، فقد احتشدت له الجماهير من المطار الى فندق السودان حيث نزل الرؤساء والملوك . ولعب الحزب الشيوعى السودانى وقائده الشهيد المناضل عبد الخالق محبوب دورا رئيسيا فى هذا الاستقبال الرائع .

قال لى الشهيد عبد الخالق محبوب ، وكنت قد ذهبت الى الخرطوم لحضور المؤتمر عندما كنت رئيسا لتحرير روزاليوسف . قال ان الحزب الشيوعى قد قرر ان يكون استقبال عبد الناصر ، استفتاء ثانيا على بقائه فى موقعه قائدا من ابرز قادة التحرير الوطنى ، وان بعض كادر الحزب كان مسلحا ومستعدا لحمايته من أية مؤامرات .

عندما وصل جمال عبد الناصر الى المطار كان فى استقباله اسماعيل الازهرى رئيس الدولة ومحمد احمد محبوب رئيس الوزراء . وكان مفروضا أن تصل طائرة الملك فيصل بعد نصف ساعة وحاول الزعيمان السودانيان تعطيل عبد الناصر فى المطار ليلتقى مع فيصل . حتى يصبح الاستقبال الشعبى من نصيب الملك والرئيس معا .

ولكن موكب جمال عبد الناصر تحرك وفى رفقته محمد احمد محبوب، والتهبت مشاعر الجماهير ، وانتعشت نفسية جمال عبد الناصر ، وعادت

الابتسامة الى شغبه وهو يلوح لعشرات الالوف الذين احتشدوا في الشوارع والنرفات وفوق الاسطح .  
وما كاد موكب جمال عبد الناصر يمر حتى كانت الجماهير تنفض وتخلو الشوارع لينفرد وحده بالاستقبال الرائع . وعندما تبعه فيصل مع الازهرى لم يكن هناك الا جماهير قليلة متناثرة .

انعقد المؤتمر في قاعة البرلمان السوداني ، والجماهير تنوفع قرارات وقف ضخ البترول . وموقف الدول العربية تجاه الازمة غير موحد . سوريا قاطعت المؤتمر ومع ذلك بقى وزير الخارجية ابراهيم ماحوس ينابع جلسات المؤتمر من السفارة السورية او شرفة الحرائد اوتيل . . والعراق والجزائر ومنظمة التحرير التي يمثلها احمد الشقري تنتقد موقف مصر وتعارضها لنزولها وقف اطلاق النار . . وتطالب بسحب الارصدة العربية ومقدارها ٤٠٠٠ مليون جنيه من البنوك البريطانية مع اصرارهم على وقف الضخ .  
وكانت حرب اليمن تفرض نفسها على المؤتمر ايضا فلم يكن القتال قد توقف بعد ، وكان هناك ٧٠.٠٠٠ جندي مصري مازالوا يحثلون مواقعهم هناك .

حضر من الرؤساء والملوك العرب . . جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل واسماعيل الازهرى وعبد الرحمن عارف وعبدالله السلال والامير صباح السالم الصباح وشارل حلو .

وحضر الامير حسن الرضا مندوبا عن ملك ليبيا ادريس ، والباهي الادغم وزير خارجية تونس ممثلا ليورقبيه . وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ممثلا لهواري بومدين ، والدكتور محمد بن هيمه رئيس وزراء المغرب ممثلا للملك الحسن .

جميع رؤساء وملوك المغرب العربي تخلفوا عن الحضور . بينما حضر جميع رؤساء وملوك المشرق العربي عدا نور الدين الاتاسي لمقاطعة سوريا للمؤتمر بناء على قرار من دمشق ، كما صارع الاتاسي محمد احمد محبوب بذلك عند زيارته لدمشق في جولته التمهيدية لعقد المؤتمر والتي أقنع فيها الملك فيصل بضرورة الحضور .

لعب محمد احمد محبوب رئيس وزراء السودان دورا دبلوماسيا ناجحا مهد به الطريق لعقد المؤتمر ، وعاد من الولايات المتحدة يحمل افكارا جديدة بعيدة عن الاجراءات التي قد تكسب تأييدا شعبيا . ولكنها تتسبب في ردود فعل غير محسوبة الى جانب ماقد تحدثه من تمزق في الصف العربي .

ولذا تغاضى المؤتمر عن فكرة وقف ضخ البترول وسحب الارصدة من البنوك الامريكية والبريطانية ، حرصا على تأييد الدول البترولية وعدم وضعها في مأزق اقتصادي وسياسي لا تتحمله انظمتها ، حيث تبين ان الدول العربية كانت تهلك في ذلك الوقت احتياطيا كافييا من البترول لمدة اكثر من ٣ شهور . وان الارصدة العربية لم تكن تشكل نسبة كبيرة من الدخل القومي لترا



واجبه المؤتمر وحبه جديده عندما اعبر البترول رصيذا للاحتياجات العربيه لتعويض خسائر العدوان ، والاستعداد لمشارك التحري حيث قال زعماء الدول البروليه انكم تطلبون منا العون بالنال ، ويطلب البعض منكم انتلاق مصدر هذه الاموال .

حدث تراجع عن وقف ضخ البترول بعد ان كان مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب قد اوصى بإمكانية استخدام وقف ضخ البترول كسلاح في المعركة ، ولكن مؤتمر القمه رأى بعد دراسة الامر مليا - كما نثرت الاهرام - انه يمكن ان يستخدم كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربيه يمكن ان توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التي تأترب مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود في المعركة .

وبعد مناقشات محدودة تم الاتفاق على مايدفعه الدول البرولية لمصر والأردن من تعويضات ٥٠ وكان جمال عبد الناصر قد قدر خسائر مصر من اغلاق قناة السويس ووقف السياحه بما يوازي ١١٠ ملايين حبه ، وقدر الملك حسين احتياجات الاردن بمبلغ ٤٠ مليوناً .

واسفر الرأي بموافقة الملك فيصل على دفع السعودية ٥٠ مليون جنيه سنوياً والكويت ٥٥ مليون جنيه وليبيا ٣٥ مليون جنيه ، وزع على أساس ٩٥ مليوناً لمصر و ٤٠ مليوناً للاردن .

وانقل المؤتمر لمناقشة القضايا السياسية ، واسفر الرأي بناء على اقراح عبد الناصر بأن يعطى الملك حسين حرية الاتصال لحل مشكلة الاردن . وتدخل احمد الشقيري منعجداً عن مسهل عرة والصفه الغربية ، ولكن الموقف لم يكن يحبل اناره خلاف حول أرض سقطت تحت احتلال العدو .

وانفق المؤتمر على قرارات نعبر من ناحية الشكل والمضمون رفضاً للهزيمة فهي نص على .

لا صلح مع اسرائيل .

ولا اعتراف باسرائيل .

ولا مفاوضات مع اسرائيل .

والاصرار على اعادة حقوق شعب فلسطين في أرضه .

صرح لى محمود رياض وزير الخارجية في ذلك الوقت بأنه يعتبر أن هذا المؤتمر الرابع للقمه كان انجح مؤتمر قمة عربي ، بصدر قرارات ايجابية محددة .

ولكن قرارات مؤتمر الخرطوم لم تتحول الى قيود تقيد حركة الدول العربية في سعيها لتحرير الارض بوسائل سياسية مصحوبة باستعدادات عسكرية .

## قرار مجلس الامن

كان مؤتمر الخرطوم قد انعقد بعد دعوة الاتحاد السوفيتي لدورة طارئة للامم المتحدة ، بعد ان تبين استحالة صدور قرار من مجلس الامن

بادانة اسرائيل وفرض الانسحاب الى حدود ٤ يونيو .  
حضر الدورة الطارئة اليكسي كوسيچين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي  
كما حضرها من حكام العرب الملك حسين ونور الدين الاناسي .  
وقد التقى حسين والاناسي يوم ٢ يوليو في مقر السفير الجزائري  
لدى الامم المتحدة بحضور محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان الذي  
اعد للاجتماع بمبادرته الخاصة ، وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر  
وابراهيم ماحوس وزير خارجية سوريا  
كان هذا اول اجتماع يعقد بين الحاكمن بعد اتهامات متبادلة استمرت  
حتى يوم العدوان الاسرائيلي .  
وكان ابا اييان قد أعلن رفض اسرائيل أمام مجلس الامن الحديث  
نى موضوع الانسحاب مالم تعترف الدول العربية بها ونقر مبدأ الصلح  
معها .

ولم يكن الموقف في مجلس الامن مثلما كان عام ١٩٥٦ فقد وقفت أمريكا  
بوضوح وصراحة خلف الموقف الاسرائيلي ولم يكن هناك أى انقسام في  
صفوف الدول الغربية نحو تأييد اسرائيل سوى فرنسا لان ديغول اتخذ  
موقف الادانة للبادئ بالعدوان ، واسبانيا للاقائها التقليدية مع الدول  
العربية ، وعدم وجود تمثيل ديبلوماسي بينها وبين اسرائيل .

ولذا فانه عندما قدم اليكسي كوسيچين مشروع قراره الذى يدين  
العدوان الاسرائيلي ويطلب بالانسحاب الفوري لقواتها ، اسرعت حكومة  
الولايات المتحدة بتقديم مشروع قرار آخر يقضى بحل المشكلة عن طريق  
المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل بمساعدة وسيط مقبول من الطرفين،  
بعد اعترافهم بها وبحقها في الوجود داخل حدود معترف بها مع السماح  
لبواخرها بالمرور في قناة السويس ومضيق العقبة .

ولم يحصل أى من القرار السوفيتي او الامريكي على ثلثي الاصوات  
للطولية لاقاره . . ومحاولة للخروج من الازمة تقدمت دول عدم الانحياز  
بمشروع قرار يقضى بالانسحاب التوات الاسرائيلية مع اعطاء مجلس الامن  
حق بحث جذور المشكلة السياسية والقانونية والانسانية بناء على موثيق  
الأمم المتحدة مع عدم اعتبار ذلك شرطا مسبقا يحول دون الانسحاب .

وفي مواجهة مشروع دول عدم الانحياز قدمت دول أمريكا اللاتينية  
الخاضعة لنفوذ الأمريكى مشروعا مغلف العبارات يقضى بالانسحاب  
للسروط بانهاء الاعمال العدوانية والعمل من أجل التعايش السلمي وعلاقات  
الجوار الودية .

وكما لم ينجح المشروع السوفيتي او الامريكي ، لم ينجح ايضا مشروع  
دول عدم الانحياز ، او مشروع دول أمريكا اللاتينية في الحصول على ثلثي  
الاصوات .

ولم يصدر عن الامم المتحدة سوى قرارات مرعية بضرورة معاملـة  
مساجين وأسرى الحرب معاملة انسانية وبمقدم شرعية اجراءات اسرائيل  
وتدابيرها في المنادة بالقدس مدينة اسرائيلية موحدة .  
ولم تنهج الدول الامريكية المتحدثة بالفرنسية نهج فرنسا في تأييد العرب ،

كما ان الدول الاممية الاخرى تنوعت مواقفها سعا لدرجة ولائها للولايات المتحدة . أما الدول الاسلامية مثل تركيا وأفغانستان وباكستان واندونيسيا وإيران فقد وقعت مع العرب لاعسارهم المسئلة الفلسطينية من المسائل الاسلامية .

وعندما لم يصل الامم المتحدة الى قرار ، أعاد القصة مره أخرى الى مجلس الامن .

كاد الموقف يجمد . . وقرارات مؤتمر الخرطوم التي صدرت بعد ذلك ألغى تماما وهذا حديدا على الدول العربية

ومع ذلك فقد وصلت الامور في شهر نوفمبر بعد اتصالات مركرة ومعدده بين مندوبي الدول في مجلس الامن والدول العربية الى مشروع قرار أعده مندوب بريطانيا في المجلس لورد كارادون .

صدر القرار ٢٤٢ يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ليهي مرحلة طويلة من المناقشات اميت ما يقرب من ستة شهور .

حاول محمود رياض وزير الخارجية ان يكون القرار اكبر حديدا فيما يتعلق بالحدود ، ولكن المندوب الأمريكي (أربر حولدرج) كان صريحا في رفضه اضافته أي كلمات تلحق حق اسرائيل في تغيير الحدود بما يناسب مع امنها وقال ان حكومة اسرائيل قد وافقت على صيغة القرار على ما هي عليه ، وان جونسون يعد بأن تكون التعديلات هي الضيق الحدود .

وافقت مصر والأردن على قرار مجلس الامن ٢٤٢ وسط معارضة ورفض من جانب سوريا والعراق والجزائر والسودان .

واخبار بوبانف سكرتير الامم المتحدة جوبار سانج سفير السويد في موسكو مندوبا له للمفاوض مع مصر والأردن واسرائيل للوصول الى سوية مقبولة من كافة الاطراف .

وحلال الفسره التي دارت فيها مناقشات الامم المتحدة لم يكن الموقف مجمدا على نشاطي، القمة .

كان السوفييت قد اسهموا بقدر كبير في إعادة تنظيم القوات المسلحة وقام الفريق أول محمد فوزي ومجموعه القيادات الحديده بمجهود رائع في تماسك الجيش ووحدته . وخاصة بعد التغلب على المشاكل الداخلية بعد تحديد اقامة المنبر عامر والمعاونين معه .

كانت المدفعية قد بدأت تبادل القذائف على نشاطي القنافة . . واغرقت قوارب الطوربيد المصرية المدرعة الاسرائيلية ابلاب في مياه البحر الابيض المتوسط يوم ٢٥ اكتوبر ٦٧ وانتقم الاسرائيليون بضرب معامل الكهرباء ومصانع السوبس .

ورغم وجود جونا بارنيج في المنطقة متعتدا من تفرص مركز رئاسة له . . ورغم حركته المستمرة بين العواصم الثلاث . . مانه لم يوفق في الوصول الى تسوية مقبولة . . ولم يوفق في منع الاسرائيليين من الاعراض على محاوله مصر انتقاذ البواخر الخمس عشره المحجزة في قناة السويس بعد غلقها كما حدث عام ١٩٥٦ . . كما لم يوفق في منع بعض المصادمات التي

وقعت بين القوات الاردنية والاسرائيلية التي بدأت تنفيذ خطة اقامة مستعمرات ناحال في الضفة الغربية ، وبحويل القدس الى مدينة اسرائيلية .

وبدأت جهود يارنج تنصاعل ونحسر امام رفض الحكومة الاسرائيلية الاجابة على أسئلته والنمسك بمفاوضات مباشرة مع العرب ، واعلانهم الست بمعظم الارض المحتلة ضمانا للحدود الآمنة . وبعد صدور قرار مجلس الامن لم يتوقف القتال أيضا . . . وقد بدأت المرحلة التي أطلق عليها جمال عبد الناصر اسم (مرحلة الصمود) ثم أعقبها (مرحلة الردع) أي الاشتباك المنصل مع القوات الاسرائيلية عبر القناه .

كانت مصر قد قبلت قرار مجلس الامن ولكنها لم تتوقف مطلقا عن الانسباك المسلح . . . بينما كانت الدول التي رفضت القرار بعيدة عمليا عن ميدان المعركة .

لم يكن قبول قرار مجلس الامن اسسلا ولا تنازلا عن نحرير الارض . ولكنه كان محورا من محاور التقدم في مجال الحل السلمي . . . وكان مضمون الاشتباك المسلح مع قبول القرار هو رفض للهزيمة بكل المايس .

## رفض الطلبة

كسرت الهزيمة حاجر الخوف عند الناس . وشعر المواطنون امام جسامة الموقف . ان الصمت عار .

وانطلقت موجات النعد بكشف العيوب المستترة في أجهزة الحكم . وتلقى الضوء على الانحرافات هنا وهناك .

والتمس جمال عبد الناصر العذر للناس . . . قال لشعراوى جمعة بعد خطبته امام مجلس الامة عند افتتاح دورته الجديدة (ارجو ان تهدى هذه الخطبة نفوس الناس ولو شهرا واحدا) .

كان الناس ينظرون خطب جمال عبد الناصر فهو الوحيد الذي يتوفر له رصيد في فلوبهم . . . ورغم انه لم يحقق التغيير الذي طالبوا به الا انهم لم يفقدوا الامل فيه أبدا .

وكان الشباب هو أكثر الفئات غليانا بحكم طبيعته ورفضه للهزيمة وحرصه على تحرير الارض واقامة مجتمع جديد .

ولم تكن مصر قد شهدت مظاهرات للطلبة منذ عام ١٩٥٤ اثناء أزمة مارس وخلال المطالبة بالحياة الديموقراطية . . . فقد تصدت لها الشرطة العسكرية واعتقل بعض الطلبة . وصفت حركتهم .

وتقرر عزل الطلبة عن الحركة السياسية ، ووضع كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم في ذلك الوقت خطته التي قضت بأن تكون الدراسة في الجامعة خلال العام الواحد على فترتين وامتحانين . . . كما فصل عددا من اساتذة الجامعة التقديميين المستنيرين مثل الدكتور لويس عوض وسعد عصفور

وعبدالمعظم حروفش وهوري منصور وعبدالمعظم الشترقاوي وامين بدر ومحمود  
أمين العالم . وتتل بعض الاسماء من الاسكندرية الى القاهرة مثل الدكاوي  
اسماعيل عامر واسماعيل صبري عبد الله .

وأصدر جمال الدين حسن قرارا يقضي بان يكون نصف أعضاء اتحاد  
الطلبة من هيئة التدريس والنصف الآخر من الطلبة وينددون جميعا بمرئيات  
ولوائح تجعل من الاتحادات بظلمات صورة تابعة لمكاتب الطلاب التي  
أسست في هيئة التحرير ثم الاتحاد القومي .

ولاسك ان الاتحادات الوطنية لنوره ، ولو قد ارب على موقف  
الطلبة ودعمت بهم الى تبنيها والركون الى الهدوء لسنوات طويلة .

ومع ذلك ظل يسكن الاتحادات الطلابية بالعمى حتى عام ١٩٥٩  
الذي صدر فيه قرار بقانون في اول ابريل يقضي عدد من اسائه الجامعة  
مثل الدكتور فؤاد مرسى والدكتور عبد العظيم أنس . وذلك بعد اعتقال  
النشوعيين . وبعد ذلك ظهرت لائحة جديدة تسمح حق الانسحاب وتقرر  
بسط الاتحادات على الاعمال الرسمية مع حجب أي بساط سياسي  
أو نقابي .

وفي عام ١٩٦٣ بدأ تشكيل منظمة السات تحت اشراف زيارنا  
محبى الدين الذي بدأ باعداد معسكرات في حلوان ومرسى مطروح كان  
يساعده فيها الدكتور محمد الخفيف وعمره من المقيمين .

وظهر تناقض بين المنظمة التي وضعت تحت اشراف امين عام الاتحاد  
الاسبراكى على صبرى ، بعد أن عين الدكتور حسن كمال بها، الدين أمينا  
عاما لها بعد أن كان معها عضوا في امانه لطلبة الانسراكين .

ظهر تناقض بين بساط المنظمة وبساط الاتحادات التي كانت تحاول  
ان تبيع نهجا خاصا بها . واذكر خلال هذه المبره ان عددا من الاتحادات  
كان يدعو كمال رفعت أمين الدعوة والفكر لعقد ندوات في وقت كان الحلاف  
فيه واضحا بينه وبين على صبرى .

وقد أصدر على صبرى قرارا يقضي المؤتمر السادس لاتحاد طلاب  
الجمهورية الذي عقد خلال عام ١٩٦٥ . ومنذ ذلك الوقت لم يم أي اسحاب  
لاتحاد طلبة الجمهورية .

ويذكر ان بعض الطلبة المنتمين للمنظمة قد ادعوا بسجلات مسيئة  
ضد طالب مرسح اسمه أحمد سامى علبوة ، فجمع الطلبة حوله وأصروا  
على انتخابه كنوع من أنواع الرقص لاسلوب التدخل . وكان هذا سببا  
من أسباب فرض الهيئة التي شكلت لادارة المؤتمر السادس واعسارها لجنة  
تنفيذية لاتحاد طلاب الجمهورية .

توقعت انتخابات الاتحادات عند حدود الجامعات فقط ، ولم يجرائنخاب  
لاتحاد طلبة الجمهورية حتى عام ١٩٦٨ .

لم تعير الهزيمة العسكرية من موقف الثورة ازاء الطلبة . . . ظلت  
محاولات التدخل والحصار مستمرة . . ولم يعد ذلك أمرا مقبولا من الشباب  
الذي مزقت الهزيمة نفسيته وآماله وطموحه .

واشتدت في مصر لأول مرة ظاهرة هجرة الشباب الى الخارج ٠٠ دفع اليأس بعضهم الى مغادرة الوطن .. ودفع الحمود عن التغيير بعضهم الآخر .  
وكان جمال عبد الناصر مدركا لمشاعر الشباب راغبا في تقديم كل ما يعيد الاسفرار والامل الى نفوسهم .

عين احمد كامل امينا عاما لمنظمة الشباب ، بعد ان اثبت نجاحا جماهيريا أثناء عمله محافظا لاسيوط .. وهو من الضباط الاحرار التقدميين الذين لم يلوهم الاطماع المادية او التطلعات الذاتية .  
ويقول احمد كامل ان جمال عبد الناصر قد أطلق حريته في عمل كل مايعهد انه لمصلحة الشباب ، وشجعه على توطيد العلاقات مع منظمات الشباب في الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي للاستفادة من خبرات تعبئة الشباب هناك .

ولم يتردد جمال عبد الناصر في الموافقة على كل ما يوطد هذه العلاقة ولكن على صبرى اعترض على ارسال بعثات من الشباب للتدريب والعمل هناك ، بناء على الاتفاقية التي وقعها احمد كامل وبافلوف سكرتير عام الكومسومول .

لم يقبل احمد كامل هذا الاعتراض وطلب رفع الامر الى جمال عبد الناصر الذي رجح رأى احمد كامل .

كانت منظمة الشباب قد بدأت تأخذ اتجاها جديدا اكثر تقدمية وديموقراطية من الفترة التي قادها فيها دكتور حسين كامل بهاء الدين نحت اشراف على صبرى ، رغم عدم الانتقاص من اهمية هذه الفترة التي جذبت الشباب الى ميدان السياسة واثارت اهتماماتهم بعد غيبة طويلة عن هذا الميدان .

ولم يكن على صبرى على حد تعبير احمد كامل - متحمسا لهذا الاتجاه او مشجعا له

وقبل ان تبدأ منظمة الشباب في الوصول الى القاعدة الطلابية في الجامعات بأسلوب ديموقراطي سليم .. سبقتها الاحداث .  
كانت المنظمة من جهة وجماهير الطلبة من جهة أخرى في سباق مع الزمن .. المنظمة تحاول استيعاب كافة الشباب ، والاحداث تفجر هذه الطاقة في اتجاه غير محسوب .

وحدث اكبر تحرك طلابي في ٢٠ فبراير ١٩٦٨ أثناء محاكمات حسين الشافعي للمشاركين في مؤامرة الحادي عشر امتدادا لتحرك عمال حلوان احتجاجا على الاحكام التي صدرت ضد قادة القوات الجوية ، واعتبرها الناس احكاما بسيطة لاتتناسب مع بشاعة الجريمة وضخامة المسؤولية .  
واقترنت مظاهرات الطلبة ايضا بمحاكمات مؤامرة المشير .

اجتمع الطلبة في مؤتمر عقد في كلية الاداب بـ ٧٨ وضم ممثلين عن مختلف الكليات لوضع وثيقة طلابية تعبر عن رأى الطلاب بالنسبة لوضع ما بعد الهزيمة أو (النكسة) على حد التعبير الذي انتشر في ذلك الوقت .

طالب الطلاب بالديمقراطية وضرورة التغيير الشامل ومحاسبة السذين الملقوا الرصاص على عمال حلوان الذين اسنمروا في تظاهرههم ، والانسراج عن المعتقلين منهم ٠٠ وانتخبوا من بينهم لجنة تمثلهم وتعبر عن ارادتهم .  
تم اعتقال بعض اعضاء اللجنة عقب مقابلة ساخنة مع الدكتور لبیب شقیر وزیر التعليم العالي في قاعة اجنماعات جامعه القاهرة ، حيث رفض الطلاب تسليم مطالبهم على اعتبار انهم كلفوا من المؤتمر بتسليم الوثيقة لجمال عبد الناصر شخصيا .

اذكر ان ابني علاء كان عضوا منتخبا في هذه اللجنة ، وعندما علمت ان مطلبهم الرئيسي هو مقابلة جمال عبد الناصر ، اتصلت بسامي شرف وكان في ذلك الوقت مازال زميلا لي في أمانة طليعة الاشتراكيين ، وطلبت منه ان يحمل رأى الطلاب الى عبد الناصر ، راجيا ان يتيح لهم فرصة مقابلته .

اتصل بي سامي شرف بعد ذلك طالبا مني مقابلته في مكتب على صبرى في مبنى الاتحاد الاشتراكي حيث كان موجودا مع على صبرى وشعراوى جمعة ٠٠ وكانت الساعة تشير الى الثامنة مساء .

كان شعراوى يؤكد انه لم يصدر أمرا باطلاق الرصاص ، وكان على صبرى هادئا صامتا لا أعرف ما يدور في صدره ، بينما كان سامي شرف صاحبنا يوزع الاتهامات ( كالعادة ) على الاخوان المسلمين والشيوعيين .  
ناقشت الامر مع على صبرى وأوضحت له أهمية تحركه السريع الى مقابلة اللجنة التي تمثل الطلبة تفاديا لما يمكن ان يحدث من صدام . . .  
ولكنه لم يكن مستعدا للذهاب الى الجامعة ، فهو بطبيعته الخاصة رجل غير جماهيري ، يصعب عليه مواجهة الرأي المعارض .

وذملت من هذا الموقف السلبي ، وعجبت من هذا الاسلوب الذي لا يحسن تقدير الموقف ٠٠ ولم أتردد في اعلان خلافي معه في وجهة نظره .  
وصارحت شعراوى جمعة بعد خروج على صبرى بأن الامور لا يجوز ان تؤخذ بمثل هذه البساطة ، وأن التوزيع التقليدي للاتهامات على الشيوعيين والاخوان لا يمكن ان يكون تعييرا ناضجا عن حقيقة موقف شباب متحمس في مواجهة هزيمة مرة ، وجمود عن التغيير ، واطلاق رصاص على العمال .  
ولكن شعراوى لم يكن يملك فرض رأيه على الآخرين .  
وذهب الدكتور لبیب شقیر لمقابلة الطلبة في محاوله لاقتناعهم ، ولكن محاولته لم تنجح وأصر الطلبة على موقفهم .

وفي صباح اليوم التالي استمرت المظاهرات الطلابية والعمالية وخرج الطلبة من الجامعة متدفقين الى الشوارع وهتافاتهم تطالب بالتغيير والديموقراطية ومحاسبة المسؤولين ٠٠ وفي آخر اليوم هتف البعض لأول مرة هتافات معادية .

وقد تجاوزت بعض الهيئات مع الطلبة وأصدر مجلس نقابة الصحفيين الذي كان يرأسه في ذلك الوقت احمد بهاء الدين بيانا فيه تأييد للطلبة مع الحرص والتعقل .

واستقبل أنور السادات رئيس مجلس الأمة بعض أعضاء لجنة الطلبة الذين أحسدوا مع المظاهرات حول المجلس . . ولكن المظاهرات لم تتوقف، وواجه بعضها إلى الأهرام . . الهياكل معاديه ولكن الحرص على النظام والأمن شديد .

وفي مساء نم حملة اعتقالات واسعة شملت عددا من أعضاء اللجنة والهيبة الطلبة وصاعف المظاهرات . . واعتصم طلبة هندسة القاهرة في كليتهم .

ومره أخرى التقى أنور السادات مع الطلبة في قاعة مجلس الشيوخ وحضر اللقاء شعراوي جمعه وأمن هويدى ومحمد فائق من الوزراء . ودارت منافسة حرة طويلة . أوضح فيها أنور السادات حقيقة ما سم من إجراءات لإعادة بناء القوات المسلحة . والاستعداد لتحرير الأرض المحتلة . سم الانحراج عن الطلبة المنعزلين بعد هذا اللقاء . وأغلقت الجامعة أبوابها وانفضت المظاهرات مؤقتا ، بعد أن هزت كثيرا من استقرار النظام ، وأعادت للحياة الدور السياسى للطلبة بعد غياب أمد ماغرب من ١٤ عاما .

وكان طبيعى أن يحاول جمال عبد الناصر استرداد مطهر قونه بعد هذه الأحداث . . وقرر أن يذهب إلى حلوان . . المنطقة التي انطلقت منها المظاهرات ليلقى خطابا على شاطئ المنطقة . . وقد سبق زيارته اليهم توزيع الأرباح ومحاولات سياسيه لصعبه الموقف واجذاب العاملين . ولم تكن هذه الخطبة هي نهاية للموقف الذى فجره مظاهرات الطلبة ، ولكنها كانت بداية مرحلة جديدة ، أجبرت عليها قيادة الثورة بعد أن واجهت رفض الطلبة للزمه ، ونفاد صبرهم .



## الفصل الثاني

### المقاومة

ما اخذ بالقوة .. لا يسترد بغير القوة (

جمال عبد الناصر

استقر الوضع في مصر على رفض الهزيمة .. وركز جمال عبدالناصر كل طاقته وجهده على بناء القوات المسلحة واستعادة قدرتها القتالية . ولكن المقاومة لم تعد مصرية فقط .. اصبحت عربية .. فعنوان يونيو ١٩٦٧ اتجه الى مصر وسوريا والاردن ، واقتطع من كل منها اراض سقطت تحت الاحتلال .. واختلف الموقف بذلك عن عدوان ١٩٥٦ الذي ركز ضربه على مصر .

ونشج عن الهزيمة خلق رابطة نضالية مشتركة بين شعوب الامة العربية وجذبت قضية فلسطين ثلاث دول عربية جديدة اصبحت ارضها محتلة ايضا .. كما جذبت بطريق غير مباشر بقية الدول العربية التي لحقتها اهانة الهزيمة التي لم تفرق بين عربى من البدو او الحضر .. من المشرق او المغرب .

وقد اخلفت طبيعة الارض التي فقدتها كل دولة عربية ضاعت ضفنه الغربية وانحسرت رقعتة ليصبح ( شرق الاردن ) أثناء الانداب البريطانى على فلسطين . . . ومع سقوط الضمه ا مئات الالاف الى شرق النهر . وواصلوا الحياه فى مخيمات اللد وسوريا فهدت هضبة الجولان الحاكمة التى أحسن تحصينها ، يصعب تصور احتلالها ، الامر الذى جعل سقوطها المفاجئ مؤد العسكريين وظل أمرا بلاحقه علامات الاستفهام . . . أما مصر فقد ومساحيتها من اراضى مصر تقريبا يسكنها عدد محدود وبها بلاد مثل العريش ورفح والطور وغيرها . . . ومعروف لدى العسكريين مثلا والجدى هى أنسب مواقع تحتلها القوات المصرية للدفاع عر ولكن فوزى الانسحاب جعلت سيناء نسقط ويصل الجنود الام مياه القناه .

وهكذا فرضت الظروف ان نفترن مقاومة شعب فلسطين الشعوب العربية الاخرى . . . وأن تصبح المقاومة عربية فلسطينية فقط .

وأرض فلسطين لم تعرف الهدوء منذ قامت فيها اسرائيل . . . ان تقوم . . . كانت هناك حركة وطنية فلسطينية شديدة النشاط هناك ستة أحزاب هى الحزب العربى ، وحزب الدفاع ، وحزب والكتلة الوطنية ، ومؤتمر الشباب ، وحزب الاصلاح . . . ولكنها - بعد اعلان الهدنة وقيام اسرائيل وتشكيل حكومة عموم فلسطين احمد ( باناس ) حليمى والننى سرعان ما عصف بها الزمن . وكان هناك حزب شيوعى فلسطينى تشكل عام ١٩١٩ و الى جانب العرب وظل سكرتيره يهوديا حتى عام ١٩٢٩ عندما ام سكرتير عربى هو نجاتى صدقى ثم رضوان الحلو .

وقد فرضت حركة ١٩٣٦: نفسها على الحزب الشيوعى . اليهود ضد حركة وطنية عربية يقودها المفنى المرتبط بالنازية ، بينم بعض العرب فى صفوف هذه الحركة . . . وقد أدى هذا الموقف ا الشلل للحزب ، الى ان شكل أمل توما وامل حبس ناديا تقدما ودعيا الى قيام اتحاد نقابات وجمعيات العمال العرب . وبعد أن حل الكومنترن فى منتصف مايو ١٩٤٣ تشكلت عص الوطنى فى منتصف سبتمبر ١٩٤٣ لتصبح تنظيما شيوعيا عربيا بقى الحزب الشيوعى الفلسطينى قاصرا على اليهود . ولكن هذا التنظيم العربى مالت ان انقسم تحت ضغط ط اسرائيل الى ثلاثة تنظيمات . . . الحزب الشيوعى الاردنى الذى اعلم ١٩٥١ وكان فؤاد نصار هو سكرتيره العام وضم حلقات شيوعيين الاردن واعضاء العصبة فى الضفة الغربية . . . والعصبة فى قطاع مقرر لجنهها المركزية فى نابلس وقد حوكم أمام مجلس عسكري ر لطفى واكد مندوبا للعصبة عام ١٩٤٩ وحكم عليه بالسجن ٦ سنوات جنائيات كان يمكن ان يصل الحكم فيها الى الاعدام ، وبراءة ٤٩ م

وأخيرا الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي ضم العرب واليهود داخل اسرائيل .

بقيت هذه التنظيمات الثلاثة منبعثة من الحزب الشيوعي الاصيلي تناضل سياسيا في المناطق التي اصبحت تتبع ثلاث دول مختلفة ضد النفوذ الامبريالي والمشاريع المشبوهة التي حاولوا فرضها على المنطقة في محاولة للتعاون مع العناصر الوطنية التي كانت تنهج حتى ذلك الوقت خطا معاديا للشيوعية .

وقد وضعت امام الانظمة العربية ثلاثة مشاريع لامتصاص اللاجئين: اولها مشروع تعمير شمال غرب سيناء ، والثاني مشروع الجزيرة في سوريا ولبنان ، والثالث هو مشروع جونسون لامتصاص اللاجئين في الضفة الغربية .

خاض الفلسطينيون المعركة ضد هذه المشاريع ، ونشطت الهجمات الاسرائيلية للضغط على اللاجئين لقبولها .

ولم تتوقف عمليات التسلل الى الارض المحتلة .. بدأت بمحاولة الحصول على ما تركه اللاجئين من اموال واثاث ثم تطورت لتصبح هجمات منظمة مسلحة .

وكان يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ فيصلا بين عهدين .. وهو تاريخ غارة غزة الشهيرة التي جعلت جمال عبد الناصر يتخذ ثلاثة قرارات هامة هي :

١ - ابلاغ الولايات المتحدة تاجيل مشروع تعمير شمال غرب سيناء الى مابعد بناء السد العالي .

٢ - صفقة الاسلحة التشيكية حتى لاتقع مصر تحت رحمة الامبريالية والصهيونية التوسعية .

٣ - تشكيل وحدات فدائية فلسطينية .

وقد قام الشهيدان البكاشي صلاح مصطفى في عمان ، والبكاشي مصطفى حافظ في غزة بتشكيل وحدات فدائية من المساجين الذين حكم عليهم لتسللهم داخل فلسطين ، وقد أثرت هذه الهجمات على اسرائيل الى الحد الذي جعلها تدبر عملياتها الانتقامية الاجرامية بنسف الضابطين عن طريق عبوة ارسلت لهما في طرد عن طريق البريد .

وطبقا لاحصائيات وزارة الخارجية الاسرائيلية التي وردت في كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية) لاجند صادق سعد وعبد القادر يس يتبين انه كان هناك ٧٨٥٠ حادث تسلل منذ الهدنة حتى عدوان ١٩٥٦ ، قام بها أشخاص قدموا من الاردن ، ٣٠٠٠ من الحدود المصرية وغزة ، ثم حوالي ٦٠٠ من سوريا ، ٢٠٠ من لبنان .

ولكن العمل الفدائي توقف من جانب مصر مع عدوان ١٩٥٦ ومات عليه الاتفاق من تواجد قوات الطوارئ الدولية على حدود مصر وقطاع غزة .. وقد ساد الهدوء على الحدود رغم ان قوات الامم المتحدة قد قتلت نحو ١٠٠ شخص كان بعضهم يتسلل بغرض السرقة .

ولكن هذا الهدوء لم ينعكس سببانا ونوما على الحركة الوطنية الفلسطينية فقد كانت نماذج حركات التحرر الوطني تشكل امامها مشاغل مضيئة .

فقد بدأ الكفاح المسلح في فيننام يهزم الوجود الفرنسي وبدأت نورة الجزائر الجديدة تجذب انظار العالم بعد استعمار دام ١٣٠ عاما .  
ولكن وجود قوات الطوارئ الدولية ، وانشغال جمال عبد الناصر بقضية الوحدة مع سوريا ، والمركة مع ثورة ١٤ يوليو العرفية والتي جعلت عبد الكريم قاسم يحتضن الحاج أمين الحسيني ويرفع معه شعار (عدنا) بينها القاهرة نرفع شعار (عائدون) ، وأخيرا الانفصال والانحسار في المد العربي المنصاعد .

كل هذا دفع جمال عبد الناصر الى مصادرة اعضاء المجلس التشريعي لغزة حسب ماورد في اهرام ٢٧ يونيو ١٩٦٢ بأنه لبست عنده خطة لتحرير فلسطين .  
وقد سجلت اذاعة عمان هذه العبارة واستخدمتها كثيرا في الهجوم على مصر .. وعلى جمال عبد الناصر .  
وكان الملك سعود قد قاتل للعمال الفلسطينيين في الظهران ( عليكم أن تسلكوا سلوك الجزائر )

وقطعا لم يكن الملك سعود ليقول مثل هذا القول لولا نعمة من انه لن ينحول في ارض السعودية الى واقع عملي .. وان نظام الحكم هناك لا يمكن أن يسمح بصوت طلقاء الرصاص للتدريب او الاستعداد .  
خلقت هذه الحالة شعورا عند الفلسطينيين بأنه يجب عليهم أن يعتمدوا على انفسهم ، وأن يشفواوسط كل هذه الظروف المعقدة والناقضات الحادة بين الانظمة طريقا خاصا بهم ، لايعتمد على النضال السياسي وحده .  
وبدأت تظهر منظمات فلسطينية متعددة .. بلغ عددها في الكويت عام ١٩٦٣ حوالي ٢١ منظمة .. وقد اخذت الكويت حيث بوافرت ديموقراطية نسبية و ثراء ملحوظ للفلسطينيين  
وكانت جذور هذه المنظمات تمتد الى منظمات سياسية قائمة فعلا في الساحة العربية .. الثورة المصرية ، حرب البعب ، والايوان المسلمين .  
والقوميين العرب ، وبعض المنظمات الارهابية .

جاء في كتاب ( دليل حركة المقاومة الفلسطينية -- غازي خورنيد ) الذي اصدره مركز الابحاث لمنظمة تحرير فلسطين ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) اختصارا لاسمها ، قد تكونت في نهاية الخمسينيات بالكويت بعد هدوء الحدود في اعقاب العدوان الثلاثي ، وانها أصدرت اول نشرة سرية باسم ( فلسطيننا ) في أوائل ١٩٥٩ .

وكان معظم رواد هذه الحركة من المنمنين او العاطفين على جماعة الاخوان المسلمين ، عدا فاروق القدومي الذي كان منتشيا لحزب البعث ، ولو ان الوقائع التاريخية تثبت انصالحهم بالصين الشعبية عن صديق كمال عدوان وحصولهم على تأييدها .

وظل هذا التنظيم يعبئ نفسه حتى انطلقت شرارته الاولى - في اول يناير ١٩٦٥ عندما صدر البلاغ العسكري الاول لقوات (العاصفة) لمعنابد الكفاح المسلح وانطلاق الثورة الفلسطينية ( لنصفية الكيان الصهيوني الممثل في دولة اسرائيل ) .

وبقيت (فتح) تعمل بشكل سرى محدود ، نخطب مؤتمرات القمة بمذكرات رفعت الى المؤتمر الثالث في ٧ سبتمبر ١٩٦٥ ، ومؤتمر القمة الرابع في ١٤ مارس ١٩٦٦ ، وذلك بعد ان شكلت منظمة التحرير الفلسطينية بناء على قرار المؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد بالقدس في ٢٨ مايو ١٩٦٤ والتي كان أحمد الشقيري اول رئيس لها .

أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد انبثقت من حركة القوميين العرب الذين فلدوا في البداية حركة مصر الفتاة والقمصان الخضراء فأسسوا ( كتائب الفداء ) . . التي قامت على حس عربي فضمت في صفوفها مناضلين من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر . . وقامت أيضا على اساس انه (لا مفر من القيام بأعمال عنف ضد الانهزاميين والمتعاونين مع الصفوة الحاكمة من جهة ثانية) وذلك بعد اقتناعهم بأنهم يشكلون (مجموعة ضاغطة) مهمتها (التأثير على الصفوة الحاكمة عن طريق ارهابها اذا اقتضى الامر لتفرض أى صلح مع اسرائيل كخطوة اولى والنهاية لتصفيتها في جولة أخرى) وذلك كما ورد في كتاب (حركة القوميين العرب - باسل الكبيسي) الذي صدر عن دار الطليعة ببيروت .

وكان جورج حبش الفلسطيني هو العنصر الشديد الفعالية ، الذي انضم الى (جيش الانقاذ) الفلسطيني غير النظامي . والذي ارتبط مع هاني الهندي السوري الاصل البغدادي المولد ، ليشكلا مجموعة بروت .

والغريب ان هذه المجموعة قد ارتبطت بالارهابي المصري حسين توفيق الذي اغتال أمين عثمان ثم هرب الى سوريا بعد ان حوكم مع مجموعة من الشباب المصري ضمت أنور السادات وسعد كامل والسفير محمد كامل ابراهيم وغيرهم .

لجأت هذه المجموعة الى الارهاب فهاجمت معبدا لليهود في دمشق في ٦ أغسطس ١٩٤٩ وقتلت ١٢ وحرقت ٢٧ شخصا ، ووضعت القنابل في مدرسة (الليانس) بيروت ، وهاجمت مقر وكالة الفوئ التابعة للامم المتحدة في دمشق .

وقد حاولت (الكتائب) ان تصبح جناحا عسكريا للبعث ، ولكن لم يحدث اتفاق بين التنظيمين اللذين قام احدهما على فكرة العنف ، وقام الآخر على فكرة التبشير بالقومة والوحدة العربية .

وقد تعرضت هذه المجموعة الى ملاحقة الشرطه بعد اعترافات حسين توفيق الذي اعفل بعد محاولة الاغتيال الفاشلة لاديب الشيشكلي .

ومع ذلك فقد حاولت هذه المجموعة الاتصال مع الشيوعيين والدخول معهم في جبهة ( ان كانوا قد اعجبوا بالدور القيادي الذي لعبه الشيوعيون العراقيون في الانفاضة الوطنية التي أجبرت صالح جبر على الاستقالة وأدت الى الغاء معاهدة بورتسموث ، كما انهم تأثروا بالبحاج الكبير الذي حققه الشيوعيون في الصين بحيث اعتبروا الشيوعيين العرب قوة ثورية يجب ألا تستبعد من ساحة النضال الوطني ، وعلى هذا الاساس دخل القوميون العرب في مباحثات مع الشيوعيين بهدف التوصل الى صيغة

المتعاون ، ولكن المباحثات سرعان ما انهارت بسبب موقف الشيوعيين من القضية الفلسطينية ، فقد بسك الطلبة الشيوعيون بالخط الرسمي للحزب الشيوعية الخاص بتأييد قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة ، وبحكم الموقف المتصلب للقوميين العرب ازاء هذه القضية لم يجدوا اية نقط التقاء بينهم وبين الشيوعيين) وذلك حسب ماورد في مقابلة صحفية مع الدكتور جورج حبش في ٢٤ يونيو ١٩٧٠ نشرت في كتاب ( حركة القوميين العرب ) .

ويمكن حركة القوميين العرب من تشكيل منظمة طليعية عام ١٩٥٢ تسمى (هيئة معاومة الصلح مع اسرائيل) عارضت مع الحركة الوطنية الفلسطينية مشروعات الاستيطان ، وأصدرت مجلة أسبوعية اسمها (الثار) لعبت دورا مؤثرا في صفوف اللاجئين الفلسطينيين . ولم تقترب الحركة من الثورة المصرية الا بعد عام ١٩٥٤ عندما ظهر الدور الوطني لثورة يوليو في حريها ضد الاحتلال البريطاني لمصر ومقاومة حلف بغداد والأحلاف العسكرية ، وعندما أصدر جمال عبد الناصر قرارا بدمج الطلبة القوميين العرب المفصولين من الجامعة الامريكية في الجامعات المصرية .

وانجبت حركة القوميين العرب نحو التأييد المطلق للثورة المصرية ، وصدرت مجلة (الرأى) معبره عنهم ، كما فسح (صوت العرب) أبوابه لهم وأوصل صوتهم الى جماهيرهم في الاردن والارض المحتلة ، وأسهموا بذلك مع غرهم من القوى الوطنية الفلسطينية في بعث روح النضال ضد المشاريع الاستعمارية ، كما قام عبد الحميد السراج في سوريا بتدريب أعضاء الحركة للنضال ضد الحكم الهاشمي في الاردن .

وعندما قامت الوحدة نظر القوميون العرب الى الجمهورية العربية المتحدة على انها ( نواة لدولة عربية قومية أوسع قادرة على خلق حياة أفضل للأجيال القادمة) ونقلت القيادة القومية للحركة مقر عملها الى دمشق في أوائل ١٩٥٨ .

وعندما ظهر التناقض بين ثورة يوليو المصرية ، وثورة يوليو العراقية ووجه القوميون العرب نشاطهم نحو القوات المسلحة العراقية وكسبت عددا من الضباط ، ( أخذ الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل بعوثي القيادة القومية ) للحركة ) ويناقش معهم مختلف أبعاد النضال القومي . وقد لعبت نشرتهم السرية ( الوحدة ) التي ساعد هاني الهندي في إصدارها دورا في الهجوم على الحزب الشيوعي العراقي . وقد صدر العدد الاول من مجلة (الحربة) الناطقة باسم حركة القوميين العرب في يناير ١٩٦٠ موضحة موقفها كما يلي . . . (نحن راغبون فكريا في خوض معركة مع كافة القوى المعادية لحركتنا . . . سواء كانت شرقية أم غربية . . . يمينية أو يسارية ) . وهكذا لتسبب حركة القوميين العرب دورا في التركيز على قضية الوحدة العربية ، والصراع ضد الشيوعيين المحليين والقوى الرجعية في الوطن العربي .

وعندما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية أيدھا القوميون العرب ٠٠  
وعندما دعا جمال عبد الناصر في الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٢ يوليو عام  
١٩٦٣ الى اقامة (حركة قومية موحدة تندمج فيها كافة الحركات القومية في  
الوطن العربي) أرسلت الحركة وفدا الى مصر فابل جمال عبد الناصر الذي  
أيد فكرة اقامة تحالف لهذه القوى ٠

وظلت العلاقة بين الحركة وعبد الناصر الى ان نشب خلاف بين مصر  
ممثلة في بعض ضباط المخابرات المصريين الذين تولوا مسئولية الاتصال  
مع الحركة الثورية في اليمن وبين (الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن )  
التي تقودھا (الحركة) ٠

ووصل الخلاف الى الحد الذي دفع الحركة الى دعوة (اليسار الناصري)  
الى تأكيد ( استقلاله ) الفكري والسياسي والتنظيمي ٠ والى اعتقال بعض  
قادة الجبهة القومية في القاهرة ٠

### البعث ٠٠ والقضية الفلسطينية

وقد لعب حزب البعث العربي الاشتراكي دورا رئيسيا في قضية الامة  
العربية للنضال من أجل تحرير فلسطين التي تعتبر قضية محورية في عقيدة  
الحزب ولذا فلھا عليه تأثير داخلي حاسم ٠

وكان كبار قادة البعث مثل ميشيل عفلق واکرم الحوراني وصلاح  
البيطار قد تطوعوا عام ١٩٤٨ في حرب فلسطين ٠٠ كما تاضلوا داخل  
سوريا لتوجيه مسار سياستها نحو دعم الوحدة العربية لتصبح قوة مؤثرة  
في مواجهة اسرائيل ٠٠ حتى انتهى الامر الى قيام دولة الوحدة الاولى  
( الجمهورية العربية المتحدة ) في فبراير ١٩٥٨ ( انظر الجزء الثالث  
عبد الناصر والعرب ) ٠

كان حزب البعث خلال هذه الفترة قد تحمس لموقف ثورة يوليو عندما  
عقد عبد الناصر صفقة الاسلحة ، وكسر احتكار السلاح الغربي ٠٠ ووقف  
موقف المساندة الايجابية الفعالة عندما حدث العدوان الثلاثي على مصر ،  
وفتح في حمص معسكرات لتدريب الشباب ، كما قام فرع الحزب في غزة  
بنشاط سياسي أثناء فترة احتلال القوات الاسرائيلية لها ٠

واذا كانت العلاقة قد تعثرت بين ثورة يوليو وحزب البعث فان موقف  
ميشيل عفلق كان ثابتا وواضحا ٠٠ لم يهاجم وجود قوات الطوارئ الدولية  
على الحدود المصرية كما فعل اكرم الحوراني ، ولم يؤيد الحركة الانفصالية  
في ايامها الاولى كما فعل الحوراني والبيطار ٠٠ وانما ثبت على موقفه  
المبدئي المدافع عن فكرة وقضية الوحدة العربية ٠

وفي عام ١٩٦٠ انشئ مكتب فلسطين القومي نابعا لحزب البعث ٠٠  
وكان ضمنه تنظيم للكفاح المسلح ٠

وخلال أعوام ١٩٦٣ و١٩٦٤ انشغل الحزب الحاكم في سوريا والعراق  
بمشاكل الدولة الداخلية وخلافاتهم مع ثورة يوليو مما احدث نوعا من  
الاحباط وخيبة الامل كما يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالي الذي كان امينا

لهذا المكتب الذي فاده خالد يشترطى الذى كان عضوا فى القيادة العمومية عام ١٩٦٣ .

ثم اصل الفلسطينيون من البعث بأعضاء فتح بعد تكوينها ، وسقط حلال كعوش عصوص الحزب شهيدا فى العمليات الفدائية عام ١٩٦٥ ، وكانت جريدة (الاحرار) البعثية فى لبنان قد نشرت البيان رقم ١ للعاصمة فى أول يناير ١٩٦٥ ، وفتحت صفحاتها دفاعا عنهم .  
كما كانت جريدة البعث فى العراق نشر بيانات العاصمة التى كان يسلمها فتحي عرفات شفيق ياسر عرفات الى طارق عزيز المسئول عن تحريرها ووزير الاعلام الحالى فى العراق .

ويذكر ان عددا من قادة فتح كانوا اعضاء فى البعث مثل ابو اللطف (فاروق قدومى) ومحمد ابو ميذر ومحسن ابو ميذر وخالد يشترطى . ومع ذلك فقد اعتقل ياسر عرفات فى سوريا بوساطة أحمد سويدانى رئيس المخابرات فى عهد أمين الحافظ والذي تعاون بعد ذلك مع قادة الانقلاب العسكرى فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ .

كان الحكم فى سوريا والعراق بعد هذا الانقلاب يطارد البعث وقيادته القومية .

وعندما حدث عدوان ١٩٦٧ كان ميشيل عفلق فى البرازيل ومن هناك ارسل برقية تضامن الى جمال عبد الناصر .

وعندما قامت ثورة ١٧ يوليو فى العراق نشط البعث فى جمع التبرعات لمنظمة فتح الى ان اعلن عن تشكيل (جبهة التحرير العربية) فى أول يناير ١٩٦٩ ، حيث قامت بدورها فى النضال المسلح وتولى أمانها العامة زيد حيدر ثم دكتور عبد الوهاب الكيالى واخيرا عبد الرحيم أحمد .

## المقاومة .. بعد العدوان

هذه النبذة التاريخية المختصرة تعرض الجذور التاريخية للحركات الرئيسية لنضال الشعب الفلسطينى قبل عدوان ١٩٦٧ .

ولم تكن هذه هى القوات الوحيدة فى الساحة .. كانت هناك قوات وتنظيمات أخرى صغيرة تبذل جهودها للعمل وسط صفوف الشعب الفلسطينى الذى تنافر عدد كبير منه فى مختلف الدول العربية ، واستقر عدد منه فى أعمال مربحة ومعززة وخاصة فى المهجر او فى الدول البترولية .

وفتح عدوان ١٩٦٧ صفحة جديدة فى تاريخ النضال الفلسطينى . وجدت حركة (فتح) التى اختارت طريق الكفاح المسلح منذ مطلع عام ١٩٦٥ فرصة فريدة لاثبات وجودها والحصول على اعتراف الانظمة العربية المهزومة بها .

وكانت (فتح) قد حاولت الاتصال بالسلطات المصرية عام ١٩٦٦ ولكن العمل العربى كما سبق ان ذكرت كان فى يد ضباط المخابرات المصريين ، الذين كانوا مقتنعين بأن ارتباط بعض قادة فتح بالاخوان المسلمين ، هو فى ذاته أمر يجب ان يبعدهم عن ثورة يوليو .. وخاصة



بعد ثبوت وجود الاخوان في تنظيم سرى عام ١٩٦٥ ومحاكمة بعض قادتهم والحكم على عدد منهم بالاعدام ،

ومع ذلك فقد كتبت في روز اليوسف في عدد ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧ بعد لقاء مع عدد من قادة التنظيمات الفلسطينية تحفيما تحت عنوان ( دقت ساعة حرب جديدة لاتكسيها اسرائيل ولا بالفنيلة الذرية) تحدثت فيه عن الحركة الفدائية وناثيرها التاريخي في فلسطين ، وأشارت الى ان نقط انطلاق الفدائيين لن تكون في الخارج بعد أن أصبح العرب الفلسطينيون يشكلون أكثر من نصف تعداد سكان الأرض التي سيطر عليها اسرائيل ، ولما كان يغلبني الاعتقاد وقتئذ بان العمل الفدائي سوف يكون من داخل الأرض المحتلة ، فقد قلت ان العمل الفدائي يخرج بذلك من حساسية الدول المجاورة وتوفر له بذلك شرعية ثورية .  
وكانت وكالة الانباء الفرنسية قد نشرت برقية من داخل اسرائيل في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ تقول فيها . .

( اذا كان رجل الشارع في اسرائيل قد ارتاح بعض الشيء بعد (حرب الايام الستة) من حزينان الماضي التي أبعدت الحدود الاسرائيلية عن المواقع الحيوية لعمال العنف العربية فانه يبدو عليه اليوم الاستياء المشوب بالقلق بعد الغارات التي يشنها الفدائيون العرب التي تهدد بأن تصبح أكثر قسوة وخطورة) .

تزايد الدور السياسي لحركات المقاومة الفلسطينية وبرز دورها في الساحة العربية ، وبدأت تبحث عن طريق للاعتراف الدولي بها .  
وكان طبيعيا ان يكون اول تفكير لهم في الدولة الكبرى الصدمة الاتحاد السوفييتي الذي لم تكن تربطه بهم حتى ذلك الوقت صلة ما .

وفي هذه الفترة تعرف (صلاح خلف) أبو اياد ومعه عدد من رفاقه على بريماكوف مراسل البرافدا في القاهرة في ذلك الوقت ، ونايب معهد العلاقات الدولية بموسكو الآن في جلسة كانت في منزلي ، ودار خللاها حديث عميق حول دور حركة المقاومة الفلسطينية ، ولعله كان احدي البدايات في طريق اتصالات متعددة وطويلة امتد حتى أتيتحت لهؤلاء القادة فرصة مقابلة عبد الناصر عن طريق محمد حسنين هيكل بعد نشر ما كتبت وقبول مصر بقرار مجلس الأمن .

وحتى هذه اللحظة كانت المخابرات المصرية تشر الشكوك حولهم فحذرت هيكل من احتمال دخول ياسر عرفات وصلاح خلف وفاروق القدومي على عبد الناصر وهم يحملون اسلحتهم .

ويكتب محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) ما دار في هذا اللقاء مشيرا الى قول جمال عبد الناصر بأنه كان من ضمن المشاكل عدم وجود عنصر فلسطيني في النضال ، وانه سيكون سعيدا اذا استطاعت فتح التعبير عن ارادة المقاومة عند الشعب الفلسطيني ، وانه لايجد سببا واحدا يحول دون تعاونهم معا رغم ان مصر قد قبلت قرار مجلس الامن لانه يعتفد ان للفلسطينيين كامل الحق في عدم قبول القرار والاعلان عن ذلك لانه لم يصدر من أجلهم ولا يحمل توقيعهم .

وبعد هذه الاتصالات بدأت فسخ وحركات المقاومة الاخرى بأخذ مجالا في العمل السياسي والظهور الاعلامي .  
وجد عبد الناصر في فتح حليفا حديدا ليعوضه عن القوميين العرب .  
وفرضت عليه الظروف ان يقبل ماكان يرفضه في الماضي .  
وكانت حركة القوميين العرب قد عقدت بعد الهزيمة عدة مؤتمرات لبحث وتحليل الاسباب التي أدت الى هزيمة الجيوش العربية . . . وكانت حصيلة هذه المؤتمرات الطلاق الكامل مع الناصرية التي اديننت باعتمادها (حركة برجوازية صغيرة محكوم عليها بالفشل) ، كما دعت هذه المؤتمرات الى استبدال الناصرية ( ببداية جديدة ) من شأنها أن تغير حركة القوميين العرب من منظمة شبه برجوازية الى حزب لينيني ماركسي .

ونشرت مجلة (الحرية) بقول ان كل الانظمة العربية قد سقطت .  
وانبثقت عن حركة القوميين العرب (الجهة الشعبية لتحرير فلسطين) الى يقول كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انها تشكلت من اتفاق ثلاث منظمات هي منظمة ابطال العودة ، وجهة التحرير الفلسطينية التي كونها الضابط الفلسطيني في الجيش السوري أحمد جبريل ، ومنظمة شباب الثار التي تعرف أيضا باسم الجهة القومية لتحرير فلسطين ، وهو التنظيم الفلسطيني لحركة القوميين العرب .

وقد تطورت العلاقات بين فتح وثورة يوليو الى الحد الذي جعل جمال عبد الناصر يصحب معه ياسر عرفات الى موسكو اثناء زيارته لها في يوليو ١٩٦٨ بجواز سفر مصري تحت اسم (محسن أمين) ، بعد ان كان قد سهل له مهمة الحصول على الاسلحة والتدريب في مصر ، الامر الذي اثار قلق الملك حسين وخاصة عندما ضبقت الاسلحة المرسلة الى الفدائيين في طائرتين قادمتين من القاهرة .

وقد ارسل الملك حسين رئيس وزرائه بهجت التلهوني للاحتجاج على ذلك اكثر من مرة .

ولم يتوان الفدائيون عن أداء دورهم النضالي بعد تنظيم وحدات عسكرية تابعة لمختلف التنظيمات القائمة في الساحة والتي كانت ( فتح ) تشكل ثقلها الرئيسي .

وقد أدى تصاعد العمليات الفدائية الى اكتشاف اساليب جديدة في القتال ، وظهرت الحاجة الى استخدام أسلحة أكثر تطورا مثل صواريخ ستريللا السوفيتية .

ولذلك أسهم جمال عبد الناصر في ايجاد جسر مباشر بين القادة السوفييت وقادة فتح ، فقدم عرفات الى بريجنيف وكوسيجين ويودجورني .  
وداربت المباحثات بين ياسر عرفات وكيريل مازاروف المسئول السياسي عن الصلة بحركات التحرر الوطني وبعض العسكريين . . . وبدأت منذ ذلك التاريخ علاقة سياسية مباشرة بين الفلسطينيين والاتحاد السوفيتي، أسهمت الى حد كبير في امدادهم بالسلح ، ودعم موقفهم في مجال السياسة الدولية .  
أصبح الكفاح المسلح شعارا ترفعه كافة التنظيمات الفلسطينية وبدأ

تشكيل الوحدات الفدائية ٠٠ وانتقلت المعركة الى داخل الارض المحتلة ٠٠ وبدأت بعض التنظيمات الصغيرة فى الانضمام الى فتح ، ميل جبهه التحرير الوطنى الفلسطينى ، ومنظمة طلائع الفداء لتحرير فلسطين ، وجبهة نوار فلسطين ، وقوات الجهاد المقدس .

ومع ذلك لم تنحد كافة المنظمات الفلسطينية ، ولم ينجح مؤتمر المنظمات الفدائية الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ١٧ الى ٢٠ يناير ١٩٦٩ فى دمج هذه التنظيمات فى وحدة متماسكة فقد قاطعته الجبهة الشعبية . والتعدد فى التنظيمات الفدائية يعتبر ظاهرة طبيعية ، تعكس واقع الشعب الفلسطينى خلال السنوات العشرين التى عاشها بعد قيام اسرائيل . وتشئت فيها فى مختلف الدول العربية ٠٠ الامر الذى جعل عددا من التنظيمات يرتبط بانظمة معينة تنفق عليها وتحدد مسارها وسياستها . وارتدت ظاهرة التنافس والتناقض بين الانظمة العربية الى الساحة الفلسطينية ، حيث يريد كل نظام ان يطوع العمل الفدائى ليناسق مع سياسته .

ويظهر كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انه كان هناك ١١ تنظيمًا هم :

فتح - قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة تحرير فلسطين - طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين - جبهة التحرير العربية - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) - جبهة النضال الشعبى الفلسطينى - الهيئة العاملة لتحرير فلسطين - منظمة فلسطين العربية - المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين .

ولدت معظم هذه التنظيمات فى فترة المد لحركة الكفاح المسلح ، وفى موجة اندفاع ابناء الامة العربية وخاصة ابناء فلسطين الى العمل الفدائى ٠٠ والبعض منها كان نتيجة لحركات انقسامية فى صفوف الجبهة الشعبية . ورغم هذا فقد حدث تزواج قومى فى صفوف هذه التنظيمات ٠٠ فوقف فى خندق واحد المصرى والفلسطينى والعراقى والسورى والجزائرى . . وغيرهم من مختلف الدول .

لم يحدث هذا التزاوج فى تحركات تقليدية للقوات المسلحة للانظمة المختلفة ٠٠ وإنما حدث بروح تطوعية واردة شعبية . واستلقت اهتمام الرأى العام العالمى ، حركات العمل العدائى التى بدأت تؤرق اسرائيل ، وتظهر المقاومة الفلسطينية كعنصر ايجابى مؤثر فى الموقف العسكرى والسياسى بالمنطقة .

أصبحت شعارات الفدائين وصورهم ترتفع فوق المظاهرات فى دول أوروبا الغربية ٠٠ وتعمق اهتمام الدول الاشتراكية بجبهة حركة التحرير الوطنى الفلسطينية ، فاعترفت بها وبحقوق شعب فلسطين ، ثم أيدت فكرة اقامة دولة فلسطينية ، وأخيرا أدانت الصهيونية كفكرة عنصرية .

وقد أخذت الحركات الفدائية أساليب مختلفة فى عملها ٠٠ البعض

حارب داخل اسرائيل ٠٠ والبعض الكفى بمساومات الحدود ٠٠ والبعض اجه الى خطف الطائرات فكانت العملية الاولى التي فامت بها الجبهة الشعبية يوم ١٥ يوليو ١٩٦٨ عندما حطمت طائرة (بويج ٧٠٧) تابعة لشركة العال الاسرائيلية ابناء افعاءها من مطار روما وفادتها الى مطار الجزائر ٠ وقد اخبرنا فتح مهجا سياسيا يصير على (بحسب المارك السياسي والفكرية مع القوى الاخرى مها كان السبب ، لان هذه المارك ستؤثر على سرعة نموها) ٠ وحرصت على تجنب الصدام مع الانظمة التي تعيش فوق ارضها ٠

أما بعض التنظيمات الاخرى فقد اتجهت الى الماركسية اللينينية لتجد فيها ذخيرة فكرية ، ومرشد نضال ٠٠ وبدأ الصراع الطبقي يصبح محورا من المحاور الرئيسية التي يتبلور حولها تفكير واستراتيجية هذه التنظيمات ٠

طلّعت حرب التحرير الشعبية ( الصاعقة ) الفرع الفلسطيني لحكم سوريا يؤمن بالاشتراكية العلمية وترى ان (الصراع الطبقي في وطننا لم يتبلور نتيجة انقسام حاد في المجتمع ٠٠ وانما برز نتيجة عجز طبقات مهترئة اقطاعية وبرجوازية عن قيادة وحماية تراث الوطن العربي من الغزو الاستعماري)

والجبهة الشعبية اعتنقت الماركسية اللينينية كما ذكرنا ٠٠ ولكنها أدانت الاحزاب الشيوعية العربية ووصمتها بالفشل ، اذ كانت ترى في نفسها البديل لتلك الاحزاب ٠

ولكن سرعان ما حدثت الانقسامات في الجبهة عندما انشق احمد جبريل ليشكل القيادة العامة في اكتوبر ١٩٦٨ ، وفي فبراير ١٩٦٩ انشق الجناح اليساري من الجبهة ليشكل (الجبهة الشعبية الديمقراطية) ٠

ولاشك ان انجذاب التنظيمات الفلسطينية الى الماركسية اللينينية خلال فترة ما بعد العدوان قد شكل تقيرا جذريا في اتجاه الحركات السياسية في الشرق الأوسط ، وفرض على الانظمة العربية تقليل حساسيتها التقليدية من الافكار والاحزاب الشيوعية ٠٠ كما جذب أنظار الطبقات العاملة في الوطن العربي الى ضوء جديد ٠

ولكن عدم نجاح هذه التنظيمات في التعاون مع الاحزاب الشيوعية القائمة أظهر نقاط ضعف في تعبورها السليم عن الواقع الطبقي للعمال والفلاحين ٠ وفي اجمال الدور التاريخي لهذه الاحزاب ، مع محاولة طموح للقفز فوق الواقع ٠

على أية حال كان جديدا ان تظهر تنظيمات تقول مثل ما قالت الجبهة الشعبية الديمقراطية من أن (النضال ضد الامبريالية هو اساسا نضال طبقي ، فالامبريالية تحكم سيطرتها وهيمنتها على المنطقة العربية خلال تحالفها مع الاقليات العربية الحاكمة في الانظمة الرجعية ) ٠

أما الحزب الشيوعي الاردني فقد ظل هادئا امام موجات الاندفاع الى العمل الفدائي حتى مارس ١٩٦٩ عندما أصدر بياننا دعا فيه الى ( حماية

المقاومة المسلحة الناشئة وسميها وتنظيمها وبوحدها) .. كما أشار الى أن (جميع الظروف آخذة في النضوج لافامة جبهة شعبية نورية تكون مؤهلة لقيادة الجماهير الشعبية في الاراضى المحتلة بشكل واع) .. كما طالب بتنسيق العمل بين قطاعي المقاومة في الاراضى المحتلة والصفا النرفية) .  
وأخيرا ظهرت قوات الانصار التي صدر بيانها الاول في مارس ١٩٧٠ فكانت منظمة فدائية جديدة أسهم في تكوينها الاحزاب الشيوعية في كل من الاردن والعراق وسوريا ولبنان .. وجاء في بيانها الأول ( انها - لا تبغى منافسة أو معارضة أية منظمات مقاتلة ضد العدو - بل - ستكون رافدا من روافد المقاومة يصب في نهريها العارم .

ونماوحت في الوطن العربي عدة أفكار سياسييه .. فرزت الفكرة القائلة بأن النظرية نبع من فوهة البندفية .. وعارض ذلك من يعسرون أن في ذلك محاولة للتقليل من أهمية ودور النضال السياسي وهو في مضمومه استهانة بالجماهير .

وقد شهدت السنوات التي أعقبت الهزيمة اسراع نفوذ المنظمات الفدائية وخاصة فتح التي انتخب زعيمها ياسر عرفات رئيسا لمنظمه تحرير فلسطين أثناء اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني بدلا من يحيى حمودة ، وانتقلت بذلك الاغلبية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى أيدي ممثلي النشاط الفدائي .

### المقاومة داخل الارض المحتلة

لم تقتصر المقاومة العربية الفلسطينية على حدود الارض المحتلة واما امتدت أيضا داخل الاراضى الاسرائيلية .. قام بها العرب الذين بقوا تحت الحكم الاسرائيلي .

لم تنتج المقاومة داخل الارض المحتلة الى الكفاح المسلح في البداية ، فقد كانت قبضة القوات الاسرائيلية بعد الانتصار وبداية الاحتلال شديدة العنف تطارد السلاح كالكلاب المسعورة .  
وقد برزت الشخصية الفلسطينية وظهرت بوضوح وقوة .. وانجحت الجماهير الى التحرك السياسي الذي نشطت فيه الجبهة الشعبية والحزب الشيوعي الاردني والحزب الشيوعي الفلسطيني بقطاع غزة .

وحاولت الحكومة الاسرائيلية في مواجهة ظهور الشخصية الفلسطينية العمل بأسلوبها السابق على عدوان ١٩٦٧ ، وهو الاعتماد على شريحة محدودة من بعض الاثرياء والعلماء .. لتمييع الشخصية الفلسطينية وتخفيف شدة نضالها .

وكانت بعض الاحزاب العربية قد نضامنت مع الماباي وحكومة ليفي اشكول عقب استقالة بن جوريون .. وأيد بعضها قرار الكنستت بإفامة علاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية .. كما أيدوا الاجراءات الشكلية التي أخذتها الحكومة الاسرائيلية بنقل اختصاص الحكم العسكري الى الادارة المدنية ومساواة العمال العرب بالعمال اليهود في الهستدروت .

وبعد الانصار اتبع السلطات الاسرائيلية سياسة مزدوجة ٠٠ الممع والارهاب وجوبل الارض المحتلة الى شبه مستعمرات من جهة والمعاون السياسى مع بعض الانرياء وحلق مايسببه السوءالعربية الاسرائيلية المستركة حيث تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الاردن والدول العربية ٠  
صرح ابا اييان فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧ فى مؤتمر صحفى بأن اسرائيل ترغب فى تكوين ( مجتمع اقتصادى مشترك ) مع لبنان والاردن ٠ واستجاب بعض الاعيان لذلك فشكّلوا لجانا قومية وقطرية لاجراء مقاضات مع الحكومة الاسرائيلية باركها الحركات الصهيونية مل هاعولام هاربه والمابام وماكى ٠

وفى نوفمبر ١٩٦٨ صدرت اول جريدة عربية ( القدس ) ٠ ولكن الفلسطينيين لم ينجرّفوا فى هذا التيار السهل ٠ كانت هناك مجموعات أشد صلابة ونشبا بالافكار الوطنية والقومية ٠  
فى اكتوبر ١٩٦٧ شكلت فى الضفة الغربية جبهة واسعة باسم : ( جبهة المقاومة الشعبية ) ٠ ضمت الحزب الشيوعى الاردنى والقوميين العرب وحزب البعث وجبهة تحرير فلسطين ٠ وقد اسبعد الاحوان المسلمون والعناصر الموالية لامريكا ٠ كما جاء فى كتاب ( الحركة الوطنية الفلسطينية أحمد صادق سعد وعبد القادر بس ) ٠ وكانت هذه الجبهة تعارض اقامة دولة فلسطينية تحت كنف الاحتلال الاسرائيلى ٠

ثم اعيد تشكيل ( جبهة المقاومة الشعبية ) فى منتصف عام ١٩٦٩ حيث نسعت العمل مع ( الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة ) ، وقد لعبت الاحزاب القومية والتقدمية دورا بارزا فى توجيه الجماهير ٠  
وقد تحولت المقاومة الى شكل ايجابى ، فأغلقت كافة المحلات ونوقفت المواصل فى اضراب عام خلال اغسطس ١٩٦٧ فى مدينة القدس ٠ وفى اول سبتمبر اصدر المدرسون فى الضفة الغربية بيان احتجاج على تزييف الحكومة الاسرائيلية للمناهج الدراسية ودعوا الى مقاطعة الدراسة ٠ وقامت مظاهرة عمالية من العاطلين فى رفح خلال ديسمبر تطالب بالحز فاطلق عليها الجنود الاسرائيليون النار ، وسقط شهيد ٠  
وتوالى الاضرابات والمظاهرات والاحتجاجات فى كل مناسبة وطنية او قومية ٠ ووصل الامر الى حد قيام احتكاكات بين البوليس والمتظاهرين فى مدن عديدة مثل نابلس ورام الله وجنين ( انظر الحركة الوطنية الفلسطينية صفحة ١٣٣ )

ولجأت السلطات الاسرائيلية الى ابعاد العناصر الوطنية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ٠

وقد سجلت المحاكم العسكرية انها نظرت فى شهرين اثنين من عام ١٩٦٧ ما يقرب من ٦٥٠ قضية اهانة للبوليس والجيش الاسرائيلى ، كما قدم لمحكمة غزة العسكرية ما يقرب من ٢٠٠ فداى ٠

وقد صرح الجنرال دايان فى اول يناير ١٩٧٠ امام الكنيست ان ٩٩٩ عملا تخريبيا قد وقع خلال ٨ شهور من عام ١٩٦٩ قتل فيها ٤٠ فداى ٠

٢٣ جنديا اسرائيليا ، وجرح ٥٥٨ فردا ، وقد ردت السلطات الاسرائيلية  
بقتل ٥٠ عربيا وجرح ٥١٦ .

وكان هذا دليلا على أن المقاومة لم تقتصر على تحركات جماهيرية  
سياسية فقط ، ولكنها تجاوزت ذلك الى العمليات العسكرية التي تبنتها  
التنظيمات الفلسطينية خارج الارض المحتلة والتي كان يتسرب أعضاؤها  
الى الداخل سرا .

وقد انفجرت بعض القنابل في دور السينما والمحلات العامة ،  
وأماكن التجمع داخل اسرائيل الامر الذي خلق نوعا من الذعر لاشك فيه بين  
المستوطنين الصهيونيين

هذا ماكان من المواطنين العرب الفلسطينيين .

### المقاومة داخل اسرائيل

اما ماحدث داخل اسرائيل نفسها منذ اللحظة الاولى للعدوان فكان  
يتخذ وجهة اخرى واسلوبا مختلفا .

كان الشيوعيون الاسرائيليون قد حذروا قبل العدوان من اشاعة  
الهستيريا العسكرية ، واكدوا ان الحرب مهما كانت نتيجتها لن تحل أى  
قضية معلقة ولن تؤدي الا الى زيادة الجفاء والعداء بين اليهود والعرب .

وفي ٥ يونيو ١٩٦٧ كان النائبان الشيوعيان مايرفيلنر سكرتيرحزب  
راكاح وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما الوحيدان من بين  
اعضاء الكنيست اللذان صوتا ضد اعتماد قروض عسكرية او فرض ضرائب  
جديدة . كذلك حاول النائبان تجميع توقيعات النصاب القانونى لفتح باب  
مناقشة الحكومة فى أمر العدوان ولكنهما لم ينجحا فى ذلك لتكتل الجميع  
خلف العدوان .

وقال ماير فيلنر فى الكنيست (لم يكن فى استطاعة أى عدو ان يلحق  
باسرائيل اضرارا كذلك التى الحقنها الحكومه الاسرائيليه ) وطالب بوقف  
العمليات العسكرية التى بدأها اسرائيل فورا وبسحب القوات الى خط  
الهدنة .

وأضاف فيلنر (ان هذه الحرب ليست فى صالح شعب اسرائيل  
وليست فى صالح الشعوب العربية وانما هى فقط تخدم المصالح الامبريالية  
الامريكية والبريطانية ونسعى لحماية هذه المصالح بسفك دماء الشعوب ) ،  
وثار النواب ضد فيلنر وحاولوا انزاله من منبر الكنيست فصاح فيهم  
توفيق طوبى كما ورد فى كتاب (اطلاق الحماية) لبيليايف وبريماكوف .  
وكوليسني تشنكو ( انكم لن تستطيعوا كتم صوت الشيوعيين فهو صوت الحق ،  
صوت الشرفاء من العرب واليهود ، صوت السلام . ولابد يوما ان يعلو هذا  
الصوت على نعيكم)

وقد قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من الشيوعيين .

ومن بينهم أسرة تحرير جريدة (الاتحاد) العربية لسان حال الحزب الشيوعي ومع ذلك استمرت الجريدة في الصدور هي وجريدة الحزب العبرية (زوخادريخ) . . واحتج الشيوعيون على وضع المناطق التي يسكنها عرب الارض المحتلة تحت الحكم العسكري .

كان الشيوعيون الاسرائيليون وحدهم هم الذين يأخذون هذا الموقف الواعي الشجاع في ظروف شديدة القسوة . وكان صوتهم الذي يبدو نشازا في غمرة الابتهاج الذي غمر اسرائيل وانتقل منها الى الدول الغربية هو الصوت الوحيد المعقل الذي يدرك ان نصرا في معركة لا يمكن ان يفرض سلاما على المنطقة .

وكان النائبان الشيوعيان ماير فيلنر سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما النائبان الوحيدان اللذان صونا ضد قرارين أصدرهما الكنيسة اولهما يقضى بتوحيد القدس واخضاعها لادارة محلية واحدة ، متحديا في ذلك قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة . وثانيهما يقضى بالموافقة على قرار بنك اسرائيل الذى أعلن فيه ان الليرة الاسرائيلية هي العملة الوحيدة التي يصرح بتداولها في الجزء العربى من القدس .

كان الموقف الذى اتخذه النائبان الشيوعيان يتسم بالشجاعة والحرص على الموقف المبدئى فى مواجهة خطة صهيونية توسعية للاستيلاء على الارض العربية ، فبعد صدور قرارات الكنيسة عقد رئيس الوزراء ليفى اشكول مؤتمرا صحفيا فى القطاع العربى من القدس وأعلن ان العسكريين الاسرائيليين ليس فى نيّتهم التخلي عن الارض العربية المحتلة .

وقد واصل الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) موقفه الصلب ضد صهيونية الحكومة الاسرائيلية فى بسالة ملحوظة وحكمة ثورية . . وقاوم اعضاؤه قرارات حظر التجول بين المدن التى فرضت على اعضائه . وظلت جريدة الاتحاد منبرا معبرا عن رأى الحزب وجماهره . . تؤدى دورا أساسيا فى نوعية الشعب العربى الفلسطينى ، وتماسكه وصلابته ، . . وتجذب الى صفوف الحزب مزيدا من الانصار ، الامر الذى لوحظ تماما فى انتخابات البلدية ثم الكنيسة .

وبعد أن كان

العرب ينظرون الى الذين بقوا فى اسرائيل نظرة المتهاون والمتهاون فى وطنيه ، تحولت هذه النظرة الى تقدير واعزاز . . وأصبح الشعراء العرب فى اسرائيل نماذج للصمود والمقاومة . . وردد الناس اشعار سميح القاسم وتوفيق زياد ومحمود درويش وغيرهم بعد أن فتحت الصحف العربية صفحاتها لهم واحتفت بانتاجهم .

لم يلجأ العرب الفلسطينيون داخل اسرائيل الى المقاومة المسلحة المباشرة كما فعل زملاؤهم خارج الارض المحتلة او داخلها ، مكثفين بفرصتهم



المتاحة لمعارضة سياسة الحكومة الاسرائيلية بوسائل سياسية سواء داخل الكنيست او فى المجالات الشعبية .  
وكانت الحكومة الاسرائيلية نتربص للعرب محاولة نصيد أى أخطاء لهم فى هذا السبيل لتضاعف القيود القبطية التى كانت يفرضها عليهم فى الانتقال من مدينة الى أخرى وفى سلب الحقوق التى كان مفروضا ان يحصلوا عليها باعتبارهم مواطنين اسرائيليين . . فقد كانت هناك نفرة عنصرية واضحة ضد السكان العرب أولا ثم ضد اليهود الشرقيين ثانيا .  
وقد لعب الحزب الشيوعى الاسرائيلى ( راكماح ) دورا بارزا وهاما فى ضبط ميزان المقاومة ، فتشبت بالمواقف المبدئية وناضل فى سبيلها بكل الجراة والصراحة مع حرص على عدم الانزلاق الى موافق غير ناضجة لاتسمح بها الظروف ولا التعبئة الشعبية المتاحة .

### المقاومة فى مصر

لم تكن ثورة يوليو بعيدة عن المقاومة الشعبية . . كانت تلجأ لها فى أوقات الشدة . . ولكن بأسلوبها الخاص .  
عندما انتهت حركة الكفاح المسلح فى القنائة التى بدأت عام ١٩٥١ فى عهد الوفد مع حريق القاهرة ، قامت حركة الجيش بعدها بستة شهور . . ووجدت فى الكفاح المسلح طريقا رئيسيا للضغط خلال المفاوضات مع قوات الاحتلال البريطانية لاجبارها على الجلاء .  
ورغم أن محكمة الثورة التى تشكلت من عبد اللطيف البغدادى رئيسا وعضوية أنور السادات وحسن ابراهيم قد وجهت الاتهام الى فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد بأنه قد خاض معركة الكفاح المسلح دون استعداد . . الا أن هذا الاتهام لم يجد صدق عند الجماهير سوى الدهشة والاستغراب . . فقد كان الكفاح المسلح ورعاية الوفد له وساما من ألمع الاوسمة التى تزين تاريخ الوفد .

ولم تتخل حركة الجيش عن الكفاح المسلح . . ولكنها سلبته من أيدي القيادات الشعبية للأحزاب والتنظيمات المختلفة ، ووضعته بين أيدي ضباط المخابرات الحربية والعامة الذين ربما كانوا أقدر على التدريب العسكرى من غيرهم ، الا أن قدرتهم على تحريك الجماهير كانت محدودة . . ورؤيتهم للكفاح المسلح كانت تختلف عن رؤية الاحزاب الشعبية .

ومع ذلك أثمر الكفاح المسلح فى منطقة القنائة ضغوطا كانت تزيد وتخفف نبعا لموقف البريطانيين على مائدة المفاوضات .  
ولم تكن نجربة الكفاح المسلح فى القنائة خلال سنوات ١٩٥٣، ١٩٥٤ هى التجربة الوحيدة التى خاضها ثورة يوليو . . كانت هناك تجربة المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ( أنظر الفصل الرابع من الباب الاول - الجزء الثانى ) .

تغير أسلوب حركة الجيش نوعا ما .

صحيح انها اعتمدت على رجالها من ضباط الجيش والمخابرات . . .  
ولكن هؤلاء لجأوا بدورهم الى القوات الشعبية وفى مقدمتهم الشيوعيون  
واليساريون . . . وحدث نوع من التوافق والتنسيق ونكران الذات . . . وسجلت  
المقاومة الشعبية أعمالا بطولية بارزة ضد قوات الاحتلال البريطانى والفرنسى  
فى بورسعيد وبورفؤاد .

ولكنه ما أن تمجلاء قوات العدوان حتى بادرت الحكومة بسحب الاسلحة  
من الشعب بأسلوب هادئ. فام به عبد اللطيف البغدادى كما أوضحت فى  
الجزء الثانى . . . وانفرط نسيج العلاقة النضالية التى ربطت بين حركة  
الجيش وبين القوى الشعبية .

خلال أعوام الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى فى القناة .  
وخلال فترة المقاومة الشعبية ضد المعتدين عام ١٩٥٦ . . . كانت هناك فرصة  
التحرك فى حرب الانتصار والقصابات ضد العدو ، فقد كان يحتل مناطق  
أهلة بالسكان .

ولكن عدوان ١٩٦٧ خلق ظروفًا مختلفة ، فقد تغيرت نوعية العدو ،  
فأصبح الاسرائيليون بدلا من البريطانيين . . . واستقرت بهم الحال فى سيناء  
شرق القناة حيث الصحراء شاسعة تكاد تكون خالية من العمران ، وليس  
بها الا عدد محدود من المدن (العريش ورفح) الفليلة السكان .

أصبحت المقاومة الشعبية أشد صعوبة من ذى قبل فقد خلعت قناة  
السويس مائعا بيننا وبين العدو ، وضاعت فرصة التسلل عبر حدود قطاع  
غزة الى أرض اسرائيل .

وكان رفع شعار المقاومة الشعبية بعد الهزيمة الفادحة التى منيت بها  
القوات المسلحة يبدو نغمة نثارا فقد خسر الجيش سلاحه ، ولم تعد هناك  
أسلحة كافية لتسليح الشعب .

وقد اسنبتت الحيرة بجمال عبد الناصر فى ذلك الوقت فالجماهير  
تتصور اننا لابد ان نرد الضربة للعدو خلال شهور ، ولذا فعلينا ان نحتفظ  
بالاعلام والاناشيد فى الإذاعة . . . وقد قال فى إحدى خطبه انه بحنا عن  
النغمة الصحيحة سال بعض زملائه فى الوزارة فقالوا له ان لندن كانت تذيب  
الاعانى العادية وفن ضربها بالمنايل أثناء الحرب العالمية الثانية .

كانت ( النغمة الصحيحة ) مفقودة فعلا فى مواجهة الهزيمة الفادحة .  
ولكن ذلك لم يحل مطلقا دون التركيز على سرعة بناء القوات المسلحة،  
واقحامها فى معارك تعيد لها الثقة ، مثل اغراق المركب الاسرائيلى ايلات  
بصواريخ الطوربيد فى اكتوبر ١٩٦٧ وكما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

وجاء رد الاسرائيليين عنيفا اذ ضربوا معمل تكرير البترول فى السويس  
حتى تحطم تماما ، واتجه الرأى الى تهجير السكان من مدن القناة حماية لهم  
من المعرض للمدفعبة والطائرات الاسرائيلية .

وأخذت الايام تمضى والقوات المسلحة تستعيد تنظيمها وقوتها . . .  
ولكن جماهير الشعب لا تشعر بشعور المعركة الا من بعض المظاهر التى  
يحيط بها .

ولم يلعب الاتحاد الاشتراكي دورا ملموسا في تعبئة الجماهير للمعارك، فقد كانت هناك خشية دائمة من حركة الجماهير حتى لاتخرج عن اطار حسابات خاصة تبعتها عن طواعية النظام .

الخشية من الحركة الشعبية والتفاعل الحى معها رغم اعتماد جمال عبد الناصر عليها كان يشكل معادلة صعبة امام النظام . وعندما زادت الضغوط حول قضية اشراك الجماهير في المعركة ونقلهم من مقاعد المتفرجين الى مشاركين فعيلين أعلن جمال عبد الناصر في ٢٣ يوليو ١٩٦٩ عن تشكيل ( لجان المواطنين من أجل المعركة ) .

ولم تكن حقيقة الاتحاد الاشتراكي خافية على جمال عبد الناصر فقد قال في اجتماع خاص عقده مع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي في نهاية ديسمبر ١٩٦٤ مانصبه ( الملاحظ اليوم ان هناك انعزالا بين القيادة والناس ، والذي أريد ان اقله هو ان تنظيم الاتحاد الاشتراكي حتى الآن هو تنظيم على الورق رغم مؤتمرات الوحدات الاساسية ٠٠ تنظيم ٦ مليون شخص عملية مستحيلة ونحن يهنا ان ننظم القيادات والكادرات ٠٠ اننا فعلا نطبق الاشتراكية من دون اشتراكيين وأنا لا أستطيع ان اقول اننا نطبق الاشتراكية ونريد ان نوحده الاشتراكيين بعد ذلك ) .

كان جمال عبد الناصر يمهّد بذلك لتكوين وظهور طليعة الاشتراكيين التي شكلت فعلا كما اوضحت في الجزء الثاني .

وكان مفروضا ان يكون السند الرئيسى والاساس الحقيقى للمقاومة الشعبية هو هذا التنظيم الطليعى .

وأسجل حديثا لجمال عبد الناصر أيضا مع امانة الاتحاد الاشتراكي قال فيه :

( اننا نستطيع أن نعقد مؤتمرا سواء كان في شادر او في الجامعة او في الشارع ، ولكن طالما انه لا توجد الكادرات الثورية فان الناس ستحضر ثم تنصرف ولا شيء آخر ) .

( من الممثل الثورى للاتحاد الاشتراكي فى العزيزية مثلا ؟ ) ( بلدة سيد مرعى )

ويجب سيد مرعى قائلا ( سيد مرعى ) فيضحك الحاضرون . ويستكمل عبد الناصر الصورة قائلا ( انت تقيم فى القاهرة ولكن من هو الممثل الثورى للفلاحين ؟ )

ثم يسأل فى تحد ( أين هم الناس الذين يدافعون عن الاشتراكية على أساس انهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ؟ قد نقول لى انهم كل أهل البلد ولكن أين القيادات التى يمكن أن تتقدم وتقوم هؤلاء الناس ) هكذا كان الامر راضحا عند جمال عبد الناصر منذ البداية . وطبيعة الاتحاد الاشتراكي لم تتغير بصورة جذرية .

ولكنه عندما واجه الامر بعد يونيو ١٩٦٧ اتخذ طريقا مغايرا واختار تشكيلا جديدا هو ( المواطنون من أجل المعركة ) .

كان مفروضاً في هذا التنظيم الجديد ان يحقق نوعاً من الايجابية في تعبئة الجماهير وحشدتها للمعركة . . ولكن بوادها كانت تدل على خلاف ذلك ، فقد عين حافظ بدوى مسئولاً عنها ، وهو رجل بعيد عن هذا الميدان تماماً . . فليست له قدرات عسكرية . وموقعه السياسى لم يتجاوز حدود محافظة كفر الشيخ التى كان مسئولاً عن الاتحاد الاشتراكى بها حتى أصبح وزيراً للشئون الاجتماعية .

ولذا جاء هذا التعيين دليلاً على رغبة عبد الناصر في اقامة تنظيم شكلى جديد لايموج بالحوية ولا يحشد طاقة الشعب الحقيقية . ولم تكن لهذا التنظيم فعالية حقيقية . بل انه شكل ازدواجية تنظيمية غير مطلوبة ، كما انه لم يقم بدور (المليشيا الشعبية) كما قام بها (الحرس الوطنى) التابع لحزب البعث فى العراق مثلاً خلال فترة زمنية معينة عام ١٩٦٣ .

كان اعطاء السلاح للجماهير أمراً غير وارد في تفكير جمال عبدالناصر أو قادة النظام فى مصر لانهم كانوا يعتمدون على قدراتهم وسلطتهم الادارية فقط ، ولم يلجأوا لتسليح الشعب الا تحت ضغط ظروف العدوان ومقاومة الاحتلال كما حدث عام ١٩٥٦ .

ولكن الموقف بعد الهزيمة كان مختلفاً . . فالعدو كما ذكرنا بعيد عن رؤية الجماهير ، ومحاربته تتم عن طريق وحدات القوات المسلحة الفدائية . وتسليح الشعب يشكل خطراً على النظام فى وقت اهتزت فيه الثقة بالقيادة ولايستطع التنظيم السياسى ان يكون مقنعاً او محل احترام الجماهير . ولذا استقبل الناس ( لجان المواطنين من أجل المعركة ) بسلبية واضحة وسخرية غير مستترة . فقد كان حافظ بدوى الذى عين بها مسئولاً شخصية غير مقنعة لأحد بأنه قادر على حشد وتعبئة الجماهير ، فلم يعرف له ماضى سياسى ، ولم يشتهر بموقف نضالى ، وليست له ثقافة عسكرية تتيح له امكانية حمل عبء هذه المسئولية التاريخية . . ولذا انفرط عقد ( لجان المواطنين من أجل المعركة ) قبل اكتماله ، وأصبحت تنظيماً اضافياً هامشياً لا قيمة له ولا تأثير .

ولاشك ان جمال عبد الناصر يعتبر مسئولاً مسئولية تاريخية عن عدم البحث الجاد في تكوين المقاومة الشعبية ، اذ ركز جهده فقط فى اعادة بناء القوات المسلحة ، بينما يشكل الاثنان أساساً موحداً للنضال من أجل التحرر

وكذلك فان اختيار جمال عبدالناصر لحافظ بدوى رئيساً لهذا التنظيم الجديد يعتبر فى ذاته خطأ بالغا . . لانه لا يضع الشخصية المناسبة فى المكان المناسب ، واما انه يعطى احياء صريحاً بأن هذا التكوين كان لعبة من ضمن الالعاب التى يمكن ان تمتص بعض طافه الناس او غضبهم .

ولكن (لجان المواطنين من أجل المعركة) لم تحقق شيئاً من ذلك ولم تقدم شيئاً نافعاً . . وظلت المقاومة الشعبية كلمة وشعاراً بعيداً عن التحقيق .

## الفصل الثالث

### العرب . . . وظلام الهزيمة

( تقدم أو ٠٠ مت )

شعب الجزائر في مظاهرات  
٩ يونيو سنة ١٩٦٧

لم يفرض الهزيمة نفسها على العرب ، ولم يرضخ الجماهير للسبيحة ،  
ولم يبرح من الصدمة المذهلة .  
نشابه الموقف بقرى في الدول التي احتلت أراضها أو الدول التي لم  
تتأثر مباشرة من العدوان ، بدرجات متفاوتة .  
وعلى قدر ما انحدرت المشاعر تأييداً لمصر وجمال عبد الناصر يوم ٥ يونيو  
على قدر ما كان قبول وقف إطلاق النار طعنة لبعض هذه المشاعر لأنه كان  
يعنى عندهم الاستكانة لمذلة الهزيمة ، وإطعام لجذوة القتال التي اشتعلت  
في الصدور .

أشد مظاهر هذا الرفض كانت في الجزائر حيث يعيش الشعب الذي حارب الاستعمار الفرنسي سبع سنين ، والذي لم يتخيل مطلقا ان حربا يمكن ان تنتهي في ستة ايام أو ان جيشا يمكن ان يوقف اطلاق النار والعدو يحتل ارضه .

ولا يمكن التشكيك لحظة واحدة في تقدير شعب الجزائر وحيه لجمال عبد الناصر ودوره الايجابي في مساندة الثورة الجزائرية . . وعندما وصلت أبناء العدوان كان هواري بومدين قد ألفى خطابا قبلها بأيام قال انه في حالة وقوع الحرب فانه ليس امام العرب من خيار الا (النصر أو الاستشهاد) . وتجمع الناس حول أجهزة الاذاعة يستمعون . . ومؤشراتهم تتجه الى القاهرة وصوب العرب . . وعندما توارت أنباء الانتصارات الاسرائيلية في وكالات الأنباء ومحطات الاذاعة الاجنبية ، طلبت اذاعة الجزائر من المستمعين ألا يسمعوا أو يصدفوا ما تذيعه هذه المحطات ، لانها تشكك في سير المعركة .

وظل الجزائريون يرتبطون بخيط الامل في استمرار المعركة وانتصار العرب الى ان أعلن قرار وقف اطلاق النار ، فانفجرت عواطف الجماهير تلقائيا وبدفعت المظاهرات نهف بسقوط جمال عبد الناصر .

ارفعت رؤية الشعب فوق تقدير الشخص والزعيم . وعندما أعلنت اذاعة القاهرة عن خطاب جمال عبد الناصر يوم ٩ يونيو أخذت الاذاعة الجزائرية اجراء لم نفعله من قبل وهو اذاعة الخطاب مباشرة على الهواء في نفس الوقت .

ولم يكذب على جمال عبد الناصر اصراره على التناحي حتى خرج الناس الى الشوارع غير مصدفين فالتين لعبد الناصر Marche - ou - creve أي (تقدم أو مت) .

وظل مجلس الوزراء الجزائري في حالة انعقاد دائم . . ونقل وزير الاعلام الجزائري مقره الى مبسب الاذاعة والتليفزيون . وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بهواري بومدين بعد تدمير القوات الجوية شارحا له الموقف وطالبا منه ارسال طائرات جزائرية .

ويقول هواري بومدين انه طلب من جمال عبد الناصر عدم التوقف عن القتال حتى عندما ابلغه انه ليس هناك قوات مسلحة قادرة على صد الهجوم عن القاهرة . وانه ليس هناك دفاع جوي قادر على حماية المنشآت الجوية .

كان هواري بومدين يؤمن بضرورة استمرار المعركة ونقلها الى ساحة الشعب ، لان ذلك كان يعني في النهاية انتصارا شعبيا مؤكدا مهما بعد الوقت او زادت التضحيات .

ومع ذلك لم يتردد بومدين لحظة في الوقوف الى جانب مصر وجمال عبد الناصر فقد طلب منه أن يرسل طيارين مصريين لقيادة الطائرات من الجزائر الى مصر .

ويقول بومدين ان الجزائر قد ارسلت كل ماكانت تملكه من طائرات .

ولكن نقمة الشارع الجزائري على موقف جمال عبد الناصر كان نزداد شدة وعنفاً ٠٠ وظهرت الطبيعة الجزائرية الجادة عندما حاول بعض الجزائريين الاعتداء على عدد من المصريين كانوا يسبحون على الشاطئ في الايام الاولى التي أعقبت الهزيمة ٠٠ وغضب طيار جزائري من احد الطيارين المصريين الذين حضروا لقيادة الطائرات عندما تساءل عما اذا كانت هناك فرصة لمشاهدة العاصمة الجزائرية في وقت كان الناس فيه جميعا يحتاجون الى دقيقة واحدة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد ارسل خطابا الى الملوك والرؤساء العرب يوم ٨ يونيو يوضح فيه افكاره في هذه اللحظات الدقيقة ويقترح زيارة هواري بومدين الى موسكو والملك حسين الى واشنطن ٠ وقد استدعى بومدين السفير السوفيتي وأبلغه بخبر رحلته في اليوم التالي ٠٠ ولم نفلح محاولات السفير في تأجيل الزيارة حتى يستعد الزعماء السوفييت لاستقبال الزعيم الجزائري ٠

وصل بومدين الى موسكو يوم ١١ يونيو ودارت بينه وبين الزعماء السوفييت مناقشات هامة ، حاولوا أن يوضحوا له فيها أنهم قاموا بدورهم في مساعدة مصر بأسلحة كافية لم تستخدم ، وأن تدخلهم المباشر في هذا الوقت يعرض العالم لخطر حرب عالمية ثالثة ، وأنهم لن يترددوا في مساعدة مصر لاعادة بناء قواتها المسلحة ٠٠ ولم يعد بومدين مقتنعا تماما بأراء القادة السوفييت فقد كان يريد مساعدة فوريه ومباشرة ٠٠ وقد أمضى بعد ذلك عدة أيام في القاهرة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى في نفس اليوم الذي وصل فيه بومدين الى موسكو - ١١ يونيو - رسالة وقعها بريجنيف وكوسيجين وبودجورني تقول :

أيها الصديق ٠٠

اننا ندرك خطر الموقف الذي نشأ في بلادك نتيجة العدوان الاسرائيلي ومؤامرات القوى الامبريالية واننا نريد في هذه اللحظة ، هذه اللحظة العسيرة هذه اللحظة المسئولة ان نعرب عن اعتقادنا الجازم بأنه يجب عليك الانتزك ببلادك او قيادتك ٠

الصديق العزيز عبد الناصر :

انك تتمتع بسمعة كبيرة في العالم العربي ٠٠ ان شعوب العالم العربي تحبك ونشك فيك وتسندك ، وان أصدقاءك في جميع انحاء العالم يعتمدون عليك ، ويعتقدون أن استمرارك في موقعك هو وحده الذي يمكنك من العمل والنضال لاستعادة ما فقد وحماية الانصارات الكبرى للثورة العربية وقيادتها الى النصر النهائي ٠

ان العالم العربي والقوى التقدمية في العالم لن تفهم ولن تقبل تخليك عن موقعك الآن ، ولقد عمدنا اجتماعا في موسكو أمس لزعماء الاحزاب والحكومات الشيوعية من جميع الدول الاوربية الاشتراكية ، ونحن في سبيل

اصدار اعلان نقدم اليك فيه كل التأييد ، كما فررنا بذل جهود مشتركة لحل جميع المشاكل التي تواجهك اقتصادية أو عسكرية ونحن على استعداد لناقشة كل شئ معك .  
مع عميق احترامنا

### بريجنيف - كوسجين - بودجورنى

رفع هذا الخطاب معنوية جمال عبد الناصر وشد من عزيمته بعدموقف الشعوب على امتداد الوطن العربي التي طالته بعدم النحى .  
وفي مقابل هذا الموقف السوفييتى المساند ، كان موقف جونسون مع الملك حسين فى غير صالح العرب اذ قال له فى الوقت الذى كانت فيه كل الدلائل تشير الى تورط أجهزة الولايات المتحدة فى التخطيط للعدوان (ماذا كنتم على هذا القدر من الغباء الذى جعلكم تتورطون ؟ ) .  
وعموما فقد ظهر التباين واضحا فى الموقفين السوفييتى والامريكى .  
وبقى بومدين فى القاهرة عدة ايام الى جانب عبد الناصر . بينما عاد الملك حسين الى عمان .

وهكذا لم يكن موقف الجزائر اندفاعا عاطفيا لمحاولة احراج مصر وقيادتها . ولكنه كان تعبيرا عن غضبه حقيقية لجرح اصاب القومية العربية التي جعلت الثورة الجزائرية منها محورا رئيسيا للنضال .  
ومرة أخرى ذهب هوارى بومدين الى موسكو مع عبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ عقب زيارة بودجورنى لمصر التي عرض فيها جمال عبد الناصر اقتراح توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الدولتين ، وتحميل السوفيت مسؤولية الدفاع الجوى عن مصر .  
كان جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت يستهدف تقرب الاتحاد السوفييتى من المشكلة واشعارهم بأن هزيمة مصر هى هزيمة لهم . وكان الاتحاد السوفييتى يدخل فى حساباته سياسة الانفراج الدولى التي كان يتبناها ، فتردد فى قبول العرض المصرى حتى لانتفب المنطقة بأكثر مما يحتمله السلام العالمى .

وكان عبد الناصر خلال زيارة بودجورنى قد وافق على تقديم تسهيلات بحرية للاسطول السوفييتى فى البحر الابيض ، ولكنه رفض ان تكون لهم قاعدة خاصة مغلقة .

وسافر بومدين وعارف لمطالبة السوفييت بمزيد من المساعدة للعرب . وقال لهم بريجنيف انه قد أمضى فى موسكو عدة ليال بلا نوم نتيجة للتحذيرات التي كانوا يتلقونها من أن اسرائيل تدبر عبورا لقناة السويس .  
وهو أمر قد يكون مستبعدا لوقوف السوفييت مع العرب ولأن ذلك يعتبر تحديا للرأى العام العالمى ، ومع ذلك فان ذلك - فى رأى بريجنيف - كان يمكن ان يحدث ويتم اندفاع سريع نحو القاهرة الامر الذى يقرب العالم من شفا الهاوية .

وذكر بريجنيف لبومدين وعارف المساعدات التي قدمها الاتحاد



السوفييتي لمصر فقال انه خلال اسبوعين أرسلنا حمولة ١٥ سفينة من المواد الحربية زنتها ٨٤ ألف طن علاوة على ارسال ١٥٠٠ حبر .  
وعاد الزعيمان العربيان الى مصر بعد شرح وجهه نظرهما للزعماء السوفييت .

ولكن هوارى بومدين لم يشأ المشاركة فى أى موقف يسوى المشكلة بغير طريق الحرب والقبال .

ولم يكد نمضى شهر حتى أعلن هوارى بومدين يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٧ عن فشل محاولة انقلابية فى الجزائر وتقديم المسئولين عنها للمحاكمة بعد عزل طاهر الزبيري رئيس الاركان وبولى بومدين قياده القوات المسلحة ليبقى زعيما عربيا مناضلا من أجل التحرر والاشتراكية والوحدة العربية .  
ولم يذهب هوارى بومدين الى مؤتمر الخرطوم - أغسطس ١٩٦٧ - أناب عنه عبد العزيز بونفليقة ولم يقبل فرار مجلس الامن ، وقرر سحب القوات الجزائرية التي كانت ترابط فى مصر لانها اصبحت بلا دور .  
ولاشك ان الامة العربية على امتداد الوطن كانت قد تأثرت الى حد بعيد بدعايات وتصريحات المطالبين بدمير اسرائيل ، والذين رسخت فى عقولهم هذه المطالبة حتى اصبحت حقيقة يصعب تغييرها . ولذا كان قبول قرار مجلس الامن ايضا فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ صدمة ثانية بعد قبول فرار وقف اطلاق النار .

ولكن هذا لايعنى ان الفرار الذى اتخذه جمال عبد الناصر بوقف اطلاق النار أو قبول قرار مجلس الامن كان نابعا من موقف ضعف وتخاذل ، أو انه كان تعبيرا عن روح انهزامية . ذلك القول بحمل الامور فوق ماتحتمل . فالحقيقة ان مجابهة الامر الواقع كانت تفرض ذلك . فلو لم ينحذ قرار وقف اطلاق النار لاستمر جموح العدوان فى وقت كانت مصر قد فقدت فيه بسبب قيادتها العسكرية المهترئة معظم قواتها المسلحة . كما ان جميع دول العالم غربا وشرقا ماكانت لتقف بجانب مصر لو كان هدفها عدوانا وبصدد تدمير اسرائيل . ان الدول الصديقة وفى مقدمتها الاتحاد السوفبى كانت تتخذ موقفا استراتيجيا واضحا لدى مصر وهو انها تفه ها للدفاع عن أرضنا ضد عدوان الامبريالية والصهيونية النوسيه ، ولكنها لاخطو هنا خطوة واحدة ضد الوجود الاسرائيلي .

وفد لايتسقى هذا الموقف مع عواطف العرب . ولكنه كان الاختيار الاستراتيجى للسوفييت منذ عام ١٩٤٧ بعد دراسنهم لامور المنطقة .  
ولذا فان نشوز جمال عبد الناصر أو رفضه لقرار مجلس الامن الذى نص على احرام وجود دول المنطقة كان يعرضه لعزله عالميه قد يشترك فيها الاصدقاء أيضا .

واذا كان جمال عبد الناصر قد استند على باقى رصيده من الثقة الشعبية فى قبول قرار مجلس الامن ، وفيلت الاردن ايضا القرار حيث يسنفر النظام على أسس لاتسمح له باتخاذ موقف الرفض . فان أنظمة عربية كثيرة رفضت القرار . سوريا من دول المواجهة ثم العراق والسودان والجزائر .

## العراق

رفضت العراق فرار مجلس الامن رغم ضعف نظام عبد الرحمن عارف الذي كان على علاقة طيبة بالنظام في مصر ، ورغم ان العدوان الاسرائيلي لم يمس العراق مباشرة .  
كانت العراق في حالة غليان ضد الهزيمة .  
وكان حزب البعث في العراق قد بدأ يلعب دورا سياسيا ضاعطا ضد الحكومة . . . ويقول التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن للحزب - فبراير ١٩٧٤ - مايلى :

( في الواقع كان حزب البعث العربي الاشتراكي في وضع خاص واستثنائي جدا ، فقد كان للحزب نفل مادي ومعنوي كبير في حياة البلاد السياسية برغم كل الحساسيات بجاهه وبرغم مواقف العداء ومحاولات العزل التي كانت تتخذها اوساط سياسية عديدة ضده ، ولانه كان الحزب الوحيد في القطر العراقي الذي سبق له ان تسلم السلطة السياسية عن طريق الثورة المسلحة فان كبيرين كانوا ينظرون اليه على انه القوة السياسية الوحيدة في البلاد القادرة فعلا على تكرار هذه العملية ) .

أسهم الحزب بدور رئيسي في خروج مظاهرات الاحتجاج مع بداية العدوان أمام السفارتين الامريكية والبريطانية في بغداد . . . وقاد هذه المظاهرات الزعيم احمد حسن البكر الذي رفع شعارات ( مساندة المقاومة الفلسطينية ) .  
وكانت القوات العراقية قد اتجهت قبل العدوان الى الاردن كما ذكرنا وقد ودعها عبد الرحمن عارف بخطبة كانت محل التندير والسخرية لانها طالبت الجنود بأن يحسنوا التصرف عندما يجتاحون ارض اسرائيل . . . وقد وصلت هذه القوات بعد الهريمة واستقرت هناك بأعداد وصلت الى مايزيد عن ٥٠.٠٠٠ جندي .

وشكلت في بغداد حكومة جديدة برئاسة الفريق طاهر يحيى بدلا من الوزارة التي كان يرأسها عبد الرحمن عارف . . . وكانت الحكومة العراقية قد اوقفت تصدير البترول الى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، كذلك حظرت استيراد السلع من هذه الدول ، ومنعت طائراتها من الهبوط في العراق ، كما قطع العراق علاقاته الدبلوماسية بالولايات المتحدة وبريطانيا وكانت مقطوعة اصلا مع المانيا الغربية . . . كما غلق كافة المراكز الثقافية التابعة للدول الاستعمارية المذكورة .

ومع ذلك فان حزب البعث بدأ يخطط للاستيلاء على السلطة متخذاً من رفض الهزيمة حافزا شديدا على ذلك وكان النظام ضعيفا والتنظيمات السياسية مشرذمة وغير متحدة . . .

ولم يكن للبعث في العراق في ذلك الوقت صلة بالنظام الحاكم في سوريا اذ أنه اتخذ موقف الرفض المبني للانقلاب السوري الذي أطاح بأمين الحافظ في ٢١ فبراير ١٩٦٦ رغم احتفاظه بلافئة بعثية اذا اعتبر ذلك خروجاً على تقاليد الحزب .

وبرزت الحاجة الى التحالف مع قيادة الحرس الجمهوري لنجاح الحركة العسكرية من الجهة الفنية ، وتم ذلك عن طريق التفاهم مع قائد تلك القوات ابراهيم الداود (رغم تشخيص الحرب الدقيق لاتجاهاته السياسية وأطماعه الشخصية) على حد تعبير التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن - فبراير ١٩٧٤) .

وفد ورط ابراهيم الداود قيادة الحزب بأبلاغه عبد الرزاق النايف احبار الحركة العسكرية قبل وقوعها . الامر الذي وضع القيادة القطرية للحزب أثناء اجتماعها صباح يوم ١٦ يوليو ١٩٦٨ في دار احمد حسن البكر في وضع حرج عندما وصلتهم رسالة من النايف ببدي فيها اسعاده للمشاركة في الثورة .

فيلت القيادة القطرية الوضع حني لايفضح أمر الثورة ، وارضى بعين عبد الرزاق النايف رئيسا للوزراء ، مما سبب صدمه مفاجئة لبعض أنصار الحزب الذين لم يعرفوا حقيقة ما دار في الكواليس .

ومنذ اللحظة الاولى لقبول هذا الوضع الجديد الذي عرض حط الحركة الثورية للتشويه بدأ التفكير في ضرورة تصفية النايف والداود معا .

وفي الثالثة من صباح ١٧ يوليو انقضت حرب البعب المكلفون بتنفيذ الانتفاضة المسلحة على كتيبة دبابات الحرس الجمهوري وحاصروا القصر الجمهوري وكان في طليعهم صدام حسين ، واصلوا بعبد الرحمن عارف طالبين منه التسليم على ان نحفظ له حياته ويسافر الى خارج العراق بسلام وقد تردد عارف في البداية ولكنه عندما لمس ان الهجوم على القصر قد بدأ باطلاق النيران وانه محاصر ، تراجع وقبل عرض التسليم ، فسافر الى خارج العراق في الصباح .

وكان تحريك اللواء العاشر المدرع نحو بغداد ابدا هاما من بود الحطة وقد حاول عبد الرزاق النايف بعد ننازل عارف منع اللواء من التحرك ولكن البعثيين في اللواء رفضوا ذلك وأكملوا خططهم حيث اتخذوا لهم موقعا في منطقة ( أبو غريب ) .

ولم يدم الوضع اكبر من ١٣ يوما بعد الحركة البورية اد بعثت عميلة تصفية النايف و ابراهيم الداود صباح ٣٠ تموز عندما كان الداود في الاردن لتنفذ القوات العراقية هناك ، وقد اغتيل النايف داخل القصر الجمهوري رغم حساسية الوضع لوجود عدد من المؤيدين له في قوات الحرس الجمهوري ، وفي داخل مبنى القصر الجمهوري ، حيث مقر أمين سر القيادة القطرية احمد حسن البكر .

وفي الساعة السادسة من مساء ٣٠ يوليو صدر بيان في الاداعة سهى الوضع المعلق ما بين ١٧ ، ٣٠ يوليو والذي اعتبره حزب البعث ( من أكثر الاوقات دقة وحرجا في حياة الحزب ، ومن أشدها خطرا على وجوده ومستقبله وعلى الحركة الوطنية في القطر . . بل وعلى حركة الثورة العربية ايضا ) .

وكانت الانتفاضة الثورية في ١٧ يوليو تأكيداً لموقف رفض الهرية من جانب العراق .

حاء في الشأن الاول للورء هذه الكلمات :

كانت بوءه ١٧ يوليو ١٩٦٨ هى اول بوءه نحدث فى الوطن العربى بعد الهزيمة ٠٠ وفد عاد بها حرب البعث الى السلطة بعد اقصائه عن الحكم عقب احدات نوفمبر ١٩٦٣ ، والى كانت سببا رئيسيا فى هدم العلاقات بين جمال عبد الناصر وبين حرب البعث ، وهى العلاقة التى بدأت نسوء فى عهد الوحدة وحاصه بعد استقالة اكرم الحورانى وصلاآ البطار ٠ والى لم نجح محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ فى بصفيها من الخلافات ٠

وكانت محاولة جاسم علوان ومحمد الجراح الانقلابية فى سوريا ( بوليو ١٩٦٣ ) مبعث نك فى اسلوب جمال عبد الناصر من جانب حزب البعث ٠ وقد أعقب وصول امين الحافظ الى الحكم فى سوريا بعد طرد لؤى الاناسى عده معالاب عنيفة كتبها محمد حسنين هيكل ضد البعث فى صحيفة الاهرام وكان رد عليها طارق عزيز وزير الاعلام فيما بعد فى صحيفة البعث صاح كل خميس ٠

وبذكر ان محاولة فد بعت لتصفية الجو بين مصر والعراق اثناء اشتراك البعث فى الحكم على عهد عبد السلام عارف ، وقرر سفر وفد يرأسه عبد السلام عارف ومعه طاهر يحيى ، وذلك خلال سبتمبر ١٩٦٣ ٠ ويدلل طارق عزيز على صدق رغبة البعث فى تصفية الجو بأن السيد احمد حس الكر رفض نشر معال كبه ردا على هيكل قبل أيام من سفر هذا الوفد ، وقد قال لكريم شنواف المسئول السياسى عن الجريدة انه سوف يباس اذا نشر هذا المقال لانه سيعظم محاولة تصفية الجو ٠ وفعلا سحب المقال من المطبعة فى اللحظة الاخيرة ٠

قال لى طارق عزيز ان الاجتماعات كانت تتم بين الوفدين مكتملين ولكنه لاحظ عقب حفل عشاء فى سراى العبة ان عبد الناصر قد اختل بعارف لمدة طويلة فى الحديقة الكبيرة ٠٠ وأثناء العودة طلب عارف من طارق عزيز ان يكب برفية بمناسبة مغادرة الاجواء المصرية ، فكتبها طارق وذكر فيها شعار ( وحدة - حرية - اشتراكية ) وفوجىء بعبد السلام عارف يقول له اننى لست حزبيا ولا داعى لكنابة هذا الشعار ومع ذلك فقد تراآع ووافق على ارسال البرقية كما هى ٠

وبدأت المراءة الشديدة تستقر فى نفوس البعثيين فى العراق عندما تابعوا اذاعة صوت العرب وهى نهاجمهم اثناء احدات نوفمبر ١٩٦٣ ، ثم فى رفض عبد الناصر التفارب من الحزب فى سوريا بعد ذلك رغم مقالات صلاح البيطار التى نشرها عام ١٩٦٤ فى محاولة لرأب الصدع ، رغم انها عرضته لهجمات عدد من زملائه فى الحزب ٠

وقد أثارت محاولة البعث تسلم السلطة فى نوفمبر عام ١٩٦٤ معارضة شديدة وهجوما من جانب مصر ، وقام عبد السلام عارف باعتقال عدة آلاف ٠

ويذكر أن احمد حسن البكر قد اعتقل في هذه الفترة وأفرج عنه في أوائل عام ١٩٦٥ ، وأن صدام حسين نائب أمين سر القيادة القطرية قد اعتقل بعد أن فرغت ذخيرته التي وجهها الى الهاجرين عليه . وظل معتقلا الى أن هرب من السجن عام ١٩٦٦ . وقد انتخب البكر وصدام عضوين في القيادة القومية أثناء وجودهما في السجن .

ولم يكن معقولا من فادة البعث أن يفرجوا خلال هذه الفترة من جمال عبد الناصر وأجهزة الاعلام في القاهرة تأخذ منهم موقف العداء .  
وأخيرا كان احتفاء عبد الناصر بمجموعة (الاناسي - رعين - جديدي) التي وثبت الى الحكم في ٢٣ فبراير ١٩٦٦ في سوريا أمرا بعارض مع اتجاه البعث في العراق الذي اتخذ موقف الرفض المبدئي منها كما ذكرنا .  
وعندما نجحت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ أخذ جمال عبد الناصر منها موقف التحفظ ، ولكن الاهرام نشرت يوم ٣١ يوليو أخبارا مساطرة مع الناييف والداود اللذين أبعدا عن الحكم واستقر بهما المقام بعد ذلك في السعودية .

كانت المرارة قد ترسبت في قلوب البعثيين . وكان عبد الناصر مازال محتفظا برأيه الذي أعلنه أثناء المحادثات الثلاثية في حزب البعث .  
ولاشك أن موقف جمال عبد الناصر من رفض فكرة الاحزاب كان خاطئا بدليل نراجعه عنه أثناء هذه المحادثات عندما قال (ان حل الاحزاب السورية على خلاف مشاربها سار بسرعة شديده (وماكانش صبح) . وقال أيضا (احنا في ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الاحزاب الى لا تتفق في الهدف ، ثم جمع الاحزاب الاخرى القومية التي تجمعها وحدة الهدف تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية سير على هدف واحد) .

ولكن جمال عبد الناصر مع ذلك لم يأخذ خطوة ايجابية لعبور هذه الهوة التي فصلت بينه وبين فكرة وجود الاحزاب عموما ، وقبول حزب البعث أو الاحزاب السبعية خصوصا .  
وظلت هذه الخطيئة ملازمة له لم يحاول التخلص منها بصورة جادة حتى داخل مصر .

لم يحاول فادة ثورة ١٧ تموز الاقتراب من جمال عبد الناصر ، ولم يحاول هو من حابه ان يزيل الحساسيات رغم كآبة جو الهزيمة .  
عندما عقد مؤتمر قمة دول المواجهة ذهب الفريق صالح مهدي عماش، ولم يحدث بينه وبين عبد الناصر أى تقارب رغم السنوات التي امضاها في مصر .

وعندما قام الحركة العسكرية الليبية في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ توجه وفد عراقي برئاسة صدام حسين الى هناك وفي طريق عودته مر بالقاهرة ، وهو الذي عاش فيها سنوات بعد اشتراكه في محاولة الاغتيال على عبد الكريم قاسم وهربه الى سوريا ثم مصر حيث بقي بها الى أن قامت ثورة ٨ فبراير - ١٤ رمضان فعاد الى بغداد من القاهرة .

ولم يلبس جمال عبد الناصر بصدام حسين في ذلك الوقت وضاعت فرصة لقاء رجلين كان يمكن لهما ان سقفا على موقف سليم جديد .  
وعندما عقد مؤتمر الرباط ذهب جردان الكريتي ممثلا للـمـسـرق  
وضاعت فرصة لقاء بين قادة الثورة المصرية وفادة الثورة العراقية .

## السودان :

كانت الخرطوم هي العاصمة التي ارضى جميع الملوك والرؤساء ان يكون  
معرا لاجتماع مؤتمر القمة بعد الهزيمة . . . وقد لعب اسماعيل الازهرى  
ومحمد أحمد محجوب دورا رئيسيا في عقد هذا المؤتمر سبق أن أسرى  
اليه .

وكانت السودان من الدول التي رفضت الهزيمة وفرار مجلس الامن  
أبضا . .

ولكن الموقف السياسي في السودان لم يكن هادئا ، رغم أن الحكم  
كان مشاركته بين الاحزاب التي أحزب الاعليه في انتخابات ابريل ١٩٦٥  
والتي فاطمها الحويون وحزب الشعب الديمقراطي والتي اسفرت عن  
حصول حزب الامه على ٧٥ مقعدا من ١٧٣ والوطني الاتحادي على ٥٣ مقعدا  
والحزب الشيوعي على ثمانية مقاعد ١٠ كما أسفرت انتخابات الخريجين على  
حصول الحزب الشيوعي على ١٣ مقعدا من ١٥ .

وكانت الحكومة قد اصابها حادث بهجم على الدين الاسلامي من طالب  
كان منسبا للحزب الشيوعي في الماضي وأصدرت قرارا بحل الحزب  
الشيوعي وفصل جميع أعضائه من الجمعية التأسيسية .

رفع الحزب الشيوعي ذلك القرار الجائر الى المحكمة العليا التي أصدرت  
حكمها برئاسة بابكر عوض الله بعدم شرعية تعديل الدستور الذي تم بموجبه  
حل الحزب الشيوعي وطرد أعضائه من الجمعية التأسيسية . ولكن وزير  
الداخلية والجمعية التأسيسية رفضا الاستجابة الى قرار المحكمة ، الامر الذي  
دفع بابكر عوض الله الى الاستقالة من منصبه في مايو ١٩٦٧ احتجاجا على عدم  
تنفيذ قرار المحكمة .

ولم يكن هذا هو السافض الوحيد الذي يفرضه نظام الحكم في  
السودان .

ظهر تناقض في صفوف حزب الامه بين الهادي المهدي ومعه محمد أحمد  
محجوب من جهة وبين ابن شقيقه الصادق المهدي من جهة أخرى ، أدى الى  
انقسام الحزب الى كئلتين متنافستين .

وظهر تناقض ثالث حول الدستور الذي نسبته بعض القوى الرجعية  
بأن يكون دستورا اسلاميا .

وانتهى الامر ايضا الى عودة حزب الشعب الديمقراطي الى الاندماج  
في الحزب الوطني الاتحادي حيث تكون حزب جديد باسم حزب الاتحاد  
الديموقراطي . . وكانت هذه هي نهاية ارتباط حزب الشعب الديمقراطي  
بالتجمع الاشتراكي الديمقراطي الذي كان يضم القوى والاحزاب التقدمية  
واليسارية .

وأصبحت الحالة السياسية في السودان تعبر عن أحزاب تقليدية عاجزة عن اقناع الجماهير .. وجماهير متطلعة الى التغيير .  
تجمع لكل القوى التقليدية في موقع السلطة .. وتجمع لكل قوى التقدم والاشتراكية في موقع المعارضة .  
وحلت الجمعية التأسيسية في أواخر عام ١٩٦٧ لتنعقد من جديد في فبراير ١٩٦٨ بعد انتخابات جديدة دشنت سلطه الاحزاب التقليدية التي حاولت الاتحاد لمقاومة الاتجاهات التقدمية التي انتشرت وسط الطبقة العاملة والمثقفين والمزارعين .

ولكن تحالف الاحزاب التقليدية عجز عن اقناع الجماهير المتطلعة الى التغيير ، وخاصة ان تدهورا سريعا حدث في الاقتصاد السوداني . فقد قفزت المصروفات العامة من ٥٨٥ مليون جنيه عام ١٩٦٣ الى ١٠٧ مليون جنيه أي بزيادة ٤٨٥ مليون جنيه بينما لم تزد إيرادات الميزانية بعد فرض سلسلة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة الا بمقدار ٣٧٥ مليون جنيه ، وارتفعت ديون القطاع العام للمصارف من ٣٩ مليون جنيه عام ١٩٦٥ الى ٤٦ مليون جنيه عام ١٩٦٩ . وواجهت الميزانية عجزا سنويا يتراوح بين ٦ ملايين ٩ مليون جنيه كل عام ، ونتيجة لذلك انخفضت الارصدة الاجنبية انخفاضا كبيرا متصلا ، فتدهورت العملات القابلة للتحويل من ٦١ مليون جنيه عام ١٩٦١ الى ١٦٣ مليون جنيه عام ١٩٦٩ (انظر كتاب - مصر والسودان كفاح مشترك - لكاتب هذه السطور) .

ووصل الامر الى حد تأخير صرف مرتبات الموظفين بضعة أيام كل شهر .. وارتفعت الاسعار ووصل سخط الجماهير غايته .  
وكان التنظيم التقدمي الرئيسي -الحزب الشيوعي السوداني -يمارس دوره النضالي في تعبئة الشعب متعاوناً مع الاتحادات الديموقراطية الماليه والمهنية والفئوية .

وكان الحزب الشيوعي قد لعب دورا رئيسيا في انتصار ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ التي اجهضها موقف الاحزاب التقليدية .. وقد اوضحت ذلك في الجزء الثالث ( عبد الناصر والعرب - الباب الخامس ) .  
وكانت هناك صلة بين الحزب وبين الضباط السودانيين الاحرار ، وقد وضع ذلك في جريدة الاحرار التي أصدرها الضباط الاحرار بدلا من صوت القوات المسلحة اذ جاء في عدد ٤ يناير ١٩٦٥ بعد انتصار ثورة أكتوبر مايلي :

(نحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بأن طريق الرأسمالية الذي سرنا فيه بعد الاستقلال والذي أدى الى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه انما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لايقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية المتامة للاستعمار ولفقدان الاستقلال نفسه ) .

(نحن ندرك ذلك ونتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاستعمار مثلنا بل اشد ولكنها شقت طريقها ونجحت في حماية استقلالها ذلك لانها رفضت الطريق الرأسمالي واتخذت الاشتراكية هدفا لها).

وخلال فترة حكم الاحزاب التقليدية حاولوا ضرب القوى الوطنية في الجيش عن طريق مؤامرة مفتعلة اخناروا لها ( ملازم نان ) اسمه خالد الكد بمت بصلة قرابة الى الشهيد المناضل عبد الخالى محجوب سكرتير الحزب الشيوعى وان لم تربطهما معا اية صلة سياسية او تنظيمية .

واعتقل خالد الكد والضباط جعفر نيمرى والشهيد هاشم العطى والرشيدي نور الدين ورشيد أبو شامة ومن المدنيين الشهيد المناضل عبد الخالى محجوب وغيره ٠٠ ثم تبين ان التدبير كان ساذجا ، وعجز التحقيق عن توجيه الاتهام لاي معمل فافرج عنهم جميعا .

ولكن صدرت الاوامر بنقل بعض الضباط ، جعفر نيمرى الى غرب السودان ، وفاروى عثمان حمد الله الى جوبا .  
وهكذا كان الموقف داخل القوات المسلحة السودانية معبرا عن وجود روح بورية . ونظميات عسكرية ضد النظام العائلي .  
ولم تكن التنظيمات العسكرية مستفلة عن الاحزاب والعوى السياسية كما كانت حال الضباط الاحرار في مصر قبل ثورة يوليو ، ولكنها كانت ممتدة الجذور الى تنظيمات مختلفة ٠٠ الانصار وحزب الامة من جهة . .  
والحزب الشيوعى من جهة أخرى ٠٠ واتصالات فردية مع بعض شخصيات طائمية في الاحزاب التقليدية .

بدأت صلة بين الضباط الاحرار وبابكر عوض الله عقب ثورة ١٩٦٤ عندما شكلت لجه من الفضاء لتطهير الجيش ٠٠ وكان الحزب الشيوعى على علم بهذه الصلة ٠٠ بل ومنظما لها .

كما بدأ حرب الامه فى تكوين ميليشيا عسكرية  
وأخذت الامور تندفع الى صدام حتمى .  
ثم حدث هريه ١٩٦٧ الى استقبلها الشعب السودانى بوجوم شديد فقد كاتب أبعد ما تكون عن تصور الناس هناك .  
وكانت سوارع الخرطوم ليلة ننحي جمال عبد الناصر قد امتلأت بالمنظاهرين الذين خرجوا بطالون الرجل بأن يبق فى موقعه .  
وقد اختزن الشعب السودانى عواطفه ليرغها أمام القائد الجريح الذى حضر الى مؤتمر الخرطوم فى اغسطس ١٩٦٧ ، فأعد له استقبالا لم تعرفه الخرطوم من قبل أسهم الحزب الشيوعى السودانى فى اعداده بكل طاقته وقدراته ، فجاء بعيرا أصيلا من الجماهير السودانية نحو ثورة يوليو وزعمها ٠٠

لم يكن مصورا أن تستقبل عاصمة السودان قائدا مصريا مهزوما بهذا القدر من التمجيد . وكأنها ترى فيه بطلا منتصرا . عليها ان تكلل جبينه بالغار ٠٠ ولكنها كانت رؤية الشعب السودانى لما يمكن أن يحدث للوطن العربى لو انهارت ثورة يوليو واخفى جمال عبد الناصر من ساحه العمل السياسى .  
وانهى مؤتمر الخرطوم وعادت الحياة السياسية تجتذب جهد الاحزاب والقوى السياسية المختلفة ، وعاد الصدام ليصبح حتميا مرة أخرى .



وفي الساعة الثانية من صباح ٢٥ مايو ١٩٦٩ ثانت حركة الجيش السوداني قد انتصرت واستولت على الحكم ، أثناء وجود عدد من كبار ضباط الجيش في زيارة للاتحاد السوفيتي .

وأعلن في الصباح تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيد جعفر نمري وعضوية بابكر عوض الله والمقدم بابكر النور واللواء فاروق عثمان حمد الله (سكرتير الضباط الاحرار) وهاشم العطا (الملحق العسكري في يون وقتئذ) وخاله حسن عباس ومأمون عوض أبوزيد وأبو القاسم ابراهيم . وأبو القاسم هاشم وزين العابدين محمد احمد عبد القادر .  
وأعلن أيضا تشكيل وزارة جديدة برئاسة بابكر عوض الله .  
وهزت هذه الأنباء أرجاء الوطن العربي . وكان لها صدى عالمي كبير .  
فقد كانت الحركة الثانية في الوطن العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ .

وعندما أعلنت أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة وأعضاء مجلس الوزراء تبين أن لي صلات شخصية وسياسية مع عدد منهم . . الرائد الشهيد هاشم العطا الذي كثيرًا مازارني في القاهرة وفي مكبي بروناليوسف موفدا من الشهيد المناضل عبد الخالي محجوب للتعرف على طبيعة تكوين الضباط الاحرار في مصر والاسلوب الذي قامت به حركة الجيش عام ١٩٥٢ . المحامي فاروق أبوعيسى وزير الدولة للرئاسة وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الذي لعب دورا رئيسيا في ثورة اكتوبر ١٩٦٤ . . بابكر عوض الله كبير القضاة الذي نعرفت به أثناء موقفه المساند للشعب خلال ثورة اكتوبر . . محجوب عثمان وزير الارشاد وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والذي حضر موفدا من الحزب لمقابلة جمال عبد الناصر والذي قابلته معه كما جاء في الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب) . . أمين الشبلي وزير العدل الذي كان نقيبا للمحامين ورئيسا للحزب الاشتراكي والذي قام بدور بارز في ثورة اكتوبر ، وشارك في ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر . مرضى أحمد ابراهيم وزير الصناعة وشفيق المناضلة فاطمة احمد ابراهيم عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، وزوجة الشهيد المناضل الشفيق احمد الشبغ عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي .

أبلغت جمال عبد الناصر هذه الحقيقة خلال شعراوى جمعة ، واتصل بي سامي شرف بعد ساعة واحدة طالبا مني مقابلة جمال عبد الناصر في السادسة من مساء نفس اليوم ٢٦ مايو ١٩٦٩ .

وعندما ذهبت الى مكتب سامي شرف فوجئت بوجود أحمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر والزميل السابق في قسم الجيش بعدنو عندما كان بعد لا يزال قاضيا الذي شاء جمال عبد الناصر ان يكون حاضرا .

كان جمال عبد الناصر مشرف الوجه مهتما أشد الاهتمام بما حدث في السودان .

ولم تكن علاقة جمال عبد الناصر سيئة بآية حال مع نظام الازهرى ومحجوب . . ولكن حركة الجيش السوداني حملت اليه عبر روح ثورية

وتقدمية نابعة من القوات المسلحة التي كان يؤمن بدورها الرئيسي في حركة المجتمع السياسي .

وبعد أن تعرف جمال عبد الناصر منى على طبيعة العلاقة التي تربطني بأسماء القيادات الجديدة في السودان ، طلب منى ومن أحمد فؤاد السفر فوراً الى السودان في مهمة سرية مندوبين عنه لمقابلة قائد مجلس الثورة ونائبه وإبلاغهما ان مصر تضع كل إمكانياتها في خدمة الحركة .  
وأذكر انه قال لى مبسماً في مرارة :

(تصور . . كانوا يطلقوا علينا نكت . . اننا نؤيد ثورة السفينة بونتي) (اسم فيلم سينمائي) . والآن تجربنا الظروف على تأييد ثورة السودان بطريقة سرية)

كانت القيود التي فرضتها الهزيمة ، وارتباطات مؤتمر الخرطوم الذي يحمل الدعم لمصر من السعودية وليبيا والكويت وجميعها دول ترتبط بعلاقات وثيقة مع نظام الحكم السابق في السودان حيث كانت تشكل الحكومات تحت عباءة الطائفية . . أقول كانت هذه القيود حائلاً يحول بين عبد الناصر وبين التأييد العلني الثوري لحركة الجيش في السودان .

وأذكر انه قال وهو يودعنا بعد حديث استمر مايقرب من ساعتين وناخر فيه عن اجتماع لمجلس الوزراء كان منعقداً في سراى القبة .  
- قل لهم اننى على استعداد لوقف الحرب في القناة وإرسال أى قوات لدعم الحركة .

وكانت الحرب وقتها تتصاعد على شاطئ القناة وتصل الى حد عبور كنانب كاملة الى سيناء .

كانت حركة الجيش السوداني أول ضوء يشرق لصالح مصر بعد الهزيمة . فقد ظهر تأييدها لمصر منذ البيان الاول .

وصلت الخرطوم يوم ٢٧ مايو ، وقمت مع الزميل أحمد فؤاد فور وصولنا بمقابلة جمفر نميري وبابكر عوض الله في مقر قيادة القوات المسلحة ، وقد طلب الاثنان انضمام الرائد مأمون عوض ابوزيد اليهما باعتباره قد عين مسئولاً عن أمن الثورة .

واستقبل الوفد السوداني رسالة جمال عبد الناصر بترحيب شديد واعتبرها بابكر عوض الله تشييتاً للحركة وأمرنا منتظراً من جمال عبد الناصر الذي عرف بمساندته لحركات التحرر الوطني .

وفي الصباح ذهبنا الى منزل الشهيد المناضل عبد الخالق معجوب في منزله المتواضع بأم درمان وعقدنا معه جلسة مناقشة طويلة حول الوضع الجديد في السودان .

تبين لنا أن حركة القوات المسلحة قد تمت بواسطة سريتين من المظلات وقوة من المدرعات لايتجاوز عددها ٤٠٠ صف ضابط وعسكري . كانوا في مناورات خارج الخرطوم حسب مشروع سابق .  
تمت العملية بهدوء . ولم تطلق سوى طلقة رصاص واحدة في الهواء في مكتب بريد الخرطوم أثناء قطع المواصلات .

قام بالحركة الضباط الاحرار ٠٠ وسبق قيامها مناقشات سياسية طويلة حول ماذا كان من الافضل تأجيل الانقضااض على النظام حتى تستكمل اجراءات تشكيل (الجبهة الديمقراطية) التي كانت قد تمت محاولات جادة لتشكيلها من الشيوعيين والاشتراكيين ومساير المنظمات والاتحادات العمالية والمهنية .

وكان البيان الاول لحركة ٢٥ مايو هو بيان مكتوب ومعد لهذه الجبهة الديمقراطية التي كان مفروضا أن تشكل تنظيمها في نوفمبر ١٩٦٩ .  
كان رأى الحزب الشيوعى ألا تنفرد القوات المسلحة بعمل يأخذ الصفة الانقلابية وان يتأجل ذلك حتى ينبعث الامر من صفوف الجبهة باعتبار القوات المسلحة فصيلة من فصائل القوى والمنظمات الشعبية .  
التقى ممثلو الضباط الاحرار غير المنتمين للحزب الشيوعى مع قادة هذا الحزب أكثر من مرة ، لمنافشة هذا الامر ، وقد جرى التصويت ثلاث مرات فى اللجنة القيادية للضباط الاحرار ٠٠ وفى كل مرة كان يفوز قرار التروى وتأجيل القيام بالانقلاب .

ولكن بقية الضباط الاحرار قرروا القيام بالحركة العسكرية التى نجحت فى تبديل السلطة واعتقال اسماعيل الازهرى وعدد من كبار السياسيين فى النظام المنهار .

وعندما أعلن تشكيل مجلس قيادة الثورة أضيف اليه أسماء الضباط اليساريين رغم موقفهم المعارض من ناحية المبدأ ٠٠ وظهر اسم الشهيد هاشم المطا عضوا بالمجلس رغم انه لم يكن موجودا فى السودان وانما كان يعمل ملحقا عسكريا فى ألمانيا الغربية .

وكان هذا موقفا طبيعيا من رفاق السلاح الذين تزامنوا فى النضال قبل وبعد ثورة ٢١ اكتوبر .

وعندما أعلن تشكيل الوزارة فوجئ الحزب الشيوعى باختيار عدد من قادته أعضاء فى الوزارة (محجوب عثمان-فاروق ابوعيسى - جوزيف جرنج) دون الرجوع الى قيادة الحزب ٠٠ وقد أدى هذا الى عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية أقرت فيه اشتراك الوزراء الثلاثة منعا لحدوث تناقض واضح فى الايام الاولى للحركة ٠٠ وتسبب ذلك فى تأخير حلف اليمين القانونية حتى الساعة السادسة مساء .

وكان هذا دليلا على وجود تنافر فى وجهات النظر ٠٠ الحزب الشيوعى لا يؤيد الانقلاب العسكرى بصورة مطلقة ، ويفضل انبعاث الحركة السياسية من صفوف الجماهير وتنظيماتها السياسية والديموقراطية ، وهى التى كان يهدف الى جمع شملها فى ( الجبهة الديمقراطية ) ٠٠ بينما الضباط الذين قاموا بالحركة كانوا يعتبرون انهم أنفذوا البلاد من الحكم الرجعى الفاسد فى ضربة واحدة .  
لكنهم لم ينفذوا بذلك أصحاب حق وشرعيه فى اختيار الذين يتعاونون معهم فى قيادة البلاد والا كان فى ذلك اعتراف بشرعية الحزب الشيوعى ووجهه من وقت ألفت فيه الاحزاب جميعا .

لكن بعد ذلك حدثت خلافات بين الضباط الاحرار والاشتراكيين والشيوعيين فى

اليوم الثانى لوصولنا للخرطوم ان الحزب الشيوعى لاياخذ موقعا مضادا من حركة الجيش ٠٠ ولكنه يريد ان يضع (خطة تمييز) واضحة بين أسلوبه الديموقراطى وأسلوبهم العسكرى .

وقال لى جعفر نميرى فى احدى المقابلات (البعض يحاول تصوير ثورتنا بانها انقلاب ، وهذا غير صحيح لاننا لانقوم بحركتنا محصورين فى اطار الجيش وحده ولكننا ننتفتح تماما على شعبنا الذكى الاصيل ، وبصع اهدافنا فى خدمه الذين عانوا طويلا من الظلم والاستغلال .

ومع ذلك فقد خرجت جماهير الحزب الشيوعى تحت قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال بمظاهرة كبيرة يوم ٢ يونيو ١٩٦٩ بمناسبة مرور سبعة أيام على الثورة ، وكان ذلك بداية محاوله اقامة جسر من التفاهم بين الحزب الشيوعى وبين العسكريين .

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر تقضى بالآ نتصل خلال زيارتنا بأحد من المسئولين المصريين هناك ، وان نعود بعد نبليخ رسالته لجعفر نميرى وبابكر عوض الله ٠٠ ولكن الرغبة فى استجلاء كل معالم الصورة والنعرى على حقيقه ابعادها دفعتنا الى البقاء ليلتين فى السودان .

وعندما عدنا استقبلنا جمال عبد الناصر فورا فى استراحة القناطر وكان أول سؤال له هو عن استقرار الوضع ثم اسباب تأخيرنا هناك .

وبعد جلسته امتدت ساعتين طلب منا ان نداوم الاتصال به فى كل مايتعلق بالسودان ٠٠ وكما قد رتبنا طريقه اتصال سرية بين القيادة العسكريه الجديده وبيننا بعيدا عن الاتصالات السليديه فى محاوله لتسهيل وصول الحماق الى جمال عبد الناصر لسرعه اصدار القرارات اللازمه .

أذكر اننا قد اتفقنا مع جعفر نميرى على أن يذكر مدوب القيادة اذا حضر لمصر انه فادم من قبل (شركة التوكيلات التجاريه) ٠٠ ولكن هذا الأسلوب لم يستمر طويلا ، فقد أعلن جمال عبد الناصر تأييده لحركة ٢٥ مايو وحضر الى مصر وفد برئاسة بابكر عوض الله .

وخلال الاسابيع الاولى لحركة ٢٥ مايو اتخذت عدة قرارات اكسبت وجهها شكلا تقديميا وبدأت بغير اسم الدوله الى ( جمهوريه السودان الديموقراطية ) .

اعترف بجمهوريه ألمانيا الديموقراطية سابقه بذلك كل الدول العربيه بما فيها مصر ٠٠ وكانت حكومه الاحزاب التقليديه قد قطعت علاقاتها مع ألمانيا الاتحادية عندما قطعت الدول العربيه علاقاتها بها لامدادها اسرايل بالمعدات والسلاح ، ولكنها استبقت السفير فى منصب القنصل العام فى بون وكانما تريد ان تثبت لهم أن شيئا ما لم يحدث .

كما اعلنت الحكم الذاتى لجنوب السودان .

وقد توطدت العلاقات كثيرا بين النظام الجديد فى السودان وبين عبد الناصر وانسجمت سياسة الدولتين حول مشكله الشرق الاوسط ، وحول رفض الهزيمة .

قال جعفر نميرى ان جمال عبد الناصر قال له (ثورة السودان أعطتني

قوة وعزيمة ومنحني أملا وثقة) .  
 وجد جمال عبد الناصر في ثورة السودان عمقا استراتيجيا لمصر . .  
 ووجدت ثورة السودان في جمال عبد الناصر سندا لها .  
 وكانت العلاقة بين القاهرة والخرطوم في هذه الفترة شديدة الارتباط  
 أكثر منها بين القاهرة واية عاصمة عربية أخرى .  
 وانتعشت في ذهن عبد الناصر أفكار الوحدة العربية مرة أخرى .  
 أذكر اني وجهت اليه استفسارا في إحدى المقابلات بعد زيارة السودان  
 عن رأيه في موضوع الوحدة اذا رعب الاشقاء في السودان ذلك . . وتهلل  
 وجه جمال عبد الناصر وهو يقول :  
 - الوحدة الطبيعية الاولى لمصر هي مع السودان امتدادا لوادي النيل  
 ونحن على استعداد لاي خطوات في هذا السبيل .  
 وقد تعاونت السودان مع مصرنا ونا وبيفا في مقاومة العدوان ، وخاصة  
 في المجال العسكري حيث اسمرت بعض أسراب الطائرات هناك بعيدا عن  
 مدى العدوان الاسرائيلي ، وانتقل طلبة الكلية الحربية الى الخرطوم .  
 وظلت الامور نمضي الى الافضل في العلاقة بين الدولتين وبين الشعبين  
 الى أن قامت الحركة العسكرية في ليبيا في أول سبتمبر ١٩٦٩ ، فبدأت  
 علاقة ثلاثية انتهت الى التوقيع على ماعـ عرف باسم ( ميثاق طرابلس ) في  
 ديسمبر من نفس العام .

## ليبيا

لم تكن حركة ٢٥ مايو تنتصر في السودان ، حتى قامت في ليبيا حركة  
 عسكرية أخرى في أول سبتمبر ١٩٦٩ .  
 وقد تشابهت مع الحركة السودانية في انها انبعثت من صفوف الجيش  
 وأن الذين قاموا بها لم يكونوا على ارتباط بمصر .  
 وكانت ليبيا على عهد الملك السنوسي دولة مغلقة تسيطر عليها قوات  
 الاحتلال الامريكية في قاعدة هويلس بطرابلس ، والقوات البريطانية في قاعده  
 العضم . . وكان أبعد مايكون عن خاطر التوريين وفي هذا الوقت بالذات أن  
 يحدث شيء ما في ليبيا .  
 وكانت القواعد الامريكية في ليبيا قد وضعت في حالة التأهب القصوى  
 أثناء العدوان الاسرائيلي على مصر .

ولذا فانه عندما وصلت انباء الانقلاب الاولى اثناء وجود الملك ادريس  
 في زيارة لاوربا اعتقد الكثيرون أنه نوع من انقلابات المخبرات المركزية  
 الامريكية أو العوى الامبريالية الاخرى التي تريد المحافظة على مضمون النظام  
 بينما تغير مظهره من ناحية الشكل بعد أن يكون قد تورط في انحرافات تجعل  
 مسيرته صعبة والنقطة به منعقدة .

وصلت أخبار الانقلاب لجمال عبد الناصر أثناء عقد مؤتمر قمة للمواجهة  
 حضره هواري بومدين وجعفر نميري وممثلون لسوريا والعراق وبالتحديد أثناء  
 لقاء الملك حسين لكلمته امام المؤتمر . . وسقوط ملك عن عرشه أمر لا يرضى

ملكا آخر ٠٠ ولم يعد بعد سقوط الملك ادريس في ليبيا سوى ملك عربي واحد في افريقيا هو الملك الحسن ملك المغرب ٠٠ بل لم يعد في قارة افريقيا كلها ملك سواه اذا استثنينا الامبراطور بوكاسا الذي نصب نفسه في العام الماضي امبراطورا على جمهورية افريقيا الوسطى (٣ ملايين نسمة) .

حرص جمال عبد الناصر ان يبعث رسالة بحية الى الملك ادريس فقد كانت صلته به طيبة ٠٠ وكان حسن ابراهيم عصو مجلس قيادة الثورة السابق هو المسئول عن العلاقات مع ليبيا والملك السنوسي حتى استقلال عام ١٩٦٦ ، وبذكر أن الملك ادريس قد أرسل الى عبد الناصر مبلغ عشرين مليون جنيه لحاجة عاجلة لشراء أسلحة بعد العدوان ، وقد أعطاها الملك مرحبا دون أن ييسرط سببا سوى الحصول على بعض الأشياء من الازهر كان أسلافه قد وضعوها هناك .

والأسرة الادريسية من أصل جزائري ولكنها ممتدة في صحراء مصر الغربية ٠٠ وابن عم الملك ابراهيم السنوسي يعيس في مرسى مطروح ٠٠ وكان الملك ادريس قد وافق على تقديم دعم لصر مقداره ٣٠ مليون جنيه كل عام عندما شارك ولي عهده الامر حسن الرضا في مؤتمر الخرطوم . وهكذا كانت العلاقات ودية بين جمال عبد الناصر والملك ادريس ولم يحدث طوال ... زرة يوليو خلاف سياسي متلما حدث بين مصر ومعظم دول المشرق وحاصه الدول ذات الانظمة الملكية الرجعية . ولكن الانقلاب الجديد في ليبيا يثير الاهتمام لانه أخفى أسماء قادته وأعلن شعاره (حرية - اسراكية - وحدة) وهو نفس الشعار الذي تبنته نوره يوليو والذي يحلف شعار حزب البعث العربي الاشتراكي في ترتيب الكلمات (وحدة - حرية - اسراكية) .

وكان في ذلك اظهار لانجاه الانقلاب دون التعرف على حقيقته ٠٠ الى أن أرسل قادة الانقلاب مندوباعنهم (آدم حواس) الى القنصلية المصرية في بنغازي طالبين حضور مندوب من مصر واقترحوا اسم محمد حسين هيكل . ويقول محمد حسين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد أبلغه ان الناس في بنغازي يطلبون هائلته وانه من الأفضل أن يسافر في نفس الليلة ٠٠ وان طائرة خاصة قد أعدت له وصحبه فيها ضابط اتصال من هيئة اركان حرب الفريق محمد فوزي ووزير الحربية وقائد القوات المسلحة . وضابط اتصال من المخابرات وسافروا في نفس الليلة .

واستقبل هيكل في مطار بنغازي الرائد مصطفى الحروبى المسئول عن المنطقة وعضو مجلس الثورة وعانقه وهو يبكي قائلا : ( اني لا أصدق عيني ) .

وفي فمصلية مصر يحدث الخروبو، وأسفر عن هوية الانقلاب قائلا انهم ... وفي النوبة ... وفي القذافي الذي انبش في ... بسنة اولاً وبعان رغبة وزملائه في الوحدة مع مصر فوراً حتى نيسكل لها عمما اسرانيا .

... الى رسالة الى ...

قلعوا بالثورة من أجله ، وانه يمكن أن يأخذ من ليبيا كل ما يريد لضمه الى فدرات الامه العربية من أجل المعركة .

عاد هيكال الى القاهرة بعد أن التفت عدة صور للقذافي وزملائه بوساطة مصور خاص صحبه معه واعداد بعدم نشر هذه الصور وانها سوف تقدم لجمال عبد الناصر وحده .

ويظهر هيكال في كتابه حرص عبد الناصر على معرفة كل دقائق المفاوضات والتفاصيل التي أتاحت لهيكل خلال زيارته التي استمرت ١٨ ساعه فقط . وقد اتصل عبد الناصر في الليلة الاولى للثورة بكل من محمود رياض وزير الخارجية ، وأمين هويدى مدير المخابرات العامة يستطلع رأيهما في الاعتراف الفوري بالحركة العسكرية الليبية . . . ولكن الاثنين طلبا منه الانتظار الى الصباح حتى يتوافر مزيد من المعلومات .

وفي الحادية عشرة صباحا اتصل جمال عبد الناصر بسامى شرف وطلب منه ابلاغ الإذاعة اعتراف مصر بالثورة الليبية ، وتصادف وجود أمين هويدى في مكتب سامى شرف ، وعندما علم بذلك طلب الاتصال به ، فأثلا انه باذر بالاعتراف لان ليبيا بالنسبة الى مصر ليست مبل كوربا على بعد الاف الاميال ولكن تربطنا بها حدود مشتركة وقومية واحدة ، ولذا رأيت المبادرة بالاعتراف بها . .

وطلب عبد الناصر من هويدى ان يبلغ سامى شرف ليضيف فى بلاغ الاعتراف استعداد مصر للمساعدة .

وهكذا كانت مصر أول دولة تعترف بالثورة الليبية . وقد اخذ مجلس الثورة قرارا بقطع العلاقات مع ألمانيا الانحادية التي كانت تأخذ قدرا كبيرا من البترول الليبي عندما عرف انهم يساعدون الانراك فى احتمال اعادة الملك السنوسى الى بلاده حيث وقع الانقلاب وهو يمضى أجازته فى تركيا .

وتصرف جمال عبد الناصر بجرأة ومبادرة لانعرف التردد . وقال لى الفريق محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اتصل به وأبلغه أن يهدىء حرب الاستنزاف على القناة ، وأن يرسل لواء مدرعا ومدعوتين وبعض الغواصات الى مرسى مطروح لوقف أى محاولة لضرب الحركة العسكرية الليبية وإعادة الملك ادريس الى عرشه . . وقد صدرت الاوامر بذلك فى نفس الليلة .

وكانت حرب الاستنزاف قد بدأت يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٩ وكانت تتصاعد يوما بعد يوم .

وهكذا كان جمال عبد الناصر يعطى أسبقية لدعم الثورات العربية على استثمار وتصعيد حرب الاستنزاف . . فقد كان استقرازان هاتين الحركتين عاملا رئيسيا فى حشد طاقات الامه العربية ، وفى توفير عمق استراتيجى هائل لمصر .

وقد أرادت اسرائيل ان تعطى ردا على الثورة الليبية فأرسلت قوات من الفدائيين فى غارة مفاجئة على منطقة الزعفرانة على شاطئ البحر الاحمر يوم ٩ سبتمبر أى بعد تسعة ايام فقط من قيام الثورة الليبية

وصلت أخبار هذه الغارة الى جمال عبد الناصر والفريق فوزى عن طريق الاذاعات ووكالات الانباء الاجنبية قبل أن يصل عن طريق القيادات المصرية .

وكان جمال عبد الناصر وقتها يحضر مناورة على طريق مصر - السويس .  
.. فعاد فوراً الى القاهرة .

كان قيام الثورة الليبية حدثاً هائلاً وغير متوقع .  
وفى ثلاثة شهور عبر الشعب العربى فى السودان وفى ليبيا عن رفضه للهزيمة ، باسقاط الانظمة الحاكمة وقيام أنظمة جديدة أشد ارتباطاً وتعاوناً مع ثورة يوليو المصرية .

ويذكر ان الملك عبد العزيز آل سعود قال لابنائه انه يوصيهم بأسرة المهدي فى السودان وأسرة السنوسى فى ليبيا . وسقطت الاسرتان بضربة عسكرية مفاجئة .

### اليمن :

عندما حلت الهزيمة بالقوات المسلحة المصرية فى سيناء كان لها ٧٠٠٠٠ جندي فى اليمن يدافعون مع شعبها عن ثورة ٢٦ سبتمبر التى اطاحت بحكم الامامه الرجعى المتعفن .

ولم يكن ممكناً لهذه القوات ان تبقى هناك فى اليمن ، وعملية إعادة بناء القوات المسلحة تتحرك بصورة ايجابية فعالة فى مصر .

وكان مؤتمر القمة العربى بالخرطوم ( أغسطس ١٩٦٧ ) هو الفرصة المناسبة لطرح هذه القضية التى استنزفت كثيراً من الاموال والدماء . وتم الاتفاق الذى أفره عبد الناصر وفيصل وحدهما وإذاعه محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان على ان تبدأ مصر فى سحب قواتها ، وأن تكف السعودية عن تأييد فلول النظام اليمنى المنهار .

ونص الاتفاق أيضاً على أن توقف الدولتان كل انواع العون العسكرى لليمن ، بينما تتفق الدولتان على استمرار التعاون الاقتصادى لليمن حتى يبنى نفسه .

أعادت السعودية ترخيص العمل لبنك مصر والقاهرة بينما افرجت مصر عن أموال السعوديين وصدر قرار جمهورى برفع الحراسه عن ٨٣ اسره سعوديه وشركتين .

ولم يتعرض الاتفاق لوضع اليمن وترك لليمنيين حق اختيار مستقبلهم . كما أقر تشكيل لجنة ثلاثية من العراق والسودان والمغرب لمتابعة تنفيذ الاتفاق .

اعلن السلال فى حديث صحفى بالخرطوم (انه يوافق على أى حل للمشكلة يحفظ للشعب اليمنى مكاسبه وانتصاراته) هذا رغم عدم اشتراكه فى التحضير للاتفاق ، الامر الذى أثبت فى نفسه بلاشك بذور المعارضة لتنفيذه .

وغادر السلال اليمن فوراً الى القاهرة بعد مؤتمر القمة حيث عقد اجتماع يوم



٣ سبتمبر ١٩٦٧ مع جمال عبد الناصر بحضور انور السادات وعبدالله جزي لان رجع بعده الى صنعاء .

وسحب مصر ٢٠٠٠٠ جندي خلال أسابيع من مؤتمر الخرطوم رغم معارضة السلال لذلك ، وكان الفريق أول محمد فوزي قد أمضى ٤ أيام في صنعاء لأول مرة كفائد عام للقوات المسلحة .

ولم يكن ذلك الامر مرضيا للسلال كما ذكرنا .

كتب الدكتور محمد علي الشهاري في كتابه (عبد الناصر ونورة اليمين) وهو واحد من أعضاء الوفد اليمني بمؤتمر الخرطوم وكان مديرا لمكتب السلال موضحا هذه الصورة بقوله :

(أصدر الرئيس السلال وقتها بالفعل بيانا خاصا بذلك في الخرطوم في نفس الوقت الذي اكد للرئيس جمال عبد الناصر بأنه لا يعترض على سحب الجيش المصري من اليمن ولكنه رجا الرئيس المصري أن يترك في اليمن بعض الاسلحة الضرورية اللازمة لكفالة الاستمرار في الدفاع عن الجمهورية ، وهو ما وعد الرئيس عبد الناصر بنليته ) .

ومسيرة لهذا الاتجاه رفض السلال مقابلة اللجنة التلانية الوزارية المشكلة من محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان ووزير خارجيته ، واسماعيل خير الله وزير خارجية العراق ، وحمدي سوده وزير خارجية المغرب والتي سافرت الى صنعاء يوم ٣ أكتوبر في محاولة للتوفيق بين الاطراف المعنية .

نعلل السلال في رفضه بأن زعماء القبائل يريدون مقابلة اللجنة ، ولكن قادة الجيش يرفضون ذلك . . وهو حائر بين الاثنين .

واحتاحت المظاهرات صنعاء وأطلقت الشرطة النار . ونساقط عدد من القتلى ، وارتبكت الامور ، وعادت اللجنة الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة فقط حيث سافرت بعد ذلك الى جدة لمقابلة اليمنيين من الطرف الآخر ، ولكنها رفضت مقابلة البدر .

تحت ضغط الرفض الشعبي وبحاشيا لرد الفعل العنيف لسقوط القنصل تمت محاكمة العقيد عبد القادر الخاطري-نائب وزير الداخلية ومدير الامن العام ورئيس قوى الامن المركزي بنهمة اطلاق النار على المتظاهرين مما أدى الى مصرع ٥ اشخاص وحكم عليه بالاعدام .

ولكن رد الفعل لم يقف عند هذا الحد فقط ، ورفض السلال لمقابلة اللجنة لم ينته عند حد عودتها من صنعاء بعد ٢٤ ساعة فقط .

لم يكد يمضى شهر واحد ، حتى انتهز اليمنيون فرصة سفر السلال الى القاهرة وبغداد ثم موسكو حيث كان ابنه سفيان لليمن في الاتحاد السوفيتي . انتهز اليمنيون هذه الفرصة وقاموا بانقلاب يوم ٥ نوفمبر أثناء وجود السلال في بغداد بعد مغادرته القاهرة .

شكل الانقلاب مجلسا جمهوريا برئاسة عبد الرحمن الايرياني ، اعلن التزامه بمبادئ ثورة ٢٦ سبتمبر ، وأعلن ايضا ( ان حركة الجيش اليمني

نمد يدها الى كل الدول العربية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يمكن أن ننسى نضحياتها من أجل الثورة اليمنية ) .

أول برقية خرجت من صنعاء كانت الى جمال عبد الناصر وقال فيها الايرياني هذه العبارة :

(بعد صبر طويل على عبت السلالة الذي كان آخره أحداث الثالث من أكتوبر (المظاهرات ضد لجنة النوفيق) والتي ذهب ضحيتها اخوان أعزاء وجللت وجه اليمن بالخزي والعار قرر الشعب اليمني بكل فئاته خلع السلالة من رئاسة الجمهورية ونجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية) .

وتضمن رد عبد الناصر هذه الفقرة :

(التكريم الحقيقي لكل مايدل من الجهود والتصحيحات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق أمام مسيرتها) .

وتتمسكت وزارة جديدة برياسة محسن العيني ، البعني الميول،التقدمي الوجه ، ضمت ١٤ وزيرا .

أرسل المجلس الجمهوري الجديد برقية تهنئة حارة الى نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس السوفييت الاعلى بمناسبة العيد الخمسين للثورة الاشتراكية . واستقبل محسن العيني ممثلى العراق وسوريا والجزائر .

لم تتوقف الحرب الاهلية رغم ذلك ، ولم تستمر وزارة محسن العيني طويلا رغم مفايلته لأعضاء اللجنة الثلاثية .

وكانت اليمن الديمقراطية قد حصلت على استقلالها وارتفع علمها على مبنى الجامعة العربية فى القاهرة يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ ، وبعد ثلاثة ايام فقط عاد حسن العمري رئيسا للوزارة وهو الذى كان السلالة قد عزله عقب عودته من مصر التى أجبره عبد الناصر على البقاء فيها لمدة تسعة شهور اعتبارا من أواخر عام ١٩٦٥ لاعطاء العمري الفرصة لاقرار النظام فى اليمن .

عندما عاد السلالة عزل العمري واعتقل عددا كبيرا من الضباط والمسؤولين بنهمة التعاون مع النظام السعودى .

والآن عاد العمري رئيسا للوزراء .

وسحب جمال عبد الناصر ٣٠٠٠٠ جندي آخرين بعد اعلان استقلال

جنوب اليمن وجلاء القوات البريطانية .

ولم يبق فى اليمن سوى ٢٠٠٠٠ جندي مصرى فقط .

وقال جمال عبد الناصر بعد سقوط السلالة فى خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ماياتى :

فى الخرطوم استمعنا لاتفاق مع الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ان ننقى على موضوع اليمن ، وكان هدفنا فى ذلك ان نحقق المبادئ. ولم يعننا الاشخاص ) .

وقال أيضا .

(توجد اليوم جمهورية فى صنعاء بدون قوات مصرية فى صنعاء . . كما

تم جلاء الاستعمار الديريلسانى من اللجنة العربية المحتلة ومن عدن ، والارطانيون سينزلون الحكم هناك لأول مرة ) .

اضطر جمال عبد الناصر لسحب القوات المصرية أمام قسوة الهزيمة في سيناء بعد ان كان قد اعلن انه سيتركها هناك عشرين سنة لو افنضى الامر حتى يقوى عود الثورة اليمينية وسحر المنطقة من الاستعمار والرجعية .

القوات المسلحة المصرية لم تخرج من اليمن الا بعد أن أحرز اليمن الجنوبي استغلاله وتحررت أرضه من قوات الاحتلال البريطانية . ولكنها خرجت قبل الوصول الى صيغة اتفاق نهائية . ولذا ظلت الحرب الاهلية مستمرة رغم محاولات السلام .

ويقول انطوني ناننج في كتابه (ناصر) ان السعوديين قد قرروا في نهاية عام ١٩٦٨ عدم امداد جيش الامام بالاسلحة في محاولة لاعادة السلام .

وقد حدثت في السعودية محاولة انقلابية في صفوف القوات المسلحة تسربت انبأؤها في يونيو ١٩٦٩ بعد أن تم اعدام القائمين بها في صمت وكان بعضهم من الطيارين . ويروي محمد حسنين هيكل في كتابه ( الطريق الى رمضان) الحديث الذي دار بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر في القاهرة قبل سفرهما الى مؤتمر الرباط في ديسمبر ١٩٦٩ ، والذي قال فيه فيصل ان بعض المتأمرين كانوا على صلة ببعض المسئولين المصريين وخاصة سامي شرف سكرنر الرئيس للمعلومات ، ومقاله عبد الناصر من استعداد له لارسال أى شخص مصرى قريب منه أو بعيد عنه لمحاكمته في السعودية اذا كانت له صلة بمثل هذه المؤامرات مؤكدا له ان ما كان يتم قبل هزيمة ١٩٦٧ قد انتهى وانه قد أصدر أوامر مشددة بوقف كل محاولات ضد النظام السعودى بعد مؤتمر الخرطوم .

وفي هذا الاجتماع الثنائي الذي سبق مؤتمر الرباط طلب جمال عبد الناصر من الملك فيصل زيادة المعونة المالية لمصر ولكنه اعتذر عن ذلك لسوء أحوال المملكة السعودية المالية ولندرة احتياطياتها من العملات الصعبة الامر الذي قد يدفعهم الى الاستدانة من صندوق النقد الدولي . ووقف مساعدانهم للدول الصديقة .

وأرجع الملك فيصل ذلك الى تخريب انابيب ( التابلاين ) التي قام بها أفراد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش . ويذكر ناتنج في كتابه أيضا ان الهدوء والسلام لم يستقرا في اليمن الا في مايو ١٩٧٠ .

### مؤتمر الرباط :

كان وقع الاحداث بعد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم سريعا . . وكانت التغيرات المتلاحقة تفرض نفسها بالحاج للقاء جديد بين الرؤساء والملوك العرب

ولم تتوقف الحركة السياسية عند حدود قرارات الخرطوم التي تقضى بأنه ( لاصح ولا اعتراف ولا مفاوضة ) مع اسرائيل . فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ صدر في نوفمبر ١٩٦٧ وقبلته مصر والاردن من دول المواجهة بينما

رفضه سوريا ومعها عدد من الدول العربية مثل العراق واليمن الديموقراطية والجرائر .

وأدى هذا الى حدوث نوع من البرود في العلاقات بين مصر وهذه الدول التي أخذت بوجه النقد للنظام المصري وبرى في حركته جموحا الى النهاون في وقت لم تتوقف فيه عمله بناء القوات المسلحة ولم يوقف القتال .

هذا بينما حدث نوع من الهدوء بين مصر وبين الدول التي قرر مؤتمر الخرطوم ان يقدم لها دعما ماليا (السعودية والكويت وليبيا) وبوففت الحملات الاعلامية . بل وبوففت المؤامرات السرية ضد أنظمة الحكم في بعضها كما صارع عبد الناصر الملك فيصل أساء دعوه لزياره القاهرة .

لم يكن هذا السغير دليلا على تراجع في موقف مصر الوطني والتحرري . ولكنه كان دليلا على أن قرارات عبد الناصر لم بعد نلهم مشاعر الوطنيين في الامه العربية كما كان الحال قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ومع ذلك فان المقاومة الفلسطينية وجدت في عبد الناصر حليفا وصديقا وسهل لهم سبيل الاعتراف بهم كقوة ثورية تحارب من أجل قضية عادلة، سنحق أن تحصل على السلاح ، ونجد في أرض مصر مجالا وساحة للتدريب . وكانت التناقضات قد بدأت تظهر بن النظام الاردني وبين المقاومة الفلسطينية .

وبعد مؤتمر الخرطوم سحب عبد الناصر فواحه من اليمن ، قبل الوصول الى تسوية نهائية .

ولمعت في حياة العرب السياسية أضواء هامة رغم ظلام الهزيمة . تحررت اليمن الديموقراطية من جنود الاحتلال البريطاني وحصلت على استقلالها الوطني .

قامت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ التقدمية في العراق .  
قام الجيش السوداني بحركته في ٢٥ مايو ١٩٦٩ .  
ثم قام الجيش الليبي بحركته في أول سبتمبر من نفس العام .  
ووجد عبد الناصر في زعماء الحركات السودانية والليبية حلفاء جددا له .

ولم تتوقف الاحداث عند حدود الوطن العربي . بل تجاوزتها الى علاقة مصر مع دول عدم الانحياز .

مات نهرو أحد الثلاثة الذين أرسوا دعامة عدم الانحياز . . . ودعش تينو لان عبد الناصر لم يتجاوب معه في موقف المعارضة العلنية الصارخة ضد دخول القوات السوفيتية الى تشيكوسلوفاكيا ، غير مقدر للظروف التي فرضت على عبد الناصر هذا الاختيار ، في وقت كان يحصل فيه على كل ما يريد من تأييد سياسي وعسكري ومعنوي من الاتحاد السوفيتي .

ويبدو أن تينو لم يقتنع كامل الاقتناع برأى عبد الناصر عند مناقشتها لهذه القضية أثناء زيارة تينو لمصر في أواخر عام ١٩٦٨ .

كانت ظروف عبد الناصر تفرض عليه ان يضع تحرير الارض المصرية هدفا استراتيجيا رئيسيا ، يرسم سياسته تبعاً له ، ويعتبر كل ماعدا ذلك فريعات لايجوز له أن يعضى وراءها حتى لاتتعرض خطواته .

• كان الموقف العربي يعرض لفاء جديدا .

وعندما دعا الملك الحسن الى عقد مؤتمر للقمعة فى الرباط وافق جمال عبد الناصر .

وعقد المؤتمر فى ديسمبر ١٩٦٩ . المؤتمر الخامس للقمعة العربية . وظهرت فيه وجوه جديدة . . صدام حسين نائب رئيس مجلس الورد العراقى بدلا من عبد الرحمن عارف . . ناصر عرفات بدلا من احمد الشقيرى . جعفر نمري بدلا من اسماعيل الازهرى ومحمد احمد محجوب . . معمر القذافى بدلا من الملك السنوسى .

ولم يسفر المؤتمر عن قرارات انجاسة خطيرة . . فقد كان ساحة لانفعالات معمر القذافى الذى روى محمد حسين هيكل فى كتابه ( الطريق الى رمضان ) رفضه لرؤية الجمرال اوفقيى الذى دبر مصل السهيد العربى المناضل مهدي بن بركة . واعراضه على كشف أسرار تقرير الفريق أول محمد فوزى قائد عام القوات المسلحة المصرية أمام الملوك والرؤساء حشية سرهه الى العدو خلال بعض الحاضرين .

ويقول هيكل ان الملك الحسن قد كب ورقة صفرة الى جمال عبدالناصر يبلغه فيها ان القذافى قد اعد طائوره للسفر وانه بوى معادرة المغرب قبل انتهاء المؤتمر ويرجوه فيها ان سدحل مسجدا نأيره لمنعه من ذلك بجبا لفشل المؤتمر .

• وتجح عبد الناصر فى افناع القذافى بالفاء .

وتوقف عبد الناصر فى طرابلس خلال رحله العودة حيث استقبل استقبالا شعبيا حافلا لم يشهده ليما فى تاريخها ، وبعد احمالات استمرت أربع ساعات خطب عبد الناصر خطبه استغرقت ساعه كامله ، الامر الذى أزعج أطباء المعالجين . ودفع برجنف الى ارسال رساله عاجله له تحمل رأى طبيبه الخير الدكتور شازوف الذى حضر خصيصا لعلاج من موسكو وفيها يقول ان هذا الجهد ينافض تماما مع تعليمات الاطباء، ويعرض صحة عبدالناصر للخطر .

لم يتوقف عبد الناصر وحده . . كان معه جعفر نمري ابضا ، حيث وقع الزعماء الثلاثة ماعرف باسم ( ميثاق طرابلس ) .

قال لى فاروق ابو عيسى وزير خارجية السودان فى ذلك الوقت ان عبد الناصر قد تارخه مقترحات اللجنة الحصرية التى كانت قد اخذت خطوات فى سبيل افرار وحدة فعلية منجاوزة الظروف الواقعية فى الدول الثلاث ، مؤكدا ان الوحدة لابد وأن تبني على اساس سليم تنفعل به الجماهير ولا يحدث فى نفوسها أى نوع من الحساسية .

كان (ميثاق طرابلس) خطوة هامة فى سبيل خلق عمق استراتيجى هائل لمصر فى الغرب والجنوب .

وكانت وفرة الاموال عند النظام الليبى الجديد معروضة بسخاء من القذافى لشراء اسلحة حديثة من اجل المعركة . . طائرات فانتوم من أمريكا

وميراج من فرنسا ٠٠ وقد شجع عبد الناصر معمر القذافي على ذلك وطلب منه أن يحاول الحصول على ما يريد وما يستطيع ولكن ليس لحساب مصر .

كان عبد الناصر على حذر شديد من محاولة الوقيعة بين مصر وليبيا عن طريق اظهار مصر بمظهر الدولة المحتاحه اقتصاديا الى أموال ليبيا الطائلة .

كانت مصر تدفع نفقات كل فوانها التي برسلها الى ليبيا .  
قال لي أمين هويدى وزير الدولة في ذلك الوقت ان مصر كانت تدين ليبيا بمبلغ ٦ مليون جنيه قيمة ما صرفته هناك .  
وخطب عبد الناصر قائلا :

( هناك دعايات كبيرة ضدنا ، دعايه على اساس اننا شعب جعان واننا عايزين نستولى على ليبيا وناكل خيراتها ٠٠ والحقيقة ان هذه دعاية يمكن ان تؤثر على الناس وخصوصا ان بعض الناس هناك كانوا مرتبطين بالنظام القديم ولكن القيادة فى ليبيا الاخ معمر القذافي من أصفى الناس الى الواحد شافهم فى حياته )

وبدأت ليبيا تفتح أبوابها للعاملين المصريين ، وانهارت الحدود المصطنعة بين الشعبين .

كان فى ليبيا على عهد الملك السنوسى ٣٠٠ طبيب من الصين الوطنية ، لان أطباءنا كانوا ممنوعين من السفر الى هناك .

ولم ينحرك (ميثاق طرابلس) خطوة الى الامام نحو الاتحاد بين الدول الثلاث ، فقد ظهر فى السودان اتجاه حذر من ليبيا نتيجة لتصريحات معمر القذافي المعادية للاشتراكية العلمية وللسوفييت . وللضموض الذى احاط بتصريحاته .

## الباب الرابع

# عَوْدَةُ المَعْرَكَةِ

( ان الغارات الاسرائيلية في مطلع عام ١٩٧٠  
كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال  
عبد الناصر ، تماما كما حدث في غارة غزة  
في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ ، وحرب السويس  
١٩٥٦ ، وحرب الايام الستة ١٩٦٧ ) .

الكاتب والاستاذ الامريكى دكمجيان فى  
كتاب ( مصر تحت حكم ناصر )





## الفصل الاول

### المعركة . . . في الخطوط الامامية

- اذا كان العدو لا يملك أن يخسر معركة .
- فنحن لم نعد نملك أن نخسر معركة .

جمال عبد الناصر

رغم قسوة الهزيمة ، لم يسقط النظام ، ولم تكتب الكلمة الاخيرة في ثورة يوليو .

عندما تدفق الشعب ينادى ببهاء عبد الناصر ورفض نحيبه . كان ذلك ايذانا بأن مخطط الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية لم يحقق أهم أهدافه ، وكان بداية لمسئولية جديدة مرهفة حملها مبكرا الرجل الذي كان قد أشرف على العام الخمسين من عمره .

ولم يكن الامر عند جمال عبد الناصر يقتصر فقط على عملية اعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة . بل انه كان يعتبر ان عودة الحياة الى مصر لا تكون الا بالقتال ، وعودة المعركة .

ولذا كان شيئا مثيرا أن يتجه الفائد الاعلى للقوات المسلحة وهو مازال بعد في مرحلة اكتمال التنظيم ، الى القتال ، رغم انه كان في موقف ضعف غير محتاج الى تأكيد .

بعد أن انسحبت فلول القوات المسلحة من سيناء . . بدأت المعركة من جديد بعد فترة لم تتجاوز عدة أشهر .

يقول أمين هويدي وزير الحربية بعد الهزيمة في كتاب ( أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ) :

(ولم يعد هناك وقت لاستقرار سيطرة الآلام والاحزان .. فالمصيبة وقعت وعلى مصر أن تتخطاها ونعبرها .. وكان لابد من تجديد العطاء حتى لا تستمر سماؤنا مكشوفة مباحة .. وكانت مئات الطائرات قد بدأت في الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفيتي .. أحيانا تأتي في قوافل جوية في سياق مع الزمن في الايام الاولى من النكسة ، وأحيانا أخرى في قوافل بحرية بعد ذلك .. وبجهد محمود بديء في مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة في عدد الطائرات .. فالبعض يدربون في الاتحاد السوفيتي والبعض الآخر يدربون هنا في القاهرة .. وكان كثير من الطيارين -حتى وهم في دورات التدريب يكلفون بواجبات العمليات ، وقد حدث ذلك في ظروف كثيرة ومنعددة .. وأنشئت عشرات المطارات وأراضى النزول في أنحاء منفردة من الجمهورية فتكلفت مئات الملايين من الجنيهات والاف الساعات من العرق والجهد) .

والأرقام تشير الى انه كان متوافرا لمصر مئات الطائرات ضربت على الارض بينما لم يتوافر أكبر من ٦٥ طيارا مدربا وصالحا للقتال ، وذلك حسب رواية مسئول عن القوات الجوية قبل الهزيمة .  
ولذا تغير أسلوب التدريب واعداد المدربين ليلحق ذلك بعدد الطائرات وفصل الدفاع الجوي عن قيادة القوات الجوية ليصبح سلاحا مستغلا له قيادته المستقلة .

ويقول أمين هويدي في كتابه أيضا :  
وتم تعويض كافة خسائرنا التي حدثت في يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد السوفيتي من رادارات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال النفس في بعض انواع المدافع عن طريق الشراء من أسواق السلاح العالمية .. وأخذت أسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل من الاتحاد السوفيتي فعلاوة على الصواريخ سام ٢ وسام ٣ التي كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ ، وسام ٧ مما كان سببا في تدعيم القدرة القتالية)

كانت عملية إعادة التنظيم تمتد لتشمل القوات الجوية والدفاع الجوي والقوات البحرية والقوات البرية في حدود القوات المسلحة ، وتمتد أيضا لتشمل مسرح العمليات المنتظرة .

وهنا لابد من الإشارة الى أن قرار انشاء قوات الدفاع الجوي كقوة رابعة للقوات المسلحة هو قرار أمثلته ظروف المعركة وهزيمة يونيو وسيادة العدو الجوية الساحقة عقب العدوان .

وتشكلت هذه القوة القتالية الجديدة في يونيو ١٩٦٩ . لتكون درعا دفاعيا عن مصر متميزة بدورها وواجباتها عن القوات الجوية المهاجمة . وتم تعيين اللواء محمد علي فهمي أول قائد لها .

وقد صحت تكوين هذه القوات وأجب استراتيجي آخر .

فقد فكت المصانع ومعدات هيئة قناة السويس التي كانت موجودة في منطقة القناة ونقلت الى أماكن في داخل الجمهورية ، وقدوفر ذلك معدات هائلة وملايين من الجنيهات . وتحاشت أخطار الحرائق .. ولم يقتصر ذلك على منطقة

القناة فقط ٠٠ بل أخل ميناء الاسكندرية أيضا من أكداش الخشب والمواد النمرية بعد ان أصبح هو الميناء الوحيد الذي يعتمد عليه مصر تقريبا .  
والحقيقة ان مشاعر الناس بعد الهزيمة قد اكتسبت جدية ملحوظة .  
واعنفد الكثيرون اننا فى سبيل أخذ التآر واسر داد الارض المحتلة خلال فترة زمنية محدودة .

وقد جارت الحكومة هذا الشعور فنكرت القاهرة والاسكندرية ومدن الفنال فى اطلام شبه تام ، وأغرقت برامج الاذاعة والتليفزيون بالاغانى والأناشيد والاحاديث الوطنية .

وكان أمرا مثيرا للاهتمام وباعنا على الحيويه مانشره الصحف من أباء القتال عن معركة ( رأس العش ) التى تصدت فيها بقايا قواتنا المسلحة لطابور من طوابير العدو حاول الوصول الى بور فؤاد بعد أيام من العدوان .  
وتعتبر معركة رأس العش رغم العدد المحدود من القوات التى اشتركت فيها نقطة تحول حربية وتاريخية هامة ٠٠ اذ تحول القتال من انسحاب غير منتظم ٠٠ الى دفاع صلب لا مجال فيه للنردد أو الانسحاب .  
تغيرت القيادة ، وأحدثت الهزيمة الفاسية صدمة بعثت اليقظة فى العقول والارادة فى النفوس .

وحارب الجندى المصرى بشجاعة وبسالة قوات العدو التى سحقته قبل ذلك بأيام فقط ، فاثبت انه محارب من طراز فريد يملك كل القدرات والمقومات ، ولا ينقصه الا القيادة الوطنية السليمة .

### تطوير الجندى المصرى

وقد فرضت الهزيمة على قيادة القوات المسلحة ضرورة تطوير نوعيه الجندى المصرى فاستمر الرأى على استبقاء المجندين من خريجى الجامعات فى القوات المسلحة بعد انتهاء مدة خدمتهم الاجباريه وهى سنه واحدة وامندت خدمة الكثيرين منهم الى أكثر من خمس سنوات .

وفتحت الكلية الحربية أبوابها لنوعية جديدة من الطلبة الذين خرجوا فى الجيش ضباطا وهم من أبناء العمال والفلاحين .

وهكذا اقتربت الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنود خطوة واضحة بعد أن كانت الهوة الاجتماعية بينهم قبل الهزيمة ساحقة .

ولم يغير الفارق الاجتماعى الحاد قبل العدوان بين الضباط ، وخاصة الكبار الذين كانوا يعيشون حياة ينمتعون فيها بامتيازات كبيرة قد لا تكون مقرررة رسميا ولكنها تستخدم واقعا ٠٠ وبين الجنود الذين كانوا يعيشون حياة صعبة لا تفرق كثيرا عن حياة الجنود قبل الثورة الا فى زيادة محدودة فى الاكل والمرتب كما أوضحت فى الجزء الثانى (مجمع جمال عبد الناصر )

ولكن الاسلحة الحديثة المتطورة بدأت تفرض نوعية من الجنود خريجى الكليات العلمية فى الجامعات ٠٠ وهكذا كان يخلط فى الجماعة الواحدة أو حول المدفع أو داخل الدبابة جندى جامعى وآخر فلاح وثالث من العمال .

وفتحت ادارة التوجيه المعنوى أبوابها لعدد من السياسيين والكتاب لمحاضرة الجنود فى موضوعات شتى .

أذكر أن محمود رياض وزير الخارجية وشعراوي جمعة أمين التنظيم ووزير الداخلية ومحمد فايق وزير الاعلام وغيرهم كانوا يدعون الى عقدندوات مع رجال الجيش ٠٠ كما أدلر اسى دعت له المحاضرات أسر من مرة . ولكن هذا لم يكن يعنى اقترابا من تنفيذ ماورد فى المباق من دخول رجال الجيش والشرطة والعضاء الى الاتحاد الاشتراكى العربى . تجربة خلق تنظيم محدود من طليعة الاشتراكيين فى القوات المسلحة والذي كان يشرف عليه المشير عامر وشمس بدران أنتهت بالعدوان ولم نكرر .

ركز جمال عبد الناصر جهده كله على العمل العسكرى ٠٠ ولم يبحث فى خلق تنظيمات سياسية داخل الجيش ٠٠ ولو انه كان حربصا كما قال لى الفريق اول محمد فوزى على ان يجعل منه - اى من فوزى - رجلا سياسيا متفهما للموقف الاستراتيجى والسياسى ، والعلاقات بين مصر ومختلف الدول .

ويقول الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان كثيرامدايعبه حول أهمية ان يكون القائد العسكرى سياسى النظرة أيضا ، وذلك كالمالس من فوزى اهتماما أشد بالقضايا العسكرية .

ومع ذلك لم يعرب السياسه من الجيش ٠٠ ولم ننسج العلافه بين الضباط والجنود من جهة وبين الاتحاد الاسرائلى من جهة اخرى ٠٠ عارص عبد الناصر ذلك فى حرم رعم ان محمد فوزى - لما يقول - كان يطالب بسدس مقاعد اللجنة المركزية لرجال الجيش . مازال العمل السياسى ضوا أحمر يحظر على الجنود والضباط الاقتراب منه .

ولكن النظرة العلمية والواقعية بدأت تغير من وافع القوات المسلحة . فقد أصبح من أهم عوامل الاستعداد للمعركة ألا يكون الهوة الفكرية والاجتماعية واسعة بين الضباط والجنود ٠٠ وأن يخلق شعور موحد مشترك يجمع كل المعالين .

ويقول الفريق اول محمد فوزى انه أفنع جمال عبد الناصر الذى عارض فى البداية ولمدة اسبوع فكرة عمل الجامعيين كجنود عاديين فى القوات المسلحة ٠٠ أقنعه بأن احياجاب الاسلحة المتطورة تجبره على استخدام خريجي الجامعات .

صدرت أول خطة تجنيد سنوية عام ١٩٦٨ لتحديد مطالب القوات المسلحة من التخصصات المختلفة ، وتحديد المستويات الثقافية والمهنية لكل وظيفة عسكرية .

وحدث ارتقاء واضح فى المجندين . قبل يونيو ١٩٦٧ كانت نسبة الجنود الحاصلين على مؤهلات علما ومتوسطة بما لفيرير هيئة التنظيم الحربى ٧٥٪ تقريبا .

وبعد يونيو ١٩٦٧ الغى نظام الاقتراع ، وتم تجنيد اصلح الشباب

بنظام تنازلى ٠٠ كما خصص ٩٠٪ من حنود المؤهلات للعمل فى التشكيلات  
المحاربة ٠

وحدث تطور جديد فى الكشف الطبى ٠  
فى الماضى كان ضعف الابصار يسقط من ٨ الى ١٠٪ من المفترعين ٠  
ولكنه صدرت تعليمات بالسماح بنجنيد لابسى النظارات ٠  
ويظهر الجدول التالى مستويات الجنود الثقافية مع تطور الوقت بالنسبة  
المئوية ٠

التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ الى ٩ سنوات	تعليم اقل من ٦ سنوات
يونيو ١٩٦٧	٦٣	٣٨ر٤	٥٥ر٣
ديسمبر ١٩٦٧	١٥	٣٨ر٣	٤٦ر٧
عام ١٩٦٨	٢٧ر٥	٣٨ر٥	٣٤
عام ١٩٦٩	٢٨	٣٩	٣٣
عام ١٩٧٠	٢٦	٤٠	٣٤

ويظهر هذا الجدول الصادر عن هيئة السطيم ان ارتفاعا ملحوظا واحدا  
قد ظهر فى نسبة المجندين الذين درسوا اكثر من ١٢ سنة اى خريجي  
الجامعات وأن نسبة الزيادة منذ الهزيمة حتى نهاية العام فقط ، وهى الفترة  
التي اعبر فيها المارشال زحاروف والفريق أول محمد فوزى والجنرال  
لارشكو والفريق عبد المنعم رياض ٠٠ اعتبروا ان القواب المسلحة المصرية قد  
أصبحت قادرة على الدفاع عن غرب القناة وصد اى هجوم اسرائيلى ٠  
ارتفعت النسبة خلال هذه الفترة البسيطة الى ٢٣٨ اذا اعتبر ١٠٠ فى شهر  
يونيو ٠

كما ارتفعت النسبة اكبر من أربعة أضعاف فى العام السالى مباشرة  
١٩٦٨ وحافظ على ارتفاعها بعد ذلك ٠

اما التعليم المتوسط ( من ٦ الى ٩ سنوات ) وهم خريجو المدارس  
الابتدائية والاعدادية فقد احتفظوا بنسبتهم عربا ولم يزيدوا سوى من  
٣٨ر٤٪ الى ٤٠٪ ٠

بينما هبطت نسبة الاميين والذين لم يكملوا دراساتهم الابتدائية من  
٥٥ر٣٪ الى ٣٣٪ أى مايقرب من النصف تقريبا ٠

وهذا يوضح ويؤكد تغلب ميزان المتعلمين داخل القوات المسلحة  
نسبيا بالمقارنة مع الوضع السابق ومع نسبة تعداد المتعلمين الى تعداد السكان  
العام ٠

ويوضح الجدول التالى مقارنة هذه النسب بين مصر وبعض الدول  
الاخرى :

الدولة	التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ - ٩ سنوات	تعلم اقل من ٦ سنوات
مصر	عام ١٩٦٧ عام ١٩٧٠	٦٣% ٢٦	٣٨ر٤ ٤٠	٥٥ر٣ ٣٤
اسرائيل	عام ١٩٦٧	٥٠ر٣	٣٤ر٤	١٥ر٣
الاتحاد السوفيتى	عام ١٩٣٩ ١٩٧٥	١٢ ٤٦	٢٧ر٥ ٥٤	٦٠ر٥ صفر

اصبحت القوات المسلحة فى تكوينها الاجماعى من ناحية التعليم اكثر  
تميزا من واقع المجتمع .  
والنطور الذى حدث للجندى المصرى يركز على قدرته القتالية وتدريبه  
وحسن استخدامه للسلاح الى جانب المواصفات التى تميز بها من صبر  
وقدرة على التحمل واخلاص للوطن .

### حرب لاتتوقف

بعدد مظاهر الصال ٠٠ ولم يكذ يجر اسبوع ثم يوم دون سقوط شهيد  
بعدائف العدو .  
نشرت الصحف فور انتهاء مؤتمر القمة بالخرطوم وقوع اشتباكات  
عنيفة بين قواتنا وقوات العدو يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧ عندما حاول العدو  
ادخال ٤ قطع بحرية فى ابحاء مدخل قناة السويس فتصدت لها فوانا .  
ضرب العدو مدينة السويس فأصاب ٣٠ منزلا ومسنشفيان وقتل ٤٢  
وحرق ١٦١ .

وفى هذا الوقت بالحديد كان الفريق عبد المنعم رياض قد سافر الى  
يوغوسلافيا لزيارة الجيش اليوغوسلافى لمدة خمسة أيام .  
والفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان الحرب هو الذى قام بدور بارز  
فى إعادة بناء القوات المسلحة وأعد مع الجنرال السوفيتى لاشنكو خطة تحرير  
مصر ، كما قال لى الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة .  
ونصادف انتحار المشير عبد الحكيم عامر القائد العام السابق للقوات  
المسلحة يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ بابتلاع سم الاكونيتين ، ...دايام فقط من عودة  
الحياة الى القوات المسلحة . عن طريق المشاركة فى القتال .  
كان شهر سبتمبر ١٩٦٧ هو شهر البداية الحقيقية لعودة الحياة الى  
القوات المسلحة ، فقد تجدد القتال يوم ٢١ وبوم ٢٨ ، وقامت معركة بالدافس  
مع العدو فى منطقته المتطورة ٠٠ الامر الذى جعل ثوانت سكرتير عام الامم  
المتحد يطلب من اودبول كبير المراقبين الدوليين قطع اجازته والعودة فوراً  
الى القاهرة ٠٠ وقد اعلنت الصحف وقتها ان خسائر اسرائيل قد بلغت من  
٨٠ الى ١٠٠ قبل و ، ٢٥٠ جريحاً .

وعندما تصاعد القتال واتجهت الانظار من جديد الى منطقة القناة عين  
على صبرى وزيراً مفيماً فى منطقة الامناسة لتحقيق أمن المواطنين وبدأ عمله

هناك يوم أول اكتوبر ، وهو نفس اليوم الذى حضر فيه الملك حسين الى القاهرة فى طريقه لاول مرة الى الاتحاد السوفيتى حين زار موسكو ومن بعدها واشتعلن .

ولم ينصر القتال على العواب المسلحة فقد شن الغدانيون هجوما ليليا يوم ٣ اكتوبر على مستعمرة اسرائيلية فيما وصف بأنه أجراً غارة للمعدانيين . وبصافد أن حملت الاخبار نبأ مصرع الزعيم البورى شى جيفارا اثناء قتاله مع زملاء له لتحرير قرى بوليفيا يوم ١٠ اكتوبر . وغمر الناس نوع من الاسى والاسف . ولكنه قدم لهم مالا للنضحية .

ووصل القتال ذروبه عندما افتربت المدمرة الاسرائيلية ( ايلات ) من ميناء بورسعيد فى تحد سافر خلال شهر اكتوبر ١٩٦٧ .

والمدمرة ( ايلات ) كانت مصرية تحمل اسم ( ابراهيم ) ضمن وحدات الاسطول المصرى وقد كلفت يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ خلال فترة العدوان الثلاثى بالتوجه لضرب ميناء حيفا الا ان قطعاً من الاسطول الفرنسى كانت فى الانظار فأسرتها بعد معركة غير متكافئة ، وضمنها اسرائيل بعهد ذلك الى قواتها البحرية .

كان ضرب ايلات ضرورة تفرضها الناحية العسكرية ، ولكن قرار الضرب يفتضى البحث فى ردود الفعل المحتملة لعدو منصر ومتفوق تفوقاً ساحقاً فى القدرة القتالية .

واغراق مدمرة حربية لاسرائيل أمر لا يمكن أن يضى فى بساطة ، لانه يجرح الكبرياء الذى تعيش فيه بعد انتصار يونيو . ولكنه فى الجانب الاخر يجدد الامل فى الحياة المصرية ويبعث نوعاً من النقه فى نفوس الجماهير والمقاتلين .

ونم تعذر سريع للموقف تبين منه ان رد فعل العدو سوف يكون أكثر احتمالاً فى ضرب معامل تكرير البترول بالسويس وهى ذات قيمة استراتيجة كبيرة للمعركة ، وفى مدى مدفعية العدو وهواناته . ورفع الامر الى جمال عبد الناصر الذى اصدر الامر باعراق ايلات دون التعرض لوحداث الانقاذ .

وطلب من وزارة الداخلية تعزيز وحدات المطافىء بالسويس استعداداً لمجابهة رد فعل العدو المنتظر .

وقبل الغروب أعطيت اشارة البدء ، وتحركت زوارق الطوربيد المصرية ، وفوجئت المدمرة بأشباحها الصغيرة تتشرب منها . وما هى الا لحظات حتى كانت الطوربيدات قد انطلقت فشطرت المدمرة التى تحمل عدداً يتراوح بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ مقاتل الى نصفين ، وبعد دقائق كانت المدمرة ( ايلات أو ابراهيم سابقاً ) قد استقرت نهائياً فى قاع البحر الذى غطى سطحه ببقع كبيرة من الزيت .

وبدأت محاولات الانقاذ تحت أضواء المشاعل التى أسقطتها الطائرات الاسرائيلية .

وبعد يومين كان رد الفعل المسطر قد نحق وبدأت الفدائف الاسرائيلية  
شعل النار في معامل تكرير السرو .

وبسبب فكرة الانعام بعمله فدائية بوجه لضرب مساء ابلات ولم يوافق  
جمال عبد الناصر على تصعيد الموقف بأكبر مما تحمله امكانياته الحربية في  
مرحلة اعاده بناء وتنظيم القوات المسلحة . . ويقول الفريق محمد فوزي ان  
السوفييت كان لهم دور في التحذير من خطر الادفاع .

ويعتبر البعض ان التصعيد نفسه بصرب المدمرة ابلات كان مبكرا اكثر  
من اللارم لان رد الفعل قد أصاب الاساح المصري بخسارة فادحة . . ولكن  
التأثير المعنوي كان هائلا وبلا حدود .

ويقول أمين هويدى وزير الحربية في ذلك الوقت ان فكرة ضرب مساء  
ابلات الاسرائيلي قد تحولت من عملية عسكرية الى عملية سرية فدائية بفسوم  
بها رجال الضفادع البشرية مطلعين من ميناء العقبة الاردني .

ثم ذلك فعلا بعد اسابيع ونفجرت الميناء واحترقت خزانات البترول  
وعرقت بعض السفن الصغيرة .

ونتيجة لذلك أعلنت أمريكا الغاء الحظر على تزويد اسرائيل بالاسلحة  
وقدمت لها ٤٨ طائرة سكاي هوك .

وفي يوم ٣١ اكتوبر ١٩٦٧ بدأت محاكمة الفريق صدقي محمود وكبار  
ضباط القوات الجوية الذين كانوا سببا في كارثة الهزيمة بلافنال ،  
واسبدل في نفس الوقت اللواء مذكور ابو العز قائد القوات الجوية الجديد  
الذى عين مستشارا لرئيس الجمهورية ، باللواء مصطفى شلبى الحناوى .

وطوال هذه الفترة كان يعيش في مصر الماريشال السوفييتي زخاروف  
الذى حضر مع بودجورنى في زيارته لمصر بعد الهزيمة ، ثم بقى بهالاشراف  
على عملية اعادة بناء وتسليح وتنظيم القوات المسلحة المصرية .

وقد حرص جمال عبد الناصر على استبقائه طوال هذه الفترة ثقة منه  
في كفاءته وقدرته ، ولم يسمح له بالعودة الى بلاده الا اياما قليلة خلال شهر  
يوليو ذهب فيها لزيارة أسرته في الاتحاد السوفيتي .

وفي أحد ايام شهر نوفمبر استقبل جمال عبد الناصر الماريشال  
زخاروف ومعه ثلاثة جنرالات سوفييت حيث قال له ان الجبهة المصرية قد  
نماسكت وانها قادرة على صد أى هجوم اسرائيلي . . وكان ذلك استثنائا منه  
بالعودة الى بلده بعد انتهاء مهمته .

عاد الماريشال زخاروف الى موسكو وبني عدد من الخبراء والمستشارين  
كان في مقدمتهم الجنرال اوكينوف مستشار الفريق اول محمد فوزي والذي  
كان عضوا احتياطيا في اللجنة المركزية ثم اصبح عضوا بها ، والجنرال  
لاشنيكو الذى وضع خطة القوات المسلحة مع الفريق عبد المنعم رياض خلال  
عام ١٩٦٨ .

صدق جمال عبد الناصر على الخطة التى اشترك فيها القادة المصريون  
والسوفييت التى عرفت باسم (الخطة الدفاعية ٢٠٠) فى ديسمبر ١٩٦٨  
وكانت تقضى بوصول قواتنا خلال ١٢ يوما من بدء القتال - الذى حدد له



جمال عبد الناصر مدة اربع سنوات كحدا أقصى بعد العدوان الى الحدود الدولية مع معاملة جميع الهجوم المضاد المحلي والعام الذي يقوم به اسرائيل .  
قال لى الفريق أول فوزى وهو يوضح ان اطلاق اسم الخطة الدفاعية لاي معنى انها دفاع فقط ، فخطة تحرير الاتحاد السوفيينى فى الحرب العالمية الثانية اطلق عليها اسم الخطة الدفاعية ايضا .

قال لى ان الخطة وضعت فى غرفة العمليات وكانت دائمة النطور بناء على المعلومات المتجددة والمؤثرة . وكانت المرحلة الاولى منها قد اطلق عليها اسم ( جرانيت ) وتقضى بتحقيق هدفين . . اولهما . . العبور . . وثانيهما احتلال الممرات .

وقد استدعى تنفيذ هذه الخطة وضع جدول زمنى للتسليح والتدريب الذى كان يحتاج الى خبراء مؤهلين .  
وكان جمال عبد الناصر مدركا حالة القوات المسلحة الموروثة من الفترة السابقة تحت قيادة المشير . وكان حريصا فى نفس الوقت على تحرير الارض .

ولذلك فكثيرا ما كان يطلب مساعدة السوفيت فى مجالات مختلفة .  
عندما زار موسكو فى يوليو ١٩٦٨ طلب من بريجنيف ان يتولى قادة سوفيت قيادة قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية . . كما طالب ايضا بوضع خبراء سوفيت حتى مستوى السرية .  
ولكن بريجنيف اعتذر عن عدم تلبية ذلك - كما قال لى الفريق أول محمد فوزى - قائلا اننا مطمئنون على قدرة القيادات المصرية الموجودة ، وانها كافية لاداء واجبها بكفاءة .

لم يكن السوفييت براغبين فى توريث انفسهم فى معركة الشرق الاوسط باكثر مما تسمح به قواعد اللعبة الدولية للمحافظة على السلام العالمى . . بينما كان جمال عبد الناصر حريصا على توريث السوفييت معه فى المعركة ضمنا لمساعدتهم فى تحرير الارض خلال اقصر وقت ممكن .  
ومع ذلك بدأ نوافذ الخبراء والمستشارين مع موجات الاسلحة المتدفقة قال لى الفريق أول محمد فوزى ان هؤلاء الخبراء والمستشارين الذين وصل تعدادهم فيما بعد بناء على طلب القيادة المصرية الى ١٦٠٠٠ مستشار سوفيتي ، ٣٠٠٠ خبير فى قوات تضاعف عددها حتى تجاوز نصف المليون . هؤلاء كانوا يلبسون مثل ملابس الجنود تماما (أوفرول وطاقي و قايش ) . . الاحذية فقط هي التى كانت من عندهم .

ويقول الفريق أول محمد فوزى أيضا ان جمال عبد الناصر كان يطلب منهم الخروج من المعسكرات للفسحة ومشاهدة معالم مصر ، ولكنهم كانوا يعتبرون فى أدب حتى لا يقول المصريون عنهم انهم مستعمرون .  
وتعتبر هذه المرحلة من أهم وأشق المراحل فى حياة القوات المسلحة ذلك انها كانت تقيم بناء جديدا تماما يحتاج الى جهد وجدية فى ظروف كان يتعالى فيها كبرياء المنتصرين وخيلاؤهم ؛ ما يظهر فى معظم الصحف العالمية من حديث يسبغ الفخر على الاسرائيليين ، ويشين سمعة العرب ويحط من قدرهم .

كانت المرحلة تماما كما عبر جمال عبد الناصر مرحلة صمود عسكري ونفسى ايضا ٠٠ كان هناك ما يمكن اعتباره ( دفاعا صامتا ) أى ضبط النفس وعدم الرد على استغزات العدو الذى كان جنوده يسبحون عراة فى القناة ، ويوجهون خلال مكبرات الصوت كلمات جارحة للجند المصريين .  
وكانت قد صدرت الى الوحدات خلال هذه الفترة أوامر مشددة بعدم اطلاق النيران ٠٠ وقد حرص الفريق اول محمد فوزى على أن بسبب الامر الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر لان الجنود والصباط ماكانوا ليفعلوا ذلك . ومع ذلك فقد حدثت عدة مخالفات حوكم فيها بعض المسئولين عن مخالفة هذه التعليمات .

كان الجنود فى شوق شديد للذئبال بعد وصول الاسلحة الى أيديهم مرة أخرى ٠٠ وبعد ارتفاع قدرتهم القتالية نتيجة للتدريب العنيف الذى أصر عليه المارشال زخاروف معسيرا أن الخطة الناجحة نهض على التسليح والتدريب معا .

وسبب الى الفريق عبد المنعم رياض فوله ( اذا لم نقاتل فسينحول رجالنا الى عبيد ونساؤنا الى عاهرات )

### قرار مجلس الامن ٢٤٢

وكان صدور قرار مجلس الامن صدمة لبعض الذين غلبهم الشوق للذئبال ، ولذا فقد عقد جمال عبد الناصر يوم ٢٥ نوفمبر أى بعد صدور القرار بثلاثة أيام اجتماعا مع كبار قادة القوات المسلحة قال لهم فيه ان قبول قرار مجلس الامن هو مسألة لا تتعلق بهم ٠٠ لان مايفعله الاسرائيليون فى الارض المحتلة يؤكد انهم لن يخرجوا منها الا اذا أجبروا على ذلك ٠٠ وان عليهم ان يستعدوا بالتدريب الشاق لمدة من ثلاث الى خمس سنوات ليكونوا فى مستوى القدرة على تحرير الارض المقتصبة .

وتأكيدا لهذا المعنى اعلن فى خطبته أمام مجلس الامة فى نفس الشهر قولته الشهيرة ( ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ) .  
وبدأ جوناو بارنج سفير السويد فى موسكو يؤدى دور وسيط هيئمة الامم المتحدة بين اسرائيل والدول العربية بتكليف من السكرتير العام يوناتس تنفيذيا لقرار مجلس الامن ٠٠ واخذ له مفرا رئيسيا فى جزيرة قبرص .  
ولكن سرعان ماتبين ان مهمة يارنج لاتحمل أملا حقيقيا فى السلام وان حكومة اسرائيل نلفى حولها المصاعب التى تجعل الوسيط الدولى يدخل فى مناهات تثير اليأس والدوار . وفى مقدمتها الاصرار على القيام بمفاوضات سرية مباشرة .

وقد عبر جمال عبد الناصر للملك حسين يوم ١٣ يناير ١٩٦٨ عن رأيه فى فقدان الأمل فى مهمة يارنج وذلك كما ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه ( الطريق الى رمضان ) وهو يقول ايضا ان عبد الناصر كان يعتقد أن الوصول الى اتفاق مرض يعتبر أمرا طيبا ، وان علينا أن نقنع الرأى العام العالمى بنوايانا الطيبة . وهو ماكانت اسرائيل تحققه فى الماضى بنجاح كبير .  
وكان عبد الناصر يعتقد ان قبوله الاستمرار فى مباحثات يارنج انما

بسنهدف ائناع السوفيت بانه لا سبيل الى حل دبلوماسى وذلك رغبة منه فى نفيهم من المشكلة وشكهم بها .

وفى زيارة قام بها وزير الخارجية السوفيتى جرومكو الى مصر فى ديسمبر ١٩٦٨ قال لمحمود رياض بان هناك اتصالات ثنائية بينهم وبين الولايات المتحدة . . . وساءل عن موقف مصر بالنسبة لمباحثات يارنج .

وكان محمود رياض اكثر ميلا لاستمرار مهمة يارنج باعسارها تتم تحت ضوء واشراف الامم المتحدة . . . وعندما سأل جرومكو عن نقطة ضعف يارنج قال له جرومكو ( ليس هناك خطأ ما بالنسبة ليارنج سوى أنه لا يملك أساطيل فى البحر ولا صواريخ فى الهواء ) .

ولكن جمال عبد الناصر أبد رأى جرومكو قائلا انه من الناحية الواقعة فان يارنج لن يستطيع ان يفرض حلا وأن مافد تتوصل اليه لابد وأن يكون اتفاقا بين الدولتين العظميين من خلف سقار .  
وكان شهر نوفمبر ١٩٦٧ هو بداية مرحلة الردع . . . المرحلة التى عادت فيها مدافعنا للانطلاق .

وكان اعداد القوات المسلحة للمعركة يسير متواريا مع الاشتباكات المتكررة مع العدو . . . وكان التدريب والمناورات التى يشترك فيها فرق كاملة بالدخيرة الحية تستهلك اموالا طائلة وأحيانا يسمط ضحية لها بعض الشهداء .

وعندما أثار بعض المسئولين ضخامة التكاليف التى تبدل فى التدريب قال لهم جمال عبد الناصر : ( ان الهزيمة أغلى ) .  
وقد أدى نصاعد الفئال فى منطقة المناة الى فرار التهجير الذى أجبر ٤٠٠.٠٠٠ مواطن على الرجوع للخلف فى المحافظات الأخرى حرصا على أمنهم ومنعا لهم من أن يكونوا سدا أمام انطلاق قواتنا المسلحة .

ووصلت الامور فى القناة الى الحد الذى جعلها منطقة قتال حقيقيه ، تتعرض فيها القوات يوميا الى قذائف المدفعية ، وقنابل الطائرات . . . ويسقط المقاتلون المصريون كل يوم تقريبا وهم يؤدون أشرف واجب وطنى .  
هذا بينما كانت الامور فى الداخل نهدأ يوما بعد يوم . . . وتضاء الانوار تدريجيا ، وتسررب الاغنيات العاطفية الى الاذاعة ، ويقتنع الناس بأن الثار طويل والمعركة مستمرة .

وفد أدت هذه الحال الى تجسيم البعض لهذه الظاهرة بأن هناك فى مصر دولتين . . . دولة محاربة فى القناة ، ودولة مسالمة فى العاصمة .  
وارتفعت نبرة المطالبة بالحرب الشعبية وامداد الشعب بالسلاح لتكوين جيش شعبي ، ولكن جمال عبد الناصر رفض هذه الفكرة علنا فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى فى ١٤ سبتمبر ٦٨ بدعوى عدم توافر السلاح . . . ولكن الحقيقة انه كانت هناك خشية حقيقية من تسليح الجماهير .

وكانت القيادة العسكرية قد أعلنت فى سبتمبر ١٩٦٨ أيضا سياسة الدفاع الوقائى ( التى لا تسمح لاسرائيل بأن تحول خطوط المواجهة الى خطوط للبقاء تقوم بتحصينها وحشد القوات فيها ) .

وفي نفس الوقت حرص جمال عبد الناصر على تطعيم المس  
أجهزه الاعلام بالصورة الحقيقية للموقف ، فطلب من أبور الد  
مجلس الشعب ان يجمع رؤساء تحرير الصحف ويسافر معهم  
الفنائه لزيارة مصانع النكرير بعد بدمرها .  
وكتب وقتها رئيسا لتحرير مجلة روزالبوسف وذهبر  
السادات في وفد ضم الرماء ، محمد حسنين هيكل واحسان  
ويوسف السباعي وفصحى غانم وموسى صبرى حيث اسفيلناها  
الذى طاف بنا أرحاء المصنع الذى كانت تتلوى فيه الانابيب  
كالغابين الهامدة . . وأعد لنا لقاء فى مبنى المحافظة مع عدد  
كانوا جميعا فى قمة الروح المعنوية العالية .  
ونبين من الاحاديث والمناقشات ان هناك عتابا فى نفوس  
بالمناطق من اسلوب الحاة اللاهية فى العاصمة .

ولكن تطور المعركة لم يجعلها تقصر على منطقة الفناء  
استشعر العدو فى مرحلة الردع بان مدفعيتنا برهنت فوانه ان  
الصمة الشريه وبكبتها خسائر مستمرة ، وان دوريانا التى  
بعد يوم تصل عبر سـيـنا الى خطوطه الخلفيه ونس عليه هـج  
حاضمه لايسـتطيع لها دفعا فى هذه الارض الشاسعه وبحت طـ  
المنسـدل . . فقد ثانت نوعا من القتال الذى يسبه حرب الابد  
العصابات .

ولجا الاسرائيليون الى استخدام سلاحهم الذى يملكون السيه  
فيه وهو القوات الجوية .  
كانت الولايات المتحدة تواصل امداد اسرائيل بالاسلحة المتقة  
انصارها الكبير .

قال جمال عبد الناصر للمبعـوثين المصريين أثناء اجتماع  
الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٦٩ ( أمريكا تعهدت لنا بتنفيذ قرار مج  
وانها ستعمل بكل الوسائل على أن ينفذ ، ولكن ما حدث بعد هذا  
العكس من ذلك فقد حصلت اسرائيل على طائرات سكاي هوك عا.  
وعلى طائرات فانتوم عام ١٩٦٩ ) .

وكتب الفريق محمد على فهمى فى كتابه ( القوة الرابعة ) عن ذ  
اسرائيل الى استخدام القوات الجوية ما يأتى :

( مع استمرار نصاعد العمليات العسكرية وتزايد حجم الخ  
القوات الاسرائيلية أدركت اسرائيل أن مصر وان كانت قد خـسـ  
عسكرية فى يونيو ١٩٦٧ الا انها لم تفقد الارادة والتصميم على القتال  
اسرائيل ان القتال سيستمر ما لم تقهر هذه الارادة عن طريق الرد  
فكان قرار اسرائيل باستخدام قواتها الجوية ، او كما يسمونها الذر  
لجيش الدفاع الاسرائيل )

وبدأوا يشنون غارات على الداخل . . على قناطر نجع حماد  
الخيرية مستخدمين الغاما نجرى مع تيار المياه ، الامر الذى دفع قو

استخدام مصاد ومصادات للالعام لحماية القاطر المختلفة بلعب مكاليهمها  
سبعة ملايين من الجنيهات .

وبدا الاتحاد السوفيتي في امداد مصر بصواريخ سريللا أو سام ٧  
ضد الطيران المحقق المحملة على عربات مدرعه مجهزه بأجهزة اطلاق  
الصواريخ .

وصلت أول شحنة في يناير ١٩٦٩ مع اسكندر سليمان عضو المكتب  
السياسي ، وتوالت الشحنات بعدها تحمل أنواعا متطورة من هذا الصاروخ .  
ويذكر من باب المعارضة ان الملك حسين قد سافر الى أمريكا خلال هذه  
الفترة عدة مرات لافناع الرئيس الأمريكي حوسون بالحصول على أسلحة  
أمريكية ولكنه لم يحصل على طائرة واحدة .

وكبت صحيفة جوبش اوبزرفر البريطانية في عدد ٢٣ أغسطس  
١٩٦٩ تقول :

( يؤكد العمليات الجوية التي بدأت في يوليو ١٩٦٩ ان مصر نخوض  
غمار حرب استنزاف ضد السلاح الحوى الاسرائيلي وان استمرار الصدام  
الحوى مع استمرار الغارات الحوية الاسرائيلية على الجبهة المصرية وبصدي  
وسائل الدفاع الجوى المصرى لها انما يعنى انه من الممكن القضاء على النفوق  
الجوى الاسرائيلي في المدى الطويل بفرض أن اسرايل لن يستطيع نعوض  
خسائرها ) .

وخلال هذه المرحلة سقط الشهيد الفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة  
أركان الحرب يوم ٩ مارس ١٩٦٩ برصاص قناص للعدو وهو مجتمع مع عدد  
من القادة على الشاطئ الغربى للعناة ومديرا ظهره للعدو محاولا بعث روح  
الاقدام في نفوس زملائه .

سقط عبد المنعم رياض ضابط المدفعية الذى زامله في مدرسة المدفعية  
قائدا للجناح المضاد للطائرات ، ثم خريجاً في كلية أركان الحرب ، والذى  
اكمل دراسته في كلية مانوبير العسكرية الأمريكية ، وكلية فرونز العسكرية  
السوفيتية .

كان عبد المنعم رياض قائدا محبوبا يميز بشخصية شديدة الحيوية  
والفتح . وكان مصرعه رمزا للشجاعة أمام الجنود وأمام الشعب في أيام  
كنا نحتاج فيها للمثل والنضحية .

ولذا كانت جنازة عبد المنعم رياض من أكبر الجنازات الشعبية التي  
عرفتها مصر . سار في مقدمتها جمال عبد الناصر وسط حشد من الجماهير  
التي أخذت تهتف للشهيد وللتحرير .

وفي عهد عبد الناصر لم تخرج في مصر جنازات شعبيه سوى جنازة صلاح  
سالم ومصطفى النحاس وعبد المنعم رياض .

وسمعت من شعراوى جمعة ان عبد الناصر قال عندما شاهد مئات  
الالوف يشيعون جثمان عبد المنعم رياض ان هذا يعتبر استفتاء شعبيا على ثقة  
الناس في استمرار المعركة .

## حرب الاستنزاف :

ولم نكد بمضى عدة شهور حتى بدأت حرب الاستنزاف في ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لي العربي اول محمد فوزى .

وكان دخول هذه المرحلة دليلا على جديده قتال القوات المسلحة المصرية .  
قال لي اللواء عبد المعص حليل أحد قادة الجيوش خلال هذه المرحلة ان  
استعداد القوات الاسرائيلية كان يحق عدة نتائج هامة .

أولا . . . . . تطعيم الجنود على القتال ونعويدهم على جو المعركة مما يرفع  
من تدريبهم وفدريهم القتالية .

ثانيا . . . . . تقليل الخسائر الى أدنى حد اذ يعناد الجنود على مقاومة  
الغارات . . . . . وضرب لي مثلا بان غارات اسرائيلية قد امتدت يوما كاملا بلا انقطاع  
على احدى المناطق ولكن لم يقتل احد .

ثالثا . . . . . ارتفاع الروح المعنوية كمنيجة حتمية لاستمرار البقاء والحياة  
رغم استمرار الغارات .

وكتب دكيجان في كتابه ( مصر . . . . . بحكم عبد الناصر ) ان حرب  
الاستنزاف التي شنها مصر كانت تستهدف عدة أهداف عسكرية وسياسية  
بضمن :

١ - الحاجة الي تهدئة الشعور الشعبى المتزايد وخاصة فى الجيش  
لاخاذ اجراءات عسكرية واسعة ضد العدو .

٢ - تدمير المواقع الاسرائيلية شرق القناة لمنع تحويل خطوط وقف  
الاطلاق النار الى حدود دائمة .

٣ - زيادة حسائر الاسرائيليين الحربية وخاصة فى الجنود .

٤ - الحاجة الى زيادة الضغط على القوى العظمى لفرض تسوية قائمة  
على انسحاب الاسرائيليين .

ويقول دكيجان أيضا ان اسرايل قد ردت بنعاطم الفسارات الجوبة  
والفدائية لمنع المصريين من تدمير الاسطورة التي تقول بان الاسرائيليين  
لاينهزمون .

وكان جمال عبد الناصر قد رفض فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ فكرة  
وقف اطلاق النار وسط نشاط سياسى متزايد لاحداث نوع من التوازن بين  
موقف الدولتين العظميين .

كما أن جولدا مائير وأبا ايبان قد أعطيا نصريحات نشرتها صحيفة  
الموند الفرنسية بتاريخ ١٨ - ١٩ يناير ١٩٧٠ تعبر عن رغبتها فى رؤية نظام  
عبد الناصر يصاب بالشلل من غاراتهم المتلاحقة .

وكانت جولدا مائير قد سبق ان قالت فى ٢٦ يوليو ١٩٦٩ ( اننا على  
استعداد لاحترام وقف اطلاق النار ) ووجهت الرجاء لمصر والدول العربية  
بوقف اطلاق النيران على الجانبين .

وكانت الجيوب تتصاعد . . . . . ونشرت الاهرام يوم ١٧ يوليو اننا اسقطنا

١٧ طائرة للعدو وحدث خلال هذه الفترة حرق المسجد الأقصى يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ ، واقترح عبد الناصر على فيصل المبادرة بدعوة مؤتمر قمة اسلامي ، وكان فيصل يحاول تهدئة علاقته بمصر فسلم شمعين من الاطباء أجبروا طائرة مصرية على الاتجاه للسعودية تحت تهديد السلاح يوم ١٨ أغسطس وعادت الطائرة والمختطفان وجميع الركاب .

وكانت عمليات اختطاف الطائرات هي (مودعة المرحلة) فقد حدث بعد عشرة أيام من هذا الحادث أن اختطف فدائيان فلسطينيان احدهما سيدة ، الماهرة امريكية بها ١٧ اسراييليا هبطت في دمشق . كما دعا عبد الناصر الى مؤتمر قمة لدول المواجهة انضم اليه الجزائري والسودان .

كانت المعركة قد أصبحت خشنه وكثيرة الضحايا . وتطورت الامور الى الحد الذي جعل الفريق اول محمد فوزي يعلن في مؤتمر القمة لدول المواجهة الذي عقد في اول سبتمبر ١٩٦٩ وحضره الملك حسين ونور الدين الاتاسي وفريق اول صالح مهدي عماش وجعفر نميري . ثم الرئيس بومدين الذي لحق بالمؤتمر بعد انعقاده . يعلن في التقرير الذي أعدته هيئة اركان الحرب انه بالتنسيق الفعال بين دول المواجهة يمكن ان تبدأ المعركة - أي معركة تحرير الارض - خلال ١٨ شهرا من ذلك التاريخ .

وينطبق ذلك على رؤية عبد الناصر التي أعلنها للعادة العسكريين في مؤتمر ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ فور قبول قرار مجلس الامن من ان القوات المسلحة المصرية يمكن ان تكون جاهزة لمعركة التحرير خلال فترة تمتد من ثلاث الى خمس سنوات .

وقد قال لي الفريق اول محمد فوزي ان خطة التحرير كانت قد وضعت خلال وجود زخاروف وباشتراك كبار الخبراء والمستشارين السوفييت مع هيئة اركان الحرب المصرية بقيادة عبد المنعم رياض . وانها اعتمدت من جمال عبد الناصر بصفته قائدا اعلى للقوات المسلحة .

كانت هذه الخطة تفضي بتحرير الارض المحتلة والوصول الى الحدود المصرية وتأمينها في مدة اربع سنوات فقط أي في منتصف عام ١٩٧١ تقريبا .

وقد أكد لي الفريق اول محمد فوزي ان هذه الخطة لم تكن تستهدف تحريك المشكلة سياسيا وانما كانت تستهدف تحرير الارض المصرية والعربية كلها وتأمينها تماما .

وما كادت تنقضي ستة أيام على انتهاء مؤتمر قمة دول المواجهة الذي اقترن بحدوث الحركة العسكرية الليبية في القاتح من سبتمبر ١٩٦٩ حتى قام الاسرائيليون بهجوم على الزعفرانة على شاطئ البحر الاحمر شمال رأس غارب يوم ٩ سبتمبر استخدموا فيه المدرعات والعربات البرمائية .

وتصادف ان كان عبد الناصر في ذلك اليوم يراقب احدى المناورات

على طريق السويس . . وقد اعتاد جمال عبد الناصر حسب رواية الفريق أول محمد فوزي على المشاركة بنفسه في حياة القواف المسلحة . فكان يناول العشاء في القيادة العامة مريين كل اسبوع .

وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر استفسر من الفريق أول محمد فوزي الذي كان حاضرا معه في المناورة فلم يكن يعرف شيئا عن طريق قوافه . وأن مصدر المعلومات كان وكالات الانباء العالمية كما ذكر هيكمل في كتابه ( الطريق الى رمضان ) . . وغادر جمال عبد الناصر مكان المناورة مسورا ليعود الى القاهرة لمتابعة الموقف .

والواقع ان عملية الزعفرانة قد تمت من الجانب الاسرائيلي بتركيز شديد . فقد سيطرت قواتهم الجوية سيطرة كاملة على المنطقة . وأنزلت ٩ دبابات على ثلاثة لنشات في غسق الفجر تحت الاضواء الكاشفة . وسارت من أرض الانزال جنوب العين السخنة على الطريق العام حتى وصلت الى الزعفرانة . مستغلة كوبها دبابات مصرية استولى عليها في سيناء في يونيو ١٩٦٧ وطلت تحمل علامات الجيش الثالث . الى الحد الذي جعل بعض الجنود يصفون عند مشاهدتهم لها قبل أن يحصدهم الرصاص .

شهد عملية النزول جندي من الحدود ، أطلق ساقيه للريح . وأبلغ الحدود فالعمليات . فرييس أركان الحرب اللواء احمد اسماعيل الذي اعتقد ان الجندي المبلغ قد فعل ذلك تحت خدر أوهم خاصة . ولم يصدر أوامر بمتابعة الموقف أو التعرف على حقيقة ابعاده .

ولم يكن جندي الحدود هو مصدر التبليغ الوحيد . يقول أمين هويدي مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت انهم تلقوا أخبارا عن العملية من أحد أفرادهم في منار الزعفرانة . وأن الاشارات حولت للجهات المختصة . ويقول أحد كبار ضباط الصواريخ ان المراقبة بالنظر التابعة لهم قد أبلغت أيضا بهذه العملية .

ولكن أحدهم لم يمدد جسامته العملية . ولم يبادر بانخاذ موقف ايجابي للمقاومة . ووقفت المعلومات عند حدود رئاسة أركان الحرب فقط . وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر أثناء المناورة كان الاسرائيليون مازالوا فوق الجانب الغربي لخليج السويس ، فقد امتدت غارنهم من الخامسة صباحا حتى الثالثة مساء ، دون اية مقاومة .

وتصادف أن كان محافظ البحر الاحمر اللواء حسين كامل في طريقه من الغردقة الى القاهرة ، عندما واجهته القوات الاسرائيلية فهشمت الدبابات سيارته ، ولحقته نيران المدافع الرشاشة فأردته قتيلا ، كما دمرت أوتوبيسا مدنيا كان يحمل ٤٠ راكبا .

ويقول هيكمل ان جمال عبد الناصر وهو يتصل به حوالى السابعة من مساء نفس اليوم كان هابط المعنوية ، وقال له ( يبدو أننا مازلنا نتصرف بأسلوب حرب ١٩٦٧ ) .



كانت الصدمة شديدة لجمال عبد الناصر في وقت يبذل فيه كل جهده وطاقته في الاهتمام بالقوات المسلحة . وإعادة تسليحها وتنظيمها وتدريبها .

ولذا فقد أصيب في اليوم التالي مباشرة ( ١٠ سبتمبر ١٩٦٩ ) بذبحه صدرية مفاجئة ، وكانت آخر صورة قد نشرت له في الصحف يوم ١١ سبتمبر مع أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة السودانية ( مأمون عوض أبو زيد ) .

وعندما أمره الأطباء بأن يعتكف في الفراش ، ولا يمارس أى عمل مجهد شكل لجنة برئاسة أنور السادات وعضويه شعراوى جمعه والفريق أول محمد فوزى وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف للقيام سرا بواجبات رئيس الجمهورية بعد فرض حظر يحول دون تسرب خبر المرض المفاجئ للصحافة وأجهزة الاعلام .

يقول الفريق أول محمد فوزى الفائد العام للقوات المسلحة ، انه لم يعرف حقيقة المرض يوم وقوع الذبحة الصدرية ، وانما تصور فعلا أنها انفلونزا حادة .

ويقول ان عبد الناصر كان قد اعتاد ان ينصل به مساء كل يوم قبل أن يأتى الى فراشه أو فى الصباح الباكر ليسأله عن حاله القوات المسلحة وانه انقطع عن ذلك بعد مرضه لمدة اسبوع واحد فقط .

وعندما علم فوزى بحقيقة المرض ، لم يتصور خطورته ، لانه - كما يقول - خرج مع جمال عبد الناصر بعد شفائه للمرور على الجيش الثانى والثالث فى قناة السويس فى أواخر شهر اكتوبر ، وذهب معه الى الموقع الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض شمال الاسماعيلية. بعد ان أصدر تعليمات بأن تتحرك عربة القيادة المسماة ( ٦٩ أ ) وحدها من بور توفيق تحمل جمال عبد الناصر وفوزى ، وقد نشرت الاهرام لهما صورة وهما يتطلعان الى الشاطئ الشرقى .

حرص فوزى على الاتحرك العربات فى قول حتى لا يلفت نظر الاسرائيليين كما وقع فى حادث الفريق عبد المنعم رياض الذى خرج من رأس العش فى خمس عربات اجتذبت انظار الاسرائيليين فصوبوا قنابلهم عليها بعد وقوفها ، حيث استشهد الفريق عبد المنعم رياض بصدمه تفريغ الهواء دون ان يصاب بجرح أو ينزف دما .

لم يؤثر مرض القلب على نفسية عبد الناصر ولم يضعف صحته . . وكل ما كان يجهد به هو التهاب أعصاب الساق اليسرى من مرض السكر الى عولج منه فى تسخالطوبو عام ١٩٦٨ ،

وقد اقترن هذا الشهر من شهور الخريف بمتاعب عبد الناصر الصحية والنفسية . . ففي ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ حدث الانفصال السورى ونمزت الجمهورية العربية المتحدة ، وأصيب عبد الناصر بمرض السكر .

كانت اسرائيل تستهدف من هذه العمليات العسكرية ذات الصبغة  
المسرحية والدعائية احباط الامل المصرى فى معاودة المعركة ، وتعميم الجهد  
المكثف ، ونهيبط الروح المعنوية . وقطع الطريق على تقدم القوات المسلحة  
مما يصيب النظام بالنشل والانهيار .  
ولذا حرص جمال عبد الناصر على اجراء تغييرات هامة فى المناصب  
القيادية .

احال اللواء أحمد اسماعيل رئيس أركان الحرب الى التقاعد ، وعين  
بدلا منه اللواء محمد احمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية ، كما  
عين العميد محمود فهمى قائدا للقوى البحرية .  
كما حرص على رفع الروح المعنوية للجنود الذين تعرضوا لغارات  
تفيلة . . ورادت عمليات الهجوم الفدائي والنشل الى سماء .  
وأصبحت حرب الاستنزاف تشمل دوريات المشاة المنسللة والتي  
وصلت الى حد الكتيبة . ونيران المدفعية وفدائف الصواريخ .  
قال لى الفريق أول محمد فوزى انهم كانوا يقدمون لكل جندي يعبر  
العنا نيشان العبور ، ويلبسه كميدالية بزبن صدره وقت الاجازات . .  
وقال ان هذا النيشان قد منج لعدة آلاف من الجنود ، الامر الذى يظهر  
النشاط العسكرى الهجومي .

ومع ذلك فكلما زاد الهجوم المصرى كلما زاد عنف رد الفعل الاسرائيلى .  
حتى وصل الى حد نزول قوات اسرائيلية فى رأس غارب على ساحل البحر  
الاحمر والاسيلاء على احد أجهزة الرادار . . وكان يصعب هذه القوات  
كاميرات التصوير أيضا لتتسح بين الدعاية والعمل العسكرى .  
حدث ذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربى فى ديسمبر ١٩٦٩ فى  
الرباط بعد ثلاثة شهور تقريبا من حادث الزعفرانة واصابة جمال عبدالناصر  
بالذبحه الصدرية .

وفد كان هدف العملية الاسرائيلية الى جانب الدعاية العالمية الضخمة  
التي أحيطت بها ، مواصلة التأثير النفسى العميق لعمليات الزعفرانة وما  
يصحب ذلك من اهتزاز ثقة القوات المسلحة فى نفسها . . الى جانب الحصول  
على جهاز رادار سوفيسى حديث الصنع .

ولكن العملية الاسرائيلية رغم نجاحها لم تحصل على هذا الجهاز وانما  
حصلت على جهاز قديم B 12 سبق لهم ان حصلوا على ثلاثة منه فى  
سيناء فى بلاد ( نخل وسمادا والعريش ) .

ومع ذلك كانت العملية الاسرائيلية تمثل عارا للقوات المسلحة وسمعتها  
. . فقد تمت العملية بغير اشتباك من جانب القوات المسلحة المصرية .  
ولذا شكلت فى الفردفة محاكمة عسكرية ميدانية عالية رأسها اللواء  
سلمان مظهر ، وحأمت ٦ ضباط ، ٢٨ صف ضابط وعسكرى وأصدرت  
احكامها باعدامهم جميعا عدا ضابطين وأربعة صف ضباط فحكم عليهم  
بالاشغال الشاقة المؤبدة .

ولكن الضابط المصدق على الاحكام الفريق أول محمد فوزى استبدل

أحكام الإعدام بالاشغال الشاقة التي بدأت أول يناير ١٩٧٠ .  
 وكان العميد محمود بركات سيد أحمد هو أقدم رتبة قدمت للمحاكمة  
 ثم أفرج عنه فيما بعد وعاد للقوات المسلحة برتبة اللواء .  
 ومعدات إسرائيل في حمانها داخل الاجواء المصرية ، فإغارت على مصنع  
 دى أبو زعبل حيث محطات الارسال للاذاعة ، وعلى مدرسة بحر البقر وسقط  
 فى هذه الغارات عدد كبير من الضحايا .  
 كان هدف الاسرائيليين من تصعيد المعركة والهجوم على الاغراض المدنية  
 المسألة ، فهد الروح المعنوية المضاعفة للشعب ، وبث روح الخوف  
 والهزيمة .

ولكن هذا الامر لم يحفز أبدا .  
 وأمكن تثبيت واقامة مواقع الصواريخ الجديدة تحت ضغط ظروف  
 فاسية وغارات عنيفة . . وسقط أكثر من ٤٠٠٠ عامل مصرى كانوا يقيمون  
 دشم الصواريخ . . تعصف بهم الغارات كل يوم ولكنهم يعودون للعمل  
 بلا خوف أو تردد .  
 وأراد جمال عبد الناصر ان يخطو بالموقف خطوة أخرى الى الامام  
 توفى غارات العدو التي تحاول احباط خطة تحرير الارض .

### عبد الناصر يطلب قوات سوفيتية للدفاع عن مصر :

وقرر السفر الى موسكو فى رحله سريه يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ صحبه  
 فيها الفريق أول محمد فوزى الذى ودع حماته وهى فى لحظات الاحتضار  
 قائلا انه مسافر الى أسوان وشيعت جنازتها فى عيانه ومحمد حسنين هيكل  
 ومعهما السفير السوفيتى سرجى فينوجرادوف والجنرال السوفيتى  
 كاشكين الذى خلف الجنرال لاشنكوف كبيرا للخبراء بعد اصابة الأخير  
 بذبحة صدرية عولج منها فى القاهرة .  
 سافرت هذه المجموعة سرا على طائرة سوفيتية حيب بدأت المباحثات  
 عصر نفس اليوم بعد ان انضم مراد غالب سفيرنا فى موسكو الى عسوية  
 الوفد .

قال لى الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان حريصا على  
 أن يتحدث مع القادة السوفيت فى صراحة تامة ، وانه قال لهم ان اسرائيل  
 قد عجزت عام ١٩٦٧ عن تركيع مصر ولكنها بغارات الاعماق تريد تحطيم  
 النظام وهزيمة شعب مصر . . كما انها تحول دون امام بناء قواعد الصواريخ  
 فى المساحة المحددة لها غرب القنال بمسافة ٣٠ كيلو مترا .

ويقول الفريق أول محمد فوزى ان عبد الناصر قد ابلفهم بأننا فى  
 سباق مع الزمن وانه لا يثق فى قدرة القوات المصرية بسلبها الحال على  
 صد الهجمات الاسرائيلية .

وفى هذا الاجتماع تم الاتفاق على امداد مصر بصواريخ سام ٣ بدلا  
 من صواريخ سام ٢ التي أمكن للاسرائيليين الهرب من تأثيرها بالطيران  
 المنخفض .

ويقول الفريق أول محمد فوزى انه عندما عرض على جمال عبد الناصر أسماء المناطق الحيوية التى يجب الدفاع عنها فى أنحاء الجمهورية ، تبين أن مصر لا تملك أطقماً جاهزة مدربة على استخدام الصواريخ الجديدة . . وأن تحويل أطقم صواريخ سام ٢ الى سام ٣ يحتاج الى وقت وتدريب لا يتناسب مع الظروف الضاغطة القائمة، إذ أن الامر يستغرق ستة شهور تكون الخطة الاسرائيلية فيها قد حققت أغراضها .

وبلورت فى ذهن عبد الناصر امام هذه الحقائق فكرة لم يلبث ان عرضها على العادة السوفييت دون تردد .

طلب جمال عبد الناصر من السوفييت امداد مصر بالصواريخ المناسبة مع اطقمها السوفييتية على ألا تتواجد فى منطقة القناة المواجهة للعدو، وانما سولى حماية الداخل من الغارات الاسرائيلية المنصاعدة .

كان تقدير موقف جمال عبد الناصر قائماً على اساس انه يدخل مع الاسرائيليين فى سباق مع الزمن ، وانه اذا كانت مصر قد صمدت ما يقرب من ثلاث سنوات بعد العدوان . وطورت قواتها المسلحة الى الدرجة التى جعلها فادرة على تنفيذ خطة تحرير الارض . فانها اليوم وامام غارات الاعماق تتعرض لموقف جديد يمكن ان يؤدي الى التآثير الخطير على معنويات الجماهير مما قد يحدث شللاً وانهياراً للنظام .

وكان الطلب معاجئاً تماماً للعادة السوفييت لانه يتجاوز حدود الاستعانة بالخبراء والمستشارين الى مجال جديد هو الاستعانة بالقوات السوفييتية ذاتها ، وهو أمر لا يمكن للقادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا فيه قراراً ، لانه أمر بصل بالاسنراتيجية السوفييتية المبنية بارادة الحزب الشيوعى السوفييتى وموافقه .

ولم تكن هناك سابقة لتواجد قوات سوفييتية محاربة خارج حدود المعسكر الشيوعى مطلقاً . . ولم تكن هناك دولة من دول منطقته النحرر الوطنى قد حظيت مثل مصر بما حظيت به من مساعدات عسكرية واقتصادية شجعتها على مزيد من المطالبة .

ولكن لا يمكن القول بأن القيادة المصرية قد طالبت بتواجد القوات السوفيتية نهرياً من أداء واجبها الوطنى ، ولا انكالا على قوة الاصدقاء فقط . وانما طلبت ذلك ادراكاً منها بأن خطة الامبريالية الصهيونية المشتركة التى فشلت فى اسقاط النظام بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، قد بدأت فى تنفيذ خطة جديدة هى حرب مباشرة ضد معنوية واقتصاد الشعب المصرى . . . فقد كان هدم القناطر يعنى طوفاناً من الماء بفرق الارض ، وكان تعريض السد العالى لخطر الفنايل الاسرائيلية يعنى تحطيم أعظم انجاز اقتصادى فى تاريخ مصر وما يصحب ذلك من أخطار مدمرة . . وكان تعرض المصانع ومحطات الكهرباء لاططار الغارات المعادة يعنى تعجيز الاقتصاد المصرى . ولم تكن مصر قد استعدت لمواجهة هذه الاخطار بطريقة جادة سواء

قبل العدوان او بعده ، فقد تركزت كل الانتظار والجهود على القوات المسلحة ، باعتبارها الركيزة الاساسية لتحرير مصر . دون الاهتمام بتعبئة طاقات الشعب المصرى وتدريبه على القتال كما حدث فى فيتنام مثلا .

وكان ذلك نتيجة لطبيعة قياده نورة بوليو المنبثقة من القوات المسلحة وواقعها الطبقي الذى كان مسميا للبرحوازية الصغيرة التى حرصت على الانفراد بالسلطة وحدها دون اناحه الفرصة الكاملة للملاحين والطبقة العاملة .

وعندما فاجأ جمال عبد الناصر القادة السوفييت بهذا الطلب بهامس بريجنيف وجريشكو كما كتب محمد حسنين هيكل فى كتابه ( الطريق الى رمضان ) ثم قال :

( ان المشكلة ليست فقط فى الصواريخ وأطقمها ، ولكن الامر يرتبط بنظام معقد للدفاع يحتاج الى طائرات ايضا ) .

وهنا بادر جمال عبد الناصر قائلا ( حسنا . . أرسلوا الطائرات ايضا ) .

وأوضح بريجنيف ان مثل هذه الخطوة قد تكون لها تعقيدات دولية وعالمية خطيرة .

وهنا أوضح لهم جمال عبد الناصر أفكاره فى صراحة قائلا ان الولايات المتحدة نمد اسرائيل بكل مانحناحه دون تردد ، أما مصر فهى نعرض الآن لخطر اسقاط النظام . . ومن جهسى - أى عبد الناصر - لا يمكن لى أن أستسلم لامريكا ، وانما على أن اصارع شعبى بحقيقة الموقف ثم انحنى لرئيس جديد يكون قريبا من أمريكا ، يمكن له ان يشهد الشعب مما بعرض له . ويقول هيكل ان كلمات عبد الناصر قد كهرت الجو الى الحد الذى جعل بريجنيف يعف قائلا ( بارفينى عبد الناصر . . لاسدحت هكذا . . فانت القائد ) .

ويتبادل الزعيم المصرى والزعماء السوفييت الحديد الذى وصل النقطة الحرجة وانهى الامر الى المطالبة بناحيل الاجتماع لانه ليس من سلطة القادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا قرارا .

كان لابد من دعوة المكتب السياسى واللجنة المركزية .

فال لى مراد غالب سفيرنا فى موسكو ان اعضاء المكتب قد استدعوا فجأة بالطائرات من أنحاء الاتحاد السوفييتى وهو مالم يحدث من قل فى حدود علمه .

وقال لى الفريق أول محمد فوزى انه نظرا لخطورة الفرار فقد حضر اجتماع المكتب السياسى ١٢ ماريشالا سوفييتيا . . وفى احدى قاعات الكرملين وقبل أن توجه الوفد الى الطائرة عقدت جلسة ختامية فى السادسة مساء أعلن فيها بريجنيف ان الاتحاد السوفييتى قد اتخذ قرارا تاريخيا لم يسبق له منيل يحتاج من مصر الى ضبط النفس .

وافقت قيادة الاتحاد السوفييتى على امداد مصر بصواريخ سام ٣ على أن سيعها الطائرات بعيدة المدى ميخ ٢٥ المرتبطة معها فى نظام الدفاع الجوى .

وحدد السوفييت اعداد الصواريخ ومواقع اقامتها وعدد الجنود الذين يعملون عليها ٠٠ كما اتفق على ارسال حوالى ١٨٠٠ مصرى للتدريب هناك مدة سنة أشهر .

وعبر عبد الناصر عن شكره وبمديره للقرار التاريخى الذى يحقق لأول مرة مجالا لتعاون الدول الاشتراكية العظمى مع دولة من دول التحرر الوطنى فى معركة منسركة ضد الامبريالية والصهيوية التوسعية .

وأعلن أن تواجد هذه القوات سوف يدفعه الى تهديته الموقف وضبط النفس حتى يعطى لفوائه فرصة انمام التدريب حتى لايمند اقامه الجود السوفييت باكثر مما نحتاجه الظروف . وكان هناك اتفاق على أن يمسحب الخبراء والمستشارين السوفييت من ميدان المعركة عند سوب الفبال تنفيذاً للحدة الدفاعية ٢٠٠ .

وبقول محمد حسنين هيكل فى كتابة (الطريق الى رمضان) ان بريجيف قد انتقل من مقعده ووقف بجانبه قائلاً له ( ان هذا الامر نجسب ان يبقى فى اطار السريه اى أطول وقت ممكن ) .

ويلاحظ فى كتاب هيكل ان بريجيف كان يخاطب عبد الناصر بلقب رفيق Govarich بينما يخاطب هيكل بلقب سيد Gospodin قال لى الصريق أول محمد فوزى ان صواريخ سام ٣ مع اطمعها السوفييتية بدأت تصل مع شهر ابريل .

وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٧٠ نصدت طائرات مصرية بمودها طبارون . وفقيبت لطائرات اسرائيلية مهاجمة ٠٠ وعندما التقت الاجهزة اللاسلكية الاسرائيلية لغة الطيارين الروسية عادت فورا الى سيناء .

وأعلن موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى نفس اليوم ان اسرائيل لن بهجم على اعماق مصر لانها لا تريد ان يحارب السرييت . وهكذا أبلغ السوفييت الامريكان بنواجدهم فى صه بطرفنهم الخاصه ٠٠ واصبح مصر كلها مدنا وفري وواطر ومصانع فى ان ٠٠ وانحصرت المعركة والمواجهة فى منطقة القناة بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ولم تقصر المجابهة على منطقة القناة وحدها . ولكنها امتدت فى عملية فدائية لتصل الى ابيدجان عاصمة ساحل العاج على الشاطئ الغربى لافريقيا .

كانت المخابرات العامة قد وصلتها معلومات عن اسنئجار الاسرائيليين لحفار اسمه ( كسينج ) من سرقة أمريكية كندية مشتركة وذلك لاستخراج البترول فى منطقة خليج السويس .

وبابعت المخابرات خط سبر الحفار الى أن علم بوجوده فى ابيدجان

يوم ٣ مارس وتحركت مجموعة فدائية من مصر لتدميره هناك حيث تم التنفيد فعلا في الساعة الواحدة من صباح ٨ مارس ١٩٧٠ في وقت كانت المدينة مشغولة بمرور الفضلاء الأمريكيين الذين كانوا يزورونها في نفس اليوم . ويرى أمين هويدى قصة منابعة هذا الحمار تفصيلا في كتابه (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) وهي نوضح أن روح القتال كانت تدفع كافة الاجهزة الى استغلال كل طاقاتها لاستنزاف العدو وانها كانت استعدادا لتنفيذ خطة تحرير الارض .

توقفت مشروعات اسرائيل لاسخراج البترول في خليج السويس بعد نجاح العملية التى دمرت الحمار . وتصاعدت حرب الاستنزاف ، وبدأ الاسرائيليون يعمدون سيادتهم الجوية تدريجيا ، وتعرضت طائراتهم للسقوط بواسطة الصواريخ السوفيتية .

وكانت أرقام الطائرات الاسرائيلية التى بنسائط نهدد السيادة الجوية نهديدا جادا وحقيقيا . ولكن القيادة العسكرية كانت تريد أن يصل الصواريخ الى شاطئ الفناء حتى تضمن دفاعا عن القوات غرب الفناء ، وتضمن أيضا حماية للجنود عندما يعبرون القناة .

وكان الموقف قد تغير تماما بعد وصول القوات السوفيتية ، وأمكن للصواريخ المصرية ان تتفرغ تماما لمجابهة الطائرات الاسرائيلية المغيرة . واعتبرت قوات الدفاع الجوى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ عيدا لها بحفل به الآن كل عام لانه في هذا التاريخ فوجئت الطائرات الاسرائيلية بالصواريخ المصرية وتكبد السلاح الجوى الاسرائيلى خسائر فادحة لم تكن في الحسبان كما ذكر الفريق محمد على فهمى فى كتابه (القوة الرابعة) والذي قال فيه انه طبفا للبلغات الرسمية المصرية فان خسائر العدو خلال الفترة من ٣٠ يوليو الى ٨ أغسطس بلغت ١٦ طائرة .

ويبدو انه كان هناك (حرص مصرى) على عدم الاعلان عن سقوط طائرة الا بعد التأكد التام من وقوعها وذلك كرد فعل للبيانات المضللة التى صدرت خلال أيام العدوان الاسرائيلى في يونيو ١٩٦٧ . فان مجلة ( افيش ويك ) نشرت في عددها الصادر في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ ان خسائر اسرائيل بلغت ٥١ طائرة منها ١٧ تم تدميرها تماما ، ٣٤ أصيبت .

هذه الحالة دفعت جولدا مائير الى القول بأن ( كتابات الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا احداها نبتت بدلها أخرى ) . ودفعت ايضا أبا اييان وزير الخارجية الى القول ( لقد بدأ الطيران الاسرائيلى يتكلم ) . هذا يؤكد الحقيقة التى سبق ان نشرتها مجلة تايم الامريكية في حديث مع حاييم بارليف فى عدد ٢٩ مارس ١٩٧٠ صرح فيه قائلا :

(على المرء ألا يقع فى تصور ان صواريخ سام دفاعية انها أقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية . ان مجرد اقامة هذه الصواريخ سيخلق فى مصر شعورا بالحرية لفعل ما تريد)

يقول دكمجيان فى كتابه (مصر نحت حكم ناصر) ان الغارات الاسرائيلية

فى مطلع عام ١٩٧٠ كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال عبد  
نظاما كما حدث فى غارة عزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ( وحرب السويس  
( وحرب الانام السنة ) عام ١٩٦٧ .

وفى كل مرة - كما يقول دكمجيان - كانت نبني هذه السر  
الادراك عبر التسليم لحقيقه المجتمع المفسيه ، ويقول ايضا  
الاستراتيجيه الاسرائيليه فتسلوا فى معرفه سحر زعامة جمال عبد  
ودوة الروح القوميه ، وفدرة المصريين التاريخيه على استيعاب  
وامصاصها .

ويفسر دكمجيان الموقف فى هذه المرحلة بأنه الى جانب  
الديبلوماسية والعسكريه ، وضعف السيسى بين الدول العربيه  
المصريين قد وجدوا أنفسهم وحدهم يواجهون عدوا قويا فى غيا  
فرض سيويه من الخارج بمعرفه القوى العظمى ، وعدم قبول س  
اسرائيل ، وأن عليهم مواصلة النضال ضد اسرائيل رغم التضحيه  
ورغم حسامة المساى المطلوبة .

وانتهت سلبات السنوات الاولى للورة عندما تبين أن زع  
عبد الناصر لا تملك مصاحا سحرىا لحل المشاكل دون مشاركة جما  
وفى الماضى كان كل ما يطلبه جمال عبد الناصر من الشعب  
والثايد وبعض نضحيات محدوده . . وكانت انتصاراته تعتبر انت  
شخصيه لانحناج ولا تعتمد على مساركة شعبية . . ولكن رفض ال  
لانسحاب بدأ يعرض على مصر وائما جديدا هو أهميه المشاركة  
النواحي الحربيه والسياسية .

وإذا اعتبرنا النواحي الحربيه هي (معركة الخطوط الاماميه) و  
كبيرا قد نحقق فى باب المشاركة ، وغيثت طبيعة القوات المسلحة .  
اسرائيل فادرة بأى شكل من الاشكال على تنفيذ ما اعتادت عليه فى نه  
من ( تدوين العرب درسا ) بعلمون به قبول الوجود الاسرائيلي بالص  
براها الاسرائيليون .

نجاوزت الظروف مرحلة الغارات أو الحروب المفاجئة ال  
تشنها اسرائيل (للتأديب او تلقين الدروس) وأصبحت المعركة مس  
طرفين .

ومما لاشك فيه ان اسمرار هذه الصورة من الحرب وتصاعده  
( للخطه الدفاعية ٢٠٠ ) كان سيؤدى الى تغيير هائل فى ( السلوك  
كان محتملا أن يصل تأثيره الى الخطوط الخلفيه فى المجتمع ايضا) .

وهكذا كانت حرب الاستنزاف نضالا مشرفا للقوات المسلحة ،  
جادا لعبور القناة وتحرير الارض فى سيناء . ووسيلة لبعث الحيه  
الخطوط الخلفيه حيث الجماهير كانت لا تزال تلعب دور المتفرج ع  
توداد سخونتها يومها بعد يوم .

وكما كانت فى الخطوط الاماميه معركة . . كانت هناك فى الخط  
الخلفيه معركة ايضا .



## الفصل الثاني

### معركة الخطوط الخلفية

( اننى لا اعتبر التناقض بيننا وبين  
الماركسيين تناقضا عدائيا ، واننى استعنت في  
تحضير افكار الميثاق بكلمات ماركس ولينين  
وستالين ، وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم .

جمال عبد الناصر

كان التركيز على بناء القوات المسلحة واعدادها للمعركة هو الاساس  
الذى قامت عليه خطه عبد الناصر بعد الهزيمة ٠٠ ولكن المعركة لم تقتصر  
على ميدان القتال فقط ٠٠ بل امتدت الى المجتمع أيضا .  
كان استيعاب النظام لصدمة الهزيمة ، وبقاء جمال عبد الناصر في  
قمة القيادة ، دليلا على ان ثورة يوليو قد فدمت الى الجماهير مايدفعها الى  
التشبث باستمرارها .

ولكن كان صعبا وعسيرا ان تمضى الامور كما كانت عليه ٠٠ فقد  
اهتز سحر شخصية الزعيم ، وكشفت محاكمات مؤامرة المشير ، وجهاز  
المخابرات ٠ طفحا يسيء الى طهارة الثورة والنوار .  
كان ضروريا ان تتغير طبيعة النظام ٠٠ وأن يشعر الناس بمزيد من  
الحرية والديموقراطية ٠٠ وأن تحاصر الاخطاء والانحرافات .  
ولكن شعار (التغيير) الذى رفعتة الجماهير ، لم يطبق بالاسلوب الذى  
يحمل الاقتناع بها ٠٠ ولم يطبق أيضا بالاسلوب الجاد الذى تحقق في

القوات المسلحة ، ووصل بها الى خوض المعركة من جديد بعد سهور ومظ  
من الهزيمة القاسية .

كل شيء في البدايه مضى في الطريق الصديم ٠٠ لم يغير أحد من  
اعضاء اللجنة المنفذه العليا للاتحاد الاسرائي ٠٠ ركزيا محيي الدين  
وابور السادات وحسين السافعي وعلى صبرى ومحمد صدى سليمان . هذا  
اذا سمعنا سقوط المسير عبد الحكيم عامر وهذا أمر يتصل بالحياة العسكرية  
اسر مما يصل بالحياة المدنية .

وفد أوضح في الباب الثالث - الفصل الاول - سطحية ماحدث من  
تغيرات لم يحمل وحة النظام ، ولم تبع فيه الحدية أو الحيوية .  
وفد كان التجمع في هذه الفترة يروج بمختلف الاتجاهات ، وتصارع  
فيه مجاهد الآراء والطوائف .

انعمت الرجعة المصرية خلال سنوات الثورة من أن الهرمة على  
القباهة ٠٠ وسعر الانسراكون وأصحاب المصلحة الحقيقية في التعبير  
الأحسائي بالخطر الذي يمكن أن يهدد طموحهم وأهلهم في الوصول الى مجتمع  
السلام والانسراكة .

واصبح الصراع الطبقي واقعا لايمكن انكاره او تجاهله رغم فكرة  
تحالف قوى الشعب العاملة ٠٠ وكاد ينمرق الغطاء الذي حاول جمال  
تبد الناصر ان يسر به عوامل الصراع الكامنه .  
وبررت فضيه حمايه الثورة بصورة رئيسيه .

وكبت معالا تحت هذا العنوان في مجلة روزاليوسف عندما كنت  
رئيسا لتحريرها في ٣١ يوليو ١٩٦٧ قلب فيه (ان نوره ٢٣ يوليو تتميز  
بخاصة فريدة هي انطلاقها من الجيش تعبيرا عن ارادة الشعب المعبة نفسها  
تند النظام الملكي ٠٠ والمتفجرة في نفس الوقت الى تنظيم بكسب نفسها وبعود  
بصالتها ) .

وأسر فيه الى ( الحاجة الى جهاز سياسى صلب ومماسك ننوادر له  
وحدة الفكر وسلامة الاتجاه )

وكان الاتحاد الاسرائي في ذلك الوقت يعبر أكثر يسارية وتقدمية  
من الحكومة ومن القوات المسلحة انصا .

كانت قد شكلت مكاتب بمفيدة من المنعرجين ٠٠ وضمت منظمة  
الشباب ٢٠٠٠٠٠ عضو ، وأنشئ المعهد العالي للدراسات الاشتراكيه الذي  
أداره الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العامة ، وانشرت المعاهد  
في المحافظات بعد أن كانت قاصرة على السويس ، وتمت دورات تدريبيه  
أخرج منها ألوف العمال والعاجين .

ومع ذلك فقد عانى الاتحاد الاستراكي من سلبيات كبيرة تمثلت في  
عدم اعطاء الطبقة العاملة والفلاحين بقلمهم الطبيعي في مراكز القيادة  
وحل الساقص الغائم بينهم وبين البرجوازية ونقص الوعي والقدرة  
السياسية عند أغلبية أعضاء المكاتب التنفيذية ، وعدم انظام الاجتماعات ،  
وغياب الديمقراطية داخل التنظيم ، وتعثر تكوين جهازه السياسى (طليعة  
الانسراكين ، ووضع أشخاص غير سماسيين في قمة المسئولية) .

وكانت الرجعية المربصه بتورة يوليو قد وجدت في الهريمه فرصها الهائلة ، وأحاطت النظام بالتشكوك والاثهات ٠٠ وسط ماسبق ان اسار البه جمال عبد الناصر من ان هياك حزبا رجعيا لايفصه السطيم .  
واسجل منافسه دارت بين عبد الناصر وعامر في احد اجتماعات الامانه العامه للاتحاد الاسراكي عام ١٩٦٥ .  
قال عبد الحكيم عامر :

( توجد مسكلة سوف بواجه الاتحاد الاسراكي حتى بعد عمليه التنشيط والاسكشاف وهي ان الاتحاد الاشتراكي كهو ليس أمامه قوة مضاده ظاهره ولذلك لايسعر الاتحاد الاسراكي بأنه يوجد بحدى) .  
وأجاب جمال عبد الناصر بقوله :

(ان العناصر المضاده موجوده داخل الاتحاد الاسراكي وهي عناصر ( حركية ) ونحن نضعنا داخل الاتحاد الاسراكي وجود العناصر الاسراكية الحركية المخلصه)

وقال لى شعراوى جمعه ان عبد الناصر كان يبصو دائما ان الرجعه تشكل قوة تنظيمية مربصه لايقابلها سطيم تقدمى مائلا ، وان هذا كان عاملا مؤثرا فى بعض قراراته .

كان ذلك قبل الهريمه ٠٠ أما بعد الهزيمة فقد تصاعف سباط هذه العناصر الكامة المربصه فى أرجاء الاتحاد الاشتراكي .  
ولقد أحست القوى الوطنية والديموقراطية بقلق شديد من موقف قيادة النظام وقدرتها على حماية النورة وبت الحيوية فيها واستمرارها .رغم ما قاله جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ .

( اذا استطعنا ان نحى النورة الاجتماعيه فى مصر وندعم النورة العربيه الشاملة ٠٠ فاننا نستطيع تحرير الارض المحتله ) .  
نعم ٠٠ حمايه النورة الاجتماعيه كانت فضيه رئيسيه بؤرى العائد وتؤرق الوطنيين الديموقراطيين ايضا .

وتبلورت هذه الفضيه فى ضرورة وأهمية تكوين تنظيم سياسى ملتزم ، عبرت عنه فى مقال نشرته فى روزاليوسف عدد ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ تحت عنوان (حزب واحد) ناقشت فيه أفكار الذين يخشون من وجود حزب واحد على مسار الديموقراطية ومصمونها ، وقلت فيه :

(ان الحزب لايعمل بعيدا عن الاتحاد الاشتراكي وليس منعزلا عنه بل انه يودى فى داخله دور الجهاز العصبى القادر على نقل توجهات القيادة ودفع ارادة الجماهير ٠٠ والاتحاد الاشتراكي يضم ملايين الافراد الذين لايمكن أن تتوافر لهم جميعا صفة الالتزام الحزبى ٠٠ اى الرغبة الصادقة فى التضحية والبذل من أجل العمل السياسى ٠٠ وضرب المنل فى كافة التصرفات العامة والشخصية ٠٠ وهى الصفات الضرورية لعضو الحزب ) .  
وقلت أيضا :

(عضو الحزب يلزم بواجبات ومسئوليات تزيد كثيرا عن واجبات ومسئوليات الانسان العادى عضو الاتحاد الاشتراكي ٠٠ وعضو الحزب

مستول أمام الجماهير ، هي التي تمنع به أو يرفضه وسقطه د  
به في مواجهتها ٠٠ والحرب ليس تعاليا على الناس ولكنسه عمل  
خدمة الجماهير)

ورد يوسف السباعي على ذلك بمقال جاء فيه ان هذه الـ  
تكوين حرب شيوعي وحزب يميني وحرب الاتحاد الاشتراكي .  
لاسر اله كلماني مطلقا ٠٠ ولم تكن هذه الفترة التاريخية الحر  
أنسب القرار لاطلاق الدعوة لحره تكوين الاحزاب بصورة مطلده  
ولدا فقد رددت عليه بمقال سر في روزالبوسف في ١٨  
١٩٦٧ قلب فيه :

( هل هو وفوف على رأى حامد وباب ؟  
هل هو محاولة لتزيق الوحدة الوطنية والسعيبة ؟  
أم هو استحقاف بمعالجة القضايا السياسية الحوية ؟

لست أدري أين كان يف يوسف من هؤلاء ٠٠ ولكنني أدري انه  
أساسا واهيا للمنافسة وبني عليه هرما من الورق لايحتمل البقاء  
الحق والصديق ) .

وربما كان يوسف السباعي معذورا في فزعه من فكرة الدعوة  
معتقدا انني أدعو الى تكوين حزب له صبغه شيوعية ٠٠ فانه في حـ  
له يكن عضوا مسئولوا في طلبة الاشتراكيين ، ولكنني أشك في اـ  
يعرف تماما القصد مما جاء في المياني عن تشكيل جهاز سياسي داخـ  
الاشراكي .

لاشك ان يوسف السباعي كان يعرف ماورد في المياني ، و  
يعبر عن فكر اليمين المخوف من انجاه الثورة الى اليسار ، وخاصـ  
الهيمنة التي كان مفروضا أن نفعدها ونصيبها بالحمود فلانحرك  
من التعدم ،

ولايمكن انكار أن يوسف السباعي قد نال من ثورة يوليو  
عبد الناصر شخصا أكثر مما كان يراود أحلامه كضابط من صبـ  
الذين استكانوا الى نظامه السابق ولم يربطوا بالضباط الاحرار .  
الدورة على النظام الملكي .

ولايمكن انكار ان يوسف السباعي قد اصبح علما من اعلام  
الذين تولوا مراكز رئيسية حساسة في مجال السياسة ( سكر  
منظمة التضامن الآسيوي الافريقي ) ومجال الادب والفن (سكرتر عام  
الاعلى للفنون والآداب) ومجال الصحافة (رئيس تحرير الرسالة  
أخرى) ٠٠ ومع ذلك فانه فيما يبدو ظل حريصا على (فرملة) ثورة  
عن الاتجاه نحو أهداف التقدم الاجتماعي ، متشبنا بأحلام طبقته الذـ  
ليها في الماضي وفي عهد الثورة ايضا .

ولست أعيب على يوسف السباعي موقفه او دعوته ، فهو  
الخاص الذي لامتلك أمامه شيئا .  
ولكنني أتخذ من هذا الموقف مثالا على انه كان في صفوف المنـ

ثورة يوليو ، المرتبطين بجمال عبد الناصر شخصيا ، القابضين له في مقدمه كل مقالاتهم ( أهلا ) ٠٠ كان منهم من نأخذ موقفا اجتماعيا معارفا للابحاه المعروف عن قيادة الثورة ٠٠ ومع ذلك نقابل كلماهم واجاهاتهم بالصمت ٠٠ وربما بالرصاص ايضا .

وكان هذا دليلا على انه بعد سنوات من فواين يوليو ١٩٦١ وصودر الميناق عام ١٩٦٢ مازالت هناك اراء متنافسه ومتصارعه ، ومعركة عن واقع طبني محلف ٠٠ وأن نحالف قوى الشعب العامله لم بعد قادرا على خلق وحده فكرية وتنظيمية منجاسة .

وعلى قدر ماكان اليمين مرتبسا للثورة يريد الانقصاص عليها ٠٠ على قدر ماكان اليسار فلما على المكاسب الاجتماعيه التي حصلت عليها الطبقات الكادحة .

وقد سقط الصراع عن الجانب المبح للنورة بعد محاكمات ضباط مجموعة المشير ، فقد أعلن بعضهم في صراحة وهم الذين كان معروفنا انهم حماة النورة بالسلاح انهم يلجأون الى أمريكا ٠٠ ولذا فلم يكن غربيا أن نسمع هذه النغمة من آخرين .

كانت الدعوة لتكوين الحزب هي أول اشارة الى الاحزاب منذ أسفطتها النورة وأصدرت قرارا بحلها في يناير ١٩٥٣ .

وكانت هذه الدعوة تعني بعث الحياة في جهاز (طليعه الاشتراكيين) لممارسة دوره النضالي في هذه المرحلة الصعبة من مراحل الثورة .

ولكن امانة طليعة الاشتراكيين لم تكن بجمع ٠٠ وأمينها العام شعراوي جمعة لم يوجه لها الدعوة للانعقاد ٠٠ ولذا حرص على ابارة هذا الموضوع معه أكثر من مرة مندهشا ومسئفرا عن الاسباب التي تدعو الى وقف اجتماع الامانة التي تمثل القلب في جهاز العمل السياسي . وكان بعذر بكرة مشاغله ومسئوليته في وزارة الداخلية .

وعندما دعيت الامانة للاجتماع في نوفمبر ١٩٦٧ قال شعراوي جمعة بصراحة في أول جلسة ( ان فلانا - يقصد كاتب هذه السطور - كان يسقيني كاسا من السم في كل لقاء معه من أجل دعوة الامانة للاجتماع ) ،

كانت عودة امانة طليعة الاشتراكيين للانعقاد مؤشرا طيبا ولكنه لم يكن دليلا على أن الامور في الجبهة الداخلية يمكن ان تنطلق بنفس الجدية التي تندفع بها في الجبهة العسكرية أو القوات المسلحة ان صح التعبير .

عندما عادت الامانة الى الاجتماع مارست أسلوبها القديم الذي يدير في حلقة مفرغة من المناقشات دون جدول أعمال أو متابعة للقرارات المختلفة بطريقتة علمية مدروسة ، مع عقد اتصالات بيروقراطية مع المحافظين الذين كانوا في أغلب الاحوال هم المسئولون الاساسيون في طليعة الاشتراكيين .

واحتفظت الامانة حتى ذلك الوقت بأعضائها السابقين أمين هويدى ومحمد فائق وسامى شرف وعبد المجيد فريد وحلمى السعيد واحمد شهاب وشوقى عبد الناصر وكمال الحناوى ومحمد عروق وعبد المعبود الجبيلى . ومحمود العالم ويوسف غزولى وعلى السيد على واحمد كامل وكاتب هذه السطور تحت ادارة أمينها العام شعراوي جمعة ( ١٠ ضباط ، ٦ مدنيين ) .

وكان سوفى عبد الناصر قد أبعدته سفينته عن مركز الامن المساعد للاتحاد الاسرائي بمحافظة القاهرة ، كما أبعد سفينته التي عبد الناصر عن امانه الاتحاد الاسرائي بمحافظة الاسكندرية .

وبذكر ان سوفى عبد الناصر كان قد حاول الانحاز عقب هذا القرار الذي اعتبره خائرا ، لانه كان يؤدى واجبه في اعقاده بما برضى صهره دون دبر بموضوع الاحوه . وان جمال عبد الناصر لم يعم برنازه خلال مرضه ووحدته في مستشفى المعادى .

كان كل ماحدث من تغيرات في الاتحاد الاسرائي هو بقطع المكاتب السعيدة للمحافظات بسحب من مختلف الانحازات ومانه القاهرة مثلا اُضيف اليها أحمد بها، الذين وفتحى عام و يوسف الساعى و نائب هذه السطور من الكتاب وسهر حلمى وزير الصناعة السابق وسيد يوسف وزير التربية والتعليم السابق وعدد آخر من السحب في مكاتب الاقسام والمراكز .

وكانت بعض القرارات المحلفة الانحازات قد بدأت تصدر أيضا . صدر قرار سامم بحارة الجملة في ١٦ اكتوبر ١٩٦٧ ، وفي اليوم التالي مباشرة صدر قرار بعودة الدكتور عزيز صدقي وزيرا للصناعة بعد خروجه من الوزارة في أساء، رئاسه على صرى لها .

وفي بداهه نوفمبر ١٩٦٧ حصر الى مصر مبعوث الرئيس الامريكى جوسون المالى الكسر ( روبرت اندرسون ) حيث اجمع به جمال عبد الناصر مرن اجتماع مهدد لصدور قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر من نفس الشهر .

وكان جمال عبد الناصر رغم الهزيمة ورغم بيوت المسانده الامريكىه الايجابيه لاسرائيل حرصا على عدم قطع صلات الاتصال مع الحكومة الامريكىه .

وكان القادة السوفييت يصحون جمال عبد الناصر دائما بحاسي اتخاذ مواقف شديدة الانارة للامريكىين الذين لاشك ان لهم دورا في حل المشكلة وعودة السلام للمنطقة .

قال لى صلاح نصر ان جمال عبد الناصر قد طلب منه بعد الهزيمة عدم قطع علاقته بواشنطن ، ولذا فقد استبقى في مصر بعد قطع العلاقات ( وليم بروميل ) ضابط المخابرات الامريكى لانه كان حلقه الاتصال بين صلاح نصر ورئيس المخابرات المركزية ، كما انه اسمى أيضا وليم برحس الذي كانت تربطه علاقات طيبة مع بعض المسئولين في مصر .  
ويقول صلاح نصر أيضا انه تلقى رسالة من حونسون في أواخر يونيو يقول :

( بالرغم من العلاقات المتدهورة بين البلدين فان الولايات المتحدة على استعداد لان تدخل في مفاوضات لازالة حدة التوتر القائم ، فاذا ماوافقت مصر فان سفيرنا في روما على استعداد لمقابلة مندوب مصر لوضع الخطوط الرئيسية لمعادنات على مستوى أكبر في واشنطن ) .

وبذكر صلاح نصر انه حدثت موافقة مبدئية على أن يتولى هذه الاتصالات

أحمد حسن الفقى وكيل وزارة الخارجية ورينهارت السفير الأمريكى فى روما ولكن لم ينفذ ذلك فى اللحظة الأخيرة .  
كما يقول ان المخابرات الايطالية وكانت على علاقة طيبة بصلاح نصر والمخابرات المصرية قد توسطت فى ٢٤ يونيو حول مشروع كانت ابرز النقاط فيه هي :

١ - أن يستبعد نهائيا اجراء أى مفاوضات مباشرة للصلح بين العرب واسرائيل .

٢ - الاعتراف بالكيان الاسرائيلى .

٣ - انسحاب القوات الاسرائيلية وعودتها الى ماوراء الحدود على جميع الجبهات حتى يوم ٤ يونيو .

٤ - ان تضمن قوات الطوارئ الدولية ذلك .

٥ - حرية المرور بمضيق تيران

٦ - تعويض البلاد العربية عن الخسائر .

٧ - تعويض اللاجئين الفلسطينيين .

٨ - تعهد من جانب أمريكا والدول الغربية بتنفيذ برنامج اقتصادى مالى وصناعى لمدة ٣٠ سنة بهدف رفع مستوى المعيشة فى جميع الميادين بين شعوب المنطقة العربية وفى مقدمتها مصر مقابل استعادة وتدعيم العلاقات والتعاون الشامل فى الميدان السياسى والاقتصادى بين دول العالم العربى والدول الغربية .

وغنى عن البيان ان هذا المشروع المقترح - اذا صح ماورد فيه - لم يصل الى نتيجة ، بعد اعتقال صلاح نصر .

ومع ذلك فقد ظلت العلاقات المصرية الامريكية منصلة لاتنقطع حتى وصلت الى حد السماح للضابط السابق علوى حافظ عضو مجلس الامة بعمل اتصالات شخصية خلال شخصيات لاتخفى صلتها بالمخابرات المركزية الامريكية كما نشر فى مجلة أخبار اليوم .

وكان وصول روبرت اندرسون لمصر هو نهاية لهذه المرحلة من الاتصالات التى يبدو انها لم تغير شيئا فى طبيعة العلاقات ازاء اصرار أمريكا على مساندة اسرائيل واعدادها بطائرات سكاي هوك الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى القول فى خطبته يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٨ ( لا يستطيع ان يجاهر الآن بصداقة أمريكا الا عميل واضح صريح ) .

وقد اقترن شهر نوفمبر الذى صدر فيه قرار مجلس الامن بانارة عدة موضوعات داخلية ، كانت تمثل حساسيات خاصة لثورة يوليو هي :

١ - رفع الحراسات .

٢ - عودة المفصولين .

٣ - الافراج عن المعتقلين .

وقد شكلت لجان خاصة لذلك ، ورفع فعلا العزل السياسى عن اكثر من ألف مواطن ، ورفعت الحراسات أيضا عن بعض الاسر .

واعلن شعراوى جمعة فى بيان خاص ان عدد المعتقلين من ٥ يونيو

الى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧ قد بلغ ١٨١ عسكريا ومدنيا منهم ٤٤ فلاحا من قرية المشير ، ٢٤ كتبة منشورات ١٦٠ ضابط ١٧٠ مدنيا من اقارب المشير ، وضابط شرطة .

كما أعلن يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ ان دراسة شاملة لأوضاع جميع الذين مازالوا في المعتقلات حتى الآن تتم نهيدا لتصفية المعتقلات .  
كما شكلت لجنة ثلاثية لرفع الحراسات التي وضعتها لجنة تصفية الاقطاع وغيرها .

وأذكر ان موضوع الحراسة قد أثير في اجتماع لجنة الاتحاد الاشتراكي لمحافظة القاهرة ، واني وقفت ضد مبدأ ( الحراسة بالتقارير ) .  
وكتبت في روزاليوسف مقالا بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ جاء فيه :

( الحراسة كانت اجراء من اجراءات الحماية الثورية ضد بعض الذين يستقر الرأي على انهم وقفوا موقفا عدائيا من التطور الاجتماعي والوطني . . أو الذين هربوا الارض وخالفوا قانون الاصلاح الزراعي . . ولكن وضع الناس تحت الحراسة لم يكن يستقر تحت مبدأ قانوني واضح وانما كان يتم بعد دراسات تعتمد على تقارير ، والبعض فيها يحتمل التأويل ، والبعض يتعرض للخطأ والصواب . . مما أدى فعلا الى قبول بعض التظلمات ورفع الحراسة عنها . . وهذا الموقف نشأ أساسا عن عدم وجود قانون يسمح بالنظر في أخطاء وأخطار البعض مما يمكن ان ينتهي بهم الى الحراسة خضوعا لمواد القانون وعدالة القضاء كضرورة ثورية حاسمة ) .  
كما قلبت أيضا في نفس العدد :

( ليس منطقيا ان يظل الانسان معتقلا طوال عمره لانه كان عضوا في جماعة الاخوان المسلمين في يوم من الايام ) .  
كان بعث هذه القضايا في هذا التوقيت يمثل نوعا من النقد الذاتي ، وشعورا بخطر استمرار الاجراءات الاستثنائية المؤقتة .  
وقد وجدت بعض العناصر في اثاره هذه القضايا ما يمكن ان يمثل تراجعا من قيادة الثورة تحت ضغط اليمين .  
وهو قلق مشروع عند هؤلاء . . ولكن الاجراء لم يكن يمثل تراجعا حقيقيا عن الموقف الاجتماعي لثورة يوليو . . بل كان يمثل محاولة لتجميل وجه الثورة أمام أخطاء استمرت أكثر من التوقيت اللازم لها .

كما أن هذه القضايا ( الحراسة - الاعتقال - العزل السياسي - الفصل من العمل ) لم يكن الاعتداء عليها يمثل اعتداء على اليمين فقط . . ولكنه كان يمثل اعتداء على اليسار أيضا ، واعتداء على الديمقراطية أساسا .

والديموقراطية هدف من الاهداف الرئيسية التي يناضل من اجلها اليسار ضمانا لحركته .

ويبدو ان الصحافة كانت قد بدأت تلعب دورا هاما في مناقشة القضايا الرئيسية بجرأة فرضتها الهزيمة ، ولم تعرفها الثورة من قبل ، ففرضت الرقابة على الصحف ، وعاد الرقيب منذ نوفمبر ١٩٦٧ يمارس



صلاحيات كانت قد اختفت من الصحافة تماما منذ ما بعد عدوان  
١٩٥٦ .

الحقيقة انه لم تكن هناك رقابة رقيب على الصحف حتى ذلك الوقت،  
وانما كانت هناك رقابة ذاتية يمارسها المسئول عن التحرير ، والمعين من  
السلطة .

وكان المبرر لمودة الرقابة هو تحاشي التعرض للشئون العسكرية ،  
ولكن المبرر الحقيقي كان تهمة وتبريد الآراء المتفجرة الحارة على صفحات  
الصحف .

ومع ذلك لم تكن الرقابة مانعا من نشر مقالات تدعو لدعم القطاع  
الخاص ، ودعوة رأس المال الاجنبى .

وقد تصدبت لذلك فى عدة مقالات منها مقال نشر فى اول يناير  
١٩٦٨ تحت عنوان الاشتراكية المفترى عليها ) جاء فيه :  
( كل من يلحق به الظلم ، يدين الاشتراكية .

الاشتراكية المفترى عليها . التى أصبحت مشجبا تطلق عليه كل  
الاطء والانحرافات التى يرتكبها بعض المسئولين فى مجالات العمل) .  
وقلت أيضا :

( الديموقراطية سلاح من أسلحة الاشتراكية ولكننا نبقية فى الجراب  
خشية منه ، مع انه فى قبضة يدنا ) .

(لقد قضى الاستعمار نصف قرن يشوه بدعايته كل ماهو اشتراكي،  
وهو مازال ينشط بكافة الوسائل فى هذا الاتجاه ، وعلينا وقد تبيننا  
الاشتراكية ألا نطوع بتشويهها نحن أيضا من جانبنا . . . . .  
أن ندعه بلا ذخيرة يضربنا بها ) .

وعن الدعوة لرأس المال الاجنبى كتبت تحت عنوان : (هل تهدم  
الثورة ما بنته ؟ مقالا جاء فيه :

(رأس المال الاجنبى اذا تسرب الى اقتصادنا قضى على تطوره فى مهد  
وهدد نموه . . . لان رأس المال الاجنبى لا يحضر الا مصحوبا بشروطه محصنا  
بضغوطه . . . ومع ذلك فأننا يجب ألا نرفض ذلك رفضا باتا قاطعا . . . . .  
مشروعات تحتاج فعلا الى رأس المال الاجنبى لعدم قدرة اقتصادنا القومى على  
تنفيذ كل المشروعات .

قال لى الدكتور عزيز صدقى ان رأس المال الاجنبى كان يتعاون معنا  
فى مشروعات البحث عن البترول . وتصنيع الدواء ، وغيرها من الصناعات  
التي تتكلف الملايين الكثيرة من الجنيهات فى الابحاث ومتابعة أحدث  
التطورات .

كانت حصة مصر من البترول تصل الى ٧٥ ٪ بعد اتمام كشفه  
واستخراجه على أساس تجارى . . . وكان رأس المال المصرى فى بعض شركات  
الادوية لا يتجاوز ٦٠ ٪ .

حرصت على إعادة نشر بعض ماظهر فى الصحف خلال هذه الفترة  
لاعطاء صورة عن النبض الحقيقى للصراع المستتر - رغم ماقد يكون فى ذلك

من اطناب - بين قوى الردة وقوى التقدم المجتمعة تحت عباءة ثورة يوليو .

وكان وجود جمال عبد الناصر في ذاته ضمانا للتقدم لان الزعيم يكون مكبلا بتاريخه دائما ، يصعب عليه التراجع عنه أو الارتداد عليه .  
وحماية الثورة كانت تعتمد عليه شخصيا وعلى رؤيته للأمور . . .  
ولم تنطلق أبدا الى ساحة الجماهير للتفاعل الحي معها .

كان جمال عبد الناصر يتطلع الى تعديل الميثاق عام ١٩٧٠ بعد ثمانية سنوات من التجربة . . وكان قد طلب من علي صبري قبل الهزيمة كتابة مقالات تنير مناقشات حية حول تعديل الميثاق .  
ويقول فتحى غانم الذى كان رئيسا لمجلس ادارة التحرير ان مقال علي صبري الاول الذى نشر عام ١٩٦٦ كان مقالا تقليديا عن ثورة يوليو ، وأن جمال عبد الناصر قد اتصل بعلي صبري بعد ذلك وطلب منه أن تفتح المقالات أبوابا عريضة لمناقشات جديدة .

وبدأت مقالات علي صبري تثير اهتمام الكنيرين وتفتح بابا عريضا لتعليقات مختلفة . . اعتبرها البعض تطرفا الى اليسار . وقال محمد حسنين هيكل لجمال عبد الناصر ( ان هذه المقالات ستشعل حربا أهلية ) وأجاب عبد الناصر في هدوء ( طيب . . ماتردوا عليه )

كان جمال عبد الناصر يستهدف من ذلك جسي نبض حالة المجتمع والتعرف على الاتجاهات الكامنة فيه تمهيدا لتعديل الميثاق .  
ولكن الامر بالنسبة للقوات المسلحة كان شديد الحساسية ، فقد ظهر عداء المشير عامر لعلي صبري بعد هذه المقالات بطريقة أكثر وضوحا .  
انتهاز المشير فرصة تقرير وصل اليه يفيد بأنه في معسكر الشباب بأبو قير التابع لمنظمة الشباب يدرس سؤال حول هذا الموضوع .  
كيف يرد الشباب على محاولة انقلاب عسكري مضاد ؟  
واعتبر المشير عامر ان فى تدريس وتلقين الشباب لمثل هذه الاتجاهات تعريضا للقوات المسلحة .

وصدر فى ابريل ١٩٦٧ قرار يقضى بتشكيل لجنة للشباب يرأسها المشير عبد الحكيم عامر - الى جانب اختصاصاته المتعددة - وتضم كلا من علي صبري وشعراوى جمعة .  
لم تجتمع هذه اللجنة مرة واحدة . ولكن تشكيلها كان يعتبر صفة لعلي صبري .

وتوقف علي صبري عن الكتابة . . أبلغ ذلك الى فتحى غانم يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ معلنا تخليه عن صلاحياته الاشرافية على جريدة الجمهورية . .  
حيث أصبح المشير فى هذه المرحلة هو المسئول عن الاستعداد الحربى والاعلامى أيضا .

ويقول فتحى غانم انه قد بدأ تجميع مقالات علي صبري فى كتاب تم طبعه والاعلان عنه . . ولكنه لم يوزع أبدا . . فقد توقفت الاعلانات عنه

يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وبقيت أكاداس الكتاب فى المخزن لانرى النور .  
أوقفت الهزيمة الاتجاه لتعديل الميثاق  
وأصبح جمال عبد الناصر حذرا فى هذه المرحلة - مابعد الهزيمة -  
من ظهور آراء قد يتهمها البعض بالتطرف وتستقطب العناصر المتهادنة أو  
المعادية فى وقت تعلق فيه الثورة جراح الهزيمة ، وتتحمل مسئوليات  
شاقة لاعادة اكتساب ثقة الناس بها من جديد بعد تجربة مأساوية  
فظيعة .

وكان الموقف يتبلور فى قضية حماية الثورة حول مطالبة الجماهير  
بمراجعة أخطاء التطبيق الاشتراكي . بينما تحاول قوى أخرى ان توقع  
الثورة فى الفخ عن طريق هدم مابنته ، والارتداد عن الطريق الذى  
قطعته .

وقد فجر جمال عبد الناصر هذا الموقف عندما قال فى خطبته أمام  
مجلس الأمة يوم ٢٣ نوفمبر ٦٧ ان البعض يتحدث عن أن زكريا محيى الدين  
الذى يمثل اليمين وعلى صبرى الذى يمثل اليسار .

### المظاهرات ٠٠ وبيان ٣٠ مارس

لم يكن ممكنا ان تستمر التناقضات التى فجرتها الهزيمة مكبوتة  
فى الصدور .

ولم يكن معقولا ان تمضى المقالات والآراء المختلفة التى نشرتها الصحف  
وكانها سحابة صيف تمضى بلا أثر .

ولم يكن سهلا أبدا ان يجتمع قلق الثوريين ، ونربص الرجعيين فى  
هدوء تحت خيمة الاتحاد الاشتراكي .

ونفجر الموقف بصورة عملية فى بداية عام ١٩٦٨ فى أوساط الطلبة،  
حيث يجتمع حماس الشباب وطهارة الوطنية والحرص على سرعة التغيير .

وجمع توقيت واحد بين حدثين يعتبران أخطر ماتعرض له النظام بعد  
الهزيمة ٠٠ محاكمات ضباط مؤامرة المشير ومظاهرات الطلبة .

وكانت مظاهرات فبراير ١٩٦٨ التى اوضحت جذورها فى ( الباب  
الثالث - الفصل الاول ) .

كانت مظاهرات العمال والطلبة هى أول مظاهرات تخرج فى مصر منذ  
عام ١٩٥٤ ، وهى أول لقاء ايجابي بين الطلبة والعمال منذ عام ١٩٤٦ الذى  
شكلت فيه ( اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ) .

وعندما ذهب جمال عبد الناصر ليخطب فى عمال حلوان يوم ٣ مارس  
١٩٦٨ كان يبدو فى مظهر من يريد أن يثبت مساندة الطبقة العاملة له فى  
مواجهة مظاهرات الطلبة .

ومع ذلك لم يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا من مظاهرات الطلبة ولم  
يفقد أعصابه أمامها ٠٠ بل اعتبرها فورة شباب وطنى يتلمس الطريق  
للخروج من كآبة الموقف وغموض المستقبل .  
وبدأت محاولات لاحتواء الطلبة ، كان أولها مقابلة جمال عبد الناصر

لرؤساء اتحادات الجامعات مثل عاطف الشاطر ( الاسكندرية ) وحلمى نهوش ( عين شمس ) وعبد الحميد حسن ( القاهرة ) رغم عدم اشتراكهم في المظاهرات ، وعدم قدرتهم على التأثير في جماهير الطلبة ، بعد أن وثبتت اللجنة المنتخبة من مؤتمر ٢١ فبراير ١٩٦٨ الى مركز القيادة الفعلية .  
وقد وافق بعد ذلك جمال عبد الناصر على تشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية بعد لقائه مع المثقفين بجامعة القاهرة في سلسلة اجتماعاته مع قوى الشعب .

وأعاد جمال عبد الناصر تشكيل وزارته في ٢٠ مارس ١٩٦٨ وهي الوزارة التي لم يدخلها زكريا محيي الدين ، وانصرفت على حسين الشافعي نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف . وأدخل فيها ٩ وزراء جدد من أساتذة الجامعة هم الدكتور : محمد حلمى مراد واحمد مصطفى احمد والسيد جاب الله والمهندس حسن مصطفى ومحمد بكر احمد وعبد العزيز حجازى . ومحمد حافظ غانم ومحمد صفى الدين أبو العز وعبد العزيز كامل نائب الوزير الاوقاف . وذلك كمحاولة من النظام لبعث الهدوء في نفوس الطلبة واشعارهم بمشاركة الجامعة في سلطة الحكم ، وخاصة ان عددا من المختارين كان له دور نشيط في الاتصال بالطلبة .

كان عدد الضباط السابقين في هذه الوزارة ١١ وزيرا ، وعدد الوزراء من اساتذة الجامعة السابقين او الجدد ١٢ وزيرا ، وهي المرة الاولى التي تغلب فيها النسبة العددية لآى فئة من الفئات نسبة العسكريين في الوزارة التي ضمت ٣١ وزيرا .

ولم تقف الاجراءات عند حدود محاولة اقناع الطلبة بان السلطة تقرب منهم وتفتح ابوابها لهم ، وانما تجاوزت ذلك الى تنشيط ( طليعة الاشتراكيين ) داخل الجامعة في محاولة للسيطرة السياسية عليها . وقد صحب ذلك بعض الاخطاء التي اثارت الطلبة وأبرزت ألوانا من التناقض بينهم وبين عناصر ( طليعة الاشتراكيين ) الذين كانوا يعملون سرا حتى ذلك الوقت .

كما اكتشفت وزارة الداخلية ان قواتها أعجز من القدرة على مقاومة مظاهرات طلابية جارفة ، فشكلت (قوات الأمن المركزى) بعد بلوكات النظام لتكون قوة ضاربة قادرة على تفريق المظاهرات قبل نزول القوات المسلحة وما يشكله نزولها من أخطار تهدد استقرار النظام ، وأرسلت عددا من ضباط الشرطة الى فرنسا للتدريب على مواجهة المظاهرات .

وفرضت مظاهرات الطلبة وما صاحبها من تأييد شعبي على جمال عبد الناصر أن يعيد النظر في الموقف السياسى .

وفتح جمال عبد الناصر المناقشة حول الاوضاع الراهنة في مجلس الوزراء ، وطلب من الجميع أن يتحدثوا في صراحة مطلقة باعتبارهم مشاركين في قمة المسئولية .

ويقول ضياء الدين داود وزير الشؤون الاجتماعية والذي كان امينا للاتحاد الاشتراكي بمحافظة دمياط ان جميع أعضاء المجلس قد أدلوا بآرائهم في مختلف الاساسيات والفرعيات أيضا .

وانبرى أساتذة الجامعة والوزراء الجدد يطرحون آراءهم .  
وتحدث الدكتور عبد العزيز كامل عن المعتقلات والسجون وعماتعرض  
له هو شخصيا .

وأثار الدكتور حلمي مراد كثيرا من القضايا ومن ضمنها الصلاحيات  
المعطاة لبعض العسكريين ومواقفهم الحاطئة .. وخاصة ماحدث من سفير  
مصر في اسبانيا أحمد أنور قائد الشرطة العسكرية السابق في سنوات  
الثورة الاولى من اعداء بالضرب على مستشار السفارة مصطفى توفيق الذي  
كان ضابطا صغيرا تحت قيادته في الشرطة العسكرية ايضا .

ويقول ضياء الدين داود ان جمال عبد الناصر قد قال له ان الضباط  
الاحرار الذين قاموا بالنورة كانوا ٩٠ ضابطا تزيبا ، وان له التزاما معنويا  
قبلهم . وخاصة أن منهم من تعرض للاعتقال والمحاكمة ، ومنهم من أبعسد  
لثبوت عدم كفاءته ، ومعظمهم ترك القوات المسلحة ليشق طريقا جديدا في  
الحياة المدنية ربما لم يتعود عليه .

دافع جمال عبد الناصر عن أخطاء زملائه الذين قاموا بالنورة معه من  
موقع انساني .. وكان يدرك انه يتحمل في النهاية أخطاء وانحرافات  
البعض منهم .. ولكنه لم يقبل التخلي عنهم .

كان الاعتماد على الضباط بكل مافهم من ايجابيات وسلبيات هو  
الطريق الذي اختاره جمال عبد الناصر ، بدلا عن تكوين كادر سياسي في  
اطار حزبي .. سواء منهم أو من غيرهم دون تفرقة بين العسكريين  
والمدنيين .

كانت المناقشات الصريحة التي دارت في مجلس الوزراء تعبر عن  
رغبة جمال عبد الناصر في التعرف على نبض الجماهير .

وتبلورت محصلة الآراء وغيرها في بيان عرضه عليهم ووافقوا عليه ،  
ثم قال لهم بعد الموافقة : ( مفيش حد نفسه في حابه نضيفها للبيان ) .

هكذا دارت المناقشات وانتهت الى اقرار جماعي للبيان .  
وقد حاول الدكتور حلمي مراد فيما بعد ان يصور الامور وكان  
عبد الناصر قد أخذ منه موقفا لانتقاداته .

ولم يكن هذا صحيحا على اطلاقه .. كما ان صدور قرار منع اشتغال  
الوزراء في تعاقدات خارجية الا بعد نرك الوزارة بخمس سنوات لم يكن  
موجها ضد الدكتور حلمي مراد .. وانما كان موجها ضد تصرفات اثنين  
من الضباط السابقين .

الاول : أمين شاکر وزير السياحه السابق ، الذي سجل عليه أحد  
كبار الصحفيين اللبنانيين في دار صحفيه تمولها مصر ، حديثا مليئا بالتهجم  
والسباب في جمال عبد الناصر . في الوقت الذي كان قد بدأ فيه تعاوننا  
وثيقا مع بعض الاثرياء في دول الخليج .

ولم يجد جمال عبد الناصر سبيلا للرد على هذا الضابط الذي كان  
مديرا لمكتبه سنوات طويلة الا تحديد اقامته في منزله .

والثاني : محمود يونس الذي دعتة هيئات ومؤسسات أمريكية لزيارة

بعض مدنها ، وساعدته في فتح مكتب يعمل في شئون البترول والتجارة في بيروت ، وذلك فور خروجه من الوزارة في ٢٠ مارس ١٩٦٨ .  
وكان القرار يمنع اشتغال الوزراء مستهدفا عدم التأثير عليهم مثل وزراء العهد السابقة للثورة الذين كانت ترتبط مصالحهم بالشركات المحلية أو الأجنبية .

وقبل أن يمضي أربعون يوما على مظاهرات الطلبة كان جمال عبد الناصر يخاطب الشعب من الاذاعة والتلفزيون يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ الموافق لرأس السنة الهجرية في بيان اشهر بهذا التاريخ .

كان البيان محاولة من جمال عبد الناصر لتوضيح الموقف للشعب عامة وللطلبة والعمال خاصة ، وأبرز للناس ماتحقق من اعاده بناء القوات المسلحة ، والنجاح في تحقيق الصمود الاقتصادي ، وبصية مراكز القوى ومحكماتها وما صاحب ذلك من كشف للانحرافات . وخلق علاقات صداق مع كثير من الدول وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي .

وتحدث جمال عبد الناصر عن اعادة تشكيله للوزارة معتبرا ( انه جاء الى واقع الحكم بصفوة من شباب هذا الوطن ، لا يدين أحد منهم بمنصبه لاي اعتبار ) . كما وعد باجراء تغيير في كافة المجالات . الانتاج والسلوك الديبلوماسي . الإدارة المحلية قائلا :

( ان التغيير المطلوب لابد وأن يكون تغييرا في الظروف وفي المناخ والا فان أي أشخاص جدد في نفس الظروف وفي نفس المناخ سوف يسببون في نفس الطريق الذي سبق اليه غيرهم ) .

وبعد أن ركز جمال عبد الناصر على أهمية المعركة باعتبارها ( اختيارا للنصر والشرف والحياة ) . قال ان الاتحاد الاشتراكي هو الصيغة الملائمة لتجنب ( دسوية الصراع الطبقي ) وأعلن عن ضرورة اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب من القاعدة الى القمة ، على أن يظل المؤتمر القومي قائما الى ما بعد ازالة آثار العدوان ، وأن يظل اللجنة المركزية المنتخبة في حالة انعقاد دائم وأن يوكل اليها الى جانب مسؤولياتها المتعددة واجب بناء التنظيم السياسي لطلائع الاتحاد الاشتراكي .

كما أشار البيان الى ضرورة انشاء المجالس المتخصصة ، وعدد بعض المبادئ التي لاخلاف عليها ليتضمنها الدستور الجديد .

أعلن جمال عبد الناصر ان البيان سوف يكون موضع استفتاء الجماهير يوم ٢ مايو ١٩٦٨ ، وانه منذ ذلك التاريخ سوف تشكل لجنة مؤقتة تشرف على انتخابات الاتحاد الاشتراكي من خمسين عضوا ثم تضم بعد ذلك الى المؤتمر القومي .

كان هذا البيان محصلة لتفكير جمال عبد الناصر في هذه المرحلة . وهو في مضمونه كان وثيقة هامة تضاف الى الميثاق بعد ست سنوات من صدوره .

وافق الشعب على بيان ٣٠ مارس في الاستفتاء العام الذي أجرى يوم ٢ مايو ، وانتهت أعمال أمانة الاتحاد الاشتراكي ، كما انتهت أعمال أمانة

منظمة الشباب • وأعيد أحمد كامل محافظاً قبل أن تكمل خطته التي شجعه جمال عبد الناصر على تنفيذها ، والتي حاول بها جميع الشباب ، وبعث الأمل في نفسه •

وحدث أن قرر جمال عبد الناصر الذهاب الى جامعة القاهرة لالقاء خطبة في قاعة الاحتفالات ، ولم يكن في البرنامج دعوة ممثل عن الطلبة لالقاء كلمة •

وهدد أعضاء اتحاد جامعة القاهرة بالاستقالة اذا لم يتحدث ممثلهم في حضور جمال عبد الناصر ، وأبلغني ابني علاء بذلك محتجاً على اهمال ممثل الطلبة وكان قد أصبح عضواً في الاتحاد عن كلية الآداب ، فاتصلت بشعراوي جمعة موضحاً له ان مظهر الاستقالة سوف يكون مسيئاً ، وانه لابد من إتاحة الفرصة لممثل الطلبة بدعونه للحضور والحديث • وبعد ساعة تقريباً اتصل بي وأبلغني بأن جمال عبد الناصر قد وافق على ذلك ، فأبلغت ابني علاء الذي أبلغ أعضاء الاتحاد الذين قرروا ان يكون الدكتور عبد الحميد حسن رئيس اتحاد جامعة القاهرة هو المفوض في الحديث باسم الطلبة •

طالب عبد الحميد حسن في خطبته برفع الوصاية عن الاتحادات الطلابية بتشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية •

تم تشكيل أول اتحاد عام لطلبة الجمهوريه في أغسطس ١٩٦٨ ، وانتخب الدكتور عبد الحميد حسن ممثل جامعة القاهرة رئيساً له بفارق صوت واحد عن الدكتور حلمي نهوش رئيس اتحاد جامعه عين شمس • وقد صدرت لائحة عن المؤتمر تنص على إلغاء رواد الانحاد من الاساتذة واعتبر ذلك من أكبر المكاسب التي حصل عليها الطلبة •

ولكن هذا المكسب لم يستمر طويلاً ، فقد أصدر جمال عبد الناصر قراراً جمهورياً من مادة واحدة في نوفمبر ١٩٦٨ ينص على تعيين رواد من هيئة التدريس في لجان الاتحاد ومجالسه بالنسبة للكليات والمعاهد • وأن يعين رائد للاتحاد العام من أمانة التنظيم •

كما أن عبد الحميد حسن كان قد استقال من رئاسة الاتحاد العام ، فناديا لطلبة بسحب الثقة منه ، نظراً لسفره في مهمات الى الخارج عن طريق مكتب سنامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات دون الحصول على موافقة أعضاء الاتحاد العام • وتولى رئاسة الاتحاد من بعده حسن عيد •

بدأ عام دراسي جديد ومشاعر الطلبة لم تهدأ تماماً ، رغم بيان ٣٠ مارس ، وما حصلوا عليه من مكاسب •

وتفجر الموقف في المنصورة ، اثر قرار لمحمد حلمي مراد وزير التربية والتعليم خاص بسياسة القبول في المدارس الخاصة • قامت المظاهرات في المدارس الثانوية لمدة يومين ، ثم تصدى لها رجال الشرطة وأطلقوا الرصاص ، فقتل ثلاثة وأصيب آخرون وتعاطف الاهالي مع الطلبة في هجومهم على مديرية الأمن •

اشترك طلبه طب المنصورة في اليوم الثالث للمظاهرات ، واعتصمت الشرطة عددا منهم ٥٠ . وعندما اسفل الجبر للفاخرة خرجت مطاخره من جامعة القاهرة تصدى لها البوليس عند ٣٠٠ بى الجامعة وم نفرىها ١٠٠ اما الاسكندرية فقد أصدرت اتحادات الطلاب تحت ضغط جماهير الطلبة بيانات تطلب التحقيق مع المسئولين عن اطلاق الرصاص ومحاكمه وزير الداخلية ، والنسائل عن السبب فى عدم تطبيق بيان ٢٠ مارس .

اعتصم طلبة هندسة الاسكندرية ومعهم بعض الطلبة الآخرين بعد قيامهم بمظاهرة حاصرها البوليس الذى اعتدى على عاطف الشاطر رئيس اتحاد الطلبة الذى يحمل علم الاتحاد .

هرع أحمد كامل محافظ الاسكندرية وأمين الشباب السابق الى الجامعة لمواجهة الموقف بنفسه ، ولكن المشاعر الثائرة دفعت الطلبة الى اعتقاله الى حين الافراج عن عاطف الشاطر .

نور الموقف فى المدينة بوترا شديدا ، وتجمعت قوات الصاعقة للغوات المسلحة فى استاد الاسكندرية ، وحلقت طائرات هليكوبتر فوق مباني الكلية . وكاد يحدث صدام دموى لولا استجابة السلطات لرغبة الطلبة ، وتم الافراج عن أحمد كامل .

دعا جمال عبد الناصر الى دورة طارئة للمؤتمر القومى لمناقشة أحداث الطلبة حيث تلا تقريرا من وزير العدل ووزير الداخلية ضد المظاهرات . وفى نهاية الدورة الطارئة أصدر جمال عبد الناصر القرار الجمهورى الذى أشرت اليه والذي يعطى بعودة نظام ( رواد الانحاد ) .

لم تنته المظاهرات الى تصفية سلمية بين السلطة والطلبة . وبرز دور أصحاب الاتجاهات اليسارية فى تحريك جموع الطلبة والحصول على ثقتهم .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يظهر فيها يسار جديد خارج عن حدود تنظيمات ثورة يوليو لمحاولة لعب دور سياسى فىادى ٥٠ . وفى مقابل ذلك نشطت ( طليعة الاشتراكيين ) فى محاوله فرض قيادة من بين صفوفهم . وبدأ تنافس واضح فى مؤتمر اتحاد طلبة الجمهورية الذى عقد فى ابريل ١٩٦٩ لمناقشة قضايا الطلبة وانتخاب مجلس جديد . ولكن المؤتمر انجرف تماما نحو الانتخابات ولم يناقش أية قضية أخرى .

ودارت المنافسة على رئاسة الاتحاد بين جمال عفيفى رئيس انحاد جامعة القاهرة والمرتبطة بتنظيم طليعة الاشتراكيين وبين علاء حمروش نائب رئيس انحاد جامعة القاهرة والذي لم يكن عضوا فى طليعة الاشتراكيين .

تكتلت كل القوى غير المنتمية لطليعة الاشتراكيين رفضا منها لمحاولة هذا التنظيم فرض أعضائه . ورغم اختلاف الانتماءات والاتجاهات السياسية فانهم اتفقوا على انتخاب علاء حمروش المعروف بيموله اليسارية . وتصادف بعد ذلك أن توقفت المظاهرات خلال عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ .

حيث بدأ اتحاد طلبة الجمهورية يلعب دورا سياسيا ، ويبادر الى اتخاذ مواقف تعبر عن ارادة الطلبة وترضى مشاعرهم الثورية .

وخرج اتحاد طلبة الجمهورية عن الاطار المحلى لأول مرة ، فقرر الانضمام الى اتحاد الطلبة العالمى ، واستجابت السلطة الى ذلك حرصا على



تفادى الصدام ، كما ظهر نوع من التعاون الأوثق مع المقاومة الفلسطينية نتيجة بروز دورهم المتزايد في ساحة النضال العربي .  
وقد فطنت القيادات السياسية في طليعة الاشتراكيين الى أنه من الافضل أن يحدث تجاوب مع الطلبة في تنظيماتهم الخاصة دون محاولة فرض بعض الافراد عليهم ، أو اجبارهم على الخضوع الكامل لارادة السلطة .

وقد حدث نوع من التناسق السليم بين شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين ، وبين علاء حمروش رئيس اتحاد طلبة الجمهورية ، أمكن فيه عن طريق النقاش والمصارحة تفادى كثير من الازمات .  
ولاشك ان ظهور الجدية في مجابهة الامبريالية والصهيونية التوسعية ، والقتال المستمر في جبهة القتال كان عاملا مؤثرا في تهدئة الطلبة وابتعادهم عن المظاهرات الى حين .

## الاتحاد الاشتراكي .. والانتخابات

الاجراء العملى الوحيد الذى بادرت القيادة الى تنفيذه من بيان ٣٠ مارس هو اجراء الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكي ليكتمل تنظيمه الهرمى وتمارس لجنته المركزية - التى نص البيان على ان تكون فى حالة انعقاد دائم- تمارس صلاحياتها ومسئوليتها السياسية .

جرى الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس فى شهر مايو ، وجرت انتخابات الاتحاد الاشتراكي خلال شهرى يونيو ويوليو ١٩٦٨ .

كان التكالب واضحا على الترشيح ، ولم تتدخل أى جهة مسئولة لوقف هذا الاندفاع الذى وصل فى بعض الشركات الى حد تقديم ٢٣٠ شخصا لانفسهم كمرشحين للجنة العشرين أمام ١٧٠٠ ناخب فقط . ولم تظهر فكرة الاعتراض على أى من المرشحين كما كان قد حدث من اعتراض على عضوية الاتحاد الاشتراكي عند بدء تأسيسه عام ١٩٦٢ ثم سحب هذه الاعتراضات .

وتشير هذه الظاهرة الى ان العمل السياسى خلال السنوات السابقة لم يحدث تأثيرا ونضجا سياسيا يفرز العناصر القادرة على تحمل عبء مسئولية العمل السياسى ، واما انه كان مرفوضا لان الهزيمة حدثت خلال هذه السنوات .

تمت الانتخابات فى مرحلة فقد فيها الناس كثيرا من ثقتهم ، وأصبحوا يقدمون الشك على اليقين ، ويرفضون أن يسلموا بشيء دون اقتناع . . . ويتشبثون بالديموقراطية التى أصبحت هدفا يتطلع اليه الناس فيما يشبه التحدى .

ولكن الانتخابات وحدها لم تكن كفيلا بتحقيق الديموقراطية الصحيحة فى هذا الجهاز الجماهيرى الضخم الذى يضم عدة ملايين ، والذى تسيطر عليه فى القمة شخصيات معروفة لم تتغير .

وكتبت فى روز اليوسف عدد ٢٤ يونيو مقالا تحت عنوان ( ليس

بالانتخابات وحدها) جاء فيه :

(اننا يجب ان نضع الانتخابات في موضعها الصحيح .. لانقلل من أهميتها كوسيلة لاكتساب نفع الجماهير ومحاولة الوصول الى صورة صحيحة لارادتها .. ولا نجسم منها باعتبارها في ذاتها سوف تخلق الثقة وتحقق الديمقراطية .

فانه ليس بالانتخابات وحدها .. نتحقق الثقة ، وبزهد الديمقراطية ) .

أذكر ان طليعة الاشتراكيين قد ندرست موضوع الانتخابات والترشيحات .. وأن هذا الموضوع قد أثير في لجنة الاعلام التي كان يرأسها محمد فائق وزير الاعلام وكانت تضم أحمد بهاء الدين وفتحي غانم ومصطفى بهجت بدوي ومحمد عروق وهمت مصطفى ومحمود العالم وكاتب هذه السطور .

ونظرا لزيادة الراغبين في الترشيح فقد اقترحنا أن يدخل الراغبون في ذلك دون فيود وان تترك لهم فرصة الاتصال المباشر مع الناخبين . وخاصة في الدوائر التي يضم عددا كبيرا من الشخصيات المنضمة لطليعة الاشتراكيين مثل دوائر قصر النيل وعابدين ومصر الجديدة وغيرها حيث كان مطلوبا في النهاية نجاح ٤ فقط في دائرة القسم للمؤتمر القومي .

تم الاتفاق على ذلك ولم تصدر تنظيمات طليعة الاشتراكيين في هذه الدوائر قوائم ترشيحات بالمرشحين الذين سوف يساندتهم أعضاؤها ... وأذكر اننا دخلنا الانتخابات بناء على ذلك متوجهين الى الناخبين في مؤسساتهم الجماهيرية ومواقع عملهم .

ولكن تدبيرات سرية كانت قد اتخذت لانجاح أسماء واسقاط أخرى .

واذا أخذنا دائرة قصر النيل مثلا لوجدنا ان الاتحاد الاشتراكي في القسم كان متحيزا مسببا ضد بعض المرشحين وانا واحد منهم . وكان الامر المثير اني كنت مازلت عضوا في امانة طليعة الاشتراكيين وعضوا في لجنة الاعلام أيضا .. وصلتي كانت وثيقة بشعراوى جمعة . ومحمد فائق .

وفي أحد الاجتماعات بمكتب قسم قصر النيل فوجئت بمحاولة بعض الاعضاء بالتدخل لمنعني من الخطابة ، ولكني اخذت منهم موقفا جادا وهاجمت هؤلاء الذين يحاولون ان يقللوا اول تجربة ديمقراطية داخل التنظيم الواحد وهي مازالت بعد في مهدها ، فترجعوا الى مقاعدتهم وساد الصمت والهدوء .

وكان ضمن قائمة المرشحين بعض المنتمين لطليعة الاشتراكيين مثل محمد فائق والدكتور حسين كامل بهاء الدين سكرتير منظمة الشباب السابق وضابط الشرطة السابق صلاح عبد المعطي الذي كان يعمل موظفا اداريا معنا في الامانة وكان أميننا للاتحاد الاشتراكي بالقسم والدكتور عزت سلامة وكاتب هذه السطور .. ثم الدكتور ثروت عكاشة ويوسف السباعي والدكتور زكي هاشم وآخرين .

وعندما نبينت موقف العداء غير المبرر منى اتصلت بشعراوى جمعة  
ومحمد فائق واكد لى الاثنان ان الحركة حرة ومفتوحة .  
وخضت المعركة الى نهايتها فى حماس شديد . . ثم تبين لى أن أربعة  
أسماء قد وزعت على الجميع لتصعد الى المؤنمر وأن عشرين اسما أخرى قد  
حددت أعضاء لجنة قسم قصر النيل .  
وظهرت النتيجة مطابقة تماما لهذه الاختيارات السرية ، ونجح محمد  
فائق وحسين كامل بهاء الدين وصلاح عبد المعطى وأمين حلمى رئيس هيئة  
التصنيع وسقط الباقون .  
وكان ضمن الذين أحكمت حولهم حلقة التآمر أيضا الدكتور ابراهيم  
سعد الدين عضو الامانة العامة لمعهد الدراسات الاشتراكية والذي رشح  
نفسه فى دائرة على صبرى وعبد العزيز حجازى بالشرقية وفوجىء أيضا  
بتدبيرهم لعملية اسقاطه . . كان هذا اتجاها واضحا ضد اليسار والذي  
يمكن ان يحمل كلمة المعارضة .

وتبينت فيما بعد ان هذه الانتخابات قد تمت فى وقت كانت صلتى  
فيه بامانة طليعة الاشتراكيين قد انقطعت دون اخطار . . فقد حدث قبل أن  
تنفجر مظاهرات الطلبة واثناء اجتماع للامانة فى مكتب شعراوى جمعة  
بمقر الوزارة المركزية سابقا فى هليوبوليس أن نبهت الحاضرين وشاركنى  
فى ذلك أحمد كامل الذى كان أمينا للشباب وقتها وكان عائدا لتوه من  
رحلة الى الوجه القبلى . . نبهت الى خطورة الموقف لئلا الناس من احتمالات  
تغيير حقيقى فى المجتمع يودى الى تحرير الارض المحتلة ، وقصد كل السدم  
الفاسد فى مواقع المسئولية وليس فى القوات المسلحة وحدها كما كشفت  
الهزيمة .

وكان اجتماعا ساخنا . . أعلنت فيه مسئوليتنا التاريخية فى هذا  
المستوى التنظيمى الذى يمثل القلب . . وطالبت بضرورة مصارحة جمال  
عبد الناصر بالموقف باعتباره قائدا للتنظيم .

ولم يجد شعراوى جمعة من سبيل أمام هذا التيار الذى اشترك فيه  
عدد من أعضاء الامانة سوى اقتراح تشكيل لجنة من أحمد كامل وسامى  
شرف ومحمود أمين العالم وكتب هذه السطور لصياغة تقرير سياسى لجمال  
عبد الناصر عن حقيقة الوضع واقتراح مايمكن ان نراه من علاج لتفادى  
مايمكن ان يحدث فى المستقبل .

واجتمعت هذه اللجنة الفرعية فى مساء اليوم التالى مباشرة بمكتب  
سامى شرف ، وبدأنا فى تدارس الموقف . . واذا بمنير حافظ أحد كبار  
الموظفين بمكتب سامى شرف يدخل علينا معلنا أن هناك تجمعات فى أماكن  
كثيرة تعلن احتجاجها على بساطة الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران .

واعتبرت أن فى ذلك دعما لموقفنا . واثباتا لسلامة تصورنا . . .  
ولكننى فوجئت بمحمود أمين العالم وكان وقتها مقربا جدا من قمة السلطة .  
ومتوليا مسئولية رئاسة مجلس ادارة أخبار اليوم . . فوجئت به يطلب

انهاء الاجتماع حتى تتفرغ القيادة لمباشرة مسئولياتها .  
 وتلفت حولي باحسا عما يقصده ، فاذا به يشير الى سامي شرف الذي  
 لم يكده يسمح هذه الكلمات التي انت اليه كطوق الانقاذ حتى تشبث بها ،  
 واعلن تأجيل الاجتماع الى موعد يحدده فيما بعد .  
 ولكن طال الزمن يلاتحديده لموعد اجتماع جديد .  
 وقامت المظاهرات ووضعت اتجاهات الجماهير .  
 وكانت هذه هي صلتى الاخيرة بأمانة طليعة الاشتراكيين . لم يبلغنى  
 احد اننى اقصيت عنها . ولم أعرف انها تجتمع . وعادت محاولتى  
 السابقة مع شعراوى جمعة مطالبا باجتماع الامانة ولكنه كان دائما يعتذر  
 بكثرة مشاغله .  
 وعرفت بعد وقت طويل انه منذ هذه الجلسة الساخنة ، ومنذ ذلك  
 الاجتماع فى مكتب سامي شرف ، انه قد أقصى عن الامانة كل من أمين  
 هويدى والدكتور عبد المعبود الجبيلى وكاتب هذه السطور .  
 وليست هذه الصورة الا نموذجا لفقدان الديمقراطية داخل التنظيم .  
 والاصرار على التعاون مع الذين لا يعرفون النقد او المعارضة . فى محاولة  
 لتثبيت سلطة شخصيات معينة .  
 اذكر اننى اثرت هذه القضية مع على صبرى أثناء مقابلتى له خلال  
 مظاهرات الطلبة ، واننى اقترحت عليه أن يتم الترشيح لانتخابات الاتحاد  
 الاشتراكى بتفاعل ديمقراطى داخل طليعة الاشتراكيين حتى يمكن أن  
 تفرز الانتخابات عناصر صالحة تكتسب ثقة القاعدة . وانه كان هادئا  
 ومطمئنا وفيما يبدو واثقا من النتيجة .  
 والحقيقة ان انتخابات الاتحاد الاشتراكى قد جرت فى ظروف ملائمة  
 تماما لعل صبرى . فكان خروج زكريا محيى الدين فى مارس ١٩٦٨  
 ابعاا لشخصية قوية يؤهلها تاريخها واقداميتها وعضويتها السابقة لمجلس  
 قيادة الثورة أن تكون البديل لجمال عبد الناصر فى أى ظرف مفاجئ .  
 وخاصة بعد ترشيح جمال عبد الناصر له ليكون بديله فى رئاسة الجمهورية  
 أثناء خطاب التنحي .  
 ولم يكن زكريا محيى الدين قريبا من الاتحاد الاشتراكى ، فقد انتهت  
 صلته به بعد الجهد الذى بذله فى تكوين منظمة الشباب فى عهدها الاول ،  
 وبعد انتهاء اشرافه على محافظة الجيزة فى الفترة الاولى لتكوين الاتحاد  
 الاشتراكى عام ١٩٦٣ .  
 كان ابعاد زكريا فرصة لتثبيت اقدام على صبرى فى ارض المسئولية  
 . فقد كان هو الوحيد المرتبط بالاتحاد الاشتراكى وطلليعة الاشتراكيين  
 من بين نواب رئيس الجمهورية السابقين .  
 أنور السادات كان رئيسا لمجلس الامة . وحسين الشافعى اقتصر  
 عمله فى وزارة ٢٠ مارس ١٩٦٨ على أن يكون نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا  
 للاوقاف . وعبد المحسن ابو النور الذى كان مسئولا فى الاتحاد الاشتراكى  
 اصبح وزيرا للادارة المحلية .  
 وهكذا كانت الفرصة متاحة لعل صبرى . بعد انتحار المشير عامر ،

وابعاد زكريا محيي الدين وقد صدرت وزارة ٢٠ مارس وهو ليس عضوا بها بعد ان كان في وزارة ١٩ يونيو ١٩٦٧ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للادارة المحلية .

وكان هذا يعني تخصصه في الاتحاد الاشتراكي ومسئوليته عنه .  
وكتبت في روزاليوسف تعليقا على انتخابات أعضاء المؤتمر العام قبل انعقاده بيوم واحد في ٢٢ يوليو ١٩٦٨ قائلا :  
( علينا ان نفرق بين الالتزام والالتزام )

الالتزام يعني التبعة المطلقة دون حوار أو مناقشات . . وهو ما يؤدي الى الغاء الشخصية الداية . . أما الالتزام فهو الحرص على الارتباط بتنظيم ديموقراطي يحقق هدف أعضائه ، وينيح لهم فرصة التعبير والمنافسة وتوضيح الرأي الخاص مع الالتزام برأى الاغلبية . . وهو ما يؤكد شخصية العضو وارتباطه بالآخرين) .  
ولكن الامر كان قد انفضى . . ونشكل المؤتمر القومي بأسلوب الاختيار تقريبا . .

ويبدو ان جمال عبد الناصر قد استشعر مدى المعارضة والرفض لاسلوب الانتخابات فأثر أن يؤجل انتخاب اللجنة المركزية حتى يتعارف أعضاء المؤتمر القومي - على حد تعبيره - وأجريت الانتخابات .  
ويمكن القول بأن علي صبري كان له الرأي الاول في اختيار معظم أعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ولجنته المركزية ، بل وفي لجنته التنفيذية العليا التي تم انتخابها يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٨ . فقد حصل على أعلى الاصوات ، وكان ترتيب اللجنة من حيث عدد الاصوات كما يلي من بين ٢٠ مرشحا منهم ٧ ضباط :

علي صبري ( ١٣٤ صوبا ) - حسين الشافعي ( ١٣٠ ) - محمود فوزي ( ١٢٩ ) - أنور السادات ( ١١٩ ) - رمزي استينو ( ١١٢ ) - ضياء الدين داود ( ١٠٤ ) - عبد المحسن أبو النور ( ١٠٤ ) - لبيب شقير ( ٨٠ ) .

أما بقية المرشحين فلم يدخلوا اللجنة اذ حصلوا على أقل من ٥٠٪ من الاصوات . . كمال الحناوي ( ٦٤ ) علي السيد علي ( ٦٢ ) كمال رفعت ( ٥٠ ) - حسن عباس زكي ( ٣٧ ) جابر جاد عبد الرحمن ( ٣٤ ) سيد مرعي ( ٣٣ ) - عزيز صدقي ( ٣٣ ) أحمد فهمي ( ٣٠ ) - خالد محيي الدين ( ٢٠ ) أحمد سيددرويش ( ١٤ ) مصطفى أبو زيد فهمي ( ١٢ ) - فهمي منصور ( ١٠ ) .

وكانت فرصة علي صبري في الحصول على أعلى الاصوات نابعة من صلتة ومعرفة الشخصية بمعظم أعضاء اللجنة المركزية فقد عين سكرتيرا عاما للاتحاد الاشتراكي بعد استبداله كرئيس للوزراء بزكريا محيي الدين عام ١٩٦٥ .

أجل جمال عبد الناصر انتخاب الاثنين اللذين يكملان عدد أعضاء اللجنة التنفيذية إلى عشرة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكي لفترة قادمة .  
واستقال من الوزارة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكي أيضا أربعة وزراء نجحوا في انتخابات اللجنة التنفيذية العليا وهم : حسين الشافعي

وضياء الدين داود وعبد المحسن أبو النور وليب شقير .  
ويلاحظ ان نسبة الضباط في اللجنة التنفيذية العليا ، وهي قمة  
السلطة في الجمهورية العربية المتحدة مازالت عالية (٤ ضباط غيرعبدالناصر  
وأربعة مدنيين) ٠٠ بينما لم يتجاوز عدد الضباط في اللجنة المركزية (١٢  
ضابطا من ١٥٠ عضوا) .  
كما انه لم ينجح أحد من العمال والفلاحين ، ولم يتقدم للترشيح سوى  
عاملين وأحد الزراعيين ، بينما بلغ عدد المرشحين من الوزراء والوزراء  
السابقين ١٢ مرشحا .

والنظرة الى اسماء الناجحين والراسبين تؤكد ان هناك قوة منظمة كانت  
تتحرك بإيحاء معين مؤثر في توجيه الانتخابات ٠٠ وكل الذين فازوا كان  
قد أوحى لهم بترشيح انفسهم ، استمرارا وتأكيدا لاسلوب الاختيار من اعلى  
بعيدا عن النفاعل الديمقراطي السليم .  
فال الى عدد من الذين سقطوا ان أحدا لم يهمس لهم بالترشيح ٠٠  
والقاعدة كانت أن ينتظر الاعضاء تعليمانهم من المستويات الأعلى دون أية  
مبادرة منهم .

وكان شعراوى جمعة أمين التنظيم هو الذى رأس اللجنة التى تتلقى  
طلبات الترشيح ، واستمر بعد ذلك منضمنا الى رؤساء اللجان الخمس  
الدائمة التى انبثقت عن اللجنة التنفيذية العليا ليشكلوا اللجنة الدائمة  
للاتحاد الاشتراكي ، والتى تعتبر بمثابة اللجنة الهامة التى تملك مفتاح  
الاتحاد الاشتراكي .

كان توزيع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا قد تم على النحو الآتى :

أنور السادات رئيسا للجنة السياسية - على صبرى رئيسا للجنة  
التنظيمية - عبد المحسن أبو النور رئيسا للجنة الشؤون الداخلية - لبيب  
شقير رئيسا للجنة التطور الاقتصادى - ضياء الدين داود رئيسا للجنة  
الثقافة والإعلام .

وكان جمع شعراوى جمعة بين عمله المسئول في التنظيم واستمراره  
وزيرا للداخلية هو الاستثناء الوحيد الذى يشير الى أهمية الدور المساعد الذى  
كان يدفعه اليه جمال عبد الناصر ٠٠ هذا الى جانب كونه أمينا لطليلة  
الاشتراكيين أيضا .

كانت كل الظروف تهيئ شعراوى جمعة ليصبح رجل السلطة ورجل  
التنظيم القوى بعد جمال عبد الناصر وعلى صبرى .

ولكنه كان وحده من أمانة طليلة الاشتراكيين الذى أوكل اليه هذا  
الدور ، فلم يصل أحد من أمانة الطليعة الى اللجنة التنفيذية العليا . . .  
وشعراوى نفسه لم يكن عضوا رسميا بها ، وإذا حضر اجتماعاتها فليس له  
حق التصويت .

الظاهرة الملحوظة ان عدد الضباط قد انحسر في نسبتهم باللجنة  
المركزية . وان بعض العناصر المدنية قد بدأت تلعب دورا أساسيا مسئولوا

يزيد في واقعه ومضمونه عن الدور الذي يلعبه بعض العسكريين أصحاب التاريخ والارتباط بسلطة النورة .

قال لى شعراوى جمعة ردا على استفسار عن الاسلوب الذى اتبع فى انتخابات اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا بأن طليعة الاشتراكيين كانت تستقر على ترشيح أعضاء معينين ونطلب من اعضائها مساندتهم وبأيديهم ، دون تدخل أو تزيف فى الانتخابات .

وعن انتخابات اللجنة التنفيذية العليا فال ان جمال عبد الناصر كان قد ارتضى ترشيح ستة أعضاء هم أنور السادات وعلى صبرى وحسين الشافعى وضياء داود ورمزى استينو والدكتور محمود فوزى وقام شعراوى بأبلاغ أعضاء طليعة الاشتراكيين بمساندة هؤلاء مضيفا اليهم اسمى لبيب شقير وعبد المحسن أبو النور .

لم يعترض جمال عبد الناصر على ترشيح احد للجنة التنفيذية العليا سوى خالد محيى الدين الذى كان قد ارتضى دخوله اللجنة المركزية رغم اتجاهاته اليسارية . ولم يخفى فى انتخابات الاقسام والمراكز كما حدث مع الدكتور ابراهيم سعد الدين ومع كاتب هذه السطور ، كانت الرغبة مازالت قائمة فى منع اليساريين من الوصول الى مراكز المسئولية القيادية .

ويقول شعراوى ان الانتخابات بعد ذلك قد تمت دون توجيه او تدخل فى اختيار بقية الاعضاء .

ويقول أيضا ان جمال عبد الناصر كان ينوى تغيير أقدمية أعضاء اللجنة التنفيذية نبعاً للاصوات التى يحصلون عليها . ولكنه بعد ظهور النتيجة تراجع عن ذلك (حتى لايزعل أنور السادات) على حد تعبيره .

### خلافات على المسرح

كان هناك حرص على ان تدور الخلافات بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الكواليس ولا تظهر مطلقاً أمام الجماهير . كانت أزمة مارس ١٩٥٤ استثناء فجرت استقالة محمد نجيب . . . ثم مضت الامور بعد ذلك فى مظهر يوحى بالوحدة والاتفاق وتقدير زعامة جمال عبد الناصر .

لم يعرف الناس ان هناك خلافا بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر . . ولم يطلع احد على دوافع استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف اليفغادى ثم حسن ابراهيم . كل الخلافات دارت فى الكواليس . . ولم تظهر أبداً على خشبة مسرح الحياة السياسية .

ولكن الهزيمة غيرت هذا الاسلوب .

محاكمة ضباط مجموعة المشير أسقطت القناع عن الوجه القبيح للثورة . . وأظهرت كثيراً من الاخطاء والانحرافات . . وكشفت ان عدداً من المسئولين عن حماية الاستقلال الوطنى فى القوات المسلحة كانت قلوبهم

تميل الى الولايات المتحدة رغم دورها البارز في التحضير للعدوان والمساهمة فيه بمساعدة اسرائيل ،

ولم تتورع الصحف عن نشر أنباء المحاكمات ، والتشهير بما دار فيها من وجهات نظر مختلفة .

ومع ذلك عندما تماذى أحد الكتاب - موسى صبرى - في التعليق على محاكمة عباس رضوان . وقال ان حقيقه النفوذ الضائع تظهر ( ان ماخفى كان أعظم ) . نقل من جريدة الاخبار الى جريدة الجمهورية كاتباً بعد ان كان رئيساً للتحريير .

يبدو أن الهزيمة قد غيرت من أسلوب المواجهة فلم تعد كلمات التجريح الصريح تحمل لصاحبها الا تغيير موقعه مع الاحتفاظ بقلمه وحقه في الكتابة . . بعد أن كان البعض يبعد تماماً عن مجال الصحافة ويقصف قلمه لغير سبب رغم انه صديق للثورة في اتجاهها الرئيسي وهدفها الاجتماعي . . كما حدث في جريدة الجمهورية عام ١٩٦٤ أيام تولي رئاسته مجلس ادارتها حلمي سلام ونقل منها الى مؤسسات غير صحفية عدد من كبار الكتاب والصحفيين مثل عبد الرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن الخميسي . ونعمان عاشور وسعد الدين وهبه ومحسن محمد وغيرهم .

وكما حدث عام ١٩٦٦ أيضاً للدكتور رشوان فهمي الاستاذ بكلية طب الاسكندرية ونقيب الاطباء عندما خطب في حفل أقامته النقابة ، وقال فيه ان الذين يقارنون بين قصر العيني وقناة السويس عليهم أن يوفروا لقصر العيني من الأموال ما هو متوافر لقناة السويس ، وكان يلمح دون تصريح لكلمات قالها جمال عبد الناصر في معرض نفذه لتخلف الحال في القصر العيني وما يزرع تحته من اهمال وقذارة .

ورغم ان الدكتور رشوان فهمي كان أحد أساتذة جامعة الاسكندرية الذين بادروا بالاتصال بنا في منطقة الاسكندرية فور وقوع الحركة العسكرية وبأدب بارسان برقية تأييد ، وبقي يحتفظ بعلاقات ودية مع قادة الثورة لسنوات طويلة .

رغم ذلك . . ورغم علاقات صداقة خاصة كانت تربطه بعبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم وشمس بدران فإنه قد صدر قرار جمهوري بوضعه تحت الحراسة ، وإبعاده عن منصبه في كلية طب الاسكندرية . وتبين بعد الحراسة انه لا يملك مليماً في البنوك ، وانه يعيش في شقة متواضعة الاثاث ، وانه معروف عند الناس جميعاً انه رجل شريف وصريح معاً .

لم يكن هناك مبرر لصدور هذا القرار العصبى . وقد قصدت الى المقارنة بين أسلوبين . . أسلوب لم يكن يتحمل كلمة نقد قبل الهزيمة . . وأسلوب يرتضى الصبر على كلمات التجريح بعدها . ليس هذا فقط .

قال لي فتحي غانم ان على صبرى قد اتصل به ، وكان حريصاً على توفير كل وسائل الراحة النفسية لموسى صبرى في جريدة الجمهورية . . كما



أكد لى موسى صبرى حسن معاملته خلال هذه الفترة .  
وكان الاتحاد الاشتراكي بشكيله الجديد قد بدأ يلعب دورا بارزا  
فى توجيه الامور ، وساعد على ذلك سيطرته الفعلية على الصحف عدا  
جريدة الاهرام .

كان محمد حسنين هيكل قد نولى مسئوليه اداره مؤسستى الاهرام  
وأخبار اليوم رغم تنافسهما التقليدى ، وميل هيكل الطبيعى الى مؤسسته  
التي باشّر تطويرها .

وحرص هيكل على ان يبدو فى مظهر الحياد أثناء اداره المؤسستين ،  
بل انه حرص على منح موسى صبرى علاوة شهرية كبيرة باعتبارها أحد  
رؤساء تحرير الاخبار ، وذلك ضمن علاوات أعطائها لعدد من محررى أخبار  
اليوم .

وأذكر خلال هذه الفترة - وكنت مازلت عضوا فى أمانه طليعة  
الاشتراكيين - اننى دعيت الى مكتب سامى شرف حيث وجدت هناك الزميل  
حسن فؤاد وكان مرتبطا فى التنظيم الطليعى بمنير حافظ أحد مديري مكتب  
سامى شرف .

عرض سامى علينا فرارا أصدره محمد حسين هيكل بإبعاد عدد من  
الزملاء عن مؤسسة أخبار اليوم وفى مقدمتهم سعد كامل وصلاح حافظ  
وآخرين جعلتهم حوالى ٢٠ كاتباً وصحفيًا .

ولما طلب سامى الراى رفضنا مجرد فكرة قبول ابعاد الصحفيين عن  
العمل الصحفى .. واستجاب سامى لذلك واتصل بجمال عبد الناصر الذى  
أوقف قرار محمد حسنين هيكل الذى كان قد سافر فى نفس اليوم فى  
رحلة الى الهند والشرق الأقصى .

وكانت أجهزة الاتحاد الاشتراكي قد تحركت لرفع يد هيكل عن أخبار  
اليوم ، ونجحت فعلا فى ذلك ، حيث صدر قرار تعيين محمود أمين العالم  
رئيسا لمجلس ادارتها .

عادت الى على صبرى مسئولية الاشراف على الصحف وتوجيهها خلال  
قيادات عينها وارتضاها .. محمود العالم مسئولا عن صحف أخبار اليوم فى  
الوقت الذى استمرت فيه عضويته فى أمانة طليعة الاشتراكيين ... وفقضى  
غانم فى مؤسسة الجمهورية أو دار التحرير .. وامتد ذلك الى روز اليوسف  
عندما عين كامل زهيرى رئيسا لمجلس ادارتها بعد أحمد بهاء الدين فى الوقت  
الذى بقيت فيه رئيسا لتحريرها ، متعرضا لأساليب صغيرة من الادارة  
الجديدة .

وبدأت الخلافات تظهر على خشبة المسرح فى هذه الصراعات الفكرية  
التي ظهرت على صفحات الصحف .

وقع خلاف آخر بين الاهرام وهيئة المخابرات العامة عندما صدرت  
الاهرام يوم ١٣ اكتوبر ١٩٦٨ وفيها مقال افتتاحى فى الصفحة الاولى تحت  
عنوان ( واقعة خطيرة ) يتحدث عن اعتقال نياؤه أمن الدولة والمخابرات لمدير  
مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالاهرام نتيجة بلاغ من اللواء جمال

عسكر مدير الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء الذي اعتبر ان مدير مركز  
الاهرام قد خالف القانون بتبليغه معلومات محظورة الى احدى الشركات  
اليابانية .

وقد انارت الاهرام اعراضات شتى على سلطة الجهاز المركزي للتعبئة  
والاحصاء ، وعلى أسلوب الاعمال وزوار الفجر ، وعلى عدم وجود حدود  
مرسومة لجهاز المخابرات . مطالبه بأن يكون الحبس الاحتياطي والاعتقال  
في أضيق نطاق ومحاطا بكافة الضمانات .

وكانت هذه المقالة تعتبر أول مقالة تهاجم علنا وصراحة جهاز المخابرات  
.. وهو أمر ماكان يمكن ان يحدث بهذه الصورة قبل الهزيمة .  
ويجدر بالذكر ان مقال الاهرام قد أشار الى ان مدير المركز لم يتعرض  
الى أى نوع من الضغط أو التعذيب .

وانبرى أمين هويدى الذى نولى هيئة المخابرات العامة الى جانب وزارة  
الحربية ثم وزارة الدولة بعد الهزيمة بالرد على الاهرام موضحا ان الاعتقال  
والتحقيق قد نما بأمر النيابة ومعرفتها ، وأن جهاز المخابرات لم يرق سوى  
بمهمة جمع الأدلة وتقديمها لنيابة أمن الدولة .

وأوضح فى رده تمسكه ببيان ٣٠ مارس الذى أعلن تصفية مراكز  
القوى وحماية الثورة فى ظل سيادة القانون من أعدائها الخارجيين  
والداخليين .

الظاهرة البارزة فى هذا الصراع الحواري انه يعطى دلالة على أن النقد  
حتى لأكثر الأجهزة خطرا لم يعد أمرا محظورا .. ويقدم برهانا أيضا على  
أن محمد حسنين هيكل كان يحارب فى أكثر من جبهة .

وبعد أيام من نشر هذا النقد العنيف ، ورد أمين هويدى الذى قام فعلا  
بتصفية هيئة المخابرات من كثير من الأساليب الفذرة التى كانت تلجأ اليها  
والتي لاتعتبر شيئا قبيحا فى مخابرات العالم كله تقريبا .. بعد أيام  
نشر محمد حسنين هيكل مقالين بناريج ١٨ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٦٨ فى الاهرام  
يدعو فيها الى ( المجمع المفتوح ) ومحمود امين العالم يرد عليه بمقالات أخرى  
فى أخبار اليوم مناقشا فكرة المجتمع المفتوح فى الدول الاشتراكية .

عدد من السياسيين مثل ضياء الدين داود والدكتور محمد انيس  
وعبد الهادى ناصف يكتبون فى جريدة الجمهورية مقالات مضادة للآراء التى  
ينشرها هيكل فى الاهرام

تراشق الآراء كان يعبر أمرا جديدا فى حياة السورة .. ومظهرا من  
مظاهر الانفتاح النسبى الذى يفرضه الهزيمة .

كان محمد حسنين هيكل هو الكاتب الوحيد الذى أعطيت له فرصة  
الكتابة دون رقابة مطلقا ، وذلك لصلته الوثيقة بعبد الناصر ... ولكنه  
أصبح الآن معرضا للكلمات ومقالات النقد .. بل ان لجان الاتحاد الاشتراكي  
لم تكن تنورع عن مناقشة مقالات هيكل أسبوعيا .. ومعارضة ما فيها من  
اتجاهات اعتبرها البعض مؤثرة على صلابة الجبهة الداخلية ، ومضعفة للروح  
المعنوية . وباعثة على مملأة حكومة الولايات المتحدة تحت شعار ( محاولة  
تحييد أمريكا ) .

ولم يكن هذا الصراع العلني أمرا يمكن ان يمضى بغير دلالة .. فمحمد حسنين هيكل قريب الى جمال عبد الناصر الى الحد الذى لم يكن خافيا على أحد .. ومقالاته فى مضمونها ان لم تكن معبرة عن رأى عبد الناصر شخصيا فهى بمثابة مجس يتعرف على حقيقة نبض المجتمع وردود الفعل فيه . ولذا طفا الخلاف بين الاتحاد الاشتراكي ومسئوله القوى على صبرى وبين محمد حسنين هيكل الى السطح .. وأصبحت المبارزة بينهما مشهدا تتابعه الجماهير المرتبطة بالسياسة وتعلق عليه . ودفع هذا الموقف محمد حسنين هيكل الى الاستهانة بفكرة التنظيم السياسى مقتنعا بأن تأثير شخصية الزعيم خلال أجهزة الاعلام هو أشد تأثيرا واعمق نفوذا .

لم يجد هيكل فى الانحداد الاشتراكي تنظيما مقنعا له رغم اقتناعه به من الناحية الشكلية .

كان هيكل متأثرا أو مؤثرا فى جمال عبد الناصر بما رواه لفؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) حول دور الحزب والتنظيم السياسى عندما قال : (ان وسائل المواصلات أثرت الى حد ما فى مفاهيم دور الحزب .. ان لينين عندما أنشأ الحزب كان يستهدف أمرين : الاول أن ينقل الحزب عبر كوادره أفكار القيادة الى القواعد ، والثانى ضمان استمرار قوة الجماهير المنظمة ونوجيها بحيث تكون حامية للسلطة بعد الاستيلاء عليها .. وعبد الناصر لم يكن يحتاج الى ذلك لانه باستمرار - على عكس لينين أمام الجماهير يخاطبها ويوجهها ، وعندما لا يكون أمامها ، يتوجه اليها ساعة يريد عبر الاذاعة والتليفزيون .. ولقد حرك الجماهير فى معظم ارجاء الوطن العربى بالمخاطبة الاذاعية .. وأسقط حلف بغداد بالكلمة المذاعة على الهواء وأزرق الوجود الاستعمارى البريطانى فى الجنوب العربى بالكلمة المذاعة ايضا ، وليس بوساطة القيادات الحزبية التى كانت تنتقل من مصر الى الجنوب العربى ) .

ويتابع هيكل شرح رأيه قائلا : ( كانت لعبد الناصر القدرة على تعبئة الجماهير عن غير طريق الحزب ولو أن العناصر المثقفة ساعدته على انشاء الحزب المطلوب لما كان تأخر فى التجاوب مع تلك العناصر .

(وفى أى حال كان رأيه ان تعبئة الناس بالانجازات أكثر فعالية من تعبئتها عن طريق الحزب) .

هكذا كان يفكر محمد حسنين هيكل .. وسواء كان متأثرا أو مؤثرا فى عبد الناصر فإن الحقيقة أن المنقذين الثوريين لم يترددوا لحظه فى التجاوب مع عبد الناصر فى محاولته لتكوين (طليعة الاشتراكيين) بل ان حزبه الطبقة الصاملة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى والحزب الشيوعى ( قد اتخذوا قرارا بحل تنظيميهما وهو حدث نادر وغير متكرر فى تاريخ الحركة الشيوعية ثقة منهما فى أن عبد الناصر كان مخلصا فى تبنيه لفكرة ( طليعة الاشتراكيين ) أو الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكي . ولكن يبدو ان الامور كانت تمضى فى غير هذا السبيل .. فالحكم

الابوقراطى الفردى لايرحب بسكون حزب يحد من صلاحيات الحاكم المطلقة .

وصحيح ان كثيرا من الانجازات الهائلة قد تمت فى غير وجود حزب . ولكنها أصبحت كالبناء الذى يقوم بلا حارس . . يمكن ان يتسلل اليه اللصوص من الرجعيين .

ولم يمض هذا الخلاف على صفحات الصحف وحدها . . ولكنه اتخذ أحيانا صدمات شرسة . . فقد اعتقل الدكتور جمال العطيفى لمدة عشرة أيام وعندما أثار الزميل الكاتب الصحفى صلاح حافظ هذا الموضوع فى اجتماع الانحاد الاشتراكى فى قسم النبل منسائلا عن أسباب اغفال العطيفى كان نصيبه الاعتقال أيضا فى معتقل القلعة لمدة سبعة أيام .

أذكر انى لجأت الى شعراوى جمعة وزير الداخلية محتجا على اعتقال الزميل الصديق ، فاذا بى ألقى منه وعدا بسرعة الافراج دون تعليل مفسح لاسباب الاعتقال .

وانى ذهب الى محمد حسنين هيكل مستفسرا عن أسباب الاعتقال باعتبارهم قريبا من جمال عبد الناصر وأن أحد المعتقلين يعمل معه فى مؤسسة الاهرام ، فوجدته لا يخفى دهشته مما حدث ولا يجد له تفسيراً .

وهكذا فام بناء الانحاد الاشتراكى فى بعض جوانبه على ديموقراطية غير سليمة مستهدفا الزام أعضائه دون البحث الجاد فى تقديم ما يؤدى الى حسن التزامهم .

أبرز ما قام به المؤتمر الاول للاتحاد الاشتراكى فى تنظيمه الجديد هو إعادة تعريف العامل والفلاح والذى ينص على أن يكون العامل غير منتميا الى نقابة مهنية ولا متخرجاً فى الجامعة أو المعاهد العليا أو الكليات الحربية ، وأن يكون الفلاح هو من يمارس الزراعة ولا يملك هو وأسرته أكثر من ١٠ أفدنة .

وجاءت هذه التعريفات خطوة فى سبيل تحديد نوعية العامل والفلاح بعد أن كانت تعريفات مؤتمر ١٩٦٢ تسمح لبعض الفئتين وخريجي الجامعات والاضباط أن يرشحوا أنفسهم بصفتهم عمالا . . وأن يجلس تحت عباءة الفلاح من يملك ٢٥ فدانا .

كان هذا التغيير دليلا على أن الرغبة فى تغيير الميثاق وتطويره الى مزيد من التقدم فكرة قائمة وموجودة ،

والواقع أن موقف هيكل الذى جعله يستخف بالاتحاد الاشتراكى ولا يحاول وصف العلاج السليم له هو موقف لم يكن يستند الى حقيقة واقعية او علمية . . فمهما عظم سحر شخصية الزعيم واشتد تعلق الناس به ، فان هذا لا يبنى مطلقا عن ضرورة التنظيم الملتزم الذى يعبى الجماهير ويحشدنا وينال ثقتها ويعبر عن ارادتها .

والاستناد الى شخص - أيا كان هذا الشخص - لا يمكن أن يعتبر فى ذاته كافيا لاستمرار الثورة . . وأمامنا مثال واضح فى حياة جمال عبد الناصر شخصيا . . فما أظن ان سوريا قد شهدت مظاهرات وهتافات من

القلب تحيط بزعيم مثلما أحاطت بعبد الناصر خلال فترة الوحدة ٠٠ ومع ذلك وبعد ان رفعت الجماهير عربنه فوق الاكتاف في حلب عادت بعد سنوات فآخذت موقفا سلبيا من سقوط نظامه دون مقاومة نفريبا بانقلاب عسكري محدود لم تلعب الجماهير فيه دورا مؤثرا للدفاع عن وحدتها وارادتها التي تعتبر شديدة التأييد والثقة بعبد الناصر اذا أخذنا مظهرها وهي تتظاهر وتحشد وتهتف له .

كان الخلاف الذي يدور على خشبة المسرح معبرا عن وجود تناقض فكري أصيل بين الاتحاد الاشتراكي الذي كان يعتبر يحكم تكوينه وارباطه بالجماهير وحرصه على ان يظهر في مظهر المعبر عن ارادتها اكثر يساريه من أجهزة الدولة الاخرى ٠٠ وبين الاتجاه المبتعد عن التنظيم المستخف بدوره، المستمد لقوته من السلطة وليس من الجماهير .

وقد وقف هيكل موقفا مضادا في مقال نشره في ديسمبر ١٩٦٨ من محاولة انشاء مجلس أعلى للصحافة في الاتحاد الاشتراكي .

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد  
كان هناك خلاف آخر أظهرته انتخابات اللجنة التنفيذية العليا التي وضعت على صبرى في المركز الاول وأنور السادات في المركز الرابع .  
كان أنور السادات بعيدا فعلا عن موقع المسؤولية في الاتحاد الاشتراكي ، ولم يسهم خلال عمله في مجلس الامة بدور مؤثر في تنظيمات الاتحاد .

ولكن أقدميته في مجلس الثورة لم تكن تسمح له بقبول التراجع الى المركز الرابع في اللجنة التنفيذية العليا ٠٠ ولذا أراد الانسحاب من العمل السياسي ليستقر في قريته ٠٠ ولكن عبد الناصر أقنعه بالبقاء .  
وهكذا تولدت خميرة تناقض نفسى حاد بين أنور السادات وعلى صبرى .

ولعب جمال عبد الناصر دور حامل الميزان في هذه اللعبة ٠٠ يثقل كفة الشخص الذي يريد في الوقت الذي يريد .

أعطى لأنور السادات مسئولية اللجنة السياسية في الاتحاد الاشتراكي اما على صبرى فقد أعطى مسئولية أمانة اللجنة التنظيمية ، وبدأ يكلفه ببعض المسئوليات السياسية الخاصة التي لم يمتد تكليفه بها من قبل .

كان التناطح واضحا وشديدا بين هذه الشخصيات الرئيسية الثلاث .  
أنور السادات وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل .  
أنور السادات يستند الى تاريخه القديم وصلاته الطيبة وعلى صبرى يستند الى أجهزة الاتحاد الاشتراكي ومحمد حسنين هيكل يستند الى علاقته الوثيقة بعبد الناصر والى مقالاته التي كان يتابعها الناس بكل تأكيد .  
وكان يجمع الثلاثة في تناقضاتهم ولاء كامل لجمال عبد الناصر .  
لا يستطيعون أن يخرجوا عن حدوده . فلم يكن أحد منهم ليجرؤ على اتخاذ

موقف خلاف حاد لان معنى ذلك نهاية لدوره السياسى ٠٠ وخروج زكريا محيى الدين لم يكن بعيدا عن أنظارهم ولا يمكن القول بأن هذا الخلاف كان محصورا فى دائرة المنازعات والمنافسات الشخصية ٠٠ ولكنه كائن تعبيرا عن واقع اجتماعى ورؤية سياسية ٠

والى جانب هذه التناقضات الرئيسية فى قمة السلطة كانت هناك تناقضات ثانوية ٠

لم يكن على صبرى مطلق السراح والصلاحيات فى الاتحاد الاشتراكي بل كان الى جانبه بعض الذين وثق بهم جمال عبد الناصر من رجال الصف الثانى ، وفى مقدمتهم شعراوي جمعة أمين طليعة الاشتراكيين والذي كان يملك من النفوذ ما يتيح له الوقوف مع على صبرى فى صف واحد ، ولكنه لم يغامر باللجوء الى مناطحته بل حرص على أن يلعب دور (الشخصية المقبولة) من جميع الاطراف ولو أن هذا لاينفى أنه لم يكن يعطى ولاءه الكامل لعلى صبرى أو أنه كان يشكل معه فريقا متجانسا رغم تأكيد شعراوي على أنه لم يكن هناك بينهما تنافس سياسى وأنه كان يحمل احتراما وتقديرا لافكاره التي لم تكن تتناقض مع أفكاره ٠

وكذلك كان سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، الذى كان مسئولاً فى أمانة طليعة الاشتراكيين ، ومسئولا فى الاتحاد الاشتراكي عن منطقة شرق القاهرة (هليوبوليس والحلمية والزيتون ومدينة نصر وغيرها) وهى منطقة ازداد التركيز عليها لتبدو فى صورة المنطقة النموذجية من ناحية العمل السياسى ٠٠ وكان نفوذ سامى شرف نابعا من (موقعه الجغرافى) ان صح التعبير ٠٠ أى من مكنته الذى كان يطل من على غرفه نوم الرئيس ويستطيع ان ينصل به فورا وفى أية لحظة ٠

هذه التناقضات الثانوية لم تجعل من الاتحاد الاشتراكي تنظيما صلبا متجانسا ، وانما أدخلت اليه نوعا من صراعات المايك امتدت الى المحافظات أيضا فى صورة تناقضات كثيرة بين عدد من المحافظين وأمناء الاتحاد الاشتراكي فى محافظاتهم.

كان بعض المحافظين فى أبهة السلطه الاداريه لا يطبقون تدخل أمناء ولا أجهزة الاتحاد الاشتراكي فى أعمالهم.

وفى هذا الجو المشحون بالخلافات الرئيسية والفرعية ، كان جمال عبد الناصر يعطى تركيزه الاول على بناء القوات المسلحة ، ولكنه لم يغفل أبدا عن القطاع المدنى ، مهتما أشد الاهتمام بكل ما يتعلق بأمن الثورة ٠ وهو الامر الذى كان يتزايد حتى حوصرنقارير الأجهزة المختلفة التى تحولت عنده الى منظور لا يرى المجتمع الا خلاله ٠

وكان هذا فوق مناطيقه فدره فرد واحد ، سبق له أن أصيب بمرض السكر خلال فترة الأزمة التى قامت بين الثورة المصريه والثورة العراقيه فى عهد عبد الكريم قاسم ٠

ولذا كانت تتم بعض الاجراءات بطريقة لا يجد أقرب المقربين اليه لها تفسيراً مقنعا ٠٠ مثل اعتقال الدكتور جمال العتيقى وصلاح حافظ ٠٠٠ . ووضع الدكتور رشوان فهمى تحت الحراسة ٠

ومثل هذا الاجراء الذى سمي فيما بعد باسم (مذبحة القضاء) والذى  
أفضل ان أسميه ( معركة العدالة ) .

## معركة العدالة

كانت معركة العدالة من أهم معارك الخطوط الخلفية التى ظهرت على  
مسرح الحياة السياسية

فوجئ الناس يوم ٣١ أغسطس ١٩٦٩ بصدر أربعة قوانين : ٨١ -  
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ باعادة تشكيل الهيئات القضائية وتعديل قانون مجلس  
نادى القضاة ٠٠ وقبول استقاله محمد ابو نصير ونمين مصطفى كمال  
اسماعيل وزيرا للعدل .

وعندما اعيد تشكيل الهيئات القضائية من جديد تجاوز التشكيل  
١٨٩ من رجال القضاء من بينهم رئيس محكمة النقض ، ١٥ مستشارا  
بمحكمة النقض ، وأعضاء مجلس ادارة نادى القضاة .

المظهر الذى تمت به هذه العملية كان يوحي بأن شيئا خطيرا لابد وان  
يختبر فى جهاز القضاء ،

واللجنة التى شكلت كانت من قمة السلطة ٠٠ يرأسها أنور السادات  
وتضم كلا من شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف والمستشار عمر  
الشريف المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية .

وكانت القضية المطروحة على اللجنة تحمل جذورا تاريخية . فالتطهير  
لم يقترب من القضاء طوال عهد ثورة يوليو . وحادث الاعتداء على السنهورى  
رئيس مجلس الدولة كان دائما بمثابة النور الاحمر الذى يحذر من اعتداء  
جديد ٠٠ والقضايا التى كانت تحتاج الى رؤية واحكام سياسية - من وجهة  
نظر الثورة - أوكلت الى محاكم خاصة رأسها بعض أعضاء مجلس قيادة  
الثورة مثل محكمة الثورة برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية أنور السادات  
وحسن ابراهيم ومحكمة الشعب لمحاكمة الاخوان المسلمين برئاسة جمال  
سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ثم المحاكم العسكرية التى حاكت  
الشيوعيين وغيرهم من السياسيين ورأسها ضباط من الجيش كان أشهرهم  
الفريق محمد فؤاد الدجوى .

وبعض الذين أدبوا مسبقا فى الخطب العامة أو الصحافة ومنهم محمد  
السمنى وكيل وزارة الزراعة ، ورئيس مجلس ادارة شركة المجمعات  
الاستهلاكية ، وصلاح الفقى الذى سلطت عليه الاضواء باعتباره مسئولا عن  
اغتيال الشهيد صلاح حسين فى كمشيش ٠٠ كل هؤلاء أصدر القضاء حكما  
بتبرئتهم رغم اتهامهم علنا واتخاذهم مثلا للفساد حتى فى بعض خطب جمال  
عبد الناصر ٠٠ ومع ذلك لم يتخذ اجراء ادارى واحد نحو أحد من القضاة أو  
المستشارين ٠٠ ولم ينقض حكم أية محكمة .

اذن لم تكن للقضاة الثورة مشكلة .  
ولكن الميثاق كان ينص على أن رجال الجيش والشرطة والقضاء لهم  
مكان فى الاتحاد الاشتراكي .

ورغم ان هذا النص لم ينفذ وبقي اعضاء هذه الهيئات الثلاث بعيدين عن الانضمام رسميا للاتحاد الاشتراكي ، الا أن على صبرى قد عرض لهذه المشكلة في سلسله مقالاته التي كان ينشرها في جريدة الجمهوريه ، فكتب خمس مقالات عن تصوره لانضمام القوات المسلحة انتهت يوم ١٧ مارس ١٩٦٧ لتبدأ تسع مقالات عن تصوره لانضمام رجال القضاء ، كما أعطى تصريحاً للاهرام نشر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٦٧ قال فيه ( على ان يكون للقضاء تنظيم سياسى خاص ) .

ومضت المقالات بلا أثر ايجابى حتى حدث العدوان وقعت الهزيمة في شهر يونيو ، وأوقف نشر الكتاب الذى ضم هذه المقالات كما سبق ان ذكرت .

والحقيقة ان هذه المقالات قد كتبت بايحاء من جمال عبد الناصر لاحداث صدمة فى المجتمع يتبين بعدها ردود الفعل ، ويكتشف الطريق الصحيح بعد تعديل الميثاق الذى كان مفروضاً ان يتم مع حلول عام ١٩٨٠ ولذا فقد وجد بين القضاة من يؤيد فكرة الانضمام للاتحاد الاشتراكي ووجد من يعارض الفكرة

وكان بدوى حمودة الذى عين رئيساً للمحكمة الدستورية على سبيل المثال من الذين انضموا للاتحاد الاشتراكي معتبراً انه تنظيم قومى وليس حزبياً .. وان ذلك لا يتعارض مع استئصال القضاء .

ويقول المستشار صادق المهدي الذى كان يشغل منصب وكيل مجلس نادى القضاة . كما ورد فى كتاب الزميل عبد الله امام (مذبحة القضاء) انه أثناء نشر هذه المقالات عقد مجلس ادارة النادى اجتماعاً للمناقشة انتهى الى الموافقة على انضمام القضاة ولكن بطريقة تجعل انضمامهم له مظهره واستقلاله الخاص .

ولم يحدث بعد ذلك مايمكن ان يفرض هذه المشكلة .. فجمال عبد الناصر قد استغرقته عملية إعادة بناء القوات المسلحة وتماسك المجتمع .. بل انه خطب في المنصورة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٨ قائلاً :  
(اننى لست ميلاً فى الوقت الحاضر لاشتراك القضاء أو القوات المسلحة أو الشرطة فى التنظيم السياسى) ،

ولكن الاتحاد الاشتراكي فى محاولته لفرض نفوذه أراد أن يقتحم - فيما يبدو - مجال القضاء أيضاً ، مستنداً الى تصرفات قام بها بعض القضاة خرجت بهم عن قدسيتهن واستقلالهم ، وأدخلتهم فى معترك السياسه الذى يتعرض فيه كل من يدخله الى المناصب والمصاعب والاجار ،

وكان السبب فى ذلك هو تعيين محمد أبو نصير وزيراً للعدل فى وزارة ٢٢ مارس ١٩٦٨ ، وهو شخصية غير محبوبه من رجال القضاء لانه انفمى فى العمل السياسى بعد أن كان فى مجلس الدولة ، وعين فى فترة ما وزيراً للتجارة ، وتصور البعض انه سوف يحمل معه تغييراً يجبر القضاة على الارتباط بالاتحاد الاشتراكي .

ورغم أن محمد أبو نصير قد نفى ذلك ، الا ان بعض القضاة قد اعدوا



بيانا دون معرفة أعضاء مجلس ادارة نادى القضاء او موافقته ، وأن هذا البيان قد نبل على الحاضرين فى اجتماع الجمعية العمومية للنادى يوم ٢٨ مارس ١٩٦٨ وأنه استقبل بالموافقة مع التصفيق الشديد وبعض كلمات البيان لا يمكن أن يعترض عليها أحد . . . فهى تدعو الى أن مأخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وأنه لابد من تأكيد مبدأ الشرعية الذى يعنى فى الدرجة الاولى كفالة الحريات لكل المواطنين وسيادة القانون على الحكام والمحكومين على السواء ، وضرورة سيادة القانون واستقلال القضاء . . . وبعض ماورد فيه يستحق المناقشة مثل ( رفض منح سلطة الحكم الى غير القضاة المنخصصين المنفرغين ) وهو رفض لمبدأ اشراك الشعب فى القضاء المعروف فى بعض دول الغرب بالمحلفين والمعروف فى الدول الاشتراكية . . . وكذلك رفض الانضمام للاتحاد الاشتراكي .

لم يتحرك الاتحاد الاشتراكي الحركة السياسية اللازمة لتهدئة القضية والاقتراب منهم ، وتأجيل أى خطوة نحو ربطهم بالاتحاد الاشتراكي الى ما بعد ذلك . . . وإنما بدأ كعادة أجهزة الامن بتثوب للانفضاض على اعداء قد لا يكونون موجودين وإنما يخلقهم خلقا .

وكان اتجاه الثورة وقتئذ يسمح باحضاض دعاء سيادة القانون ، بعد قرارات رفع الحراسة والعزل ومنع الفصل والافراج عن المعتقلين وكذلك فان الجمعية العمومية لمستشارى محكمة استئناف القاهرة المنعقدة يوم اول ابريل ١٩٦٨ قد اعترضت على بيان نادى القضاة عدا عضو واحد وأصدروا بيانا أعلنوا فيه ان بيان النادى يعتبر (خروجاً على حياد القضاء ومهمته) . . . واعتبروا أن بيان ٣٠ مارس هو المعبر عن آرائهم .

كما ان مجلس القضاء الاعلى قد اجتمع برئاسة عادل يونس رئيس محكمة النقض وتوجه أعضاؤه الى القصر الجمهورى حيث سـجـلوا ( تحيتهم وتقديرهم الى قائد النضال الوطنى الرئيس جمال عبد الناصر . . . وأشادوا بما جاء فى بيان ٣٠ مارس من كفالة حصانه القضاء ) .

كان ممكنا استغلال هذه المواقف والعمل على تصفية بذور الخلاف النابتة فى أرض القضاء . . . ليس بالاجراء الادارى ولكن بالعمل السياسى والمناقشة والاقتناع .

ولكن تطورت الامور بطريقة تدل على عجز الجهاز السياسى عن كسب ثقة المعارضين .

والموجود فى السلطة عنده دائما فرص اكبر للحوار والمناورة واتخاذ الاجراءات التى تتلاءم مع الظروف القائمة .

ولكن الاتحاد الاشتراكي ومحمد أبو نصير أكثر انتماء اليه من الانتماء الى رجال القضاء ، أهدر ذلك، وآثر ان يسلك سلوك أجهزة الامن فيقيم مجموعة من طليعة الاشتراكيين تضم بعض المقربين من رجال القضاء لينحركوا بطريقة سرية - كما كان متبعاً فى التنظيم حينذاك .

وانتهز البعض فرصة هذا التناقض فحاول ان يركب موجة الخلاف ليبدو فى مظهر المدافع عن حقوق المظلومين . . . مثل حلمى مراد الذى كان

وزيرا وأفشى بعض مداولات مجلس الوزراء التي أفسم على سريتها . واصل ذلك الى زميله محمد ابو نصير لم يجد سبيلا سوى كتابه نفيير ضده رنعه الى جمال عبد الناصر ، الذي استناره ماحدت واعبر أن مايقوم به بعض القضاء هو نوع من التخريب الذي صبر عليه سنه كاملة ، وأصدر قرارا يوم ٩ يوليو ١٩٦٩ بأعفاء حلمى مراد من منصبه الوزارى .

وقال لعل بور الدين أثناء حواراه معه (أنا هابص للجيش اللي بيحارب ولا لى عاوزين يعملوا لى بوره مضادة فى الداخل) ،

نعم . . . كانت حرب الاستنزاف بفرب من ذروتها ، وكان ممكنا ان تكون هناك بذور ثورة مضادة فى مجال القضاء اسفلتها بعض السفارات الاجنبية المعادية الى أعادت طبع بيان النادى .

ولكن القضاء عليها لم يكن أبدا بإدارة الراى العام حول فصل ١٨٩ فاضيا منهم رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدولة ورؤساء لبعض محاكم الاستئناف . . . والباس بحمل بصديرا خاصا للقضاء ولذا لايسهل اقناعهم بأن الاعداء عليهم كان نغادبا لتورة مضادة . والاجراءات الادارية كانت أسهل كثيرا بالنسبة لقيادة البورة حتى بعد الهزيمة .

أصدرت اللجنة التي شكلها جمال عبد الناصر هذه القرارات التي خلقت ١٨٩ شهيدا فى المجتمع فى وقت كان ينساقط فيه الشهداء الحقيقيون على ضعاف الفناة .

وهكذا أظهرت هذه التراجيديا السياسية التي ظهرت على المسرح واستمرت عليها التعلقات فمره طويلة ان قيادة البورة لم تستند كثيرا من خسة الهزيمة . . . وأن جمال عبد الناصر كان نائسا من المحبطين به الذين حولوا العمل السياسى الى صورة باهتة مما تقوم به أجهزة الامن ، ولم يحاولوا كسب مختلف الفئات بالعمل السياسى الناضح .

أسدل الستار على هذه التراجيديا السياسية ، ولكنها ظلت حديث المجتمع . . . ثبت ان بعض المعارك الداخلية التي لاتسيل فيها الدماء تكون أحيانا أشد تأثيرا من معارك القتال فى نفوس الجماهير .

ظهرت قرارات القضاء فى أول يوم من أيام سبتمبر ١٩٦٩ . . . نفس اليوم الذي انطلقت فيه الحركة العسكرية فى ليبيا لتسقط حكم الملك السنوسى وسنى الجمهورية العربية الليبية . . . وذلك فى الوقت الذي كان مجتمعا فيه ملوك ورؤساء ومندوبو دول المواجهة فى القاهرة . . . الملك حسين ونور الدين الأناسى وهوارى بومدين وجعفر نميرى وحردان التكريتى .

وكان نوافقا غربيا . . .

سبقت حركة القضاء ، الحركة العسكرية الليبية بيوم واحد واستغل جمال عبد الناصر من نفاير محمد أبونصير وأعضاء لجنة القضاء الى نفير الفريق أول محمد ووزى الذي أعده مع رؤساء أركان دول المواجهة

والذى ينتهى الى خلاصة نقول بأن دول المواجهة تكون جاهزة للمعركة خلال ١٨ شهرا .

مسئولية التحرير ندخل مرحلة حاسمة من الجديدة . والحركة العسكرية الليبية يمكن أن تمنح مصر عمقا استراتيجيا هائلا جهة الغرب ، كما منحها الحركة العسكرية السودانية فى ٢٥ مايو من نفس العام عمقا استراتيجيا جهة الجنوب .

والاندفاع الى المعركة كان يضى فى سرعة متزايدة ، منذ بدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفريق أول محمد فوزى .

### مرض عبد الناصر :

كان حارا صيف ذلك العام . . أمضى جمال عبد الناصر معظم الايام فى القاهرة قريبا من القيادة العامة للقوات المسلحة . . تعكر عليه اخبار الغارات الاسرائيلية المتزايدة الصعو والهدوء . . ويفقد بين حين وآخر ضابطا من الشباب الذين اعتاد أن يلتقى بهم فى مناقشات التحضير للمعركة .

قال لى اللواء حسن البدرى الذى عمل مستشارا عسكريا لجمال عبد الناصر ثم اشغل فى ميدان الصحافة والتأليف بجريدة الاهرام ومركزها للدراسات الاستراتيجية . . ان جمال عبد الناصر كان يحضر ندوات للقيادات المسئولة لمناقشة أخطاء ودروس عدوان ١٩٦٧ ، ومتابعة آخر التطورات فى فن وتكتيك الحروب الحديثة . . وان المناقشة فى هذه الندوات كانت تتميز بالصراحة المطلقة الى حد مواجهه الذين أخطأوا عام ١٩٦٧ بأخطائهم فى حضورهم . . وتحذيرهم من أى أخطاء جديدة

كان الجهد الذى يبذله جمال عبد الناصر أكثر مما يحتمله فرد حتى ولو كان فى عمر الشباب . . وجمال عبد الناصر كان قد تجاوز الخمسين ، وكان الاسلوب الذى اعتمد عليه فى نظام حكمه ينهض على أساس المركزية المطلقة ، والاعتماد الكبير على تقارير الأمن من شتى المصادر .

ولذا كانت يخلط أحيانا المواقف الوطنية الكبيرة ، بمواقف داخلية صغيرة . . وكان جمال عبد الناصر يلبس غالبا ثياب رجل الدولة المتمرس الذى نصقله التجارب والاحداث وخاصة بعد النكسة . . ولكنه أحيانا يظل فى ثياب البكباشى الذى يتعامل مع الآخرين فى حذر ، تؤرقه التقارير وتدفعه الى اتخاذ اجراءات لاتناسب مع شخصيته البارزة .

لم يدرك جمال عبد الناصر أن أمنه الشخصى وأمن النظام ينبع اساسا من المواقف الوطنية والاجتماعية الصلبة والمتقدمة . . وانما ظلت المخاوف والهواجس تحيط به ، وتدفعه الى تصرفات لاتخدم فى المدى الطويل أمن النظام ولا تبعث فى أنصار الثورة الاطمئنان .

ولذا أصاب الارهاق جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد تأثير مرض السكر عليه وتصلب الشرايين الذى عالج فى أغسطس ١٩٦٨ بمصحة تسخالطوبو فى الاتحاد السوفييتى وكان مفروضا أن يعاود السفر الى هناك فى نفس الوقت من العام التالى ١٩٦٩

ولكن تلاحى الاحداث وزحمها ٠٠ واختلاط المسئولية العسكرية مع نجوفا الامن ، والحد الشدد من الاشخاص المربين اليه وخاصة بعدما لمسه من صراع بين الشخصيات البارزة حوله ٠٠ وما كئسه من ضغوط فى اسبابات الاتحاد الاشتراكى كانت لاتخرج عن طاعته ، ولكنها لاتصل كامل ارادته ، ونظهر له عنصر منافسة يسدو كبرعم صغير امام سجرة باسفة .

كل هذه الاحداث ٠٠ والاخبار اليومية المتلاحقة عن حرب الاسنزاف ومؤمر فمة دول المواجهة ، وحركة الفانح من سبتمبر فى ليبيا ٠٠ احاطت عبد الناصر بجو من القلق والوتر وصل هذا القلق ذروته يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ عندما هاجم الاسرائيليون الزعفرانة كما اوضحت فى الباب السابق

وفى يوم ١٠ سبتمبر سقط جمال عبد الناصر فى القاهرة فريسة اول ذبحة صدرية واستدعى الى منزله فى هذا اليوم كلا من انور السادات والفريق اول محمد فوزى وشعراوى جمعة وامين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف حيث شكلت منهم لجنة للاشراف على شئون الدولة خلال فترة المرض التى منع فيها الاطباء جمال عبد الناصر عن الحديث أو الحركة أو مباشرة أية مسئوليته .

ويلاحظ أن على صبرى لم يسندع لمضوية هذه اللجنة . ولم تقتصر العناية الطبية على المصريين ٠٠ حضر الى القاهرة الطبيب السوفيتى الدكتور شازوف أخصائى امراض القلب الذى نصح بالفاء رحلة عبد الناصر الى تسخالطوبو ٠٠ فلم يعد القلب يحمل ٠٠ ونصح بالفاء فى الفراش لمدة ستة أسابيع مع ابطال التدخين والبعد عن التوتر ، ونشرت الاهرام خبر حضوره يوم ٢١ سبتمبر . كانت تعليمات الاطباء نعى النهاية لكل ما يحب عبد الناصر . . . مباشرة المسئوليات المختلفة بنفسه ، ومقابلة الشخصيات السياسية ، والتدخين أيضا .

وبقى المرض سرا لايداع مما اضطر جمال عبد الناصر الى مقابلة بعض الشخصيات وهو فى فراش المرض مثل بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن الذى هدد بالاستقالة اذا لم يقابل عبد الناصر وبابكر عوض الله الذى كان جعفر نميرى يدبر خطة لاجراجه من الوزارة وكان عبد الناصر يريد منه أن يكون صبورا فيقبل منصب وزير العدل الذى أعده له نميرى بعد أن كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة .

بقى الدكتور شازوف عشرة ايام فى مصر عاد بعدها الى موسكو . ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد اتصل به تليفونيا فى اليوم الثالث لمرضه ٠٠ وانه لم ينفذ تعليمات الاطباء بالبقاء ستة أسابيع فى الفراش فعاد الى ممارسة عمله فى اواخر سبتمبر .

ويقول أمين هويدى ان عبد الناصر لم ينقطع انقطاع المرضى عن مباشرة العمل ، فقد ظل على اتصال مستمر به .

ويقول شعراوي جمعة انه كان حريصا على عدم الانصال بجمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ، ومع ذلك كان يتلمى منه مكالمات تليفونية تحمل تعليماته وتوجيهاته .

وخلال الفترة القاسية للمرض ودون أن تعرف الجماهير شيئا عن الحالة الصحية للزعيم فوجيء القراء صباح يوم ٢١ سبتمبر بأخبار متيرة في جريدة الاهرام تقول ان وكالات الانباء الغربية نروج ان على صبرى كان يعد لانقلاب في مصر ، وان الاتحاد السوفييتى كان ضالعا فيه . وكانت الاهرام نفسها قد نشرت قبل ذلك بيومين أن لجنة التنظيم للاتحاد الاشتراكي بجمع (غدا) للبحث في موضوعات يتحتم البحث فيها قبل المؤتمر القومي .

ونشرت صحيفة الاهرام تفسير لما حدث جاء فيه ان على صبرى قد حمل أمتعة كثيرة في طريق عودته من موسكو خلال شهر يوليو وانها خرجت في أحد لوريات الانحاد الاشتراكي ، ولم تدفع عنها جمارك .

وقالت الاهرام ان تحقيقا قد بدأ في هذه الواقعة . وأن على صبرى قدرأى أن يدفع كل المطلوب منه للجمارك حتى على الامتعة التي لا يخصه شخصا ، وأن يضع استقالته تحت يد جمال عبد الناصر من جميع مناصبه .

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بأن يتولى شعراوي جمعة أمانة اللجنة التنظيمية بدلا من على صبرى الذى استمرت عضويته فى اللجنة التنفيذية العليا .

ونشرت الاهرام صورة للجنة الدائمة للاتحاد الاشتراكي برئاسة أنور السادات وحضور على صبرى وعبد المحسن ابو النور وليب شقر . وضياء الدين داود وشعراوي جمعة . وذكرت أن كمال ستينو لم يحضر لوجوده فى بلغاريا . وفى هذا الاجتماع تقرر قبول استقالة على صبرى وتعيين شعراوي جمعة بدلا منه . الامر الذى أقرته اللجنة المركزية فى أول اجتماع لها بتاريخ ٤ فبراير ١٩٧٠ .

كانت الاجراءات التي اتخذت ضد على صبرى دليلا على ان ثقة جمال عبد الناصر فيه قد تبددت نهائيا . وانه أثر تحطيمه بفضيحة تتصل بالسلوك . وهو الامر الذى يثير مشاعر الجماهير .

كان الاجراء مدبرا ومتعمدا ومنيرا لاكثر من علامة استفهام هل نجم أحد فى اثاره جمال عبد الناصر ضد مدير مكتبه الصامت والمخلص له طوال سنوات الثورة ؟

هل ارتكب على صبرى عملا أثار شكوك عبد الناصر لانه لم يبلغه عنه ؟

هل علت موجة احتجاج الذين سمطوا فى انتخابات الاتحاد الاشتراكي حتى جرفت المسئول الاول فيه ؟

هل صدق عبد الناصر ماقاله البعض من أن على صبرى كان يروج لخلافته وخاصة بعد مرضه ؟

هل أُر المرص على قرارات جمال عبد الناصر فجعلها تصدر في صورة عصبية ؟

المؤكد ان الحدث في ذاته - أى تمرير بضائع دون دفع جمارك - لم يكن ليؤدي الى هذا الاجراء العنيف . . . فكثير من ضباط النوبة والمهربين من السلطة قد قاموا بذلك بصورة معروفة ومتكررة

ولم يعرف عن جمال عبد الناصر انه حاسب واحدا من زملائه في المجلس على عدوانه على الاموال العامة

كما لم يعرف عنه انه قد اتخذ من التشهير العلنى سلاحا للقتل .  
ولم يكن أكثر الناس اقترابا من السلطة ينصرون ان على صبرى يمكن ان يعامل فجأة هذه المعاملة العظة

فال لى أمين هويدى انه عندما عرف النبأ اصل بجمال عبد الناصر قائلا له في دهشة : ( والله أنا مانا عارف حاجه ) .

وقال جمال عبد الناصر : ( احسن )  
واسأذن هويدى في زيارة على صبرى مع شعراوى جمعه ، ووافق عبد الماصر على ذلك

وعندما ذهب الانسان الى زيارته كان هناك طبيب القلب اللواء رفاعى كامل الذى ذهب لعياده خوفا عليه من الالم ربما كانت من معاودة الذبحة المدربة له وهى التى أصيب بها أثناء عودته جوا من رحلة الى نجع حمادى عتب الغارة الاسرائيلية عليها قبل ذلك بشهور .

وفى هذه الزيارة كان على صبرى في غاية الضيق . . . يكيل السباب بلا حساب . . . ونسبده به الدهشة من هذه المعاملة الشاذة .

طبعا لم يكن استغلال النفوذ أو التهرب من الجمارك هو السبب في توجيه هذه الضربة الفاضية للشخصية السياسية المؤهلة لقيادة العمل السياسى . . .

ويقول البعض ان ذلك كان نتيجة لما حدث في امانه القاهرة عندما بدمت فنانة معروفة متزوجة من أحد الصحفيين بتفجير قالت فيه ان بعض أعضاء أمانة القاهرة يتهمون على جمال عبد الناصر

وأصدر عبد الناصر أوامره باخراج أمين عز الدين وسامى الليثى من أمانة القاهرة ، وكذلك اخراج عبد المجيد فريد من أمانة رئاسة الجمهورية، وقصر عمله على الاتحاد الاشتراكى .

وذهب عبد المجيد فريد الى على صبرى يطلب منه أن ينفذ الامر في هدوء وعلى مراحل ، وليس دفعة واحدة ، ووافق على صبرى على رأيه . . . ولكن الامر بعد ذلك وصل الى جمال عبد الناصر وكأنه يكسر أوامره

ولعل خلافاً سامى شرف (التحتية) مع على صبرى كانت سببا في تجسيد هذه القضية .

وقال لى شعراوى جمعة ان صورة على صبرى ربما تكون قد اهتزت أمام جمال عبد الناصر عندما أبلغه حسين الشافعى بواقعة الجمارك التى عرفها من شقيقه الذى كان يعمل في الاتحاد الاشتراكى والتى تخلص فى

أن سكرير على صبرى مصطفى ناجى قد اتصل تليفونيا من موسكو وطلب  
عربة لورى سطر فى المطار لحمل الحفائب الكثيرة ، والاتصال بشركة مصر  
للطيران لتدفع العفش الزائد .

ويقول شعراوى ان على صبرى عندما علم بأن سكريره قد أرسل  
الاشارة طلب الغاءها . . ولكن بعد فوات الاوان .

ولما استنارت هذه الواقعة التى أبلغها حسين الشافعى حفيظه جمال  
عبد الناصر طلب شعراوى جمعةً مقابلته للتحدث معه فى هذا الموضوع  
قبل ظهوره فى صحيفة الاهرام . . ويقول ان عبد الناصر كان عاصبا وكان  
يردد ( ان على صبرى كان يعمل لى والآن يعمل معى ) . . وكان بذلك قد  
تجاوز حدودا رسمها عبد الناصر له .

صدر قرار ( كسر ) على صبرى بعد أن كانت الظروف قد أقصت  
من أمامه عددا من أخطر المنافسين .

انتحر المشير عبد الحكيم عامر ، وهو الذى لم يفسح يوما بأهميه  
الاتحاد الاشتراكي ، والذى اتخذ موقف العداء من منظمة النسياب التى أنشأها  
على صبرى .

واستقال زكريا محبى الدين وهو الشخصية المؤهلة بعد عبد الناصر  
فى تاريخ الثورة لتكون (رجل دولة)

كان الطريق مهيدا أمام على صبرى ليؤدى دور الرجل الذى لانصد  
المنافسة على النيل منه

ولكن أنور السادات وحسين الشافعى ومحمد حسنين هيكل كانوا من  
الشخصيات التى لايقبل من على صبرى أداء دور أكبر من طاقته . . كما أن  
شعراوى وسامى شرف كانا لايريدان الذوبان فى شخصية على صبرى  
كان التنافس واضحا ، وصراع القوى لا يهدأ

ولم يكن اخراج على صبرى - فى يعبى - رد ومن لحادث الجمارك ، فقد  
سبق ذلك تغييرات تعبر مؤشرا لنبه جمال عبد الناصر

كان قد أعاد حسن النهامى سفير مصر فى فينا لمدة سبع سنوات  
للعمل مستشارا له ثم أمينا لرئاسة الجمهورية فى ١٥ يوليو ٦٩ بدلا من  
عبد المجيد فريد الشخصية القريبة من على صبرى أيضا ، والذى ظل مع ذلك  
فى موقعه أمينا للاتحاد الاشتراكي بالقاهرة ، وسكرنرا جلسات مجلس  
الوزراء .

وحسن النهامى هو أحد الضباط الاحرار الذين كانوا يعملون فى  
ادارة المخابرات الحربية قبل الثورة ، وكان فى نفس الوقت مقربا من جمال  
عبد الناصر . . اشترك معه هو وحسن ابراهيم وكمال رفعت فى محاولة  
اغتيال اللواء حسين سرى عامر قبل أسابيع من قيام حركة الجيش .

وقد أبعد الى فينا بعد صدور قرارات يوليو ١٩٦١ لموقفه المصاد لها  
حيث كان يعتبر ان مثل هذه الاجراءات تعتبر انحرافا نحو الماركسية بعيدا  
عن الاسلام . . على حد تصريحه بذلك فيما بعد .

ولذا كان استدعاء جمال عبد الناصر له وتعيينه في هذا المنصب الحساس بدلا من شخصية كانت تؤدي دورا بارزا في العمل السياسي - عبد المجيد فريد - كان الاستدعاء يعتبر مؤشرا ودليلا على تعيين كان يخمر في صدر جمال عبد الناصر .

ربما أسرع المرض في اخراج قرار على صبرى الى العلانية . ولكن الموقف فيما يبدو لم يكن قاصرا على علي صبرى وحده ، ولكنه تجاوزه الى المرتبطين به ارتباطا سياسيا . الامر الذي يعطى ابعادا جديدة للموقف ، رغم محاولة الاهرام تفسير ذلك بأنه ثم نتيجة امور ادارية .

صدر قرار أيضا في نفس اليوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ باقصاء رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم محمود أمين العالم ، ولم يعين أحد بدلا منه الذي كلف من عبد الناصر بتنفيذ الامر . كان انور السادات الذي اعتمد على احسان عبد القدوس وموسى صبرى . وبقي اسم محمود أمين العالم مكتوبا على صحف الدار بنسط . صغير لا يكاد يقرأ الى أن عين رئيسا لمؤسسة المسرح .

كان انور السادات قد بدأ يؤدي دورا متزايدا في الحياة السياسية . ولم يعد له بين الرسميين من أعضاء مجلس الثورة منافس سوى حسين السامعي الذي ظل محتفظا بموقفه الفكري الذي لم ينطور مع تطور الثورة مثل انور السادات مصر في اجتماع القمة الاسلامي في الرباط . يوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ .

وفي يوم سفره نشرت صورته وهو يرأس اللجنة الدائمة بحضور علي صبرى في آخر اجتماع له بعد استقالته . ومما يذكر انه قد حدث خلاف في هذا المؤتمر حول تمثيل الهند التي سبق ان وجهت الدعوة الى رئيس جمهوريتها فخر الدين علي أحمد ولكن المؤتمر رفض قبول تمثيله رغم سفره للمغرب . وكانت هذه هي المرة الاولى بعد الهزيمة التي يقوم فيها انور السادات بتمثيل مصر في مؤتمر دولي تحضره ٢٥ دولة يمثل عشرة منها الملوك والرؤساء .

كما قام جمال عبد الناصر بتكليف انور السادات بعمل اجتماعات اسبوعية مع السفير السوفيتي سيرجي فينوجرادوف لمناقشة القضايا السياسية والتعرف على ابعادها ، ونفل صورة عنها الى جمال عبد الناصر حسب قوله في تصريحات مختلفة

وهكذا دخل انور السادات في دائرة المسؤولية العليا للعمل السياسي وخاصة بعد أن اقتصر عمله على اللجنة التنفيذية العليا بعد حل مجلس الامة في ٧ نوفمبر ١٩٦٨ بعد انتهاء اجتماعات المؤتمر القومي في دورته الثانية وتغيير تعريف العامل والفلاح ، قبل ان تنتهي مدته الرسمية بعدة أشهر . جرت انتخابات المجلس الجديد يوم ٩ يناير ١٩٦٩ وتغيرت معالم



المجلس الجديد فقد نجح من الاعضاء القدامى ٩٢ نائباً من ١١٧ رشحوا أنفسهم .

وتغيرت التركيبة الاجتماعية للمجلس .

وفى عام ١٩٦٤ كان هناك ٧٥ عاملاً - ١٠٨ فلاحين أما فى مجلس ١٩٦٩ فقد نجح ١١٩ عاملاً ، ٦٤ فلاحاً . وكان هذا دليلاً على أن فرص النجاح قد أصبحت أقل للفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة فدادين حسب التعريف الجديد للفلاح .

كما نجح ٢٣ نائباً من المنتمين للاتحاد الاشتراكى باعتبار ذلك شرطاً للترشيح ولكنهم لم يكونوا من مرشحي قيادة الاتحاد الاشتراكى وانتخب لبيب شفير رئيساً للمجلس الجديد . وافرغ السادات للمهام السياسية وكلف أنور السادات بالسفر مع محمود رياض وزير الخارجية ورفيق أول محمد فوزى الى موسكو يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ لمناقشة القادة السوفيت فى بعض القضايا السياسية والعسكرية .

أذكر اننى التقيت به قبل سفره وطلب منى اعداد ورقة له عن لينين وقضايا التحرر الوطنى) لانه ينوى مناقشة كادر الحرب الشيوعى السوفيتى فى موقف الشرق الاوسط . وأعددت له بحثاً مختصراً حول هذه القضية .

وبعد أيام من عودته وبعد ثلاثة شهور من اقضاء على صبرى ، وفى يوم سفر جمال عبد الناصر بعد شفائه الى مؤتمر الرباط يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ ، طلب عبد الناصر من أنور السادات وهو فى منزله ليرافقه الى المطار أن يحلف اليمين القانونية نائباً لرئيس الجمهورية .

قال لى حسين الشافعى انه كان حاضراً وقت حلف اليمين الذى تم بطريقة مفاجئة له ودون حضور مصور أو اتخاذ أى اجراءات رسميه . هذا رغم أن جمال عبد الناصر قد أبلغهما فى الليلة السابقة أنه سيعين نائباً لرئيس الجمهورية دون تحديد اسمه .

ويقول محمد حسنين هيكل الى فؤاد مطر فى كتابه ( بصراحة ) ان عبد الناصر عندما عين أنور السادات نائباً له كان بسبب معلومات وصلته ومفادها ان هناك مؤامرة لاغتياله فى الرباط خلال مشاركته فى مؤتمر القمة العربى الخامس . وهو مارواه لهيكل فى الطائرة .

سواء صح خبر المؤامرة أم لم يصح فقد اختار جمال عبد الناصر من بين زملائه أنور السادات ليكون نائباً له ، وبالتالى يكون أقرب المرشحين لرئاسة الجمهورية فى حالة وقوع القدر .

ولم يقتصر دور أنور السادات على الشؤون الخارجية فقط ، ولكنه أصبح الشخصية الرئيسية فى اللقاء مع الجاهير . عقد فى شهر يناير ١٩٧٠ اجتماعين مع قيادات الاتحاد الاشتراكى بالوجه القبلى والوجه البحرى حضرها عبد المحسن أبو النور ولبيب شفير وضياء داود وشعراوى جمعة .

ولذا فقد وافقت اللجنة المركزية دون تعقيب فى اجتماعها يوم ٤ فبراير ١٩٧٠ على استقالة على صبرى من أمانة لجنة التنظيم واستبداله بشعراوى جمعة . وذلك لما لمسته من تغيير فى أهمية الادوار التى يلعبها المحيطون بعبد الناصر .

وكان من أهم مظاهر معركة الصفوف الخلفية ما يرتبط بالناحية الاقتصادية والانجاهات التي فرصتها الهزيمة :

أولا - اصطدمت قضية التنمية المخططة منذ نهاية الحطة الخمسية الأولى بمشكلات حادة منها : أزمة شديدة في النقد الاجنبى منذ عام ١٩٦٣ وصلت لأقصى حد عام ١٩٦٥ بقطع اتفاقيات القمح الأمريكية والاضطرار لاستيراد القمح والدفع بالعملات الحرة ( ٦٠ مليون دولار سنويا ) ثم هجوم القوى المحافظة على التجربة ورفض أسلوب التنمية المخطط . واستجابة نظام الحكم جزئيا لهذه الدعاوى وتأجيل الحطة الخمسية الثانية ( وضع خطة لمدة سنتين انكماشية مع وزارة زكريا محيى الدين ورفع أسعار بعض السلع الغذائية مثل الارز )

وأخيرا بدء تقديم بعض التنازلات للرأسمالية الزراعية برفع أسعار السلع الزراعية .

ثانيا - ارتفع الناتج القومى الاجمالى فيما بين عامى ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٥ بمتوسط ٥٪ . ارتفع ما بين عامى ١٩٥٥ و١٩٦٥ بمتوسط ٦٪ سنويا ثم توقف الارتفاع فى عام ١٩٦٥ وأخذ فى الهبوط وبخاصة بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

ثالثا - حدث تدهور مطلق فى حجم الاستثمار الحقيقى بعد عام ١٩٦٥ وتؤكد هذا الاتجاه الانكماشى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . وهكذا تعثرت التنمية الاقتصادية منذ منتصف الستينيات وارتفع الدين الخارجى وأصبح التمويل الخارجى أكثر صعوبة فاضطر النظام لتخفيض الواردات وأصاب التخفيض مستلزمات الانتاج أساسا مما أضر بالصناعة . أما قيمة الواردات الغذائية فقد ارتفعت نتيجة لارتفاع أسعارها أساسا بمعدل ١١٥٪ سنويا فيما بين عامى ٦٤/٦٥ وعامى ٦٦/١٩٦٧ كما ارتفعت أيضا نتيجة للتوسع فى استيرادها اسكاتا لأصوات الطبقة الجديدة الساخطة .

رابعا - بعد الهزيمة كان لابد من تمويل اتفاق عسكرى متزايد . وكان أمام الحكومة أسلوبان : اما الحد من الاستهلاك وخاصة للطبقات القادرة وتخفيض الاستهلاك العام المدنى واما الاقتطاع من مخصصات الاستثمار . وقد اختارت الحكومة البديل الأسهل فنيا وسياسيا عن طريق التخفيض فى الموارد الاستثمارية ودون المساس بالاستهلاك الخاص والعام المدنى لتمويل عبء الزيادة فى الانفاق الحربى . فتحمل الاستثمار وعبء المعركة وهو بديل يحافظ على مصالح البرجوازية أساسا .

وقد انخفض الاستثمار عام ١٩٦٨ بمعدل ٥٠٪ عن مستواه سنة ١٩٦٧ واستمر الانخفاض بعد ذلك . وقد ترتب على الانخفاض المستمر فى حجم الادخار والاستثمار الانخفاض فى معدل تكوين الطاقة الانتاجية وبالتالي الانخفاض فى معدل زيادة الناتج القومى .

خامسا - انخفض الدخل الحقيقى للفرد فى العام الاول بعد الهزيمة بنسبة ٥٧٪ وتدهور استهلاك السلع الغذائية الأساسية (بالرغم من

المعونات الخارجية الكبيرة من الدول الاشتراكية بعد عام ١٩٦٧ لسند النظام المصري) وانخفض متوسط نصيب الفرد البومي من السعرات الحرارية من ٢٩٤٢ سعرا عام ٦٤/٦٥ الى ٢٨٩٦ سعرا عام ٦٨/٦٩ واجهت الاسعار للارتفاع . ومن جهة أخرى تصاعفت أرباح الرأسمالية فزائد عوائد الملك بمعدل ٨/٦٨ في العام الاول بعد الحرب ثم بمقدار ١١٣/ في العام الثاني وزادت أرباح الحار ومقاولي الباطن بنسبة ٣٩٪ ثم ٧٨٪ في اعوام ٦٨/٦٩ و ٦٩/٧٠ على التوالي . وهكذا فان المصحية نحلها أساسا الشعب العامل من استهلاكه .

سادسا - ان النمط الجديد لاستخدام الموارد بعد ١٩٦٧ لم يقتصر على الموارد المحلية بل امتد لتشمل موارد النعم الاجنبي النادرة . فقد تمت التصحية بموارد البعد الاجبي المتاحة للاستثمار والاستهلاك الوسيط (أي مسئوليات الانساج) اللازمة لتشغيل الطاقة الاناجية في المجمع وقد رتب على ذلك انخفاض الواردات من السلع الرأسمالية مما رتب عليه انخفاض معدل زيادة الطاقة الاناجية .

وانخفاض حجم الواردات من مسئوليات الانساج مما رتب عليه انخفاض تشغيل الطاقة الاناجية القائمة وظهور الطاقة العاطلة في كثير من الصناعات ووصلت الى ما يزيد عن ٦٠٪ من الطاقة الاناجية لبعض الصناعات مثل الصناعات الكيماوية والهندسة وصناعة الادوية .

وقد رتب على ماسبق انخفاض معدل نمو الانتاج الصناعي من ٨٥٪ سنويا خلال فترة الحطة الخمسية الاولى الى ٢٪ سنويا خلال الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣ .

ولقد رتب على العبء الدفاعي والوفاء بالاحتياجات الاستهلاكية - نتيجة لعجز الانساج الزراعي عن الوفاء بمتطلبات الريادة عن الطلب على المواد الغذائية - أن وقع عبء مواجهة هذه المسئوليات على الواردات مما رتب عليه الازدياد في عجز ميزان المدفوعات وذلك لعدم قدرة الحكومة على وضع خطة لاستخدام العطاء الصناعي وتوجيهه لخدمة أغراض الدفاع . ( نودي بقوة في ذلك الوقت من جانب القوى الوطنية بوضع نظام لاقتصاد الحرب ولم تحاول الحكومة الاستجابة لهذا الامر أبدا الا في حدود شكلية وذلك لعدم استعدادها لتحميل الطبقات العادرة بأى بضحية بحجة جماعية النحالف الوطني) .

وكان يواجه هذا الاتجاه الانكماشى الذى قاوم ضرورة فرض اقتصاديات حرب . . اتجاه آخر لتنمية السلع الوسيطة . . والاتفاق على اقامة مجمع الحديد والالومنيوم . .

كان جمال عبد الناصر هو الراغب فى اقامة مشروعات صناعية كبيرة تبذل وهم الانحسار الكامل ، وبدفع الطاقة الانتاجية للامام : كما قال لى وزير التخطيط .

وهكذا تحددت معالم الصراع بعد الهزيمة فى الناحية الاقتصادية .  
وكان هناك صراع آخر . .

## اليسار ٠٠ واليمين

لم يحسم المعركة بين (ممالك السلطه) اذا صبح التعبير لمصلحه شخص دون الاخرين .  
كان جمال عبد الناصر يلعب لعبة التوازن بمهارة اكتسبها من أسلوب قيادته خلال السنوات السابقة  
عاد على صبرى للظهور من جديد ، بعد أن كانت صورته وأخباره قد اختفت من الصحف تماما .  
كان الاحتفاظ به عضوا في اللجنة التنفيذية العليا دليلا على أن له دورا يمكن أن يؤديه في مرحلة قادمة ٠٠ وإن وجوده مهم في نجاح لعبة التوازن .

ظهر على صبرى في حفل افتتاح الدورة البرلمانية يوم ٦ نوفمبر وهو يستقبل عبد الناصر وافقا بعد أنور السادات وحسين الشافعي .  
وكان عبد الناصر قد عاد لممارسة عمله الطبيعي واستقبال الشخصيات السياسية ٠٠ وأول صورة ظهرت له كانت مع الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة الليبية يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٦٩ .  
وفي خطبته أمام مجلس الأمة تحدث جمال عبد الناصر لأول مرة عن (لجنة المواطنين من أجل المعركة) ، وقال وفي ذهنه نصاعده حرب الاستنزاف (إذا كان العدو لا يملك أن يخسر معركة . فنحن لم نعد نملك أن نخسر معركة ) .

وعقب عودة عبد الناصر من رحلته السرية الى موسكو التي قام بها يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ دعا الى مؤتمر قمه لدول المواجهه عقد في القاهرة يوم ٨ فبراير ١٩٧٠ حضره جعفر نميري ايضا ٠٠ وتشكل الوفد المصري من حسين الشافعي وعلى صبرى

ويوم ٢٦ ابريل ١٩٧٠ حدث تغيير جديد في مواقع السلطه ٠٠ تغيير فوجيء به أقرب الناس الى عبد الناصر ، فقد حدث تغيير وزاري عين فيه كل من حسن التهامي وسعد زايد وسامي شرف وزراء دولة ، كما عين محمد حسنين هيكل وزيرا للارشاد .

وعين أيضا حافظ اسماعيل رئيسا لهيئة المخابرات العامة بدلا من أمين هويدي الذي اقتصر عمله على وزارة الدولة ، وأصبح محمد فايق وزير دولة للشئون الخارجية

كانت هذه التغييرات تظهر اتجاهها جديدا لشراع السلطه ٠٠ محمد حسنين هيكل لم يكن راغبا في منصب وزاري . وكان مكثفيا بدوره رئيسا لتحرير الاهرام وصديقا مقربا من رئيس الجمهورية ٠٠ وعندما حاول الاعتذار عن عدم القبول رفض جمال عبد الناصر ، وارتضى له أن يجمع بين المنصبين بصفة استثنائية .

ولم يقف التغيير عند هذا الحد ٠٠ عاد على صبرى الى موقع هام في الاتحاد الاشتراكي ٠٠ أنشئت في نفس اليوم لجنة سادسة منبثقة عن اللجنة التنفيذية العليا هي ( اللجنة الدائمة للشئون الخارجية ) وانتدب

على صبرى أمينا للجنة الجديدة ٠٠ وبعد ذلك عين على صبرى فى منصب فريق بالقوات الجوية ٠٠ ولكن حرص جمال عبد الناصر على ان يؤكد لمحمد فوزى انه منصب سرفى ليس له ايه أفديمه ، وأن يوجه نظره الى الحدر من ناحيه مرور على صبرى على القوات الجوية ٠

لعبه النوازن لاجل السكوب الطويل ٠٠ وعوده على صبرى مقلم الاطافر سير الى ان له دورا ، ولكنه ليس دور البطولة ٠٠ وربط هيكل بالورازة يصعب من قدره على الحركة والمناورة ويصعبه تحت سلطه الرفايه الشعبيه فى مجلس الامه ٠ وينهى فرصه فى نقد أجهره الاعلام الامر الذى أطاح بمحمد فائق بعيدا عنها ٠

وحدث خلال هذه الفتره أن طهرت صراعات الممالك بصورة عرييه ٠٠ فقد سحلت أجهره الامن حدسا دار فى شفه لطفى الحولى رئيس تحرير ( الطليعه ) ونوال المحلاوى السكرتيره المسجسته لهيكل والسيد صاحبه الوفود فى المؤسسه ، وهما ساذلان مع بعض الاصدافا، حدبا حول بعض هيكل وزيرا ، جمع بين نقد الاحراء مسموجا ببعض السباب ٠٠ واصدر عبد الناصر أوامره باعمال لطفى وروجه ونوال المحلاوى ٠٠ واستمر الاعتقال عدة سهور ٠

وكان ذلك الاجراء صدمه لهيكل ، واضعافا لمركبه ، فهو لم يستطع ان يفعل شيئا للمعتقلين وهم من أقرب الناس اليه ٠٠ ولكنهم ضبطوا ملبسهم بشتمه الهجوم على رئيس الجمهوريه الذى يضم هيكل فى كنف حمايه ٠

ولذا كان موقفه حرجا ٠٠ ودخله شديد الحساسيه ٠

ويتضح من ذلك أن جميع الاقوياء فى هذا الوقت لم يكن الارض بابنه تحت أفديامهم ٠٠ فلم يكن أحد منهم يسمد سلطه الا من الزعيم الذى ليرا ماكان يوجه لهم كلمات القعد سواء فى حضورهم او غيابههم هكذا كانت تبدو معركة الخطوط الحلفيه ٠٠ لم أسا أن أحصل فى فرعيانها وجزئياتها وباصيلها ٠٠ مكسبا بوصيحه هذا القدر الذى يؤكد ان النجاس والسيسيق كان عانئا فى دائره السلطه العليا

ولكن معركة الخطوط الحلفيه لم يكن ( صراع ممالك ) فقط ٠٠ فقد دفعت الهزيمة بالمعركة الى خارج حدود السلطه ، وأصبحت تعبر بصورة أكبر وضوحا عن ( صراع طبقات ) ظل عاندا او مكسبا خلال فتره ما قبل الهزيمة الى جعلت بغير اجتماعيه ملحوظه ٠

كان صراع الممالك فى دائره السلطه يعبر عن بافصاف وحلافات شخصية اكبر مما يعبر عن موافق طبقيه واجتماعيه ٠٠ كان الجميع ينمون الى الطبقة نفسها التى يسمى اليها جمال عبد الناصر ( البرجوازية الصغرة ) ولكن موافقهم فيها تختلف ٠٠ البعض اكبر امرايا للطبقة العاملة والفلان والبعض معبر عن مصالح طبقه خر تعبى ، والبعض يحذب اغراء البرجوازية الكبيرة بكل ماتحفل به حياتها من بريق ٠٠ ولكنهم فى النهايه أبناء طبقه واحدة ، تجمعهم رؤيه واحدة ، قد تكون محدودة وضيقه عند البعض ٠ وأكثرا اتساعا وشمولا عند البعض الآخر ٠

وقد وضحت هذه الطاهرة تماماً في المجالات القيادية للاتحاد الاشتراكي الذي كان يعتبر أكثر أجهزة السلطة تقدماً ويسارية ٠٠ فلم يكن بين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا عامل أو فلاح ٠٠ ولم يحتفظ بهذه النسبة في المكاتب التنفيذية بالمحافظات وخاصة القاهرة والإسكندرية - رغم أن ذلك لا يعتبر مؤثراً في ذاته على القدرة القيادية عند العامل أو الفلاح دون تأهيل ونضج سياسي ٠

لم يكن التحالف قائماً على أساس النقل والوزن الطبيعي للطبقات التي يمثلها المجتمع ٠٠ ولكنه كان تحالفاً يتحرك بقبضة الطبقة الوسطى للسيطرة على بنية الطبقات.

ولذا فإن الخلافات التي بدأت تظهر بين الشخصيات الكبيرة على مسرح الثورة لم تجذب الجماهير إليها ، ولم يفعل بها أحد من المشاهدين كانت كل الشخصيات تنحرك من موقع السلطة دون اعتماد أو ارتباط مع الجماهير ٠

ولم يكن على صبرى مختلفاً عن الآخرين ٠٠ فإنه رغم تأثيره ونفوذه في الاتحاد الاشتراكي وارتباط عدد من قادته به شخصياً ٠٠ إلا أنه لم يكن شخصية جماهيرية ٠٠ ولذا فإن الإجراء العنيف الذي اتخذ ضده في سبتمبر ١٩٦٩ لم يحرك أحداً للدفاع عنه ٠٠ ونظير الناس إليه على أنه ضربة خاطئة بحق العزيم وجهت إليه في مباراة للملاكمة ، سرعان ما ينفض - الناس عنها ويعودون إلى بيوتهم

ولكن معركة الخطوط الخلفية ٠٠ لم تكن محصورة في حدود (صراع الماليك) ٠٠ كانت في مضمونها الحقيقى معركة بين أنصار التقدم ٠ وبين المحافظين والرجعيين ٠٠ معركة في داخل دائرة السلطة وخارجها كانت الرجعية تتربص بالنورة المهزومة المتخنة بالجراح ٠ نعمل على أن ننزف دمه - لنسقط منهية دورها التاريخي كما أرادت إسرائيل والامبريالية ٠٠ وكانت قوى اليسار والتقدم تناضل من أجل استمرار الثورة مع فصد دمه الفاسد ٠

وكان جمال عبد الناصر يمارس لعبة التوازن بمهارة ، بين ممالك السلطة ٠٠ وبين القوى الاجتماعية المختلفة ٠

وكان في هذه الممارسة (سجينا لتاريخه) ٠٠ أى أنه لم يكن قادراً على التراجع بأهدافه إلى حد إسقاطها منحازاً لليمين ٠٠ بل ظل مدافعاً عن أفكاره وعفائده مسئلاً الظروف التي يمكن أن تنقذ ثورته ٠

وفي نفس الوقت لم يندفع جمال عبد الناصر إلى اليسار ليصبح فيديل كاسترو آخر في العالم الثالث

لم يكن واقع ٠٠ ولم تكن ظروف مصر تسمح بذلك حدثت الهزيمة في مصر ٠٠ والأحزاب الشيوعية قد حلت نفسها وارضت قيادة جمال عبد الناصر ٠٠ وبذلك غاب تأثيرها وضعف دورها في الطبقة العاملة والطبقات الكادحة الأخرى

لم يتوافر تنظيم ثوري مناضل ، يستطيع أن يجذب بقوته جمال عبد الناصر الذي كان يقف في يسار طبيعته ٠

وكان بعض أعضاء التنظيمات الشيوعية السابقة قد عينوا في أماكن ومراكز هامة . ولكنهم كانوا يصرفون كإفراد دون أسماء . يحسبون ويحفظون بلا حساب . . . يلمسون اللمسة بهم من المسئولين وليس من الجماهير التي يتعاملون معها ، أو من التنظيمات التي سبق لهم ان ربطوا حياتهم بها . ولم نحدث بعد الهزيمة معاودة بطر سريعه لنفسه حل الاحزاب والتنظيمات الشيوعية . . بل اسكان الكثيرون الى وضعهم الجديد . . لم يتصاموا مع الدين اهلهم السلطة ولم نعدهم الى أعمالهم . كاتب البورة أكبر ميلا لاجذاب الشيوعيين المعفين منها الى اجذاب الشيوعيين من العمال أو العلاحين

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا انه عندما كلف بصفته مسئولا عن الدعوة والفكر باختيار أساتذة معهد الدراسات الاستراتيجية احتار عددا من الشيوعيين السابقين . وعرض اسماؤهم على جمال عبد الناصر ، قال له :

( اننى لأعبر الناقض بيننا وبين الماركسية مناقضا عدائيا . . واننى استعنت في تحضير أفكار الميثاق بكتابات ماركس ولينين وسنالين وماونسى تونج ولاسكى وغيرهم ) . ثم أضاف قائلا :

( اننى أعتقد ان التعاون معهم أولى من كسب عدائهم . . ورأى أن نلهم جميعا فهذا أفضل من أن نخسرهم )

ورغم ذلك فقد بذل معظم هؤلاء - كل في موقعه - غاية مايملك من جهد لتغليب تيار اليسار والتقدم . . ونعاون بعضهم بإخلاص مع عناصر السلطة اليساريين .

وأمكن خلال هذا التعاون لتغليب الحساسية والصدام بين أفكار يوليو وبين الماركسية . . ولو أن أحدا لم يحاول وضع حل للمعادلة التي يمكن أن نجتمع بين كل قوى اليسار والتقدم في جبهة واحدة . كان الحذر من الماركسية والماركسيين يكاد يستوى عند بعض المسئولين بالحذر من الرجعية والايوان المسلمين . . وكلما تأزمت الامور حول قضية أو قامت مظاهرات ، أسرع اصابع الانهام تشير للاتجاهين معا .

ورغم كل التغييرات الاجتماعية التي قامت بها ثورة يوليو ، الا أن البرجوازية المصرية ظلت متأثرة ومرتبطة بنموذج الحياة الغربي . واستمرت الجامعات ترسل بعثاتها الى انجلترا والولايات المتحدة ، ويعود الخريجون متأثرين بالأفكار والاتجاهات الرأسمالية . فينشرون ذلك بين طلبتها .

وظل معظم أساتذة الجامعة من الناحية السياسية عنصرا من عناصر اعاقة التطور الفكرى . . وكانت عيون الكثيرين منهم تنجذب الى جامعات الدول البترولية التي تفدق الاموال على الاساتذة .

وعرفت مصر في هذه الفترة هجرة بعض أبنائها الى الخارج ، بعد أن كان هذا أمرا نادر الحدوث في مصر . كتابة الهزيمة ، وصعوبة الحياة ، وعدم حدوث تغيير جذرى حقيقى .

يضع المجتمع على الطريق الصحيح للتقدم .. كل ذلك دفع المثقفين الى الاتجاه للهجرة بصورة متزايدة .

ومصر يؤثر وتأثر بالوطن العربي .. لها دور قيادي لاشك فيه .  
وكما فرضت الهزيمة ظروفًا صعبة في مصر .. خلعت اتجاهًا واضحًا  
نحو الافكار الماركسية في الحركات السياسية العربية

وعملت بعض الدول معادله تعاون النظم الوطنية الديموقراطية .. مع  
العوى الشيوعية . ونادى حزب البعث في العراق بانتشاء جبهة  
وطنية وقومية بدمية ينضم اليها الحزب الشيوعي والحزب الديموقراطي  
الكرديستاني ، واستمر في مدائه حتى تحقق هدفه ..

وفي قوى المقاومة الفلسطينية نما الاتجاه الماركسي وأصبح عفيده لعدد  
من المنظمات ، واعداد متزايدة من الشباب .

ولكن هذا الاتجاه الجديد لم يؤثر كثيرا في مصر .. وغيبة الاحزاب  
والتنظيمات الشيوعية لم يفرض واقعا جديدا على النظام .. والعناصر  
الماركسية استغرقتها مسؤولياتها ولم يعد يربط بينها روح الانماء ولا  
وحدة التنظيم .

وجمال عبد الناصر مازال هو الزعيم المؤهل لقيادة اى تغيير  
اجتماعى .

وبعد أن قرر تحديد مواصفات العامل والفلاح بصورة أكثر واقعية  
أدت الى اعادة انتخاب مجلس الامة .. وافق مؤتمر الاتحاد الاشتراكي في  
٢٣ يوليو ١٩٦٩ على النزول بالحد الاقصى للملكية الى خمسين فدانا . مع  
اقرار قيام شركات عامة لادارة ٧٠٠.٠٠٠ فدان وهو مايؤدى الى ظهور  
بشائر المزارع الجماعية .. كما اتخذ المؤتمر قرارا بأن نخصص دوره  
القادمة لقضايا التحول الاشتراكي

ولكن جمال عبد الناصر في نفس هذا المؤتمر قاوم اتجاهها لفكرة حرب  
التحرير الشعبية بدعوى نقص السلاح كما ذكرت سابقا .. وكان عبد الناصر  
منطقيا مع نفسه وواقعه .. فهو لم يكن هوشى منه ، ولم يكن الاتحاد  
الاشتراكي هو حزب العمل الفيتنامي ، ولم تكن هناك جبهة مثل جبهة تحرير  
فيتنام تضم كل القوى الوطنية بتضاريسها وقدراتها الطبيعية

كانت قدرات جمال عبد الناصر في الخروج من طبقته والاندفاع الى  
اليسار مع الفلاحين والطبقة العاملة قدرات محدودة بطبيعته الشخصية  
والاسلوب الاوتوقراطي الذي اعتمد عليه حكمه ، وعدم توافر تنظيم سياسي  
ملتزم يمكن أن تتبلور الافكار الجديدة في صفوفه بطريقة ديموقراطية .

ولم يكن مطلوبا من جمال عبد الناصر في هذه المرحلة أن يتحول الى  
فيديل كاسترو جديد .. ولكن كان مطلوبا منه أن يساند وينمى قوى التقدم  
صاحبة المصلحة الحقيقية في الاشتراكية .



ولكنه ظل حبيس نظامه ، أسير الشخصيات التي فرضها ، يلعب لعبة التوازن ٠٠ ويخشى أن يأخذ خطوة أكثر راديكالية الى اليسار ٠ كانت فرصة تاريخية لنظام ثورة يوليو يمكن بها أن يتقدم وتمتد جذوره الى الطبقات الكادحة التي لو شعرت بالمشاركة الحقيقية فى النظام لنبشت منها طافات هائلة

ولكن النظام ترك هذه الطبقات فى الظل ٠٠ تعاني من الأمية والتخلف ولايربطها بالنظام وبعبد الناصر شخصيا ٠٠ سوى الامل وما حصلت عليه من مكاسب نسبية

كانت فرصة عبد الناصر لبناء أساس صالح لقيام مجتمع اشتراكي موجودة وليست مستحيلة ٠٠ ولكنه ترك التناقضات والحساسيات والصراعات مكبونه وغير محلولة ،

وأصبحت الاشتراكية هى المشجب الذى تعلق عليه كل أخطاء النظام وهى بريته ومفتري عليها ٠٠ وأصبح المحافظون والرجعيون وعملاء الامبريالية يصورون أن ما يحدث فى مصر هو ماركسيه شيوعيه ٠٠ وهم يعرفون تماما أن الشيوعيين والماركسيين كانوا بعيدين تماما عن مركز التأثير فى السلطة ولكنهم كانوا يقيمون سدودا أمام احتمالات انطلاق القوى الكادحة من عمال وفلاحين للقيام بدور مؤثر فى النظام طالما أن اسرائيل ترفض السلام والمركة الوطنية محتدمة .

ويقول دكمجيان فى كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان هناك خمسة أسباب حالت دون اختيار طريق أكثر يساريه وهى :

- ١ - القوة المستمرة للدين الاسلامي والازهر
- ٢ - الفتوية ( الوسطى ) عموما للقوات المسلحة .
- ٣ - الضعف النسبى لليسار المصرى مقارنا بالقوات المسلحة والمؤسسات الدينية .
- ٤ - الرغبة فى حفظ العلاقات مع الولايات المتحدة لاحداث توازن مع النفوذ السوفييتى المتزايد ، ولتكون وسيطا محتملا مع اسرائيل .
- ٥ - الزعامة المركزة حول شخص عبد الناصر

ويقول (دكمجيان) انه ماكان يمكن لعبد الناصر أن يرسو بنجاح على مرفأ أكثر يسارية حتى لو أراد ذلك نتيجة للعوامل الثلاثة الاولى ٠٠ وانه لذلك لعب دورا رئيسيا لمنع أى تطور يسارى معتقدا فيما يبدو بفسمة الصيغة المعتدلة التى وضعها لليسار العربى القومى فى التغلب على مشكلات مصر مع اسرائيل

ومع ذلك لايستبعد (دكمجيان) فى المستقبل اختيار عبد الناصر لبرنامج ايدولوجى يسارى او شيوعى مشبرا الى أن ذلك يعتمد على أسلوب الولايات المتحدة واسرائيل فى معالجة للمشكلة سواء أن تمزق للحركة والثورة العالمية قد يعطل تطور الشيوعية فى مصر ويضرب مثلا بالخلاف الصينى السوفييتى .

ويعتقد (دكمجيان) ان رفض اسرائيل للانسحاب من سيناء قد يدفع

القياده فى حالة اليأس الى الابتعاد عن الطيفه الوسطى والسياسه الاشتراكية المعدله ومحاولة بناء حركه يساريه نوريه مسابيه لحركه فيديل كاسترو العائنه على الطيفه العامله والملاحين ، والى تواءم مع الدين والوطنية وهو مايمكن أن يتم فى مصر أيضا

ولكن عبد الناصر لم يتحول الى كاسترو  
الهزيمة لم تدفعه الى اليسار تماما ٠٠ كما أعلن كاسترو الاشتراكية بعد وضوح المسانده الامريكىة فى الغزو الفاشل لمنطقه (خليج الخنازير) ، وعبد الناصر لم يحاول دعم وتقوية الاحزاب الشيوعيه أو العناصر الشيوعيه التى تعاون معها وانما عمل على احنائها ٠٠ أما كاسترو فقد تعاون تماما مع الحزب الشيوعى الكوبى حتى انتهى الامر باندماج الحزب مع قوته الثوريه فى تنظيم ماركسى واحد  
وعندما لم يتخذ عبد الناصر الموقف الذى تحدث عنه ( لاكمبيان ) ، وواصل لعبه التوازن ، ظهر ذلك فى عدة مجالات هامة بصورة انحراف الى اليمين .

### أولا : الاقتصاد

أخذت صيحات الدعوة لاقتصاد حرب تخفت يوما بعد يوم ، وارتفعت الدعوة لدعم القطاع الخاص ، وشجيع رؤوس الاموال الاجنبيه كما سبق أن أشرت .

ووضح ذلك فى المنهج الذى سار عليه حسن عباس زكى ومن بعده عبد العزيز حجازى فى وزارة (أساتذة الجامعة) التى شكلت بعد مظاهرات الطلبة .

وفى مقابل التسهيلات التى أعطيت للقطاع الخاص ، أعطيت علاوات لعمال القطاع العام ٠٠ لعبه التوازن مستمرة

### ثانيا : الثقافة

تعرضت الثقافة بعد الهزيمة لهزات مثيرة ٠٠ وكان وزيرها عندئذ هو الدكتور ثروت عكاشة الذى كان قد بدأ يعيد تنظيم الوزارة التى عاد اليها على أسس واقعية وعلمية ، ويختار لاجهزتها شخصيات تنال احترام المثقفين .

الاديب نجيب محفوظ رئيسا لمؤسسة السينما والدكتور عبد الرزاق حسن عضوا منتدبا والدكتور على الراعى رئيسا لمؤسسة المسرح ، وسعد كامل مديرا للثقافة الجماهيرية والدكتورة سهير القلماوى ثم محمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة النشر ، وحسن فؤاد مديرا للسينما التسجيلية .  
والمسئشار مصطفى درويش رقيبا على المصنفات الفنية

وكانت وزارة الثقافة قد بدأت تستعيد ثقة المثقفين بها ٠٠ وتمارس دورا هاما فى حياة الجماهير ٠٠ وقد أدى رؤساء الاجهزة دورا بارزا فى هذا المجال ، وبدأت الوزارة تعمل فى تناسق وتوافق الاوركسترا السيمفونى .  
ولكن الهزيمة أحدثت اضطرابا ملحوظا فى مجال الوزارة ، أعاده

البعض الى صلة الصداقة الويفة التي كانت تربط بين المسير عامر وصلاح  
صبر وبين ثروت عكاشه .

ولكن محاكمة المؤامرة مصت ٠٠ وثبت ان ثروت عكاشه لم يكن ضالعا  
فيها واستمر في منصبه .

ثم جاءت استخبارات الاتحاد الاسراكي (يونيو ١٩٦٨) التي اسربت اليها  
وسقط ثروت عكاشه في دائرة فطر الليل وكان هذا دليلا على وجود باقى  
بينه وبين على صبرى او اجهزة الاتحاد الاسراكي .

وهو الامر الذى دفع ثروت عكاشه الى المحلى عن بعض الذين عملوا معه  
فى احلاص دون اى تفسير لهم ، معتقدا بذلك انه بعد نفسه من ملاحقات اجهره  
الامن واجهره الاتحاد الاسراكي الى كانت تحاول تصوير سباط الوراثة وكأنه  
سباط سيوعى كما قال لى .

واقصح ثروت عكاشه للمستولين فى الوراثة عن رعبه فى ان يقدم  
اجهرها اعمالا روفيهيه ، وهو اتجاه يرتبط مع فكرة بذلك اعصاب الجماهير  
حتى نبعدهم مرارة الهزيمة .

اقول بداد هذه الاتجاهات التي نعارض مع القيم العفافية التي يؤمن  
بها السمعون الدين ينولون مسئولية اجهزة الوراثة ، نحول الى اجراءات  
ايجابية عن طريق حصار هذه الشخصيات ثم ابعادها عن مواقع  
المستولية .

بولى عبد الحميد جوده السحار رئاسه هيئه السيسما بدلا من نجيب  
محفوظ ، ووضع عبد الرحمن السرفاوى وسعد مكاوى ومحمود توفيق  
ورافت الخياط فى فقس لجنة القراءة بلامسئولية تقريبا

وبولى عبد المعص الضاوى رئاسه هيئه المسرح بعد ان كانت العلاقات  
قد توترت بينه وبين ثروت عكاشه ، بعد عمل مشترك امتد طوال سنوات  
النورة بقرىبا سواء فى مجال الصحافة واللقافة ، وأحيل الدكتور على الراعى  
الى المعاص رغم عدم وصوله الى الخمسين

وأفيل سعد كامل من منصبه كمدير للنفاعة الجماهيرية وهى الادارة  
التي أنساها بجهد وعرقه وتعاون المنففين معه ، وامتدب اجهزها ومراكزها  
الى معظم المحافظات فاحدت فيها نهضة ملحوظة ٠٠ لم يعايل من بعض  
المحافظين بالنأييد ، وبادروا بالقاء تهمة الشيوعية على عدد من الشباب  
الذين تولوا ادارة هذه المراكز باخلاص شديد ، واستنجاب وزارة الداخلية  
لهذا الاتجاه أيضا .

وحوصر حسن فؤاد فى ادارة الافلام التسجيلية حتى لم يجد سبيلا  
الا الفرار والعودة للصحافة

أما محمود أمين العالم فكان قد انتقل من المسرح الى رئاسة مؤسسة  
اخبار اليوم .

وحلت السيدة اعتدال ممتاز محل المنششار مصطفى درويش أكثر  
المثقفين خبرة بفس السينما

ويلاحظ ان معظم الشخصيات التي ابعدها ثروت عكاشه تتميز  
باحترام المثقفين ، والمكر المنفتح المتقدم ٠٠ وأن العناصر البديلة لم تكن  
من ناحية الثقافة فى المستوى الذى يؤهلها لاحداث ( ثورة ثقافية ) كان  
المجتمع فى أشد الحاجة اليها خلال هذه المرحلة الحاسمه .

ولقد بدأت نضارة الثقافة تذبل ، وتدفع البيروقراطية العناصر المبشرة والمتفتحة للهجرة من مواقعها .. وفقدت وزارة الثقافة دورها الذي خلقت من أجله .

عبرت هذه ( الردة الثقافية ) عن نفسها في رفض كثير من الافلام والمسرحيات التي حاولت نقد الاوضاع من موقع الحرص على الثورة .. ومنعت مسرحيات ليوسف ادريس وسعد الدين وهبه وعبد الرحمن الشراوى .. وخلت خشبة المسرح من فرسانها .

وبدا الانحدار في هيئة السينما واستمر ذلك حتى وصلت الى القاع وهكذا كان التغيير في وزارة الثقافة رجوعا الى الوراء . وانحرافا الى الترفيه والتفاهة . وتقليبا للعناصر الرجعية والمحافظة ، وإطفاء لنور كان مفروضا أن يضيء ظلام الهزيمة . ويرتبط هذا الموقف في الثقافة بموقف آخر في الاعلام والصحافة .

### ثالثا : الاعلام والصحافة

لم يكن اهتمام جمال عبد الناصر بتعيين التقدميين في مواقع المسئولية الصحفية نابعا من فراغ .. فانه كان يدرك ان الصحافة هي المشعل الذي ينير الطريق والموجه الذي يحدث التغيير الحقيقي في عقول الجماهير ، والقاموس الذي يفسر اتجاهات الثورة . وان المثقفين الاشتراكيين هم أقدر الناس على التعبير في اخلاص عن رؤية الجماهير لحركة المجتمع .

ويمكن القول بأن تغييرات الصحافة كانت بمثابة ( الترمومتر ) الذي يظهر حقيقة اتجاهات الثورة ، وهي بذلك كانت أكثر تقديمه لسببين :

أولا - انها كانت مثل المدفعية الثقيلة التي تمهد للهجوم ، وثانيا .. انها كانت مرتبطة بالاتحاد الاشتراكي وهو أكثر أجهزة الدولة تقدما ويسارية .

والعودة الى احسان عبد القدوس رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم بدلا من محمود أمين العالم ، وكامل زهيرى بدلا من أحمد بهاء الدين في ادارة روز اليوسف - رغم مطالبة بهاء المتكررة بترك روز اليوسف والتفرغ لدار الهلال .. كان دليلا على أن اندفاع الصحافة الى اليسار قد وصل غايته وأن موجة المد قد آلت الى انحسار .

هكذا كانت المعركة في الخطوط الخلفية تتضمن صراعا بين اليمين واليسار .

ولكن وجود جمال عبد الناصر في قمة القيادة كان يعطي ضمانا نسبيا بأن كفة اليمين لن ترجح .. وأن هذه الاجراءات كانت بمثابة انتزاع بعض الثقل من كفة اليسار حتى تتعادل مع كفة اليمين .

وهو دليل على أن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يدخل معركة اليمين واليسار منحازا بكل طاقته وزعامته وتأثيره الى جانب اليسار الحقيقي ،

خمسته ان يجرح الامور من يديه ومن طمعه ، لتصل الى ابدى العمال  
والفلاحين .

ودليل ذلك انه عندما رادت العاربات الاسرائيلية على الداخل ، وبافس  
الامر مع شاده الاتحاد السوفيتي في رياره السريه في سابر ١٩٧٠ لم يفكر في  
نقل المعركة الى يد الشعب في حرب تحرير شعبه ، وانما عدد بن بسام  
المنطقة الى من يستطيع ان يقاوم مع أمريكا كما اوضح بعض مسؤولي  
الحزب الشيوعي (المعركة في الحطوط الامامية) وغير ذلك ان أمريكا لن تحلب  
سلاما في مواجهة الشعب ، وانها هي نفس اوقاف عاجزة وحدها عن فرض  
حل برصاص الجماهير .

كانت هذه المعركة بن النهر والسيار على اثر المعارك مضمونا في  
المجموع المصري . . ولكنها كانت تدور في صميم ، يعلو عليه اصوات (صراخ  
المالكان) في ملك السلطة .

ولم يكن احد يستطيع ان يسمي بما يمكن ان يفرضه موقفه ائبل  
على المنطقة من اتجاهات سياسته فيما لو رفض الانسحاب . به عدن  
المعركة كما كان يحدث فعلا .

واكن كانت عناك الى جانب معارك الحطوط الامامية والخلفية . . .  
محاولات جادة للسلام .



## الباب الخامس

السلام ... من فوهة البندقية





## الفصل الاول

# الحرب والسلام

● ( الى المطبخ يا جولدا ٠٠ الى القاهرة  
يا جولدمان )

متافات المتظاهرين فى اسرائيل  
أبريل ١٩٧٠

( ان مسألة جولدمان احدثت خلافات حادة  
فى الراى داخل الكنيسة وفى داخل الاحزاب  
نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف  
الوزارى داخل الحكومة )

وكالة الانباء الفرنسية  
١٨ أبريل ١٩٧٠

لم يكن القتال وعودة المعركة هدفا فى ذاته ، ولكنه كان عند جمال  
عبد الناصر وسيلة للوصول الى السلام العادل فى المنطقة ٠٠ فقد كان مقتنعا  
بان ماأخذ بالقوة لابد وأن يسترد بالقوة ٠٠ ولذا ركز جهده وطاقته كما  
أوضحنا فى اعادة بناء القوات المسلحة ، والدخول بها فى معارك متصلة  
وصولا الى مركز قوة يتيح له فرض السلام ٠

لم يكن هناك من سبيل للوصول الى السلام فى مواجهة عدو منتصر  
نغمه الغطرسة والكبرياء ٠٠ الا القتال ٠٠ ولذا لم يتردد جمال عبدالناصر  
لحظة فى تصعيد المعركة تبعا للخطة ٠٠ ولكنه لم يتردد أيضا فى البحث عن  
وسائل ايجابية لتحقيق السلام ٠

أثبتت عودة المعركة أن الحرب لم تعد (حرب الايام الستة) ولكنها  
أصبحت حرب شهور وأعوام مستمرة ٠٠ يتراشق الطرفان فيها بقنابل  
المدفعية والطائرات ، ويتبادلان الهجوم الخاطف بالدوريات والعمليات  
الفدائية ٠٠ وتربص القيادة المصرية اللحظة المناسبة للانقضاض على العدو  
وتحرير الارض ٠

دماء الشهداء لم تتوقف عن رى الارض فى سيناء ومنطقة القتال ٠  
والبحر الاحمر ٠٠ وفى داخل مصر أيضا قبل وصول قوات الدفاع الجوى

السوفييتية في ابريل ١٩٧٠ ٠٠ لم يكن يمضى يوم دون قتال يسقط فيه الضحايا من ابناء القوات المسلحة ٠٠ ومن المدنيين الذين اسهموا في اعداد الدفاعات والذين بلغ عدد شهدائهم حوالي ٤٠٠٠ شهيد .  
ومع ذلك لم يكن الموقف السياسى العربى مريحا تماما لجمال عبد الناصر .

كانت ثورة ١٧ يوليو ٦٨ فى العراق تأخذ موقفا متشددا ، وكانت المظاهرات كثيرا ما تجتاح بغداد مطالبة بالقتال ورفض محاولات التسوية السياسية ٠٠ وقد سرب جمال عبد الناصر الى الصحافة خطابا أرسله الى أحمد حسن البكر يقول فيه ان توحيد الجهد فى قتال الاسرائيليين أفضل من اطلاق المظاهرات فى الشوارع .

وكانت سوريا التى رفضت قرار مجلس الامن ، ورفضت حضور مؤتمر الخرطوم تأخذ نفس النهج تقريبا . الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى مواجهه نور الدين الاتاسى بذلك عند مقابلته له فى ليبيا أثناء حضور الزعماء العرب لحفل جلاء الامريكيين عن قاعدة (هوبلس أو عقبة بن نافع ) ومصارحته بأنه يشعر أن موقف الحكم فى سوريا يشكل نوعا من نكران الفضل والجميل ٠٠ وذلك حسب ماجاء فى كتاب ناتنج ( ناصر ) .

كما ان الجزائر واصلت سياستها المبدئية الراضية اصلا لوقف اطلاق النار .

ولكن جمال عبد الناصر وجد انه يمكن ان يحضر مؤسرا للقمة بعد نجاح الحركة العسكرية فى السودان وليبيا ، وبعد نجاح الحركة العسكرية التى قادها محمد سياد برى فى الصومال وأيدها جمال عبد الناصر فى ١٩ أكتوبر ١٩٦٩ ، وبعد جلاء القوات البريطانية عن اليمن الجنوبية ٠٠ وبعد زيادة توثق العلاقات بينه وبين المقاومة الفلسطينية عقب تدخله فى الازمة اللبنانية فور شغائه من الازمة القلبية التى تعرض لها ، الامر الذى انتهى الى عقد ما عرف باسم ( اتفاقية القاهرة ) فى ٢ نوفمبر ١٩٦٩ والتى وقعها بامر عرفات ورئيس أركان حرب الجيش اللبناني .

ذهب عبد الناصر الى الرباط بعد أن اسفطت قوات الدفاع الجوى المصرية أول طائرة فانتوم اسرائيلية يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ من الطائرات التى سلمت لاسرائيل فى سبتمبر من نفس العام ٠٠ ذهب وفى قبضة مصر أيضا عدد من الاسرى الاسرائيليين .

ولذا وقف جمال عبد الناصر فى مؤتمر الرباط موقفا حازما من الذين كانوا يعارضون التسوية السلمية بينما قواتهم المسلحة لاتستترك فى القنصال .

سألهم - حسب ماورد فى كتاب انطونى ناتنج ( ناصر ) - عما اذا كانت عندهم خطط محددة للحرب ضد اسرائيل ٠٠ وعما اذا كانت معارضتهم لقرارات الامم المتحدة بصورة مطلقة سوف تؤدى الى استراتيجية بديلة تخرج اسرائيل من الارض المحتلة .  
وتساءل أيضا ٠٠

هل ستقوم الجزائر ملا بدعم قدرة الضربة الجوية الرئيسية ؟

وكم عدد القوات التي سيشترك بها سوريا والعراق في المعركة ؟  
وهل سيهاجمون من سوريا فقط ، ام ان هناك خططا لهجوم من الارض  
الاردنية ؟

ماهو الدور الذي رسم لؤديه مصر ؟  
ومن الذي سيدفع المال ؟ ومن اين سيحصلون على الاسلحة لشس  
الحرب ضد العدو ؟

كل هذه الاسئلة وغيرها أثارها جمال عبد الناصر طالبا عنها اجابة  
وافية قبل مطالبته بالابتعاد عن طريق البحث في عقد تسوية سلمية .  
يبدو ان جمال عبد الناصر كان يريد ان يزداد استراتيجيته مصر  
وضوحا . . . وهي التجمع بين القتال في اسد صورة ، والبحث عن السلام في  
شقى طريقه . . . واستعمار الجميع بانه ما لم يتوافر للعرب خطط بديلة ، قادرون  
على تنفيذها لتحرير الارض ، فان الامر يدخل عندئذ في باب المزايدة وعدم  
تقدير الامر الواقع ، وتجاهل كل فرص الوصول الى تسوية .

فال لى العرين اول محمد فوزى الذي كان قد قرأ تقريراً امام قادة  
دول المواجهة في بداية سبتمبر ١٩٦٩ يؤكد فيه التثقة في قدره مصر على  
الحرب التحريرية . خلال ١٨ شهرا ان جمال عبد الناصر لم يشأ أن يفصح  
عن اسرار خطته القتالية حرصا على السرية الضرورية .  
ومن الجانب الآخر كانت تساور بعض العادة العرب التورين شكوك  
حول أسلوب النظام المصرى في مواجهه الهزيمة .

كانت بعض الاحداث المثيرة تخلق شعورا بالشك في قدرة القوات  
المصرية المسلحة . . . مثل حادث الزعفرانه وشدوان وضرب فنانر نجع حمادى  
وغيرها . . . كما ان عدم المعرفة الكاملة بتطورات الخطه المصريه كان يحل  
بوعا من الغموض في العلاقات .

واذا كان جمال عبد الناصر لم يشأ ان يفصح عن اسرار خطته القتالية  
فانه لم يشأ ان يفصح أيضا عن اسرار خطته السلامييه .  
كان مؤمنا بالسرية في حركته سواء في الحرب أو السلام . . . تماما  
كما اعتمد على السرية المطلقة في اعداد حركة يوليو ١٩٥٢ العسكرية ، وفي  
تأميم القناة ١٩٥٦ ، وفي اعلان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية .  
غادر جمال عبد الناصر مؤتمر الرباط نلاحقه بعض الشكوك وعلامات  
الاستفهام .

قال الفريق صالح مبدى عماش انه غادر بغداد بالطائرة الى القاهرة ،  
ودخل الاجواء المصرية دون تبليغ ، وان أحدا لم يعترضه فى الجو ، ولم تطلق  
على طائرته طلقة انذار الى أن اقترب من القاهرة وأبلغ عن وصول طائرته .  
وقد زرع ذلك فى نفسه شكوكا عميقة فى قدرة الدفاع الجوى المصرى ، وفى  
اتجاه جمال عبد الناصر للتسوية السياسية .

ذهب جمال عبد الناصر الى طرابلس حيث اجتمع مع القذافى ونمبى  
وهناك تم التوقيع على ماعرف باسم ( ميناق طرابلس ) والذي يضمن لمصر  
عمقا استراتيجيا فى الغرب والجنوب .

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان طائرات T. U. 16 البعيدة المدى

كانت في الجزائر وفي قاعدة العضم بليبيا ، وأن ميناء طبرق فتح أبوابه للبحرية المصرية . كما انها تواجدت أيضا في مطار وادي سيدنا شمال الخرطوم وهو مطار يخرج عن آخر مدى للفانطوم .

ويقول أيضا ان طائرات أخرى حديثة - ميج ٢٥ - كان لها دور في الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، ولكنها كانت تقبع في الاتحاد السوفيتي ، على أن تكون في الاجواء المصرية بعد ٦ ساعات فقط من اشارة استدعائها للمعركة .

كان جمال عبد الناصر مهتما بتحسين العلاقات مع السودان وليبيا ، تأميناً لحركتهما العسكرية ، وضماناً لأمنه الاستراتيجي . ولذا زار السودان أيضا بعد أيام في أول يناير ١٩٧٠ للاحتفال معهم بعيد الاستقلال . كان جمال عبد الناصر يبحث عن السلام . من فوهة البندقية . ولذا لا يمكن اصفاء شبهة الضعف أو التهاون على محاولات جمال عبد الناصر السلمية ، للوصول الى تسوية سياسية . بل انها يمكن ان تعتبر رصيда لصقل شخصيته كرجل دولة مسئول .

### اتصالات . من اجل السلام

لا يمكن القول بأن هناك اتصالا واحدا من أجل التسوية السياسية والسلام .

كانت هناك اتصالات كثيرة تغلفها السرية . بدأت مع الهزيمة . وما قاله صلاح نصر من وجود اتصا مع جونسون في محاوله لعقد مقابلة بين السفير الامريكي في روما ومسئول مصري مفوض (احمد حسن العقي وكيل وزارة الخارجية) خلال شهر يوليو ١٩٦٧ ، هو امر يثبت - ولو انه لم يتم - ان جمال عبد الناصر كان يحاول سلوك كل سبيل ممكن للتعرف على امكانيات السلام .

ويؤكد ذلك أيضا مانشره النائب علوى حافظ من اتصالات قام بها مع الامريكيين خلال شخصية هندية الاصل كانت تعمل لحساب المخابرات المركزية الامريكية . وهي اتصالات لا يمكن أن تتم الا بمعرفة جمال عبد الناصر شخصيا . ورغم انها لم تنته الى شيء لصالح مصر الا انها اثبتت اليقين في أن أمريكا ليست مخلصه في حقيق سلام عادل ، ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الصلات في كتاب نشره علوى حافظ حول هذا الموضوع .

وقد نشطت اتصالات الامريكيين في الاتصال بمصر بعد الهزيمة محاولة من حكومتها في تجسيد فكرة ان الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة القادرة على فرض السلام عن طريق الضغط على اسرائيل .

ولم تقتصر محاولات الاتصال على صلاح نصر أو علوى حافظ وانما وصل الى القاهرة أيضا المالى الامريكي المعروف اندرسون بوصفه ممثلا شخصيا للرئيس الامريكي جونسون ، وعقد مقابلة مع جمال عبد الناصر

صدر بعدها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .  
كما انها لم تنص على المصريين فقط .

حاول بعض الزعماء من اصدقاء مصر وعبد الناصر ان يسهموا بدور في اقرار السلام بالمنطقة . . أرسل شاوشيسكو سكرتير الحزب الشيوعي الروماني نائب وزير الخارجية جورجيو ماكوسكو للاتصال بعبد الناصر في يونيو ١٩٦٨ ، بعد ان أمضى حذوع رافائيل أحد كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الاسرائيلية فترة في بوحارست لمحاولة اقامة اتصالات مع القاهرة سواء سرية او علنية . . وكانت رومانيا هي الدولة الانسراكية الوحيدة التي احتفظ بالعلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

ولم يرفض جمال عبد الناصر العرض وانما طلب من المسئول الروماني ان يعود اليه ومعه خريطة بوضح عليها الحدود التي بغى اسرائيل ان يعوم السلام عليها .

وسافر المسئول الروماني ولم بعد . . فلم يكن هناك رد من الحكومة الاسرائيلية .

وكذلك فعل عبد الناصر مع هلاسلاسي عندما حاول التدخل في القضية خلال يونيو ١٩٦٩ قبيل زيارة أبا امان وزير خارجية اسرائيل لادس ابانا وفد طلب من الامبراطور ان ينافس الامر مع ابيان ويحصل منه على خريطة بالحدود التي تصورها اسرائيل . . ولم يصل الجواب ايضا .

وأبلغ الملك حسين جمال عبد الناصر انه تلقى رساله من ليلى اشكول رئيس وزراء اسرائيل عن طريق يارنج وسيط الامم المتحدة ولكنه رفضها . وقال الملك انه يعتقد ان يارنج واقع تحت ضغط اسرائيلي يوجهه نحو تواجد مندوبين سريين للدول العربية لمقابلة مندوب اسرائيل في حضور يارنج . كانت اسرائيل تصرح علنا بأنه لايد من مفاوضات مباشرة بين الطرفين . وكانت نعهد لذلك بفكره الاجتماعات السرية . . التي رفضها العرب جميعا باعتبار ان مبدأ المفاوضة يعني قبول الهيمنة امرا واقعا يدعى له العرب بالجلوس مع المنتصرين على مائدة واحدة .

كان هذا المبدأ الذي اتفق عليه في الخرطوم مارال ساريا ومؤكدا ، والسامعات التي لاحق الملك حسين من انه قد عقد اجتماعات سرية في هذه الفترة مع بعض المسئولين الاسرائيليين لم سب صحتها . . وكان الملك يقوم بدور الوسيط لس بين الدول العربية واسرائيل ، وانما بن القاهرة والرباض حب بعب العلاقات بارده بعد مؤتمر الخرطوم الى أن زار الملك فيصل القاهرة أثناء ذهابه الى مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) . . وكان الملك قد أخذ موافقة مؤتمر القمة بالخرطوم على ان يبذل كل جهده وصلاته مع الغرب لمحاولة تحرير الضفة العربية دون حرج .

ولكن صلاب الملك حسين مع العرب لم يجر .  
ومحاولات امريكيين مع القاهرة لم تقدم شيئا ناعما يفر من طبيعة دورها .

ووساطات اسرائيل لعقد اجتماعات سرية مع مندوبى الدول العربية كانت بعضى في طريق مسدود .

## اتصالات شعبية ٠٠ من اجل السلام

لم يوصف اتصالات السلام عند الحدود الرسمية الحكومية ، وانما انطلقت الى مجال جديد ، هو مجال الاتصالات الشعبية داخل اسرائيل .  
والتي كان الهدف منها هو تشكيل قوة تضاعفة ضد الحكومة الاسرائيلية التي كانت ترفض الاسحاب من الارض المحتلة ثمنا لاسرائيل .  
وقد شاعت الظروف ان اكون طرفا في هذه الاتصالات سفوسا من جمال عبد الناصر .

بدأ ذلك عقب زيارة الى فرنسا في مايو ١٩٦٩ التقيت فيها بعدد من اليهود المصريين الذين اخرجوا من مصر بتهمة الشيوعية ، وهي مقدمتهم هنري كورييل .

كان التحليل السائد حتى هذه اللحظة ان سكان اسرائيل يشكلون مجموعة متماسكة موحدة غير قابلة للانقسام فيما يختص باهدافها او اعراضها ٠٠ وهو تحليل خاطئ لانه ينكر وجود تناقضات رئيسية وفعية داخل المجتمع الاسرائيلي .

كان الموقف العربي الذي دام سنوات طويلة يعبر ( سلبيا ) لانه ينكر وجود اسرائيل وحقوق سكانها ، بل ورفض اي صلة مع اي شخص ينتمي الى هذه الدولة حتى اذا كان معارضا معروفا لسياسة الحكومة الاسرائيلية ومناصرا للمواقف العربية .

وفي كفافه المؤتمرات الدولية ، كان ( حضور ) المندوب الاسرائيلي يفرض ( انسحاب ) المندوب العربي او مطالبته باخراج مندوب اسرائيل .  
وكان هذا الموقف يتجاهل تماما التناقضات التي بهز المجتمع الاسرائيلي ونقوم بين اليهود الشرقيين (سفرديم) واليهود الغربيين (اشكاري)، والتي تقوم ايضا بين العرب واليهود حاملي الجنسية الاسرائيلية ، وبين الاحزاب المدنية - الماباي والمابام - والاحزاب الدينية ، وبين جبهة انصار السلام التي تزداد اتساعا وتطالب بالانسحاب ثمنا للسلام ٠٠ وبين الحكومة التي تنتهج سياسة توسعية معادية للسلام ٠٠ واخيرا بين الاحزاب التقدمية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي ( راکاح ) الذي يبني سياسة مؤيدة للحق العربي ، وبين الاحزاب الاخرى التي تتبنى سياسة صهيونية مغامرة ورجعية .

هذه التناقضات - رئيسية او فرعية - لم تكن موضع اهتمام السياسة العربية ، ولم تأخذ حيزا مناسبيا في مجال الدعاية العربية ٠٠ ولذا فانه بعد مناقشات طويلة في فرنسا تبين ان يمكن للسياسة التي تستهدف السلام ان تلعب دورا مؤثرا داخل اسرائيل لاجتذاب العناصر الديمقراطية والسلامة داخلها ، وانه يمكن لهذه العناصر بالتالي ان تلعب دورا مؤثرا في الحياة السياسية والاعلامية الاسرائيلية لتغيير العقيدة التي رسختها القوى الصهيونية بان العرب يطلبون تدمير اسرائيل وهدم كيانها ووجودها .

وعندما عدت الى القاهرة خاطبت جمال عبد الناصر بهذا الرأي ، وأوضحته له انه يمكن خلال الاتصال بالعناصر المصرية الاصل في باريس أن تلعب دورا ايجابيا مناصرا للسلام العادل ، داخل اسرائيل .

لم يتردد جمال عبد الناصر في الموافقة على بدء هذه الاتصالات متابعيا سياسة ( السلام من فوهة البندقية ) فقد اقترنت هذه المرحلة بحرب

الاستنزاف التي قال لي بعض من انصلت بهم انها كانت تعنى كارهه للامهات  
اللائي يذهب اولادهم لجبهة سيناء .

والنفيت خلال الزلاء المصريين مع أمنون كابليوك - الكاتب الصحفي  
المعروف عضو حزب المابام ومراسل الموند في اسرائيل - ونانان يالين مور  
مؤسس جماعة (شتيتيرن) التي اغتال اعضاءها للورد موين عام ١٩٤٦ في  
القاهرة ثم تحول مع الوقت ليصبح معاديا للارهاب وبصيرا للسلام ،  
والكاتب والاديب الاسرائيلي المشهور عاموس كينان ، وشالوم كوهين نائب  
الكنيست عن جماعة (القوات الجديدة) التي كان يرأسها ( يوري افيري )  
عضو الكنيست أيضا ، ورئيس تحرير صحيفة (هاعولام هوزيه) ومؤلف  
كتاب ( اسرائيل بلا صهيونية ) . هذا الى جانب عناصر قيادية من  
حزب راكاح .

كانت هذه الاجتماعات تأخذ طابع البحث الجاد في طريق الوصول الى  
السلام العادل . وكانت فرصة مفيدة لتوضيح اسرائيلية جمال  
عبد الناصر التي أصبحت محل اقتناعهم تماما بأهدافها السلامية اسر تقوم  
على أساس قرار مجلس الامن الذي يعترف في مضمونه بوجود اسرائيل  
تكررت هذه الاجتماعات وتعددت حتى كسرت تماما حاجز الشك من  
ناحية السياسة المصرية في نفوس العناصر التقدمية اليهودية داخل اسرائيل .  
وبدأ تحول واضح في أسلوب الكتابة . بل وفي أسلوب تجمع العناصر  
الديموقراطية داخل اسرائيل .

وأصبح لسياسة مصر أنصار داخل اسرائيل .  
ولكن هذا لايعني ان السلام قد أصبح في متناول اليد . ولكنه تحول  
من سراب الى هدف يزداد الاقتراب منه يوما بعد يوم .  
وقد دشّن جمال عبد الناصر هذه الانصالات ، ومنحها دفعة سياسية  
قوية - وهي التي ظلت مغلفة بالسرية الضرورية - بحديثه لأول مرة في عيد  
العمال أول مايو ١٩٧٠ بشبرا الخيمة عندما ذكر دور العناصر أنصار السلام  
داخل اسرائيل .

كانت هذه هي أول مرة في تاريخ السياسة العربية بعد قيام اسرائيل  
عام ١٩٤٨ ، يتحدث فيها زعيم عربي . بل أعظم زعماء المرحلة . عن  
العناصر المعارضة لسياسة الحكومة الصهيونية التوسعية ويشيد بدورها .  
ويثبت بذلك ان النظرة العربية السابقة الى اسرائيل ككيان موحد متماسك  
قد تغيرت .

وقد وصلت هذه الاتصالات الى الحد الذي دفع ناتان يالين مور الى  
نشر حديث مع كاتب هذه السطور يوم ٣ مايو ١٩٧١ في صحيفة (هآرتس)  
اليومية ، ومجلة ( اكنواليتيه ) الفرنسية ، وقد أعادت نشره جريدة الاتحاد  
العربية التي تصدر عن حزب ( راكاح ) في حيفا ، أتاح لي فيه فرصة تفسير  
الموقف المصري للمواطنين العرب واليهود داخل اسرائيل ، وإدانة موقف  
حكّام اسرائيل . وكان هذا أول حديث مع مصري ينشر في الصحف  
الاسرائيلية .

كان جمال عبد الناصر يتابع خطوات الاتصال، ويدخلها في حساباته

السياسية ، تماما مثل لاعب الشطرنج الذى يحسن استخدام كل القطع ، مستخدما المبدأ العسكرى ( استعمال المجاح ) .

## فضية جولدمان

وصادف أن اتنعل موضوع هذه المقابلات الى مجال جديد لم أحظط له ، ولما جاء مصادفه وبمبادرة خاصه .

البلغنى الرميل الكاتب الصحفى ايريك رولو مسئول قسم الشرق الاوسط بصحيفه ( لوموند ) الفرنسيه ان ناحوم جولدمان يببى افكارا بتعارض مع سياسه الحكومه الاسرائيليه ، وبتلقى مع افكار جمال عبد الناصر السلاميه . . . وانه قد تلقى دعوة لزيارة مصر عن طريق الماريسال نيتو ، وانه عندما علم بوجودى فى باريس ، وبالدور الذى اقوم به ، طلب مقابلنى .

ولم يكن فى ذهنى أن ألتقى مع مثل هذه الشخصية الصهيوية الكبيرة التى تراس ( المجلس اليهودى العالمى ) ، ولكنى عندما علمت أن هناك دعوة موجهه له لزيارة مصر لم أردد فى مقابلته . . . واجتمعنا فى منزل ابريك رودو المظل على ( البانثيون ) مقبرة العظماء فى باريس .

جولدمان بشخصيه عالميه معروفة له صداقات مع عدد كبير من زعماء العالم ، نحاو السبعين ولكنه يملك صحه جيدة وحديا فيه مرح السباب وفدرا وورا من المعلومات .

كتب هيكلم فى كتابه ( الطريق الى رمضان ) يقول ان ناحوم جولدمان حاول الاتصال بعبد الناصر عن طريق سبو ، ولكنه بعد تبادل خطابين بين جولدمان والماريسال بدا واضحا أن الامر لا يؤدى الى شىء ما .

ولكن جولدمان كان قد بدأ يدرك الاخطار الى سمرض لها اسرائيل نتيجة عماد سياسه حكومة جولدا مائير .

قال لى انه أثناء محادثة بليفونيه مع بنحاس سابير وزير الحزانة الاسرائيلى يسأله فيها عن زوجته المريضة بالسرطان قال له سابير : ان حالة زوجته ميئوس منها تماما مثل حالة الدولة الاسرائيلية .

وأوضح لى أن عنده اقتراحات لتحريك القضية ودفعها نحو السلام ، بدلا من انفجار حربى قد يعرض الطرفين لاططار شديدة ، ويزيد الممرارة بينهما . . . وانه يوجد داخل الدوائر الحاكمة الاسرائيلية عناصر تؤيد موقفه وتسانده . . . وطلب منى ان أحمل هذه الرسالة الى عبد الناصر حتى يعرب ذلك من موعد زيارته المحتملة .

واعتقدت ان الدعوة بمضى فى طريقها لحلال وساطة تينو . . . وأن دورى لن ينعدى شرح وجهة نظره الى جمال عبد الناصر .

وكانت هذه المقابلة ليلة سفره الى بل ابيب . . . ويبدو انها شجعتة على مصارحة جولدا مائير بأن عنده دعوة لمقابلة جمال عبد الناصر .

ثارت جولدا مائير ، ورفضت ان تصرح له بقبول الدعوة . . . وقامت بين الاثنين - وهما من الرعيل الاول للصهاينة - مشادة انتهت الى حد التهديد



بالتنازل عن جواز سفره الاسرائيلى وهو يحمل أربعة جوازات سفر (أمريكى وبريطانى وسويسرى واسرائيلى) .

وعندما وصل الامر الى أجهزة الاعلام تفجرت التناقضات داخل اسرائيل فجأة ، ونشرت الصحف ان جولدمان قد صرح بأنه قد التقى بمندوب مصرى فى باريس حمل له دعوة من جمال عبد الناصر . وكان ذلك يوم عودتى من باريس الى القاهرة ، وقد فوجئت بذلك عندما طالعت الصحف الفرنسية . وتحيلت التأثير المفاجئ لذلك على نفسية جمال عبد الناصر .

ولذا أسرع فور عودتى بكتابة خطاب الى عبد الناصر شرحت له فيه ظروف المغالبة وما دار فيها . وتلقيت فى المساء مكالمة لليفونية من صديق فى مركز السلطة يتساءل فى دهشة عن الاسباب التى دفعنى لمثل هذا اللقاء . وما قد يجلبه ذلك على من متاعب .

نصادف أن كان صديقى الشهيد عبد الخالق محجوب موجودا فى القاهرة بعد ابعاد جعفر نميرى له هو وصديق المهدي . فاستمحت لنفسى أن اكسر حصار السرية التى تفرضها مثل هذه المقابلات على الانسان ، وصارحته بما حدث ، وبمكالمة الصديق وما يتوقعه من متاعب . ولكن عبد الخالق كانت له وجهة نظر مختلفة ، وهى انه طالما ان جولدمان يנהج سياسة سلامية معادية للحكومة الاسرائيلية فان جمال عبد الناصر لن يقيم سدا فى هذا الطريق ، ولن يمنع أحدا من السير فيه .

وكانت خلافات جولدا مائير وناحوم جولدمان قد أثارت عاصفة حقيقية داخل اسرائيل وعبرت عنها صحيفة (الاهرام) بما نشرته صباح ١٨ ابريل ١٩٧٠ عندما قالت :

فجرت ( حكاية جولدمان ) والدعوة المزعومة التى قيل انه تلقاها لزيارة القاهرة خلافات عميقة داخل المجتمع الاسرائيل وكشفت عن القشرة الدقيقة التى تغطى التمزق داخل الائتلاف فى حزب العمال وفى الحكومة وفى الحركة الصهيونية عموما .

وقالت عن وكالة الانباء الفرنسية (ان مسألة جولدمان أحدثت خلافات حادة فى الرأى داخل الكنيست وفى داخل الاحزاب نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف الوزارى داخل الحكومة ومن أبرز مظاهر هذا الخلاف :

١ - ان مجموعات من (العسكريين) والطلبة تظاهروا أمس امام مبنى الوزارة وهم يحملون لافتات تؤيد جولدمان وتعارض مائير قائلة ( الى المطبخ يا جولدا . الى القاهرة يا جولدمان ) .

٢ - الصحف تنقد الحكومة لانها أساءت معالجة الازمة .

٣ - طالب بعض النواب بمناقشة الموضوع فى البرلمان .

٤ - جولدا دعت اللجنة المركزية لحزب العمل .

وذكرت يونيتدبريس ( ان جلسة الكنيست كانت عاصفة وتبدلت فيها الاتهامات الى حد السباب ، وبأدركت الحكومة الى اغلاق الباب على القضية ) .

وكانت الحكومة قد هاجمت جولدمان لانه (أثار دراما كبيرة حول موضوع لأساس له).

كما ان أبا اييان وزير الخارجية قال ( انها فماعة صابون كبيرة )  
وأخيرا صرح جولدلمان بأنه ( لم ينلق دعوة وان كانت هناك افراحات  
بذلك ) .

واكتملت الفصية أو كادت عندما وصلت الى القاهرة برقية لوكالة  
الانباء الفرنسية نقول :

صحيفة اسرائيلية تحدث عن مسألة الوسيط المصرى .  
بل أبيب في ٨ ابريل ٠٠ قالت صحيفه هاآرنس الاسرائيلية المستقلة  
ان الوسيط المصرى الذى قال الدكتور ناحوم جولدلمان انه قابله في باريس  
هو أحمد حمروش رئيس التحرير الحالى للمجلة روزاليوسف المصرية الاسبوعية  
الهامة .

وأضافت الصحيفة نقول ان أحمد حمروش يعتبر من الايديولوجيين  
المقربين من موسكو وأنه قام عدة مرات بزيارة الاتحاد السوفييتى .

وقالت صحيفة ها رتس انه على الرغم من ان أحمد حمروش ليس مقربا  
من الرئيس عبد الناصر مثل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير (الاهرام )  
فان الرئيس المصرى لم يكن ليعهد اليه برئاسة تحرير مثل هذه  
المجلة الاسبوعية لو لم يكن يقدره تعديرا كبيرا ) .

وبقيت أنظر ردود الفعل فى القاهرة ٠٠ وأحدث نفسى عما يمكن أن  
يقوم به عبد الناصر فى معالجة الموضوع ٠٠ الى أن تلقيت مكالمة تليفونية من  
الزميل أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يدعونى فيها الى  
مكتبه برئاسة مجلس الوزراء ٠٠ وما أن دخلت حتى قدم لى الخطاب الذى  
رفعه الى جمال عبد الناصر وعليه هذه الناشيرة (حمروش ٠٠ لمواصلة  
الاتصال بجولدلمان ومحاولة أن يكون صديقا له ) .

وهذا أنفاسى ، وأدركت ان جمال عبد الناصر يتصرف بأسلوب رجل  
الدولة المسئول ، وان ظروف مابعد الهزيمة قد صقلت تجربته وخبرته ،  
وانه فى حرصه على السلام العادل يسلك السبيل السليم .

وطلب منى أمين هويدى ان أستعد للسفر الى باريس لمقابلة جولدلمان  
بناء على تعليمات عبد الناصر فقد كان مفروضا ان يعود من تل أبيب اليها  
فى اليوم التالى .

وهكذا بدأت قضية جولدلمان ٠٠ وتعددت مقابلاتى معه فى منزله  
بباريس أو فى منزل ايريك لو ٠٠ وكان مصدرا من أهم المصادر الزاخرة  
بالمعلومات . فكيسنجر - حسب قوله - هو ابن المربية التى كانت تشرف  
على بيت أسرة ناحوم جولدلمان .

ولم يعلم بهذه الصلة من المصريين غير الذين تتيح لهم مراكزهم فرصة  
معرفة مثل هذه الامور سوى الزميل الكاتب الصحفى سعد كامل الذى وافق  
جمال عبد الناصر على تعريفه بما يدور . لأهمية الدور الذى يمكن ان يؤديه  
حيث كان قد قرر الافامة فى باريس عدة شهور للدراسة والمراسلة الصحفية  
٠٠ وهو صديق أيضا للمجموعة التى بدأت صلتنى معها من اليهود المصريين  
فى فرنسا ٠٠

والاتصال بناحوم جولدمان وهو مالى كبير . . مع الاتصال بالنقديين داخل اسرائيل كان يجمع في نفس الوقت بين عناصر مختلفة سياسيا ولكنها متفقة في النظرة الى ضرورة واهمية العمل من اجل السلام . . وهو ما كان يتفق مع اهداف جمال عبد الناصر .

كتب ناحوم جولدمان خلال فترة اتصاله به ثلاث مقالات نشرت في صحيفة الموند بتاريخ ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مايو ١٩٧٠ بذاها بقوله :

( لم اكن اعتقد حتى بعد الانتصار الساحق في حرب الايام الستة ان هذا النصر يمكن ان يؤدي الى تسوية للصراع العربى الاسرائيلى . وينطبق نفس هذا الاعتقاد على الوسائل التى يلجأ اليها المسؤولون عن السياسة الخارجية في اسرائيل . ومع ذلك فقد امتنعت لمدة سنتين ونصف عن الافصاح عن آرائى غير الملزمة حتى لا اعقد مهمة الحكومة التى انتسب اليها ) . ويستطرد جولدمان في شرح آرائه الجديدة قائلا :

( كان حاييم وايزمان - وهو من أكثر رجال الدولة الصهيونيين سمرا وبعدا للنظر - يرى ان الصراع العربى اليهودى ليس صراعا بين الحق والظلم ولكن بين حقين ) . ويقول ايضا :

( ان سياسة الانتقام التى نشأت بوحى من بن جوريون لم تؤد الا الى زيادة عداوة العرب وتوسيع الهوة التى تفصل بيننا وبينهم ) . ويعارض جولدمان مطالبة الحكومة الاسرائيلية بالمفاوضات المباشرة قائلا : ( ان هذه الطريقة يجب ان تكون غاية وليست بداية . . لان العرب يرون ان المفاوضات المباشرة في الوقت الحالى تساوى الاستسلام . . وقد ضعف موقف اسرائيل في المجال الدولى بسبب سياستها المشددة غير المرنة ) .

كما يدعو الى ضمان الدول الكبرى بعدم انتهاك الحدود التى يتفق عليها ضمانا فعليا لموسا . وليس ضمانا ( املاطونيا ) كما ينادى بعقد اتفاقية دولية تحدد شحنات الاسلحة المرسلة الى دول الشرق الاوسط .

وقد صرح جولدمان في باريس بتصريح نقلته عنه رويتر يقول فيه :

( انه يعتقد انه من الممكن ان يسعى الزعماء المصريون والاسرائيليون الى التوصل لتسوية سلمية في الشرق الاوسط عن طريق الاتصالات السرية ) .

ثم يدون جولدمان عدة مقترحات تصلح اساسا للمناقشة لانها تتضمن الانسحاب من الارض العربية المحتلة . وتتضمن اقتراحا عن اقدس يقول فيه بجعل هذا القطاع منطقة مستقلة ذاتيا يتولى سكانها ادارتها ، ويكون لها وضع دولي .

ثم يطالب جولدمان حكومة اسرائيل بقبول قرار مجلس الامن - دون غموض - وذلك اذا ارادت الاسراع في التسوية . . وحكومة اسرائيل لم تكن قد قبلت قرار مجلس الامن .

واكد ان السرية أمر ضروري ، وأضاف انه يعتمد أن جولدا مائير وافعه تحت ضغط من المفقين الذين يسعدونها لعدم بدلها العذر الكافي من الجهد لاجل السلام . ولكن مثل هذه التصريحات من جانبها قد سبى الى العرص الممكنه لاجراء اتصالات سرية بين الممثلين المصريين والاسرائيليين وأساف ان المصريين مستعدون للتوقيع على معاهدة سلام رسميه مع اسرائيل ، ولكنهم سيمعلون ذلك فقط فى حالة انسحاب الاسرائيليين من صحراء سيناء وبحول شبيه الجربة الى منطقته منزوعة السلاح ومن بنها شرم الشيخ وهى نقطة أساسية يحرس المدخل الى مضائق بران وأضاف ان من بين الرغبات أن يتم فتح قناة السويس وخليج العقبة للملاحة الدولية وأن تقوم قوة حفظ للسلام تابعة للأمم المتحدة تحت الاشراف المباشر لمجلس الامن لحراسة سيناء . وأضاف ناحوم جولدمان ان المشكلة الكبرى هى القدس ويمكن التوصل الى حل بالنسبة لايجاد وضع خاص للقدس التى يمكن ان يحفظ بأغلبيتها اليهودية )

وقد نمت آراء جولدمان وانتشرت بين عدد كبير من اليهود داخل وخارج اسرائيل . وقد أبلغنى خلال مقابلاتى معه ان عددا من المسؤولين الاسرائيليين يهيمسون له برغبتهم فى التوصل الى اتفاق بنفذ اسرائيل من ورطتها — على حد تعبيره .

وكان جولدمان يعتبر ان بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل هو اكثر الوزراء تقهها للموقف ورغبة فى السلام . كما ان موسى ديان كان يحاول الاتصال عن طريق جولدمان ، وعندما أنرت مداعبا عصابة عينه السوداء التى تكشف كل محاولة سرية ، قال جولدمان انه قد أبدى استعدادا للبرس نظارات سوداء ، وانه قد سبق له ممارسة ذلك فى اتصالات خاصة .

ولكن جمال عبد الناصر لم يتخذ قرارا نهائيا فى حضور جولدمان للقاهرة أو فى السماح لى بمقابله المسؤولين فى الحكومة الاسرائيلية مكتفيا بتشكيت الضغط على الحكومة خلال كماشه طرفها حرب الاستنزاف المتصاعدة وطرفها الثانى جماهير اسرائيل المتعطشة للسلام مع الشخصيات المعكرة من المنقذين والادباء والعلماء والسياسيين الذين اتسعت جبهتهم حتى شملت اوليف سكرتير حزب ماباى والذى اصلنا به فاضع رغم افكاره الصهيونية باهمية الانسحاب من الارض المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين كوسيلة لاقرار السلام الدائم وهو الموقف الذى انتهى به الى الاستقالة من حزب العمال وتشكيل حزب خاص .

وقد كانت الفرصة مناحة لناحوم جولدمان لعرض آرائه ونشرها فى مختلف صحف العالم باعتباره رئيسا للمجلس اليهودى العالمى .

وكان ناحوم جولدمان يفكر تفكيرا بعيدا عن الحكومة الاسرائيلية . ولو انه ينبع من حرص على بقاء اسرائيل وضمان أمنها فى المستقبل .

آراء جولدمان التى ضمنها مقالاته ثم كتابه (رئيس دولة بدون دولة) أثار ضجة فى اسرائيل والحركة الصهيونية ، لانها أظهرت ان سياسة حكومة اسرائيل تزاد افلاسا وانتقادا للحس التاريخى ، وانها تخلق تناقضا بين اسرائيل ويهود العالم .

ولا اريد ان انعرض فى هذا الكتاب لآراء جولدمان بالنقد أو التحليل لان ذلك أمر يطول . . ولكنى أقف فقط عند النفاض الذى اوصفه جمال عبد الناصر ولعب عليه . . فليس أمرا سهلا ان يحدث زعماء الحركة الصهيونية حول مفهوم السلام .

وقد اراد جمال عبد الناصر ان يزيد السافض حدة وكشف عن صلتى مع ناحوم جولدمان فى خطابه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ مددلا بذلك على رغبة مصر فى السلام وعناد حكومة اسرائيل . ولا نطوى صفحة هذه القضية قبل التأكيد بأن سياسة جمال عبد الناصر السلمية قد اكسبته تأييدا كبيرا فى الراى العام العالمى . . وفى داخل اسرائيل .

### مبادرة روجرز

وجاءت مبادرة روجرز بعد فضيه جولدمان .  
حرب الاستنزاف مارالت فى عموها ، وجمال عبد الناصر لاجنح  
لاحلام السلام وحدها . . ولكنه يقبض على بدويه لها فوهان ، واحده  
للحرب واخرى للسلام .

كان جمال عبد الناصر قد اطمان الى الدفاع الجوى عن داخل مصر مند ١٨ ابريل ١٩٧٠ عمب وصول أظمم الدفاع السوفيينه واعلان موشى ديان وقف عارات الاعماق لانه لا يريد مواجهة السوفيت . كما سبق أن أشرت .  
ولكن المعركة فوق منطقة القناة كانت تزداد شدة . . والغارات الاسرائيليه لاتوقف معظم ساعات اليوم . والجود يعانون من الجهد والارهاق ولو أن الخسائر كانت نفل مع الوقت نظرا لاعتيادهم المعركة ، وكذلك كانت نرفع روحهم المعنوية ، عندما يكتشفون ان الغارات التى أعلن جمال عبد الناصر فى احدى خطبه انها تكلف اسرائيل مليون دولار يوميا قد انتهت بغير خسائر أو بخسائر محدودة .

وكان التركيز الشديد للغارات الاسرائيلية بؤرى عبد الناصر كثيرا ، لانه يعطل - الى حد ما - تربيان انجاز الحطة الدفاعية ٢٠٠ ، كما انه كان يتأثر كثيرا لاجبار الضحايا من الضباط والجنود ، وخاصة الذين شاءت الظروف له ان يلتقى بهم .

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اعتاد فوق زياراته المتكررة للجبهة وحضور المناورات والتدريبات . . كان يذهب للقيادة العامة مريبن كل اسبوع وبداول طعام العشاء هناك .  
وخلال هذه الحرب المركزة المصاعده كانت الاعصاب ممدودة واليقظة فى فمتها والتعاون مع الاصدقاء السوفيت فى أوفى صوره .

قال لى الفريق أول محمد فوزى انه حدث ان نحطم ١٢ ايريال رادار فى احدى الغارات ، فاتصل بالخبر السوفيسى الذى أرسل رسالة عاجلة الى موسكو بالشفرة ، ووصل المطلوب خلال ١٢ ساعة فقط .  
كما يقول ان ٣٠ خيرا ومسنشارا سوفيينا قد قتلوا أثناء المعارك ، وأن أربع طائرات ميج سوفيتية قد سقطت نتيجة توجيه سبىء من غرفة (الكنترول) فى بنى سويف ، حيث وضعهم فى موقع القريسة من طائرات

اسرائيلية مهاجمة ٠٠ ولم يكن العيب في الطائرات أو الطيارين كما حاول البعض التلميح لذلك ٠

ورغم ان جمال عبد الناصر كان قد سافر الى موسكو في رحلته السريه يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ الى بوسل وفيها الى احد المواقع على ارساء وحداث دفاع حديسه سوفيهيه الى مصر لأول مرة في تاريخ العلاقات بين الدول الاسنرايه ودول منطقه البحر الوطنى ٠٠ رغم ذلك فانه سافر الى موسكو مره ثابته يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ على رأس وفد مسكل من على صبرى ومحمود رياض ومحمد حسين هيكل ومراد غالب ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى وكب محمد حسين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) انه فى بداية المحادثات قال جمال عبدالناصر لبريجنيف (ان عندى أجبارة سارة فقد اسقط أولادنا أمس ثلاث طائرات اسرائيليه - ٢ فاسوم وطائرة سكاى هوك - ولكن بريجنيف نظر الى حريشنيكو الذى اخرج ورفقه من حبه ونظر فيها ثم تحدث بالروسية مع بريجنيف الذى قال (يبدو بارففى ناصر انك قد احطاب فى الحساب فانه بناء على معلوماننا فانكم اسقطتم ٦ طائرات وكان هناك خط ربط نليفونى بين وزارة الدفاع السوفيهيه وفادة الخبراء السوفيت فى القاهرة ٠

وبين الزيارة الاولى ٠٠ والزيارة الثانية ٠٠ كانت قد حدثت فى مجال الاتصالات الدولية والسياسية أحداث هامة ٠

حدث ولیم روجرز ووزير الخارجية الامريكة يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ فى أحد المؤتمرات قائلا :

(سياسة الولايات المتحدة الامريكية تهدف الى تشجيع العرب على قبول سلام دائم وفى الوقت نفسه تشجع اسرائيل على قبول الانسحاب من اراض محمله بعد توفير ضمانات الامن اللازمة ، وان ذلك يتطلب اتخاذ خطوات تحت اشراف جوبار يارنج ونفس الترتيبات التى اتخذت فى رودس عام ١٩٤٨ ، وكمبدأ عام فانه عند بحث موضوعي السلام والامن فانه مطلوب من اسرائيل الانسحاب من الاراضى المصرية بعد اتخاذ ترتيبات للامن فى سمر النسيخ ، وترتيبات خاصة فى قطاع غزة مع وجود مناطق منزوعة السلاح فى سيناء) ٠

ويلاحظ ان هذا التصريح الذى يعتبر جديدا فى موقف الولايات المتحدة لم يصدر الا بعد اشتداد حرب الاستنزاف ٠ واثيرها على القوات الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي ، وهو مايجب ان نحرص على توضيحه دائما ، فقد كانت هذه المرحلة من أهر مراحل نضال الجنود المصريين ٠ قابلت القاهرة تصريح روجرز بالصمت التام وبغير تعليق يظهر الرفض او القبول ٠

أما اسرائيل فهد بادرت الى رفض مبادرة روجرز ٠ ويبدو ان حكومة اسرائيل فى صلتها مع الحكومة الامريكية خلال هذه لفترة كانت تركز وتعتمد على هنرى كيسنجر الذى كان مستشار الرئيس لأمريكي للامن القومى فقط ٠٠ وذلك كما أبلغنى ناحوم حولدمان وهو يقول ن كيسنجر كان يستخف بروجرز ويسمى لان يحل محله ٠

وقد وصل ناير حرب الاسسراف على اسرائيل الى الحد الذى دفع الحكومة الامريكية الى تقديم مذكرة يوم ٢ فبراير ١٩٧٠ عقب ايام من عوده عبد الناصر من موسكو نطلب فيها وقف حرب الاسسراف والعودة لوقف اطلاق النار والا فان اسرائيل سوف تستمر فى غارات العمق ولن تستطيع أمريكا ان تفعل شيئا .

ونايعت حكومة الولايات المتحدة دورها ، فصرحت مصادرها الرسمية بابداء الرغبة فى زيارة جوزيف سيسكو وكيل الخارجية الامريكية للجمهورية العربية المتحدة اذا قبلت القاهرة ذلك .

رحبت القاهرة ٠٠ ووصل سيسكو اليها يوم ١٠ ابريل ١٩٧٠ أثناء انتقال معدات الدفاع السوفييتية سرا الى مصر .

بقى سيسكو أربعة ايام ، وفابل جمال عبد الناصر يوم ١٢ ابريل ، ويقول أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت فى كتابه ( أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف ) :

( تحدث سيسكو عن رغبة حكومة بيكسون فى تحقيق سياسة متوازنة فى المنظمه فهى - فى رأيه - أكثر مروية من غيرها من الحكومات التى سبقتها اذ انها ترفض مبدأ المفاوضات المباشرة الذى تمسك به اسرائيل ٠٠ واصاف سيسكو ان المبادرة التى يعدها روجرز سوف تكون فى صف العرب بمقدار ٩٥ بالمائة ) .

ولم نكنه المحادثات الى نتائج مادية محددة .

ومع ذلك فقد وجه جمال عبد الناصر رسالة مفتوحة الى نيكسون فى خطابه بنسبرا الخيمة يوم اول مايو ١٩٧٠ أثناء الاحفال بعيد العمال ، اشار فيها الى مقابلته مع سيسكو ، واعتبر ان الولايات المتحدة على وشك ان تعوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الامه العربية عندما وافقت على عقد صفقة طائرات فانوم وسكاي هوك جديدة لاسرائيل ، لانها تؤكد التفوق العسكرى لصالح اسرائيل ، وهو ما (سوف) يؤثر على علاقات الولايات المتحدة بالامه العربية لعشرات بل مئات السنين ) .

وقال جمال عبد الناصر فى نفس الخطاب (انه اذا كانت الولايات المتحدة ترغب فى السلام فعليها ان تأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ٠٠ ان ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأمر اسرائيل بأمرها لانها تعيش على حسابها ) .

( والحل الثانى ٠٠ اذا لم يكن فى طاقة امريكا ان تأمر اسرائيل فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك مهما كانت آراؤنا فيه ، ونسكننا فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا ٠٠ ذلك الطلب هو أن تكف عن أى دعم جديد لاسرائيل طالما هى تحتل اراضيها العربية ) ، وخلص عبد الناصر بأنه (اذا لم يتحقق الحل الاول أو الثانى فان على العرب ان يخرجوا بحقيقة لا يمكن المكابرة فيها بعد الآن وهى ان الولايات المتحدة تريد لاسرائيل ان تواصل احتلال اراضيها حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالاستسلام ٠٠ وهذا لن يحدث ٠٠ وكل المؤامرات التى تجرى ضدنا لن تنجح ) .

وختم خطابه قائلا :

( اننى اتقن للرئيس نيكسون ان هناك لحظه فاصله ضامه فى العلاقات بين بلدينا اما ان نكرس القطيعة ، واما ان نكون بداية اخرى جاده ومحدده )

بعد توجيه هذا النداء من عبد الناصر الى نيكسون دارب عدة اتصالات بين سيسكو ودوبالد بيرجس المشرف على رعاية المصالح الامريكيه فى السفاره الاسبانيه وبين وزير الخارجيه محمود رياض بضممت رساله من روجرز سلمها بيرجس الى صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجيه يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٠ .

وتضمنت الرسالة الموجهة الى محمود رياض من روجرز المعنحات الآتية :

١ - ان توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لمدة محدودة .  
٢ - أن توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن على التصريح التالى الذى يصدره يارنج فى شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت :

( ابلغتنى ج.ع.م والاردن واسرائيل انها توافق على :  
(ا) انه بعد ان قبلت وابتدت رغبتها فى تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف يعين ممثلين لها فى المناقشات التى تعقد تحت اشرافى طبعا للاجراءات والمكان والزمان الذى قد اوصى به مع الاخذ فى الاعتبار - كلما كان ذلك مناسباً - مايفضله الاطراف بالنسبة لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

(ب) ان الهدف من المناقشات المشار اليها عاليه هو التوصل الى اتفاق حول اقامه السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :

١ - الاقرار المتبادل من ج.ع.م والاردن واسرائيل للسيادة وسلامة الاراضى والاستقلال السياسى للطرف الآخر .  
٢ - الانسحاب الاسرائيلى من اراضى اُحلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طمنا للقرار ٢٤٢ .

(ج) وانه لتسهيل مهمتى للعمل من أجل التوصل الى اتفاق كما تضمن قرار ٢٤٢ فان الاطراف سنحترم بكل دقة ابتداء من اول يوليو حتى اول اكتوبر على الاقل قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار )  
هكذا كانت مبادرة روجرز الرسمية تقضى بوقف اطلاق النار لمدة ٣ شهور فور قبولها . وكانت الجمهورية العربية المتحدة هى الدولة الوحيدة من دول المواجهة التى خرقت قرار وقف اطلاق النار الذى نص عليه قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، واستمرت المعركة كما أشرنا دون توقف . ورفضت أكثر من محاولة قامت بها اسرائيل للارنداد الى قرار وقف اطلاق النار .  
ولذا كان مجرد النظر والبحث فى وقف اطلاق النار من جانب القاهرة يعنى أن شيئاً ما يدفع الامور فى هذا الطريق .

وقد أبدى بيرجس لصلاح جوهر بعد تسليمه الرسالة ملاحظات تشير



الى أهمية الاسرام بوقف اطلاق النار سكلا ومضمونا ، وقد كسب أمين هوبدي هذه الملاحظات تفصيلا في كتابه ( اضواء على اسباب بكسه ١٩٦٧ ) وهي سير اساسا الى ان وقف اطلاق النار يجب ان يشمل الارض والبحر والجو وعدم تغيير الوضع العسكري سرى أو عرب القماء بوضع صواريخ واسامه منسبات حربيه . لما أن الولايات المتحدة سوف تطالب اسرا ببل بالدحول فى مفاوضات غير مباشرة والمواقفه على مبدأ الانسحاب قبل المفاوضات . وهو ما يعتبر تنازلا - من وجهة النظر الاسرائيلية .

كما تضمنت ملاحظات بيرجس استبعاد الولايات المتحدة للمشاركة فى بدل الجهود من أجل السلام بعد بدء المفاوضات ، واستبعادها أيضا لتنفيذ عهدها مع اسرائيل للامداد بالسلاح دون زيادة اطلاقا ( ١٠٠ طائرة سكاى هوك تم التعاقد عليها عام ١٩٦٦ ، ٦٠ طائرة فانتوم تم التعاقد عليها ١٩٦٨ ) . وان الوصول الى اتفاق سوف يحل جواملا ثما لاستئناف العلاقات بين ج.ع.م والولايات المتحدة . ويقول أنور السادات فى خطابه لاساندة الجامعات يوم ٨ يناير ١٩٧٠ ان أمريكا تعهد بعدم امداد اسرائيل بالاسلحة خلال شهور ووقف اطلاق النار ( ٩٠ يوما ) .

سلم محمود رياض المبادرة أساء زيارة جمال عبد الناصر الى ليبيا خلال الفره من ١٩ الى ٢٧ يونيو ولذا فقد أرسل له رسالة روجرز فى طرابلس .

ويقول محمد حسنى هيكى فى كتابه ( الطريق الى رمضان ) انه شعر بأن عبد الناصر قد وافق على المبادرة فور فرائها دون أن يصرح لأحد بحقيقة رأيه ، وكان هيكى معه فى زيارة ليبيا .

وقال لى الفريى أول محمد فوزى انه عندما استشير فى بنود المبادرة ضغط لقبولها من وجهة نظر عسكرية بحتة . . فقد كان يود الوصول بجائظ الصواريخ الى الضفة الغربية للفناء وذلك لحماية قواننا فى الغرب من الغارات الاسرائيليه وتهديد الطائرات المعبرة الى مسافة ١٥ كيلو مترا شرقها ، وهى مسافة كافية تسمح لفواضا العبور تسفبذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ بأمان نسبى . . وذلك لصعوبة نقل الصواريخ تحت قنابل الغارات المستمرة .

كان تأمين القواب المسلحة المصرية من الغارات الاسرائيلية ، مع الاستعداد للعبور والهجوم هدفا من أهم الاهداف التى كانت تشغل فكر عبد الناصر فى ذلك الوقت .

وفور عودة جمال عبد الناصر من طرابلس عقد اجتماعا للجنة التنفيذية العليا ، عرض عليهم فيه مشروع مبادرة روجرز .

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة فى ذلك الوقت ان جمال عبد الناصر أعطى المشروع لعللى صبرى وكان مكتوبا بالانجليزية ولم يترجم للعربية بعد . . وطلب منه قراءته . . ثم طلب بعد سماع اللجنة معرفة رأى اعضائها ، مبتدئا بالذكور محمود فوزى مساعدا رئيس الجمهورية .

وأدى الاعضاء بآرائهم . . ولم تكن فى حملتها ميل ميلا واضحا لقبول المبادرة ، بل كان الاتجاه السائد هو التحفظ والرفض . ولم يناقش جمال عبد الناصر الامر . . طوى الاوراق ولا كلمة واحدة

معلنا أنهم سيواصلون المناقشة بعد عودته من الاتحاد السوفيتي .  
وسافر جمال عبد الناصر الى موسكو دون أن يفصح لأحد عن رأيه  
بالنسبة لقبول المبادرة .

وبعد المباحثات مع القادة السوفييت ذهب عبد الناصر الى مصحة  
(بريخا) لمدة اسبوعين ، ولتغطية ذلك أعلن انه يقوم بمباحثات مطولة مع  
الزعماء السوفييت الذين كانوا يفومون بزيارته في المصحة بين حين  
 وآخر .

قال لي الدكتور مراد غالب سفيرنا في موسكو ان عبد الناصر كان  
يطلب في هذه الرحلة مزيدا من الاسلحة افترابا لساعة تنفيذ الخطة . وقال  
لي الفريق أول محمد فوزي ان التدريب كان قد وصل الى ذروته في كافة  
مستويات القوات المسلحة .

على مستوى الجنود . وصلوا الى حد عبور (مصرف المحيط ) عند  
برفاش في الجزيرة تدريبا على عبور القناة وهم معصوبو الاعين لعدة مرات .  
كما درسوا مناطق العبور الاصلية في القناة الى حد معرفة تفاصيل الارض  
معرفة دقيقة .

على مستوى الدفاع الجوي . سقطت الطائرات الاسرائيلية التي تحدث  
عنها عبد الناصر وبريجنيف في لقائهما الاول يوم ٢٩ يونيو ، وسقط طيار  
اسرائيلي عند جنيفا حيث التقط بهليكوبتر اسرائيلي بعد اتصال لاسلكي معه  
كما أسر خمسة طيارين اسرائيليين احياء لأول مرة في تاريخ المعارك . . .  
واعتبر ذلك اليوم ٣٠ يونيو عيدا سنويا للدفاع الجوي .

وعلى مستوى القيادة درست كافة احتمالات خطط الهجوم المضاد  
الاسرائيلي ومنها محاولات الاختراق عند الديفرزوار التي عرفت فيما بعد  
باسم خطة (الغزالة) ونسبت الى الجنرال شارون الذي نفذها يوم ١٦ أكتوبر  
١٩٧٣ .

كانت القوات المسلحة قد وصلت الى ذروة الاستعداد تقريبا ولم يعد  
باقيا الا دفع حائط الصواريخ الى الامام . الى الضفة الغربية للقناة .  
واختلفت الآراء حول (مبادرة روجرز) بين الذين يعلمون تأثير قبولها  
على موقف قواتنا المسلحة . وبين الذين لا يعلمون .  
يقول أمين هويدي في كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) وهو  
يومها كان في مركز يتيح له معرفة مايدور في كواليس السياسة  
المصرية :

( حينما درست هذه الرسالة - يقصد مبادرة روجرز - بوساطة  
الجهات المعنية هنا في القاهرة انقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض ، وابلغت  
آراء المؤيدين والمعارضين للرئيس جمال عبد الناصر مع ذكر الاسباب التي  
تؤيد وجهات النظر المختلفة ، وأذكر انني كنت أحد المؤيدين القلائل لهذه  
المبادرة) .

وقد وجد أنور السادات بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للجنة  
السياسية بالاتحاد الاشتراكي أن يعلن رأيه بالنسبة للمبادرة . . فدعا

اللجنة السياسية للجنة المركزية الى اجتماع تقرر فيه بالاغلبية عدم قبول المبادرة .

ولكن جمال عبد الناصر كان له رأى آخر ، لانه كان يعلم كل شئ ويمسك كافة خيوط الموقف .

وفي اجتماع مع بريجنيف عقد يوم ١٦ يوليو وهو اليوم السابق لعودته الى القاهرة قال جمال عبد الناصر انه قرر قبول المبادرة الامريكية، ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف كان مندعشا ولكنه تفهم الموقف عندما قال له عبد الناصر مجيبا على تساؤله عما اذا كان سيقبل اقتراحا عليه العلم الامريكى (بالضبط .. اننى سأقبلها لان عليها علم امريكى .. فاننا يجب ان نأخذ فترة لالتقاط الانفاس حتى نستطيع ان ننتهى من بناء مواقع الصواريخ .. اننا نحتاج ان نعطي فترة راحة لقواتنا المسلحة ، وأن نقلل من خسائر المدنيين - نحن نحتاج الى فترة وقف اطلاق نيران .. وهذا التوقف لن تحترمه اسرائيل الا اذا كان اقتراحا امريكيا .. ولكننى لا اعتقد ان لهذه المبادرة أى نصيب من النجاح ، وفرصتها فى ذلك لا يتجاوز ١/٢ .

كانت خسائر المدنيين الذين يشتركون فى بناء قواعد الصواريخ قد بلغت ٤٠٠٠ شهيد كما ذكرنا .

كان هذا يعنى رفضا من جمال عبد الناصر لقرار نائبه فى عدم قبول مبادرة روجرز ،

سافر أنور السادات الى قريته ( ميت أبو الكوم ) .  
قال لى احد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أن جمال عبد الناصر قد أعطى لهم توجيهها بزيارة أنور السادات فى قريته .. وان جمال عبد الناصر قد زاره هناك وصحبه معه فى عربته الى الاسكندرية .

ودعا جمال عبد الناصر أعضاء اللجنة التنفيذية العليامرة أخرى لمناقشة المبادرة فاجتمعت عدا أنور السادات وبدأت المناقشة بالدكتور محمود فوزى مرة أخرى ، وحدث تغيير فى اتجاه الاعضاء نحو القبول ، شعورا منهم بأن جمال عبد الناصر قد اتخذ قرارا بالقبول .

وفي هذا الاجتماع دارت مناقشة طويلة أوضح فيها جمال عبد الناصر المبرر العسكرى لقبول المبادرة دون الدخول فى تفاصيل سرية .. كما قدم للاعضاء المبرر السياسى لقبولها أيضا ، باعتبار أن ذلك سوف يحسج اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، وأمام امريكا أيضا .

ويقول ضياء الدين داود انه بعد أن انتهت المناقشات واتفق اجماع الاعضاء على قبول المبادرة طلب منهم ان يتحدثوا مع الناس فى المبرر السياسى .  
دون أن يكشفوا عن المبرر العسكرى ، منبها الى أهمية ذلك .

أعلن جمال عبد الناصر قبوله للمبادرة فى خطابه يوم ٢٣ يوليو فى

العيد الثامن عشر للنورة .. ونفجر ردود الفعل في مختلف أنحاء العالم .  
 فقد بان الاعلان مفاجئاً بعد فترة صمت امتدت الى أكثر من شهر .  
 ولاحظ جمال عبد الناصر ان قبول المبادرة لم يصادف استجابة عميقة  
 عند أعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ، فقرر ان يعقد جلسته نالته  
 سرية ، حتى لا ينعص المؤتمر والأعضاء على غير أفئاع .  
 وفي هذه الجلسة السرية أفصح جمال عبد الناصر عن بعض الحقائق  
 التي كانت مغلفة بالسرية حتى ذلك الوقت .  
 والظاهرة التي يجب الوقوف عندها طويلا هي خروج الاسرائيليين الى  
 الشوارع في مظاهرات ترفض وبسبب فسد انتهب بالنسبة لهم حرب  
 الاستنزاف التي أرهقتهم نفسيا وماديا وكبدتهم خسائر كثيرة في الارواح .  
 انقذ قبول المبادرة الاسرائيليين من تكرار ما حدث في ذلك اليوم الذي  
 أطلقوا عليه اسم (السبت الحزين) عندما وقعت إحدى دورياتهم في كمين  
 للقوات المصرية المسلحة في سيناء ، وقتل منها ٤٠ جنديا ، وعاد المصريون  
 بانئين من الاسرى .

رقص الاسرائيليون تصورا منهم ان المبادرة هي خطوة أولى نحو  
 السلام فعلا .. وهكذا كانت قناعة الرأي العالمي أيضا .

كان محمود رياض قد سلم رد مصر الى دونالد بيرجس يوم ٢٢ يوليو  
 وبدأت مفاوضات وف اطلاق النار ، في وقت كان يسول فيه محمد  
 حسنين هيكل أعمال وزارة الخارجية بجانب وزارة الارشاد القومي لوجود  
 محمود رياض في رحلة بالخارج لزيارة دول البلقان .

قال لي محمد حسنين هيكل انه فوجئ بأن دونالد بيرجس المشرف على  
 المصالح الامريكية في القاهرة يطلب منه Stand still cease fire أي وقف  
 اطلاق النار مع تثبيت الاسلحة والصواريخ في مواقعها .. وانه عندما أبلغ  
 عبد الناصر ذلك طلب منه أن يماطلهم عدة ساعات حتى يدفع صواريخ  
 هيكلية الى الضفة الغربية للقناة ، ثم يستبدلها ليلا فيما بعد بصواريخ  
 حبيمية .. وكان الامر يحتاج منه الى مدة لا تقل عن ٦ ساعات .  
 وأبلغ هيكل بيرجس الذي كان يسعجله في لهفة فائلا له ان واشنطن  
 معه على الخط ، وروجرز ينتظر النتيجة .

وقال له هيكل انه لا يستطيع ان يعطي تأكيدا الا بعد ضمان وصول  
 النعلبمات الى كافة القوات المنزلة والبعيدة في منطقة البحر الاحمر .  
 وهكذا حصل جمال عبد الناصر على الساعات التي طلبها .

وقال لي الفريق أول محمد فوزي ان القوات أمضت الليل وهي تدفع  
 صواريخ هيكلية الى الامام ، حتى اذا أشرق الفجر بدت تحت عدسات الافمار  
 الصناعية ، وكأنها صواريخ حقيقية في موضعها .

ويقول هيكل ان الامريكيين قد انزعجوا من تحريك الصواريخ وانهم  
 - حسب قوله - في كتابه (الطريق الى رمضان) قد اتهموا المصريين بالغش  
 لانهم قرروا امداد الاسرائيليين بمزيد من الاسلحة .

يؤكد ذلك ان الدافع الرئيسى لقبول المبادرة الامريكية كان دافعا

عسكريا أساسا وهو تحريك حائط الصواريخ الى الضفة الغربية .  
 ووضعت المبادرة موضع التنفيذ مع وقف اطلاق النار في الساعة  
 الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس ١٩٧٠ لمدة ٩٠ يوما ٠٠ وأبلغ جمال  
 عبد الناصر الفريق اول محمد فوزى بأن يستعد لتنفيذ المرحلة الاولى من  
 الخطة الدفاعية ٢٠٠ وهى ماسميته بالاسم الكودى ( حراس ١ ) والى  
 تتضمن عبور القناة ودفع العدو الى الممرات .

وقد كتب الفريق محمد على فهمى فى الاهرام يوم ٥ اكتوبر ١٩٧٧  
 يقول :

( فى صباح يوم ٩ اغسطس ١٩٧٠ وهو اليوم السالى لوقف اطلاق  
 النار دعا قائد قوات الدفاع الجوى لاجتماع فى مكبته حصره قاده النسيكيات  
 وهيئة الاركان فى قيادة الدفاع الجوى )  
 ثم يحدد محمد على فهمى مهمة الاجتماع بقوله :

( طلب من المعاوين اعداد دراسات تفصيلية كل فيما يخصه عن المشاكل  
 والصعوبات المنتظر ان نلافيها فوات الدفاع الجوى فى معركة العبور والحريز  
 واعداد المقترحات كلها ) .  
 ويعبر محمد على فهمى عن الروح الى ساد فى هذه الفترة بقوله  
 أيضا :

( ان التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب ان نعترف بها ، ولكن ينبغى  
 أيضا ألا ننسى اننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خلال حرب  
 الاستنزاف بل واستطعنا تحقيق بعض الانصارات عليه ، وفى معركتنا  
 المقبلة لن يقتصر دورنا على مجرد تحدى هذا التفوق ، بل سيكون علينا أن  
 نهزم هذا التفوق ونحطم الاسطورة ) .

والفريق محمد على فهمى كان قائدا للدفاع الجوى خلال حرب  
 الاستنزاف وأثناء قبول مبادرة روجرز ٠٠ وهو ما يؤكد جديده الاستعداد  
 للعبور والحريز خلال فترة وقف اطلاق النار الى فرضها المبادرة .  
 ليس هناك شك فى ان السبب العسكرى كان فى مقدمة الاسباب  
 الدافعة لقبول مبادرة روجرز .

### انعكاسات قبول المبادرة :

كان قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز بمثابة (القنبلة السياسية) الى  
 تفجرت فى انحاء العالم .

بدأت الصحف الاجنبية تقرر اسم عبد الناصر بلقب ( بطل السلام ) .  
 انتعشت العناصر التقدمية داخل اسرائيل ، ورأت ان حلمها فى السلام  
 يقترب ٠٠ وصرح ناحوم حولدلمان بأن قبول مبادرة روجرز هو خطوة هائلة  
 للسلام من جانب عبد الناصر وأن على الحكومة الاسرائيلية أن تلتفى معه فى  
 منتصف الطريق ، وخاصة ان قبولها يعنى ضمينا قبول اسرائيل لقرار  
 مجلس الأمن .

صدمت العناصر الصهيونية التوسعية بقبول القاهرة للمبادرة وبدأت في محاولة بحطيم آثارها ، بتسليط الضوء على تحريك الصواريخ ، وجعله الموضوع الرئيسي المكرر في الصحف . . . ومع ذلك يحطم الائتلاف الحكومي الاسرائيلي وائسحب وزراء حرب (جاحال) السنة ومهم مناحم بيجين ووزير الدولة وعزرا وابزمان ووزير المواصلات . . . وهكذا اهتزت الجبهة الداخلية الاسرائيلية . . . وسافرت الى باريس بناء على موافقة جمال عبد الناصر لدفع التحركات المضاعطة على الحكومة الاسرائيلية ، وسحاولة اظهار موضوع الصواريخ كانه موضوع فرعى لايسحق الضجة والاحتجاج التي تثيرها الحكومة الاسرائيلية واعوانها من الامريكيين .

ولكن موسى دبان أعلن في الكنيسة ان اسرائيل تنظر الى الوضع الجديد للصواريخ نظرة خطيرة . وأن حكومته قد قررت وقف بدء الاتصالات مع باروخ حتى انسحب الصواريخ المصرية .

وفي يوم ٦ سبتمبر أعلنت اسرائيل انسحابها من الاتصالات مع المعتزات الدولي يارنج بدعوى (انهالك مصر لرتيبات وقف اطلاق النار . ورفضها العودة بالموقف الى ماكان عليه قبل بدء تنفيذ وقف اطلاق النار في ٨ أغسطس ١٩٧٠) . ويذكر ان اسرائيل لم تعد للاتصال بيارنج الا بعد حصولها على صفقة اسلحة امريكية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار .

ورغم ان قبول مبادرة روجرز كان يعتبر من الوجهة السياسية انتصارا للسياسة السلامية اكسبت عبد الناصر تقديرا واسعا في الرأي العام العالمي مما اعتبره ومنها حسب مقال نشره في روزاليوسف (ضربه معلم) . ورغم انه كان يعتبر من الناحية العسكرية انتصارا حريبا لاشك فيه اذ ان العودة الى اطلاق النار كانت سوف تنم والقوات المسلحة المصرية في وضع افضل كثيرا عن ذي قبل .

ومع ذلك فان انعكاس قبول المبادرة من وجهة النظر العربية كان سلبيا .

لم يقدر بعض القوى أهمية قبولها تقديرا واقعيا سليما ، وانجرفت الى ارفضها . . . أعلنت ذلك كل من سوريا والعراق .

وأصدرت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) بيانا قالت فيه اذاكان بعض العرب قد أجهدهم النضال فعليهم ان يتنحوا للجيل الجديد المستعد للتضحيات الضرورية . . . ووحدت المسطحات الاخرى نفسها منجرفة الى هذا الاتجاه خوفا من اتهامها بالتفريط في القضية الفلسطينية . . . وخرجت المظاهرات في شوارع الأردن ولبنان نهتف لأول مرة ضد عبد الناصر وحسين معا وفي مواجعتها مظاهرات أخرى تدافع عن موقف عبد الناصر .

وانعكس ذلك في اذاعة (صوت فلسطين) الصادرة من القاهرة ، والتي اتهم الذين قبلوا المبادرة بالخيانة ، وهاجمت عبد الناصر الذي لم يحتمل مثل هذا الأسلوب ، وطلب وزير الارشاد محمد حسين هيكل أن يبحث الامر مع قادة منظمة التحرير ، ويقول هيكل انه قابل فاروق قدومي وأبلغه بأنه يمكن لهم أن يهاجموا المبادرة كما تشاء لهم نظرتهم السياسية . . . أما

أن يتعدى الامر اتهام الذين فبلوها بالخيانة وأمر غير مقبول .  
ويقول هيكل ان أجهزة اللاسلكى استقبلت بعد ذلك اشارة واردة  
لاذاعة (صوت فلسطين) بقول - لانسنجيبيوا للضغط من احد . هاجموا اى  
شخص يريدون) .

وصدر قرار جمال عبد الناصر بوقف اذاعة (صوت فلسطين) يوم ٢٩  
يوليو ١٩٧٠ .

وكان الامر فى حقيقته كارثة سياسية . لان تفسير الامر للقيادة  
الفلسطينية لم يكن أمرا صعبا او مستحيلا . والعوامل التى دفعت لقبول  
المبادرة لا يمكن ان يرفضها وطنى وخاصة بعد أن تكشفت الامور عن موجة  
الاحتجاج الاسرائيلية العارمة على تحريك الصواريخ ، وبعد أن صرح جمال  
عبد الناصر أبوعمار بأن احتمالات نجاح المبادرة لاتتجاوز ٢٠٪ وأن مدتها  
مشروطة بتسعين يوما فقط . وما كان سهلا على عبد الناصر أن يقبله  
المبادرة حصاد ثلاث سنوات من القتال والنضال والتضحية .

كانت كارثة سياسية ألا يفهم القادة المصريون والفلسطينيون حقيقة  
الموقف . وكانت كارثة أيضا ان يخرج صدامهم الى الرأى العام ولا يصفى  
بالاجتماعات الخاصة التى يمكن أن تزيد الامور وضوحا وتفسيرا ، وتذيب  
الحساسيات والشكوك .

كارثة سياسية . لم تبدأ فى الحقيقة مع قبول مبادرة روجرز وانما  
بدأت قبل ذلك بشهور .

كان الفلسطينيون قد أصبحوا بقواهم المسلحة المتزايدة ، ومقاومتهم  
الباسلة ، مثل قبلة زمنية نخشى الانظمة أن تنفجر فوق أرضها .  
وكان ماحدث فى لبنان مما انتهى الى اتفاقية القاهرة فى نوفمبر  
١٩٦٩ هو البداية التى كشفت التناقض بين القوى والتنظيمات السياسية  
العربية .

## العرب . . يقتلون العرب

ثم كان ماحدث فى الاردن  
قوات المقاومة الفلسطينية كانت تعيش أساسا فى الاردن ، وهناك  
نوع من التعايش السلمى وقبول الامر الواقع بينها وبين السلطة  
الاردنية .

الفدائيون المقاتلون يحتلون المواقع فى الوديان والجبال على حدود  
الارض التى تحتلها اسرائيل . والقيادات تقيم فى عمان . ومعسكرات  
التدريب تنتشر فى اكثر من مكان

ومع الوقت أصبح للمقاومة الفلسطينية نوع من النفوذ الادارى المباشر  
على الفدائيين . وأصبحت بطاقتهم صالحة كجواز مرور على الحدود  
ولم تكن نظرة التنظيمات الفدائية موحدة فيما يتعلق بالنظام الاردنى .  
كانت (فتح) أكبر المنظمات تعلن انها لاتتدخل ولا تريد أن تتدخل فى الامور  
الداخلية للاردن . . بينما كانت هناك منظمات أخرى تعلن أن طريق التحرير  
الى تل أبيب يمر بعمان وعواصم الدول العربية التى تسيطر عليها انظمة

رجعية ٠٠ ولم يكن ياسر عرفات (أبوعمار) مسيطرا على كافة التنظيمات .

قمت خلال هذه الفترة بزيارة الى الاردن مدعوا من منظمة ( فح ) ولمست ان المقاومة الفلسطينية قد أثبتت وجودها بالناير المعنوي والنفوذ التنظيمي بين جماهير الشعب الفلسطيني ٠ وأن هناك قتالا حادا يتزايد داخل اسرائيل والارض المحتلة ٠ وشعرت بان هناك تناقضا بين السلطة وقوات المقاومة يحاول الطرفان ان يتحدا به همسا ، دون أن يتفجروا يظهر فوق السطح ٠

ولكن كتمان هذا التناقص ، وانتصار الحكمة ، وثبتت مبدأ العايش كان صعبا وضد طبيعة الامور ٠٠ مما لاشك فيه ان نظاما في السلطة له حسابات بخلاف تماما عن حسابات قوى ثوريه تعيشت معه فوق أرض واحدة ٠٠ ومما لاشك فيه ايضا ان بعض المزايدات والمواقف المتطرفة كانت تدفع بقية المنظمات الفدائية للجنوح الى انتهاج مواقف وأساليب لاتتفق مع الظروف الواقعية القائمة ٠ وذلك حسيه اهمها بالتفريط في حق القصية ٠

كل قوى المقاومة الفلسطينية أجمعت على رفض قرار مجلس الامن ٠٠ ولكنها لم تنفق على بهج النضال وأسلوبه في المستقبل ٠٠ والوحدة التنظيمية أصبحت هدفا عسيرا ٠

دخلت خلافات الانظمة العربية وتناقضاتها الى الساحة الفلسطينية ٠ فكل منظمة كان لها اتصال مع دولة أو قوة سياسية عربية ٠٠ الامر الذي فتح فرصة التسرب الى صفوف المناضلين ، وشنتت جهودهم بالخلافات المحلية ٠

وظهرت بوادر صدام المقاومة الفلسطينية مع النظام الاردني عندما أعلن الصحف عن وجود خلاف بين المقاومة والملك حسين في ١٢ فبراير ١٩٧٠ بعد اجتماع قمة المواجهة الذي عقد في ٧ فبراير عقب زيارة عبد الناصر السرية الى موسكو والتي تم الاتفاق فيها على زيادة التعاون مع الاتحاد السوفييتي في مجال الدفاع الجوي ٠

وأصرع عبد الناصر بالتدخل فعاتت الاسلحة الى وضع الراحة بدلا من وضع الاسعداد ٠٠ واستجاب الطرفان للزعيم الذي كان الفلسطينيون يتحركون تحت مظله ٠ والذي كان الملك حسين يخشى الصدام به ٠

ولكن الهدوء لم يستمر طويلا ٠٠ فرض الصدام نفسه ٠٠ انطلقت ذخيرة البنادق نحو صدور العرب بدلا من الاسرائيليين ٠٠ ونشرت الصحف ان الصال قد اندلع في عمان وضواحيها ٠٠ وبلغ عدد القتلى ١٢٢ قتيلا ، ٥٨٤ جريحا ٠٠ وكان ذلك في شهر يونيو ١٩٧٠ بعد أن رفضت المقاومة قرار السلطات الاردنية بحظر حمل السلاح الا لأفراد القوات المسلحة ٠

ومرة أخرى أسرع الوسطاء ٠ وهدأت الامور مؤقتا بعد أن أبعد الملك اثنان من كبار الضباط اشتهرا بالعصداء للفلسطينيين واجتمع مع ياسر عرفات ٠٠ ولكن الذخيرة لم تنزع من البنادق ٠٠ وظل الرجل يغلي ٠



وجاء قبول القاهرة لمبادرة روجرز ، وما صحب ذلك من ظهور معارضة  
المقاومة الفلسطينية .

ونفجر الموقف دون تقدير سليم لأهداف عبد الناصر من قبول  
المبادرة .

عمت المظاهرات عددا من المدن العربية . . وتبادل المتظاهرون شعارات  
ولافتات بعضها يؤيد عبد الناصر والبعض يهاجمه .  
وكتبت وقتها مقالا في مجلة (الحوادث) - عدد ٧ أغسطس ١٩٧٠ -  
جاء فيه :

( الظواهر المثيرة التي حدثت في الوطن العربي خلال هذا الاسبوع ليست  
جديدة او طارئة . . بل كانت متوقعة .

ابها نعبير عن خلافا أصيلة في الاسراتيجية الفكرية للقوى  
السياسية طفت الى السطح بعد أن كانت في الاعماق . . وببادل الناس  
الحديث عنها علنا وصراحة . بعد أن كانوا يدورون حولها في حرص  
واستحياء .

ونبعت الخلافات - في رأيي - حول تقدير فضية السلام في المنطقة  
خلال هذه المرحلة التاريخية الحاسمة .

وما أظن الحديث عن السلام - كما ينصور البعض - يمكن أن يكون  
موضع خجل أو حساسية . . ولا أعتمد ان المناضلين من أجل السلام أقل  
نضجه من المغامرين .  
وفلت :

(الظاهرة المميزة لسياسة القاهرة التي قبلت الحل السلمي هي  
الاستعداد المستمر خلال السنوات الثلاث الماضية لتطوير قواها المسلحة،  
والوصول بها الى مستوى الكفاءة القتالية . . وكان الاستعداد العسكري  
الجاد هو وسيلة الذين قبلوا الحل السلمي للضغط على العدو من أجل تحرير  
الارض المحتلة)

ثم تساءلت :

(ماذا يحدث اذا فرمنا جدلا احتمال الوصول الى حل سلمي؟

كانت الاجابة الغالبة استبعاد هذا الاحتمال . ثم القاء كلمة صاخبة  
متطرفة بعيدة عن الاتزان المطلوب في مواجهة أمور شديدة الحساسية  
والحيوية تتعلق بمستقبل الملايين .

مجرد توجيه السؤال كان يصيبهم بالحساسية . . وضاعت الشهور  
والسنوات دون محاولة جادة لمجابهة هذا الاحتمال الذي بدا في ذهنهم خياليا  
كالسراب .

وهذه هي الاستراتيجية الفكرية التي يصعب تجريدها من  
الحماس والوطنية والنضحية . . ولكنه لا يصعب تجريدها من عمق الوعي  
وأصالة الفكر الواقعي .

هذه الاسراتيجية الراضة لكل شيء الا القتال حتى النصر . . .  
أو الموت .

وإذا تجاوزنا الخشية من أن تكون هذه الاستراتيجية الفكرية امتدادا للظاهرة العربية التي سادت خلال ربع القرن الأخير ، واعنادت أن تقف موقف الرفض مع كل قرار لا يتفق تماما مع رغبتها .. والنبي نجعل كلمة (لا) تسبق كل كلمات القاموس في أي حوار سياسي .

أقول إذا تجاوزنا أن يكون موقف القوى الجديدة امتدادا لهذه الظاهرة القديمة .. فإننا نصل مباشرة إلى قلب الموضوع في صراحه وبلا حساسية .

هل يمكن أن يكون هناك تناقض بين الوصول إلى حل سلمي وبين ماتصر عليه بعض قوى المقاومة ؟

وبالمنطق الهادئ البسيط لا يمكن أن نجعل من تحرير القدس وسيناء والضفة الغربية والجولان خطوة إلى الوراء .. ولا يمكن أن نقول أن تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بحقوق شعب فلسطين اعتداء على هذا الشعب .

ولذا يصبح الرفض المطلق والتناقض المصطنع ظاهرة غريبة .. مثالية وبعيدة عن الواقعية

ظهر هذا المقال في وقت عمت فيه الخلافات وسادت ، وتصارعت الآراء في المنابر وفوق صفحات الجرائد .. وتحولت فوهات البنادق من صدور الإعداء إلى ظهور الذين يفترض فيهم أن يكونوا أصدقاء ورفقة نضال . وخشى عبد الناصر أن يستغل الملك حسين الفرصة وبوجه ضربته إلى الفدائيين فطلب منه الحضور لمقابلته في القاهرة .. وحضر الملك يوم ٢٠ أغسطس يحمل سيلا من الشكاوى ضد المقاومة التي تحاول أن تخلق (دولة داخل الدولة) .

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه ( الطريق إلى رمضان ) أن عبد الناصر قد قال له :

(أنا لا أريد منك أن تصفي المقاومة ، ولا من المقاومة أن تصفيك .. أنا أعلم أن لديك من القوة ما يجعلك قادرا على ضربهم ولكن هذا سوف يدفعك إلى تصفية ٣٠٠ شخص وبذا تصبح مملكتك - مملكة الأشباح - وسأبلغ الفدائيين بالأعمال ضدك لأنهم لا يستطيعون أن يوفروا ماتوفره حكومتك لهم من تعليم وتموين ومواصلات وغيره .. وكلاهما يجب أن يتعايش فهذا هو الطريق الوحيد) .

وحضر ياسر عرفات يوم ٢٤ أغسطس ..

لم يكن جمال عبد الناصر فاتحا صدره لهذه المقابلة .. فقد كان ياسر عرفات قد زار العراق وقابل السيد أحمد حسن البكر .

وكان عبد الناصر يقاسي من هجمات سوريا والعراق على مصر لقبولها المبادرة .. ولذا اعتبر أن ذهاب أبوعمار لمقابلة البكر انحيازاً منه إلى الجانب

الأخر ، وهو الذى قدم له كافة المساعدات السياسية والعسكرية الممكنة التى ببت أقدام المقاومة .

رفض جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة إعادة فتح محطات صوت (فلسطين) التى أعلفها قبل ذلك بثلاثة أسابيع .

وحذر أبوعمار من أنهم بسياسهم سوف لابلومون الا أنفسهم اذا انفض الملك حسين عليهم .

وفى نفس الوقت أعطى لأبوعمار نصبرا للدوافع التى أدت الى قبول مبادرة روجرز وأبنغه أن احتمالات نجاحها - كما قال لريجس - لانتجاوز ١/٢

وبعد هذه المقابلة التى قال عنها ناتنج فى كتابه ناصر انها كانت ( باردة ) .

وبعد موقف الحكومة العراقية الذى كان يبلور فى رفض المبادرة بعد هذا وذاك أصبح موقف أبوعمار مرتبطا أشد الارتباط بموقف القوى الفلسطينية الأخرى وفى مقدمتها ( الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التى كانت تدبى المبادرة والانظمة ويجعل الفلسطينيين فى الساحة وحدهم يحاربون وظهورهم الى الحائط .

واخذ أبوعمار قرارا بأن المعاومة الفلسطينية لالترنم مطلعا بوقف إطلاق النار الذى بفرسه مبادرة روجرز .

وينسب هيكل الى أن عبد الناصر لم يصارح الفلسطينيين ( طبعا ) بأن السيادة الجوية الاسرائيلية قد تجعلنا ننزف حتى الموت فى حرب الاستنزاف ، وأن حلقة النجاة هى الوصول بحائط الصواريخ الى الضفة الغربية .

ولكن أمام تطور الاحداث السريع ، أرسل عبد الناصر وفدا يمثل الاتحاد الاشتراكى يضم أحمد بهاء الدين ومحمود أمين العالم وعبد اللطيف بلطية وعبد الهادى ناصف والدكنور وليم سليمان لمقابلة القيادات الفلسطينية أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى الاردن . وقد حاول هذا الوفد اقناع هذه القيادات بالهدوء والراجع عن موقعها المدفع، ولكن الامور كانت قد تجاوزت الحدود التى يمكن للعقل فيها أن سيطر ويتحكم على جموح العاطفة .

ويقول هيكل ان الملك حسين سافر وهو عر سعيد . وهنا لابد من الوقوف عند هذه الظاهرة . . ظاهرة عدم الثقة وعدم المبادرة الى تنسيق العمل فى ظروف خطيرة . والحرص على السرية أمر مطلوب وضرورى وهام . .

ولكن كان يمكن نقادى كثير من ردود الفعل التى حدثت نتيجة قبول المبادرة ، بمصارحة القيادات الفلسطينية قبل اعلان قولها بأهمية ذلك وحيويته من الناحية العسكرية ، والوصول معهم الى اتفاق كامل على موقفهم منها وحدود معارضتهم لها . ولكن تركيز القرار فى قمة السلطة ، وعدم وجود كادر حزبى متفهم

وممارس للعمل السياسي .. صعب الامور وعقدها .. وجعل بعض كبار المسئولين في مصر يتارحجون فجأة من موقف المعارضة للمبادرة الى موقف النأييد دون تفسير .. وجعل بعض المسئولين العرب تأخذهم المفاجأة والدهشة ويصورون أن في وقف القتال لعبة ما .. كما انه أعطى لبعض المتطرفين من قادة حركات المقاومة فرصة فريدة للهجوم والشهير .  
ربما كانت هناك اعتبارات أمن تدفع الى الحذر من التصريح أو التلميح بالاسباب الحقيقية المحيية بقبول المبادرة .. ولكن احتمالات ردود الفعل ماكان يمكن أن تخفى على القائد السياسي .

ومما حدث في الواقع كان تأكيدا بأن هناك نوعا من عدم الثقة لم يستطع النضال المشترك ان يبده وأن هناك خطأ ما قد وقع في انضاج وعي بعض القادة العرب والفلسطينيين من ناحية الاقتناع بقبول المبادرة .. وأن ذلك قد انتهى الى كوارث مدمرة .

وخلق الثقة ، وتنسيق النضال ، أمور لا تنشأ فجأة ، وإنما تتم عبر مراحل نضال طويلة .. وثلاث سنوات من القتال تعتبر مدة كافية لذلك . ولكن غيبة التنظيم الحزبي والعمل السياسي من الجانب المصري .. وغيبة الوحدة التنظيمية وتناقضات التنظيمات المختلفة من الجانب الفلسطيني كانت أسبابا جوهرية في الحالة التي وصل اليها الموقف بعد قبول المبادرة .

وكل ما قام به جمال عبد الناصر من دعم للمقاومة الفلسطينية قد انتهى في لحظة نسيحة لاخطاء ونفط ضعف سابقة .

ولم يقدر بعض القادة الفلسطينيين أن الحكومة الاسرائيلية نفسها قد أخذت تناور لتعظيم مبادرة روجرز التي خرج الشعب الاسرائيلي في مظاهرات فرح صاخبة يوم اعلانها لانها أنهت التوتر الذي ساد جبهة سيناء ، وضعت حدا لخسائر حرب الاستنزاف اليومية ، وفتح باب الامل في تحقيق السلام .

ولكن الحكومة الاسرائيلية كانت تريد الخروج من (حصار السلام ) فافتعلت من نقل الصواريخ قضية أحاطتها بدعاية هائلة ، وجعلت أمريكا تنقض شرطها الخاص بعدم امداد اسرائيل بالسلاح خلال أيام وقف إطلاق النار ، كما أعلن أنور السادات أمام أساتذة الجامعة يوم ٨ يناير ١٩٧١ عندما قال :

(انتهزت أمريكا هذه الفرصة علشان تقول أن القضية مش قضية احتلال اسرائيل لأرض عربية .. لأدى قضية خرق مصر لوقف إطلاق النار !

) وعلى هذا الأساس بدأ سيل الأسلحة يتدفق على اسرائيل مخالفا الكلام اللى قالته أمريكا بأنها لن تسلم اسرائيل خلال فترة وقف إطلاق النار (أي سلاح ) .

وهكذا تعثرت مبادرة روجرز ، ولم يقم يارنج بمهمته .. ولم ينفذ منها سوى وقف إطلاق النار .

والغريب ان المبادرة قد حوربت من بعض العبادات الفلسطينية . .  
وحوربت أيضا من الحكومة الاسرائيلية تم الامريكية رغم انها قدمت من  
وزير خارجية أمريكا .

وهذا دليل على أن المبادرة كانت نحوى فى مضمونها ما يعطى لجمال  
عبد الناصر فرصة المناورة وحرية الحركة استعدادا لتوجيه ضربته التحريرية  
ونحفىو سلام من فوهة البندقية .



## الفصل الثاني

### خريف عبد الناصر

الخريف يبدأ في سبتمبر •  
أوراق الشجر تتساقط •• ويختلط اللون الأبيض للسحب الطائرة مع  
اللون الأزرق للسماء الصافية •• وترطب نسيمات الهواء البارد حرارة شهور  
الصيف •• وتغسل الأرض برذاذ المطر •• والخريف عندنا هو الربيع ••  
لا يحمل التربة ولا يعرف الحر •• وهو الفصل الذي يستقبل الناس فيه  
العمل بعد اسرخاء الاجازات •• يقبلون على الحياة في نشاط وسلام •  
ولكن خريف ١٩٧٠ في الوطن العربي كان شيئاً آخر •  
بدأ شهر سبتمبر والموقف ينزوي في الاردن •• يسقط القتل والدماء  
تروى الارض مع زخات المطر •  
واللحظة التي تصور جمال عبد الناصر انه سوف ينتهي فيها من  
الوصول بالصواريخ الى ضفة القناة الغربية لتأمين القوات المسلحة •• ليبدأ  
أياماً يلتقط فيها النفس •• استعداداً لتنفيذ خطة التحرر •  
هذه اللحظة لم تبدأ أبداً •  
ولم يذق جمال عبد الناصر طعم الراحة التي طلبها منه الاطباء حماية  
لصحته •  
كان الاطباء المصريون والسوفييت قد الحوا عليه في أن يقضى شهراً  
كاملاً بعيداً عن ممارسة المسئولية •• بعيداً عن المقابلات والاحاديث  
والتليفونات •  
ورضع جمال عبد الناصر •• واختار شهر سبتمبر ليمضي منه عشرة  
أيام في مرسى مطروح •

ولكنه لم يخلع مسئولياته وهمومه قبل السفر .  
 قال لى الفريق اوك محمد فوزى انه ذهب اليه هناك حاملا تفاصيل الموقف والخطه بعد الوصول بحائط الضواريح الى شاطئ العنزة . وعندما حاول عرض الامر عليه فى حضور حسين الشافعى ركله فى قدمه بحذاء المائدة ، ونظر اليه نظرة فرضب عليه الضمب .  
 لم يكن جمال عبد الناصر راغيا فى كشف أسرار الخطه لشخص غير مسئول عن تنفيذها حتى ولو كان عصوا فى اللجنة التنفيذية العليا ، وزمبلا فى مجلس قيادة الثورة .  
 هل هو الحرص على السريه الذى لازم جمال عبد الناصر فى كل قراره وخطواته الهامة ؟  
 هل منحته مسئولية الحكم خبرة أن تكون المعلومات الهامة فى حدود المسئولين عنها فقط ؟

أم . . هل كان هناك موقف خاص من زميله السابق يدفعه الى هذا التصرف ؟

رويت لى فسه ماظن ان مجال نشرها هذا الكتاب . . ولكنها تؤكد الحقيقة الموضوعية القاتمة . . وهى ان الدين تربعوا فى قمة السلطة حول الزعيم . . لم يكونوا - رغم دورهم التاريخى - أثير الناس قدرة ووعيا . . وانهم ظلوا فى مواقعهم رغم صيحات الشعب المطالبة بالتغيير . . لان الزعيم قد استكان اليهم وارتاح لتصرفاتهم معه .  
 لم يعرض الفريق أول محمد فوزى تفاصيل الخطه فى هذه الجلسة ، وعرضها بعد ذلك .

لم ينعم جمال عبد الناصر بلون البحر الفيروزى . . ولا بالهدوء الشامل فى مرسى مطروح . . اقتحمت الاحداث عليه خلوه ، وفرضت الكاربه نفسها عليه .

كان الملك حسين قد بدأ عملياته ضد الفدائيين . . وأسرع بعض قادتهم فى القاهرة - رغم موقفهم المعادى لعبد الناصر بعد قبول المبادرة - يقولون انه اذا لم يندخل عبد الناصر ، فان هذا سوف يكون بمثابة الضوء الاخضر لمزيد من جموح السلطة الاردنية .

كان الموقف يندهور ساعة بعد أخرى . . ونزيف الدماء بدأ يخلط بمياه الامطار وراب الارض وعدد الدين نفدهم المقاومة يتراب .  
 واجتاحت الغضب أرجاء الوطن العربى . . وأخذت الدهشة الرأى العام العالمى . . لان العرب بدأوا تصفية المقاومة الفلسطينية .  
 وعقدت جلسة طارئة لمجلس الجامعة العربية ، بعد أن انصل بهم خالد الحس مندوبا عن منظمه التحرير ، موضحا لهم خطورة الموقف .  
 تنسكلت فى نفس اليوم لجنة خماسية من سليم اليافى أمين الجامعة المساعد ، وأمين الشبلى سفير السودان فى الجامعة ، وعثمان نورى سفير مصر فى الجامعة وسفيرها السابق فى الاردن . ومندوب ليبيا . ومندوب ليبيا .



سافرت اللجنة الى عمان يوم ٧ سبتمبر واخارت أمين الشبلي رئيسا لها . وكانت المناوشات قد بدأت . ولكنها لم تصل حد المذبحة .  
 وقامت اللجنة بانصالات مكنته بين الملك حسين من جهة وبين أبوعمار وقاده المقاومة من جهة أخرى في محاولة مستميتة لفضح نفوذ الموقف .  
 كان الملك مصرا على تأكيد سلطته في دوله ، وكان قادة المقاومة مصرين على عدم التراجع عما كسبوه من حقوق خلال سنوات ما بعد العدوان، معنيين في فدرهم على هزيمة قوات الملك واحتلال عمان .  
 قال أبوعمار لأعضاء لجنة الجامعة العربية ان فوائده تستطيع أن تحل العاصمة الاردنية في ساعتين . لان نصف الجيش الاردني سوف يضم اليهم اذا حدثت بين الطرفين معركة .  
 وكان هذا تفاؤلا مبالغا فيه .

استقبل عبد الناصر الموقف في أسى فظيع . ونبذت أحلامه في أن يهجع قليلا الى الراحة ، لمواجهة أعباء الحرب من جديد بعد انقضاء ٩٠ يوما على وقف إطلاق النار .  
 وتأن جمال عبد الناصر في هذه الفترة قد أصبح مريضا . تنفله أعباء المسئوليات العديدة .  
 والنظام الذي فرضه على نفسه لم يتح له تفريخ أصدقاء جدد . ولم يعد بجانبه الا عدد محدود من الأصدقاء القدامى .  
 بعد الهزيمة انخرع عبد الحكيم عامر . ونرك موته أورا بالغا في نفسه . فقد كان رغم كل شيء - أقرب الأصدقاء وأعزهم .  
 واستقال زكريا محيي الدين ولم يلحق بجمال عبد الناصر مطلقا .  
 والذين استمروا في العمل معه تعرضوا لمواقف منه، صعب على بعضهم أن يجد لها تبريرا .  
 الفضيحة التي وضع فيها على صبرى عمدا ، لم تستخدم من قبل مع الأصدقاء . وعودته مرة أخرى الى العمل حتى وصل عضوا في وفد مصر أثناء زيارته في يونيو الى موسكو ما ظن انها قد جعلت الجرح يلتئم .  
 وأنور السادات الذي عينه نائبا له أمضى أياما في قريته بعد رفضه لمبادرة روجرز . وهو تصرف ما أظن أن نائب رئيس للجمهورية يغمره بسهولة في بحر النسيان .

وتعرض محمد حسنين هيكل أيضا الى موقف لم يتعرض له من قبل، عندما فوجيء في شهر أبريل ١٩٧٠ بتعيينه وزيرا للإرشاد بدلا من محمد فائق الذي أصبح وزير دولة للشئون الخارجية . في نفس الوقت الذي أصبح فيه حسن التهامي وسعد زايد وسامي شرف وزراء أيضا .  
 وهيكل يقول الى فؤاد مطر في كتابه (بصراحة) - كنت في حالة صعبة من الضيق وقتها بسبب قرار توزيرى .  
 وبعد أيام صدر قرار باعتقال لطفي الخولي رئيس تحرير الطليعة وسكرتيرة هيكل نوال المحلاوي وهما يبادلان حديثا ملنا بالهجوم على عبد الناصر نتيجة لهكذا التمييز الذي لم يوافق هوى في نفوسهم ولا نفس هيكل أيضا .

كانت تصرفات عبد الناصر قد تركت في نفوس هؤلاء جروحا . .  
استطاع البعض أن يعلو عليها ويعبرها . . وبقيت غائرة لا تلتئم في نفوس  
البعض الآخر .  
وهي تصرفات تبدو فيها عصبية الارهاق وتوتر المرض . لان عبد الناصر  
كان يراجع نفسه فيها ، ولا يصر عليها .  
وفي هذه الفترة كان قد قرب اليه عبد اللطيف البغدادي . . والتقى  
الانسان كثيرا في سهرات خاصة .  
قال لى عبد اللطيف البغدادي انهما كانا يتناقشان في السياسة كثيرا  
لتقريب وجهات النظر . . وانه كان يعد له رحلة لزيارة الاتحاد السوفيتي  
للتعرف على زعمائه الجدد وعلى ابعاد الصداقة الوثيقة بين الدولتين . . وقال  
لى أيضا انه تحدث اليه في موضوع ترشيحه رئيسا للوزراء .  
ولكن هذه الصلة لم تثمر شيئا . . فقد كان البغدادي غير متحمس  
للتعاون مكثفيا بنجديد الصداقة . . وعبد الناصر كان يريد صديقا يفكر  
مثله .

وتثبت هذه الصلة الطارئة ان جمال عبد الناصر قد حاصر نفسه خلال  
سنوات حكمه بقيود جعلته لا يتعرف الى شخصيات جديدة يمكن ان تصبح  
له في موضع الصديق . . واسلوب يجعل الوصول الى صداقته امرا  
عسيرا .

وتثبت أيضا ان النظام لم يفرخ فيادات مؤمنة بالتحول الاشتراكي  
يمكن ان تفرض نفسها . . وأن محاوله اعادة البغدادي للعمل ، تشير الى انه  
كان يحاول تغيير أفكاره أولا ثم الاعتماد عليه بعد ذلك . . وهذا أمر ينافض  
تماما مع بحث القيادة في مجتمعات اشتراكي فهي لا تورث . ولا سم  
بالاختيار .

ولذا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر قد واجه كارثة محاوله بصفية  
المقاومه وحيدا . . ومريضا . . وتنازعه عدة عوامل نفسية .  
الموقف يتدهور في سرعة .

وعلى الساحة العربية بدأ جمال عبد الناصر يستشعر أشياء غريبة .  
المقاومة الفلسطينية التي اختزنها وفتح لها ذراعيه أصبحت تهاجمه  
بعنف . . سوريا والعراق تشتد أيضا في الهجوم .  
المواقف الاستفزازية لبعض المنظمات تعمد الامور وتجعل الصدام امرا  
حتميا لاسيما لتفاديه .

وعبد الناصر في أزمته النفسية حريص على بقاء المقاومة لدورها الايجابي  
في معركة التحرير . . تعيس للتمزق الذي تعيشه منظماتها . . حزين لان  
أحدا في صفوفها لم يعد قادرا على الدفاع عنه .  
كان جمال عبد الناصر شديد الابمان بما قام به . . ولكنه كان عاجزا  
عن اقناع الآخرين .

وأسهمت (الجهة الشعبية لتحرير فلسطين) في اشعال الموقف المعادي  
لعبد الناصر وللانظمة العربية . . وأسهمت أيضا بشكل رئيسي في استفزاز

النظام الاردنى .. وفى وضع المنظمات الاخرى وخاصة فتح تحت نيران الانهام باستفريط .

وتعشرت العمليات الفدائية داخل اسرائيل .. بعد أن أصبحت حمايه المقاومة داخل الأردن هى المسئولية الاولى للجميع . واختارت الجبهة الشعبية طريقها (الخاص) لتصعيد المعركة بعيدا عن قبضة الملك حسين .

وقامت يوم ٦ سبتمبر بحطف طائرة بوينج أمريكية كبيرة هبطت فى القاهرة ثم نسفت بعد اخلائها من الركاب .

ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد خطفت بعد أيام طائرتين واحدة أمريكية والاخرى سويسرية نبعنها نائلة بريطانية وهبط الجميع فى مطار مهجور بالاردن أطلقوا عليه اسم (مطار الثورة) .. وطلبت الجبهة من حكومات انجلترا واسرائيل وسويسرا وألمانيا الغربية اطلاق سراح الفدائيين المعتقلين قبل الافراج عن الركاب .. ولكن جميع الحكومات رفضت الخضوع .

ورغم ان منظمة التحرير والحكومات العربية قد أدانت هذا الاسلوب الا أن أحدا لم يستطع أن يتدخل لانقاذ الركاب الذين اضطرت الجبهة للافراج عنهم بعد أربعة أيام عقب نفس الطائرات الثلاث .

وكان هذا الحادث هو أكثر الحوادث استفزازا للنظام الاردنى ، استغله الملك حسين الذى قال له جمال عبد الناصر فى معرض مطالبته بأن يحافظ على المقاومة انه يمكن اطلاق لفظ (صبر حسين) مثل (صبر أيوب) .. ولم يقبل الملك أن يصل الاعتداء على مملكته الى هذا الحد بإقامة (دولة داخل الدولة) .

واركبت الجبهة الشعبية بهذا الحادث خطأ تاريخيا .. فهو عمل بعيد تماما عن مقاومة العدو .. مثير لعداوة الشعوب والرأى العام العالمى .

وكانت الجبهة الشعبية قد بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة بوينج اسرائيلية كانت فى طريقها من روما الى تل أبيب ، وأجبرت بوساطة المسلحين الفلسطينيين على الهبوط فى الجزائر حيث بقى ١٢ راكبا اسرائيليا فى الحجز لمدة شهرين قبل اطلاق سراحهم .

وبعد خمسة شهور استولى الفدائيون على طائرة بوينج اسرائيلية أخرى فى مطار أثينا حيث قتل أحد الركاب قبل أن يعتقل البوليس اليونانى المختطفين .

ورد الاسرائيليون على ذلك بسد مير ١٣ طائرة عربية فوق أرض مطار بيروت .

ومع ذلك لم تتوقف الجبهة الشعبية عن انتهاج هذا الاسلوب .. فقد هجم مجموعة من أفرادها فى مطار زيوريخ على طائرة اسرائيلية فجرحوا ستة من الركاب وأفراد الطاقم ، وقتل أحد الفلسطينيين واعتقل البوليس السويسرى الباقين وذلك فى فبراير ١٩٦٩ .

ولم تفتح محاولات أبو عمار فى وقف مثل هذه العمليات التى كانت تشوه وجه المقاومة وتسيء الى أهدافها النبيلة ، فقد اختطف طائرة أمريكية

نالت في طريقها الى بل ابيب في أغسطس ١٩٦٦ وهبطت في دمشق ، وفي  
سبتمبر هوجم مكتب شركه (العال) في بروكسل ودمر تماما ، وهو جرم  
بعد ذلك مكاتب اسرائيلية في بون ولاهاي تم في اثنا خلال شهر نوفمبر  
١٩٦٩ حيب هوجم مكتب سره (العال) ايضا وجرح ١٥ شخصا .  
وفي يناير ١٩٧٠ خطفت طائرة أمريكية أخرى في طريقها بين باريس  
وروما ، وفي فبراير هوجمت عربة شركة طيران في مطار ميونيخ ظنا بان  
ابن موسى ديان هو أحد الركاب .  
وقد أبارت هذه الحوادث المكررة غضب كثير من الدول العربية .  
ومنظمه فتح وغيرها . . وخلفت موجه من الرفض العالمي لهذا الاسلوب الذي  
يعرض المدنيين للخطر ، ويفعل أحداثا مثيرة في دول يحرض العرب على كسب  
الراى العام فيها وليس تنفبه واجباره على اتخاذ موقف العداء .  
وأعلن رئيس وزراء الاردن ادانته لمثل هذه الاعمال وأعلن انه سيعتبر  
العالمين بها خارجين على القانون .  
واضطر ابو عمار لأصدار بيان في يونيو ١٩٧٠ باسم المجلس الوطني  
الفلسطيني يعلن فيه ان عمليات خطف الطائرات المدنية منافية للهدف  
الفلسطيني ومتناقضة مع سياسة منظمة التحرير الرسمية .  
ولكن الجبهة الشعبية أرادت أن تثبت استقلالية سياستها فخطفت  
طائرة يونانية لم تفرج عنها الا بعد أن أفرجت الحكومة اليونانية عن سبعة  
من العدائين المعتقلين .  
تاريخ طويل في خطف الطائرات لا يمكن تدوينه ضمن النضال ضد  
الاحتلال الاسرائيلي للأرض العربية .  
ولو كان خطف الطائرات سبيلا لتحرير الارض لكان الفيتناميون قد  
حطفوا كل الطائرات الامريكية ، ولم يواصلوا النضال الساف في حرب  
مريرة أكثر من ثلاثين عاما .  
ولكنها فيما يبدو كانت فترة لم تنضج فيها بعض القيادات الفلسطينية  
ولم نصل بالخبرة والتجربة . . فأرادت أن تلفت نظر الراى العام العالمي  
للقضية شعب فلسطين بهذه الاحداث المثيرة التي لم تثمر شيئا نافعا .  
وكان حادث الجبهة الاخير هو الفرصة النادرة للملك حسين . . اذ أبلغ  
أمن الشميلي رئيس لجنة الجامعة العربية عندما قابله يوم ١٢ سبتمبر انه اذا  
لم يحدث اتفاق قبل يوم ١٥ سبتمبر فانه سسوف يصدر الامر لقواته  
المسلحة بصرب المقاومة .  
وكانت الجبهة الشعبية قد منحت بعض ركاب الطائرات المحبزة  
(ناسبرات دحول) خاصة على جوازات سفرهم .  
وفي يوم ١٥ سبتمبر توصلت لجنة الجامعة الى اتفاقية مشتركة أعلنتها  
الإداعة الأردنية .  
واعتمد البعض ان الامور تمضى الى هدوء وسلام .  
ولكن الملك أصدر قرارا في الثانية من صباح يوم ١٦ سبتمبر بتغيير  
وزارة عبد المنعم الرفاعي وتعيين اللواء محمد داود رئيسا لوزارة عسكرية  
أعلنت الاحكام العرفية .

ويقول أمين الشبلي ان محمد داود قد أمضى يوم ١٦ سبتمبر وهو يتصل به في نقابة المحامين بعمان . التي اختارها مقرا للجنة الجامعة العربية مطالبا بسرعته تنفيذ الاتفاقية التي كانت ننص على خروج الفدائيين من المدن وعدم حملهم السلاح .

ولكن اللجنة التنفيذية المشكلة من ١١ منظمة فلسطينية رفضت الحضور متخذة من التعيين الوزاري دليلا على عدم جدية النظام الاردني ، أو رغبته في اقرار الهدوء . واعتبرت أن تشكيل الوزارة العسكرية دليل لايغوزه التأكيد على أن الملك سادر في خطته لضرب المقاومة . وأصدرت اللجنة التنفيذية التي اجتمعت في الاشرافية بيانا بذلك رغم محاولات أمين الشبلي وأعضاء اللجنة في عقد اجتماع مشترك مع ممثلي السلطة لتنفيذ الاتفاقية .

وفي يوم ١٧ سبتمبر الساعة الواحدة صباحا اتصل أبوعمار بأمين الشبلي وأبلغه ان الضرب قد بدأ . وتفجرت العاصمة الاردنية بأصوات القنابل وطلقات الرصاص . وانفضت اللجنة الخماسية للجامعة العربية .

أصدر الملك الاوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها .

وتحركات قوات البادية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطيني .  
مأساة . . وكارثة .

وتحركات القوات السورية الى بلدة (الرمثا) على الحدود الاردنية . . ولم يقابل هذه الحركة بالصمت من جانب الولايات المتحدة . أبلغت عن طريق الاتحاد السوفييتي بأنها لن تسمح بدخول القوات السورية الى الاردن . . وانها سوف تحمي نظام الملك حسين .

ووصلت الى جمال عبيد الناصر معلومات تفيد بأن القوات الجوية الامريكية في تركيا قد وضعت في حالة استعداد لسحب الامريكيين من الاردن . . واعتبر ان هذا غطاء لعملية عزو مرتقبة . . وطلب من حافظ اسماعيل مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت متابعة كافة التحركات الامريكية .

وقد صرح نيكسون فيما بعد بأن الولايات المتحدة لم تفرب من خطر صدام عالمي مثلما اقتربت في هذه الفترة .

عاد عبد الناصر الى القاهرة ليواجه الموقف المتردي . . وفكر للوهلة الاولى بالذهاب شخصيا الى عمان لفرض وقف اطلاق النار ، ولكنه أرسل الفريق محمد أحمد صادق رئيس الاركان في ذلك الوقت الى عمان ليبصر الملك باخطار صافية المقاومة ، وليفنده بأن الحرب الاهلية لن تكون الا في صالح اسرائيل .

قال لي الفريق محمد أحمد صادق انه ذهب معه طائرتان نحلان الادوات الطبية ، وانه وجد من الملك حسين رفضا واضحا لقبول صرفات

المقاومة الفلسطينية . وانه مصر على تحرير ارادة حكومته من كل هذه الضغوط .

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفرجة ، وساد الظلام في الاردن . وتحول شهر سبتمبر الى شهر كئيب حزين اسود . . ونجاوز عدد الذين سقطوا فتلى برصاص السلطة الاردنية ، عدد الفدائيين الذين استشهدوا في عملياتهم داخل اسرائيل والارض المحتلة . . وفي كافة المعارك الخالدة مثل ( الكرامة ) وغيرها .

وصل رئيس سوريا نور الدين الاتاسي الى القاهرة يوم ٢١ سبتمبر، وهو يحمل معه الرغبة في دخول الاردن . . ولكن جمال عبد الناصر حذره من الموقف الامريكى ، ومن الخطوات غير المحسوبة . . ولم يجد عبد الناصر سبيلا لمواجهة الموقف سوى بالدعوة لمؤتمر قمة عربي .

### مؤتمر القمة الاخير :

استجاب الملوك والرؤساء ، واجتمعوا في القاهرة مع يومى ٢٢ و ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ . مؤتمر القمة ينعقد قبل مضي عام على مؤتمر الرباط ( ديسمبر ١٩٦٩ ) .

نجبر الظروف جمال عبد الناصر على عقد هذا الاجتماع . . وهو الذى اطلق التساؤلات المحرجة في وجه هؤلاء المجتمعين قبل تسعة شهور . . ثم غادر اجنماعهم ليواصل الاسعداد للمعركة .

ولكن فظاعة الكارثة كانت تفرض نفسها على الجميع . . عار تاريخي يلحق بهؤلاء الرؤساء والزعماء . . المقاومة الفلسطينية التى نمت وتضاعفت وفرضت نفسها على العالم بعد مؤتمر الخرطوم - أغسطس ١٩٦٧ - وبعد تغير قيادتها عقب استقالة احمد الشقيرى . . تذبذب اليوم علنا برصاص العرب . . وكل الفياداب عاجزة عن حمايتها . . المؤتمر ينعقد في ظروف قاسية . . والدهشة تعقد الالسنة امام جسامة الماساة .

الملوك والرؤساء بنوافدون الى فندق هيلتون على نيل مصر . والمذبحة مازالت مستمرة في الاردن . . وأحسار العالم يحتجون في مظاهرات صاخبة .

التاريخ يسجل الأحداث بقلم من الدم . . وأنظار الجميع تنبجه الى الفندق الكبير ، تتسابق لمعرفة الاخبار . . وما يصدر عن المجتمعين من قرارات يمكن أن نوقف النزيف . قبل أن يهمد جسد المقاومة . الملك حسين لا يحضر وبرسل اللواء محمد داود رئيس الوزراء مندوبا عنه يوم ٢٣ سبتمبر .

البعض يحاول ان يدين النظام الاردنى ويتخذ موقفا ضد الملك حسين، وخاصة معمر القذافي . . وجمال عبد الناصر يدرك ان هذه القرارات لن توقف

نزف الدماء ، وستدفع الملك حسين لمواصله مايقوم به .  
ويرسل المؤتمر جعفر نميري مندوبا عنه على رأس وفد يضم الباهي  
الادغم رئيس وزراء تونس وأمين الشبلي سفير السودان في الجامعة العربية  
ووزير العدل السابق في وزارة ٢٥ مايو والفريق محمد أحمد صادق سافر  
الى عمان يوم ٢٢ سبتمبر ٠٠ وصرح نميري لانطوني ناتنج بأنه لم يواجه  
موقفا أكثر صعوبة من هذا الواجب الذي كلف به .  
لم ينجح الوفد في وقف اطلاق النار .  
كما يقول الفريق محمد أحمد صادق أن أسلوب العملية يدل على أن  
النية كانت مبيتة لها .

وعندما يعجز الوفد عن الوصول الى نسوية بين العرب المتحاربين .  
أوبين جيش الملك ومعظمه من البادية وقوات الفدائيين ، يعود الى القاهرة  
ليفضي الى المجتمعين بصعوبه الموقف وخطورته .  
وتتبلور عند جمال عبد الناصر معلومات تفيد ان ما يحدث في الاردن،  
وما قاله عنه الباهي الادغم بأنه أمر لا يحدث في أية دولة متحضرة كعملية  
بوليسية وانما هو عملية حربية شاملة . انسا هو تدبير وتخطيط من  
المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع بعض العناصر الاردنية مثل وصفي  
التل . خاصة وأن بوارج الاسطول السادس كانت تواجه الشواطئ  
الاسرائيلية واللبنانية وضمنها حاملنا طائرات .  
وكان جمال عبد الناصر على أشد الحذر من انزلاق الامور الى تدخل  
أمريكي اسرائيلي مشترك . ولذا فقد صارع السوريين عندما أظهروا رغبتهم  
في دفع قواتهم للاردن بأن مصر لن ترسل أى قوات لسوريا أو الاردن في  
حالة تدخل أمريكا .

وكان جمال عبد الناصر صائبا في رؤيته . فان الأمريكيين اخذوا  
الامر على محمل الجد ، وأوضحت التقارير الواردة من واشنطن ونيويورك أن  
نيكسون قد يرسل الى الاردن بقوات أمريكية في أية لحظة . كما ان قادة  
الاتحاد السوفيتي قد طالبوا عبد الناصر بضبط النفس تقويتا للمؤامرة .

أكد نيكسون ذلك بعد انتهاء الازمة كما أشرنا . ولم تثبت المعلومات  
أن الملك حسين قد طلب مساعدة أمريكية .  
وأضح أن القوات الاردنية كانت قادرة - وحدها - على تنفيذ المهمة  
التي كلفت بها .

ولم يعد أمام المؤتمر من سبيل سوى الارتفاع عن كلمات الادانة ،  
ومطالبة الملك حسين بحضور المؤتمر ، وخاصة بعد أن عاود جعفر نميري  
سفره الى الاردن يوم ٢٤ سبتمبر على رأس وفد يضم حسين الشافعي والباهي  
الادغم والشيخ سعد العبدالله الصباح وزير دفاع وداخلية الكويت .

وكان محمد داود الذي عينه الملك حسين رئيسا لوزارة عسكرية قد  
أرسل الى الملك استقالته لان ابنته المتزوجة في بيروت حضرت اليه أثناء  
انعقاد المؤتمر في القاهرة وتمثيله للاردن وطالبته بالا يكون مخلب القط

الدى يصرب الفدائيين .. ولأن معمر القذافي واجهه بمسئوليته فى حياته  
انقصه العربيه .

استقال وحصل على الجنسية الليبية .

ويصل جمال عبد الناصر بالملك حسين طالبا منه الحضور الى القاهرة  
مقنعا بان حضوره يخفف من غلواء بعض افراده والمحيطين به الذين يدفعونه  
فى عصب أحق الى تصفية الفلسطينيين .. حتى الذين يعيشون المأساة فى  
خيام اللاجئين .

نحدث عبد الناصر الى الملك حسين وبجانبه الامير صباح السالم الصباح  
أمير الكويت .. وحرصا أثناء الحديث أن يتنى على الملك حتى يغريه على  
الحضور .

وكان عبد الناصر مقنعا بأن مسئولية المذبحة البشعة تقع على عاتق  
النظام الاردنى أساسا ، ولكنه كان مضنعا أيضا بأن تصرفات الجبهة الشعبية  
قد دفعت الامور الى ذلك .

الوفد المعوض من مؤتمر القمة يلتقى مع ياسر عرفات فى السفارة  
المصرية أثناء زيارته الاولى وخلال الزيارة الثانية يقوم الوفد بتهريب ياسر  
عرفات فى طائرته الى القاهرة بعد أن أمر الشيخ سعد العبد الله ولى عهد  
الكويت حاليا ووزير دفاعها فى ذلك الوقت - أحد أعوانه بخلع جليابه أو  
( بشد اشتمه ) والباسها لابي عمار الذى ما كان ليفلت من القسوات الاردنية  
الى صوبت نيرانها على مقر اقامة وفد مؤتمر القمة عندما علمت انه لا يريد  
أن يغادر البلاد الا بعد وقف اطلاق النار تماما .

وعندما استجاب الملك حسين لرغبة عبد الناصر وحضر الى المؤتمر يوم  
٢٥ سبتمبر .. دخل قاعة الاجتماع يحمل مسدسه وكذلك أبر عمار ...  
وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال انه يجدر بنا أولا نزع سلاح  
المنحاربين .

وبوصل المؤتمر يوم ٢٧ سبتمبر الى اتفاق وقعه الملك حسينه وياسر  
عرفات ويقضى بالآتى :

أولا : الوقف الفورى لاطلاق النار .

ثانيا : انسحاب الجيش الاردنى والفدائيين من كافة المدن قبل مغرب  
نفس اليوم .

ثالثا : تكليف لجنة برئاسة الباهى الادغم نسافر الى الاردن يوم ٢٨  
سبتمبر لتشرف على اجراءات التنفيذ .

وانهى أطول مؤتمر قمة فى تاريخ العرب .. امتد أسبوعا كاملا .

وغادر جمال عبد الناصر فندق هيلتون يوم ٢٧ سبتمبر الى داره ليكون  
قريبا من المطار أثناء توديع الملوك والرؤساء .



## الباب السادس

### عبد الناصر... مات

انتهى مؤتمر القمة الذي عقد تحت ضغط المذبحة ، واخلطت كلمات المناقشة فيه بأصوات الرصاص .  
وافق الملك على وقف المذبحة . . وقبل أبوعمار سحب الفدائيين من المدن .

وأصبح واضحا أن الأردن لم نعد أرضا صالحة للفدائيين . . ولم تعد نقطة انطلاق الى داخل الارض المحتلة .  
كان هذا المؤتمر هو أكثر مؤتمرات القمة ارهاقا لعبد الناصر . . فقد أجبر على عقده لان قبوله لمبادرة روجرز هو الذي فجر الاحداث ، ووصل بها الى هذه المأساة الانسانية .

ولذا حمل العيب كله . . وفي أعماقه شعور بأنه مسئول مسئولية غير مباشرة - عن التدهور الذي انزلت به الامور . . وعن دماء ألوف من الفلسطينيين قتلهم رصاص النظام الأردني .  
ورغم أن عبد الناصر لم يكن مسئولا في حقيقة الامر عن شيء من ذلك ولكنه ارتبط بالمأساة . وأصبح طرفا فيها .

ومع أن مذبحة الأردن لم تكن في هول هزيمة ١٩٦٧ وبشاعتها ، إلا أن مؤتمر القاهرة (سبتمبر ١٩٧٠) قد انعقد تحت ضغط عصبي يفوق كثيرا .  
بما لا يقيم وجها للمقارنة مع مؤتمر الخرطوم ( أغسطس ١٩٦٧ ) .  
كان شعب السودان قد استقبل عبد الناصر استقبالا تاريخيا خالدا ،

لا يمكن أن يستقبله شعب لقائد مهزوم .. وكان ذلك تعبيرا عن نقمة شعوب  
الامة العربية فيه قائدا يتحمل مسئولية النضال والتحرير في المستقبل .  
أما مؤتمر القاهرة فقد عقد ، وبعض القوى تهتف بسقوط عبدالناصر  
ونلفى جانبا من مسئولية المذبحة عليه .  
وكان الامر على نفسه فاسيا .. بل شديد القسوة .. ففسد امضى  
السنوات الثلاث التي أعقبت الهزيمة في كفاح مسنم لامتناص الهزيمة  
وازاله آثارها .. وانصر في ذلك بما جعل فواننا المسلحة فادرة على الحاق  
الحسائر بالعدو ، واشعاره بأن نصره السريع في يونيو ١٩٦٧ ليس  
دائما أو أبديا .

وكانت فترة وقف اطلاق النار التي أتاحها مبادرة روجرز .. هي  
فترة التفاضل الانقاس والاسنعداد السهائي .. لمواصلة القتال ، وتنفيذ خطه  
تحرير الارض .  
وعاش جمال عبد الناصر في هذا الامل .. ولم يتصور - فيما اعتد -  
أن طعنة بمنل هذا العنف يمكن أن توجه اليه من هذا الاتجاه ، فتطيح بأمله  
وتهدد خطته ، وتجعله يقف وحيدا فوق بركة من الدماء ، يحاول دفع  
المأساة .

ولاشك ان عدم تنسيق الاسنراتيجية العربية بن كافة الانظمة والقوى  
السياسية .. وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها  
سياسة واحدة .. كان من الاسباب الرئيسة التي أتاح لمؤامرة النظام  
الأردني ان تنجح .

حمل جمال عبد الناصر عبء المؤتمر - سياسيا ونفسيا وماديا - ووصل  
به - رغم كل شيء - الى تحقيق :  
وقف اطلاق النار وقطع نزيف الدماء .

نفويت الفرصة على أى تدخل امريكي مباشر .  
هذا ما يمكن - رغم سلبيته - أن يعتبر إيجابيا في قرارات أطول  
وأصعب مؤتمر للغة العربية .

ولعل مقاله معمر القذافي ، أثناء المؤتمر ، من أن الملك حسين مجنون  
يقتل شعبه .. وأن على المجتمعين أن يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى  
.. وما دار بعد ذلك من حوار سجله محمد حسين هيكل تفصيلا في كتابه  
(الطريق الى رمضان) ، والذي قال فيه الملك فيصل (ربما كنا جميعا مجانين)  
ثم ما انتهى اليه الحوار من قول جمال عبد الناصر :

(أحيانا عندما نرى ما يحدث في العالم العربي ، فاني أعتقد ان ذلك قد  
يكون صحيحا يا صاحب الجلالة .. ولذا فاني أقترح ان ننتدب طبيبا للكشف  
علينا دوريا ، ومعرفة المجنون فينا) .

أقول .. لعل هذا الحوار الذي خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء  
والملوك .. يعطى احساسا بسخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع .. ويدفع  
الى التساؤل في نفس الوقت .

هل هو جنون فرد الذي فجر هذه المأساة .. أم خيانة طبقة ونظام ؟

وهل افترحت المأساة والمذبحة بين المجتمعين في قاعه المؤتمر .. أم أنها امتدت الى قاعة بعض القوى التي الهب المتساعن واخطات التصدير .. ولم نحضر المؤتمر ؟

مهما حاولنا من تعليق الخطايا في رقاب المنهين .. فان الشهداء لن يعودوا للحياة .. ووصمة العار لن نمحوها الايام من جهة النظام الاردني، ولا من حياة بعض الذين لجأوا الى الاستفزاز وحده من بين بعض فصائل المقاومة الفلسطينية .

ضاعت الفرصة الى الأبد في أن يعود الفدائيون أحرارا في الاردن . وأغلقت حدود الضفة الغربية فلم يعد يتهدد الخطر أحدا داخل أو ائيل من هذا الاتجاه .

وبدأت لجة يراسها الباهي الادغم نشرف على تنفيذ الاتفاق الذي وقعه الملك حسين ويأسر عرفات .

وبدا الملك والرؤساء يفادرون القاهرة الى بلادهم في نفس اليوم . وأصبح يوم جديد .. يحمل تاريخا له وقع حزين في نفوس المهتمين بقضايا الامه العربية .

٢٨ سبتمبر .. يوم انفصال سوريا عن مصر بانقلاب عسكري .. يوم تمزقت الجمهورية العربية المتحدة .. التي اعنبرت ولاديتها انتصارا تاريخيا للفومية والوحدة العربية .

٢٨ سبتمبر .. ذلك اليوم الذي انتعل فيه جمال عبد الناصر منسج تسع سنوات الى دار الاذاعة لأول مرة ليتابع أخبار الحركة الانفصالية . ٢٨ سبتمبر .. اليوم الذي أصدر فيه جمال عبد الناصر تعليمات بإرسال قوات لمقاومة الانفصاليين في سوريا ، ثم أصدر أمرا بعودتها وهي بعد مازالت في الطريق .. حتى لايفتتل العرب .. ويهدر الرصاص العربي دماء عربية .

٢٨ سبتمبر .. اليوم الذي أغلق فيه جمال عبد الناصر غرفته على نفسه ، وأجهش بالبكاء لان دمشق التي أحبها ضاعت .. وكانت أول هزيمة للزعيم صاحب الانتصارات الصاعدة .

استيفظ جمال عبد الناصر مرهقا في ذلك اليوم - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ - ولكنه لم يتردد في توديع الملوك والرؤساء في مطار القاهرة . وعند الوداع الاخير لأمير الكويت كانت طاقة جمال عبد الناصر على الاحتمال قد نفذت .. ولم يعد قادرا على الوقوف .. طلب الطبيب وهرعت اليه العربة التي أسرع الى دازه في منشية البكرى فوصلت في الثالثة والنصف .

الاسرة تنتظره على الغداء .. ولكنه مرهق .. مرهق .. يدخل غرفته ويخلع ملابسه وينام على السرير ويكتشف الطبيب أن أزمة قلبية قد هاجمتا .. وأن الموقف خطير .

ويتوالى حضور اطباء والمسئولين . وبعد أن كان يقف الى جانبه شعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد أحمد

بوالى وصول محمد فوزى وانور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ..  
وبقيت الاسرة خارج الغرفة .  
وبدأت محاولات الطب لانقاذ حياة الزعيم .. والدهول يعدد السنة  
الحاضرين .  
وقفوا ساعدين حول عبد الناصر .. وهم لا ينصرون ان عبد الناصر  
قد مات .  
وعندما انهار أحد اطباء ، اكتشف الحاضرون الموقف .. وانفجر  
البكاء .  
بكى رفاق عبد الناصر عليه .. فى نفس اليوم الذى بكى فيه هو منذ  
سبع سنوات لفراق سوريا .  
عبد الناصر .. مات .  
ولس أمام الموت عظيم .

### جنازة .. الزعيم

اعلن أبور السادات نائب رئيس الجمهورية الحبر الحزين على جماهير  
السعب من ميكرفون الاذاعة وسأشه التليفزيون .  
وكان الحبر صدمه مذهله .. فقد شاهد الناس منذ ساعات يودع  
أمير الكويت فى المطار .  
وزحف الناس الى بينه .. مئات الالوف .. ثم الملايين امتلات بهم  
شوارع القاهرة .  
وعقدت الوزارة مع اللجنة التنفيذية العليا للانحد الاشتراكي اجماعا  
مسركا فى قصر القبة لاعداد ترتيبات الجنازة الى تقرر ان نشيع يوم أول  
اكتوبر .  
وتقاطر الزعماء والرؤساء على القاهرة لتوديع جمال عبد الناصر .  
وامضى الشعب المصرى ثلاثة أيام حزينة .. تسير جموعه تغنى اغنيات  
نضح بالاسى والفجيعة .. كل الذين ارتبطت آمالهم به أصابتهم الفاجعة  
فى الصميم .  
ولم يعرف تاريخ مصر أياما مثل هذه الايام الثلاثة الى سبقت  
الجنازة .  
ولم يفلح كافة الاجراءات والترتيبات الادارية فى اخراج جنازة رسمية  
.. احضن الشعب جثمان الزعيم ، واختلط البكاء مع الصراخ والنحيب  
والدعاء والهناف .  
ودفن جمال عبد الناصر فى المسجد الذى أقامه مجاورا للقيادة العامة  
للقوات المسلحة التى رحفت اليها قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢  
عبد الناصر .. مات .  
وشيع شعب مصر جنازه فى موكب تاريخى رهيب .  
وانتهت صفحة قائد ثورة يوليو .  
ولكن ( قصة ثورة ٢٣ يوليو ) لم تصل نهايتها بعد .

## الباب السابع

### تقييم لدور البطل والزعيم

عبد الناصر .. مات ..  
لم يعد صاحب الرأي والارادة .. ومركز حركة الاحداث ..  
نام في صمت أبدى .. وترك الحديث للناس ..  
مفجر ثورة يوليو وقائد مسيرتها .. مات .. قبل أن ينتهي الطريق  
ونكتمل القصة فصولا ..  
غاب المخرج والمؤلف والبطل .. وبقي المشاهدون .. لم يسدل الستار  
بعد ..  
غاب الزعيم .. وبقي الشعب .. ولم تنته قصة ثورة ٢٣ يوليو ..  
والدور الذي قام به جمال عبد الناصر ... حفر له مكانا بارزا في  
تاريخ مصر ..  
لم يكن جمال عبد الناصر هو البطل الوحيد على خشبة المسرح ..  
ولكنه كان يلعب دور الفتى الاول الذي جذب الأضواء وسحر الجماهير ، ونلقى  
أكاليل الفار .. حتى وقع من الهزيمة القاسية ، ثم نهض كبطل اعريى  
يحارب من أجل مجده وحرية وطنه ، فوق أرض روتها الدماء .. وسط شعب  
اهنزت ثقته .. ولكنه ظل يبلور أمله في هذا الرجل الاسمر القادم من صعيد  
مصر ، الذي أقام الجمهورية وأصبح أول رئيس منتخب لها بعد حكم للقراعة  
والإباطرة والخلعاء والملوك امتد آلاف السنين.  
فرض عبد الناصر نفسه على عصره .. وأصبح حج الناس في الخارج  
يقولون (ناصر) اذا ذكرت (مصر) ..  
كان بطلا قوميا ألهم مشاعر العرب .. وساند .. في التحررية ..

وأقام أول دولة للوحدة ج.ع.م. وكان أحد ثلاثة من كبار زعماء العالم ، أسسوا الحياذ الايجابى وعدم الانحياز .. نهرو وعبد الناصر ونيسو .  
 وكان زعيما وطنيا جريئا كسر الميود التى فرضتها الامبريالية على وطنه .. وانتصر على العدوان الثلاثى .. وتعاون مع الدول الاشتراكية فى مجالات المصنيع والاقتصاد والسيليج .  
 وفوق أرض مصر .. تغيرت معالم الحياة .. ولعب عبد الناصر فى ذلك دورا رئيسيا .  
 تحرر الفلاح من سيطره الاقطاع .. وأصبحت ثلاثة أرباع الارض يملكها الذين يرعونها .. وسقط السيد المعبود الذى كان يملك الارض ومن عليها .  
 وارتفع بداخل المصانع من الاسكندرية الى أسوان .. وقامت فاعدة صناعية قوية ، يعمل فيها ٧ ملايين عامل ، وأصبحنا ننتج ما يمكن تصديره للخارج .. بعد أن كانت مصر تستورد كل شيء حتى ابر الخياطة .  
 ودخلت مصر مجال الصناعة الثقيلة .. وأقامت بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى مجمع الحديد والصلب فى حلوان ، ومجمع الألمنيوم فى نجع حمادى ومئات المصانع .  
 كما دخلت عصر الكهرباء باقامة السد العالى الذى وفر لنا كل الكهرباء لمصانعنا ، وأضاف مليون فدان لرقعتنا الزراعية التى نحاصرها الصحراء .  
 وأخذ العمال بعض حقوقهم .. أصبحت مدة العمل ٧ ساعات يوميا .  
 وامتنع الفصل التعسفى .. وشارك العمال فى الارباح وفى عضوية مجالس الإدارة .. وشكل الاتحاد العام لنقابات العمال بعد تعذر تشكيله قبل ٢٣ يوليو .  
 وأصبح التعليم مجانا فى مختلف المراحل بما فيها الجامعات .. ولم تعد هناك فيود مادية او اجتماعية تحول بين الموهوبين ومواصلة التعليم .  
 وضمنت الدولة حق العمل لكافة حريجي الجامعات والمعاهد .. وتراجعت البطالة التى كانت تزحف على المجتمع .  
 وانتشرت الجامعات فى الدلتا والصعيد .. وأصبح لدى مصر مايكفيها من الأطباء والمهندسين والعلماء والاداريين .. وما يمكن توفيره ايضا لعدد من الدول العربية الأخرى .  
 كان جمال عبد الناصر هو القوة الدافعة الرئيسية وراء كل هذه المكاسب والإنجازات .  
 ولكن الزعيم وحده - دون محاولة التقليل من دوره - لا يستطيع أن يقبض على كل الخيوط .. ويعجز مهما كانت قدراته وعظم اخلاصه .. أن يبنى المجتمع وحده .  
 وجمال عبد الناصر اعتمد فى بناء المجتمع الجديد أساسا ، على الذين يحيطون به من العسكريين .. وتشكلت (أو توطأتية عسكرية) تربع فى قمتها بغير منازع .

اختار الطريق السهل .. الذي يعتمد فيه على القرارات الإدارية ،  
ينفذها له مجموعه من العسكريين ، الذين نشأوا ودرّبوا في أجهزة الامر  
والمخابرات ، كما أوضحت ذلك تفصيلا في الجزء الثاني ( مجتزع جمال  
عبد الناصر ) .

والمعارك السياسية الداخلية التي خاضها اعتمد فيها على القرارات  
الإدارية وحدها .

ألقى الاحزاب جميعا ، دوا أن يعرف بين التي لعب دورا وطنيا ، والتي  
قامت لخدمه المحللين والسراي (الوند وأحزاب الافليه) .. وهاجم فكرة  
الحزبية في مجمع كآف الطبقات فيه مازالت تتصارع .. ولكنه احكم  
العمل السياسي في يد نظميات وربة أشرف عليها العسكريون ... ولذا  
سمطت الحياة السياسية في فراغ رهيب حتى عام ١٩٦١ .

حآكم الاحوان المسلمين واشيوعيين وبعض رجال الاحزاب السابقين ،  
ولم يدرك ان هذه الاجراءات الإدارية لا يمكن أن تعني تصفية سياسية ...  
فلافكار لاتفهرها الا أفكار أخرى .. والذين سطّمو أنصهم في خدمة طبقة  
لاينهي دورهم الا اذا صفت تماما هذه الطبقة .. أما اذا كانت طبقة لها  
مستقبل فان كل الاجراءات الإدارية تنهي الى عدم مع الذين ينظمون أنفسهم  
في خدمه حقوفها .

وجمال عبد الناصر مثل كل زعيم لابد وأن ينتمى الى طبقة يعبر في  
النهايه عن مصالحها .

وإذا كانت حركة الجيش قد حاولت أن تكون مظهريا فوق كافة  
الطبقات ، فانها انتهت الى دورها الطبيعي في خدمة البرجوازية الصغيرة التي  
انتمى اليها الضباط الاحرار .. وهي الطبقة التي مازال لها رصيد في  
النضال الوطني والاجتماعي ، والتي ترفع في مراحل البعر الاجتماعي شعارات  
وطنية وتقدميه ولكن عناصر كثيرة فيها تظل حبيسة صبو الافق وفصر النظر ،  
وننتهن الفرص المتاحة للابجذاب الى البرجوازية الكبيرة .

وجمال عبد الناصر كان ابأ وفيأ لهذه الطبقة .. بل هو من أكثر  
أبنائها وطنية وميلا الى اليسار .. بطور مع الزمن .. فلم ينحرف الى اليمين  
ولم يتراجع عن اتحاهه التقدمي ولكنه كان بصر على أن يعمل من موقع  
طبقته للعمال والفلاحين .. وليس بهم .

وما أسعرت عنه حالة المجمع من شعور طبقى عند جمال عبد الناصر  
من أن الامور والسعود يعود من جديد الى البرجوازية الكبيرة ، وكبار الرأسماليين  
.. هو الذي دفعه الى قرارات وفوانين ناميم يوليو ١٩٦١ .

أصدر جمال عبد الناصر هذه الفوانين ( الاشتراكية ) والاشتراكيون  
الحقيقيون المدافعون عن مصالح الطبقة العاملة والفلاحين ، قد أغلفت عليهم  
قضآن السجن والمعتقلات بتهمة الشيوعية .. واستمر الامر كذلك اكسر  
من سمن بعد صدور هذه الفوانين ، مما يشكل انفصاما في شخصية المجتمع  
الذي نادى بالاشتراكية .. ويعتقل الاشتراكيين الحقيقيين .

وقد حول جمال عبد الناصر ( الاشتراكية ) من كلمة يدخل المبشر بها

الى السجن قبل ٢٣ يوليو ، الى شعار ترفعه حركة الجيئس ٠٠ يتغير مع الايام  
من اشتراكه ديموقراطيه تعاونيه ٠٠ الى اشتراكه علميه كما ورد في  
الميثاق ٠

وفد أدى هذا التطور الى موقف فريد ٠٠  
حلت التنظيمات الشيوعيه نفسها في بداية عام ١٩٦٥ ، وهى ظاهرة  
لم تحدث من قبل ٠٠ نأما كما حل حرب البعث في سوريا نفسه بعد افامة  
دوله الوحده في فبراير ١٩٥٨ ٠  
كان هذا دليلا مؤكدا على النعمه التى حصل عليها جمال عبد الناصر  
وقت احاذ هذه القرارات التاريخيه الضخمة ٠

عندما اعتقد السيوعيون انه قد بدأ عملية التحول الاجتماعى فى طريق  
الاشتراكية العلميه ، سلموا له علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاق  
نضال معه فى الاتحاد الاشتراكى وطنيعته ٠  
وعندما قامت دولة الوحده ، اطمان البعثيون ، وسلموا له أيضا علم  
القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاقا له فى الاتحاد القومى ٠  
وكان القراران - من الوجهة السياسيه - خطأ ٠٠ فقد أثبتت الايام  
أن الوحده لم تدم ، وأن الاشتراكية التى بشر بها الميثاق لم تتحقق ٠  
وكانت الصخرة التى تحطم عليها الأملان هى (الديموقراطية) ٠

وليس المفصود بالديموقراطية هذه الصورة الليبرالية المطلقة التى  
احتزنت بالظام الرأسمالى فى الدول الغربيه ٠٠ فلم تكن الحاله فى مصر  
بعد الخطوات التى اتخذت سمح بذلك ٠٠  
ويجب ألا نبتعد كثيرا عن الاصل الذى نهض عليه نظام جمال  
عبد الناصر ، حتى لانخطئ الحساب ٠

حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو هى حركة عسكرية ، بدأت انقلابا ، ثم  
تحولت مع الوقت الى ثورة ، يقودها أصحاب الرتب الصغيره من الضباط  
الذين لابنمون للطبقات الحاكمة فى ذلك الوقت ٠

وعسير أن ينحول انقلاب عسكرى الى نظام ديموقراطى وسليم ، مهما  
حقق من انجازات وطنية واجتماعيه ٠٠ لم يحدثنا التاريخ عن مثال واحد  
- الى الآن - بدأ الامر فيه انقلابا ثم انتهى بنظام ديموقراطى ٠

ولايعنى وجود دستور وانتخاب مجلس أمة عام ١٩٥٧ أن ديموقراطية  
قد تحققت فى مصر ٠٠ فقد كان الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى  
بفبضان على حرية الترشيح والانتخاب بيد من حديد ٠  
والاوتوقراطية العسكرية كانت لها اليد العليا دائما ٠

وفى التنظيمات التى قامت لم تتوفر الديموقراطية أيضا ٠٠ فلم  
تكن المعارضة مقبولة ومسئولة داخل التنظيم ٠٠ وظل الامر فى قبضة  
العسكريين الذين تعجزهم طبيعتهم الصارمة عن التفاعل الحى مع الجماهير ٠٠  
والذين اعتمدوا فى قهر بروقراطية الدولة على الاسلوب الادارى الحازم وحده  
٠٠ وهو مايمكن اعتباره - اذا لم ينسج مع العمل السياسى - سرايا لا يصل  
اليه انسان ٠



كان غياب الديمقراطية هو نقطة الضعف الرئيسية التي جعلت البناء الاشتراكي يقوم على قاعدة سلبية .

ساعد على ذلك أيضا أن جمال عبد الناصر لم يكن شديد الحرص على بناء حزب مناضل يحمل معه مسئولية التحول الى المجتمع الاشتراكي . . . وبحربه طلبه الاسراكيين - رغم ماكانت ينشر به من أمل - اسهت الى طريق مسدود .

عيبه الديمقراطية ، وغيبة الحزب السياسى المناضل ، وتغلغل الاووفراطيه العسكرية فى أجهزة الحكم، ومو البرجراية الصغيرة ورسوخ اندامها فى قمة التنظيمات القائمة دون اهتمام باطلاق طاقات العمال والفلاحين السياسيه والاجتماعيه . .

كل هذا أضعف دور الرفابة الشعبيه ، وفنح بابا عريضا للانحرافات . سرفه المال العام ، الاعمال بغير حساب ، فرض الحراسه بالمعايير . تعذيب المعتقلين حتى الموت أحيانا .

ورغم فسوة هذه الانحرافات وأبديها السبىء على نفسه الجماهير . . فانها ظلت فى الغلب الاعم ، ناخذ مركزا نابيا من اهمام الجماهير بعد نعتها بالزعيم وتأييدها لخطوات الثورة الوطنيه والتقدميه . كان البعض اذا سمع عن الخطأ أو الانحراف ، تصور انه لابد وأن يزول اذا وصل الامر الى سمع جمال عبد الناصر .

وربما كان هذا صحيحا . . ولكن .

من الذى كانت نتاج فرصة وصول صوته الى الرعيم وحوله أعوان مورطون فى هذه الانحرافات ؟

ولو كان هؤلاء الاعوان يعرفون ان الزعيم - مثلا - يرفض الاعتقال والتعذيب فهل كانوا قد لجأوا اليه أسلوبا للتعامل ؟

وهل توقف التعذيب بعد مصرع عدد من الذين ضمنهم المعتقلات ومنهم شهيد عطية الشافعى وغيره ؟

بعيدنا ذلك الى الحديث عن عمر الزعيم - أى زعيم - حى ولو بلغ مرتبة جمال عبد الناصر الى لم يرق اليها زعيم آخر فى بلد عربى مع بدايه انصارانه الوطنيه والقومية فى منتصف الخمسينيات . . عجز الرعيم عن أن يلمس كل شئ ويحرك كل أمر فى مجمع كبير يريد مليونا كل عام . . وانما يصبح نفسه مع الوقت أسيرا لطبيعة تكوين النظام من جيب التركيب الاجماعى والاقتصادى والسياسى .

ولاشك أن أكثر طاهرة أفرزها هذا المجتمع وضوحا . . هى هزيمة ١٩٦٧ التى يتحمل جمال عبد الناصر مسئوليتها الاولى - كما أصر هو نفسه على ذلك - حيث جنح الى مرضاة صديق عمره المشير عبد الحكيم عامر معتمدا عليه فى قيادة القوات المسلحة ، رغم عدم توافر صفات القيادة العسكرية فيه ، ورغم أخطائه عام ١٩٥٦ . . وأثناء حركة الانفصال عام ١٩٦١ .

قد يكون جمال عبد الناصر قد أدخل في حساباته تأثير عامر الانساني بل الصباط .. ولكن الاسلوب الاوتوقراطي الذي يرضى ويغضب ، يصفح ويعاقب ، بغير حساب الا الرؤيه الشخصيه .. والذي يقاوم بناء مجتمع ديموقراطي أصيل .. هو الطريق الذي يؤدي الى ان يصبح الزعيم أسير بعض أعوانه وأنباعه .

وهنا نقول ان مثل هذا الزعيم يصعب عليه أن يحسن اختيار أعوانه .  
لانه ينبغي فرصه القرب للمنافسين .. ويرضى عن الخاضعين .. ولا يحاسب أحدا على انحرافه لان هذا الانحراف يريده حصوعا وركوعا .

وليس التعميم صائبا في هذا المجال .. فهناك من يقرب من الزعيم بطاقه وكفائه وإخلاصه ونكران ذاته .. ولكنه لايفضل الحركة المؤثرة في مجال السلطة .. ولا يرمى الى أكثر مما يسمح به الزعيم .

وجمال عبد الناصر - رغم أسلوب حكمه الاوتوقراطي - لم يكن ديكتاتورا .. بل كان زعيما يعمل من أجل مصلحة الجماهير .. وقد استطاع ان يكسب نفعه للذين عاشوا وأمالهم معلمه بخطواته وقرارات هذا الرجل الذي لم ينفأ أبدا مع المستغلين ، وإنما دافع دائما عن الفقراء والمستضعفين .

وربما كانت شدة جمال عبد الناصر في أسرة متواضعة سببا من الاسباب التي جعلته ينفأ في يسار طبخته ، أقرب الى أحلام الكادحين منه الى حياة المرفهين .

وإذا كان التطبيق الاشتراكي لم يستطع خلال سنوات حياته أن يتخلص مما لحق به من عبوب .. وبقيت الفروع الطبقيه قائمة وواضحة .. الفلاح التقيس في بيت الطين الذي عاش فيه منذ آلاف السنين .. والفقير في المدينة ضائع مسكين .. والعامل مكس مع أسرته في غرمة واحدة .. والسيادة لبعض المحرفين .. والامية تكبل أكثر من نصف المجتمع .

أقول اذا كان التطبيق الاشتراكي لم يستطع أن يقصد الدم الفاسد . وأن يحقق أهداف الاشتراكية السامية .. فانه يكفي أن الانطلاق كان قد بدأ .. وأن القاعدة الصناعية القوية قد رسخت .. وأن الطبقة العاملة قد وجدت .. وأن الفلاح قد تحرر ماديا ومعنويا من حق الملكية المقدس .

المدة التي انقضت على ثورة يوليو ١٩٥٢ لم تكن قد تجاوزت ١٨ عاما حتى وفاة جمال عبد الناصر .. ومع صدور قوانين التأمين ١٩٦١ بدأت المؤامرات لضرب أول نظام يحاول الوصول للاشتراكية في منطقة التحرر الوطني خلال طريق خاص .. ويخطو في هذا السبيل خطوات هائلة ... الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ .. خطة استنزاف جهد مصر في حرب اليمن بالتعاون بين الامبريالية والنظم الرجعية .. قطع المعونة الغذائية الامريكية ١٩٦٥ .. وأخيرا العدوان المسلح ١٩٦٧ الذي شنته الصهيونية التوسعية والامبريالية الامريكية .

الوقت لم يكن كافيا لانصاح العجربة .  
ومؤامرات الامبرالية لم تنرك فرصة للنفس الهادى .  
كان استمرار عبد الناصر بعد الهزيمة ، بارادة الشعب المصرى فشلا  
لمؤامرات اسقاط نظامه السقدنى وناكدا لدوره الماريخى وبلورة لتقة الناس به  
رعم كل سى .  
ولكن . . عند الناصر ما . .  
وفضة بوزة ٢٣ بولبه لم تكنمل بعد .  
الاسسكندرية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٧



## شمسکر و عرفان

ما كان لهذا الكتاب ان يظهر لولا هؤلاء الساده الذين تفضلوا فمنحنونى بعض وقسم للبحث والمناقشة ومعذرة اذا كانت الاسماء قد ظهرت بلا ترتيب تنفضيه التقاليد المرعة ، مانى قد حرصت على تدوينها تبعا للوقت الذى سجلت فيه .  
وكل الشكر والعرفان بالجميل لهم فردا فردا .

### ١ - المسكريون :

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
محمد نجيب	لواء أركان حرب	رئيس جمهورية مصر
عبد الطليف بغدادى	قائد جناح	نائب رئيس جمهورية
زكريا محبى الدين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
كمال الدين حسين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
حسن ابراهيم	قائد سرب	نائب رئيس جمهورية
خالد محبى الدين	صاغ	عضو مجلس البورة
يوسف صديق	قائم مقام	ورئيس ادارة ( أخبار اليوم )
عبد المنعم أمين	صاغ أركان حرب	عضو مجلس قيادة الثورة
كمال رفعت	صاغ	عضو مجلس قيادة الثورة
ابراهيم الطحاوى	صاغ	عضو مجلس رئاسة تم سفير
أحمد لطفى واكد	صاغ	رئيس جمعية الشبان المسلمين
احمد انور	صاغ	رئيس تحرير جريدة ( الشعب )
حسن فهمى عبد المجيد	بكباشى	سفير بالخارجية
أحمد كامل	صاغ	سفير بالخارجية
حسنى عبد المجيد	يوزباشى	نسس المخابرات العامة
حسين عرفة	صاغ أركان حرب	اواء بالجيش
توفيق عبده اسماعيل	صاغ	مدير المباحث الجنائية العسكرية
احمد المصرى	يوزباشى	مدير عام برئاسة الجمهورية
امازر المرصفى	يوزباشى	مؤسسة السينما
أمين هويدى	يوزباشى	مدير المسرح القومى
توفيق عبد الفناح	صاغ	وزير حربية ووزير دولة
ثروت عكاشة	بكباشى أركان حرب	وزير شؤون اجماعية تم سفير
	صاغ أركان حرب	مساعد رئيس جمهورية

الاسم	آخر رتبة عسكرية آخر منصب
محمد أبو الفضل الجيزاوى	عضو مجلس امة
شوقى فهمى حسين	وزاره الاسكان
شمراوى جمعه	نائب رئيس وزراء ووزير داخلية
محمد رياض	مندوب حكومة قطر فى مصر
سميد حليم	وزير مفوض بالخارجية
عبد المحسن مرنجى	فريق بالقوات المسلحة قائد القوات البرية
محمد النابعى	سفير بالسودان
عبد المنعم النجار	سفير بالعراق
فؤاد المهداوى	محافظ مرسى مطروح
محمود الجيزاوى	مدير ادارة الجوازات
حامد محمود	محافظ الجيزة
عبد الرؤوف نافع	عضو مجلس ادارة منتدب لدار الهلال
محسن عبد الخالق	سفير باليابان
محمد النماجى	محافظ بالسويس
زكريا العادلى اسام	سفير بالهند
عبد الحميد صبور	سفير بلبيبا
فؤاد هلال	سفير بقطر
حسن حافظ مهمى	عضو مجلس امة
صدقى سليمان	رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للحاسبات
طلعت حسين	رئيس مجلس مدينة الجيزة
حسن الدمنهورى	الجامعة العربية
حسنى الدمنهورى	أعمال حرة
ابراهيم بغدادى	محافظ القاهرة
فريد طولان	نائب مدير المخابرات العامة
فؤاد حبشى	أعمال حرة
امين شاكى	وزير سياحة
عبد الفتاح ابو الفضل	الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى
وفاء حجازى	سفير فى بنجلاديش
عبد المجيد نهمان	المحرر الرياضى لجريدة الاخبار
فتح الله رفعت	رئيس مؤسسة الاقراض الزراعى
محمد ابو نار	رئيس شركة الاخشاب
محمد نوزى	فريق اول ووزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة
مجدى حسنين	سفير فى تشيكوسلوفاكيا
عبد المجيد شديد	امين تنظيم الاتحاد الاشتراكى

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
منير موافى	ملازم أول	مؤسسة روز اليوسف
صلاح الحديدي	فريق أول	رئيس المخابرات الحربية
محمد علي بشر	صاغ	رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للبترول
ممدوح جبه	صاغ	سفير سوريا
عبد الحميد الدغيدى	لواء جوى	قائد القوات الجوية بسيناء
حسن خليل	صاغ	قائد المباحث الجنائية العسكرية
مصطفى بهجت بدوى	صاغ	رئيس مجلس ادارة دار التحرير

## ٢ — السياسيون :

الاسم	آخر منصب
أحمد فؤاد	رئيس مجلس إدارة بنك مصر
عز العرب عبد الناصر	رئيس مكتب الجمهوريه بالاسكندرية
محمد رياض	وكيل وزارة الداخلية
فهي رضوان	وزير الثقافة
محمد شطا	عامل
مواد سراج الدين	وزير داخلية سابق
فهي خليل	صحفي بروز اليوسف
محمود أمين العالم	رئيس مجلس إدارة اخبار اليوم
موسى صبرى	رئيس تحرير الاخبار
سعد كامل	محرر بالاعخبار
ابراهيم فرج	وزير دولة
ركى مراد	محامى
عزيز صدقى	مساعد رئيس الجمهورية
حسبى مهمى	رئيس تحرير الاخبار
محمد العتيت	وكيل بنك الائتمان العقارى
مصطفى مرعى	محامى
محمود الشريف	وكيل وزارة الاعلام بقطر
كمال نائى	وكيل وزارة التعليم بقطر
مراد الب	وزير خارجية ثم سفير ليونجسلافيا
ابراهيم سعد الدين	عضو امانة الاتحاد الاشتراكى
احمد بهاء الدين	رئيس تحرير الاهرام
عبد المنعم الصاوى	نقيب الصحفيين المصريين
احمد سعيد	مدير صوت العرب
دكتور فؤاد مرسى	وزير الترميم السابق



## المراجع العربية

### المؤلف

### الكتاب

جمال عبد الناصر	فلسفه الثورة
انور السادات	خطب جمال عبد الناصر
حسن عزت	اسرار الثورة المصرية
راشد الراوى	اسرار معركة الحرية
لورد كرومر	حقبة الانقلاب الاخر فى مصر
كمال رفعت	الثورة العراقية
عبد الله امام	حرب التحرير الوطنيه
محمد حسنين هيكل	الناصرية
محمد حسنين هيكل	ما الذى حرى فى سوريا
	عبد الناصر والعالم
	مدخرات ابدن
الدكتور محمد المعصم	صلاح سالم
س . جوكوف وآخرون	العالم الثالث ( قصصا وآفاق )
لويسكى	بارح الانظار العربية الحديد
محمد النابى	من اسرار الساسة والساسة
الدكتور محمد مصطفى صفوت	انحلوا وقتنا السويس
محمد خالد	عبد الناصر والحركة النقابية
محمد عودة	ميلاد بوره
	السياسة الاستعمارية بعد الحرب
	العالمية الثانية
فاخره شيف	ثورة ٢٣ يوليو
عبد الرحمن الرافعى	محاضر محادثات الوحدة
لينين	المشاكل المعاصرة للتحرير الوطنى
ملر كوبلند وهـ . هانتر	التورط السوفييتى فى الشرق الاوسط
أحمد حمروش	أسرار معركة بورسعيد
موسى صبرى	قصة ملك وأربع وزارات
دكتور ثروت بدوى	ثورة ٢٣ يوليو
على صبرى	سنوات التحول الاشتراكى
فاتيكوتس	مصر منذ الثورة
	بيانات الجبهه ساز المركزى
	للتعبئة والاخصاء



## فهرست

٤	الاهداء
٥	مقدمة
٩	الباب الاول : مصر واسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧
١١	الفصل الاول : ثورة يوليو واسرائيل
٣٥	الفصل الثاني : عدوان اسرائيل ١٩٥٦
٥٥	الفصل الثالث : ضغوط على النظام
٨٧	الباب الثاني : الهزيمة
٨٩	الفصل الأول : خطوات نحو المصيدة
١٤٥	الفصل الثاني : هزيمة عسكرية . بلا اعلام بيضاء
١٧١	الباب الثالث : رفض الهزيمة
١٧٣	الفصل الاول : رفض الهزيمة
٢١١	الفصل الثاني : المقاومة
٢٣١	الفصل الثالث : العرب . وظلام الهزيمة
٢٥٧	الباب الرابع : عودة المعركة
٢٥٩	الفصل الأول : المعركة . . . في الخطوط الامامية
٢٨٣	الفصل الثاني : معركة الخطوط الخلفية
٣٣٧	الباب الخامس : السلام . . . من فوهة البندقية
٣٣٩	الفصل الاول : الحرب والسلام
٢٦٩	الفصل الثاني : خريف عبد الناصر
٣٧٩	الباب السادس : عبد الناصر . . . مات
٣٨٣	الباب السابع : تقييم لدور البطل والزعيم









## المؤلف والكتاب

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ أحمد حمروش أحد كتاب مصر اليساريين وهو من الذين شاركوا في صنع ثورة ٢٣ يوليو اليسارية وهو ضابط بالجيش المصري قبل قيام الثورة وكان يعمل أيضاً بالكتابة في جريدة الاهرام ومجلة الفصول وهو من أوائل الضباط الذين انضموا إلى تنظيم الضباط الأحرار تحت قيادة جمال عبد الناصر .

أصدر ورأس مجلة ( التحرير ) أول مجلة لحركة الجيش صدرت في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، ومن بعدها أصدر ورأس تحرير مجلة ( الهدف ) عام ١٩٥٥ ، ( الكاتب ) عام ١٩٦١ ، ( روز اليوسف ) ١٩٦٤ ، وكذلك أصدر ١٢ كتاباً في السياسة والقصة والمسرح والرحلات .

تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التي تصدر في أربعة أجزاء أكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كأحد جنود ثورة يوليو ، وهي حصيلة جلسات مناقشة طويلة مع زملائه الذين شاركوا في صنع الثورة ، وتحملوا مسؤولية مسيرتها ، ومع السياسيين الذين عايشوا أحداثها الكبرى .

انه تقييم صريح .. خطير وشيق ... لموضوع يحتاج إلى الصراحة والموضوعية .